

• المنتخب من السنة النبوية الشريفة
• "الفردوس" مجلة الطبق المسلم

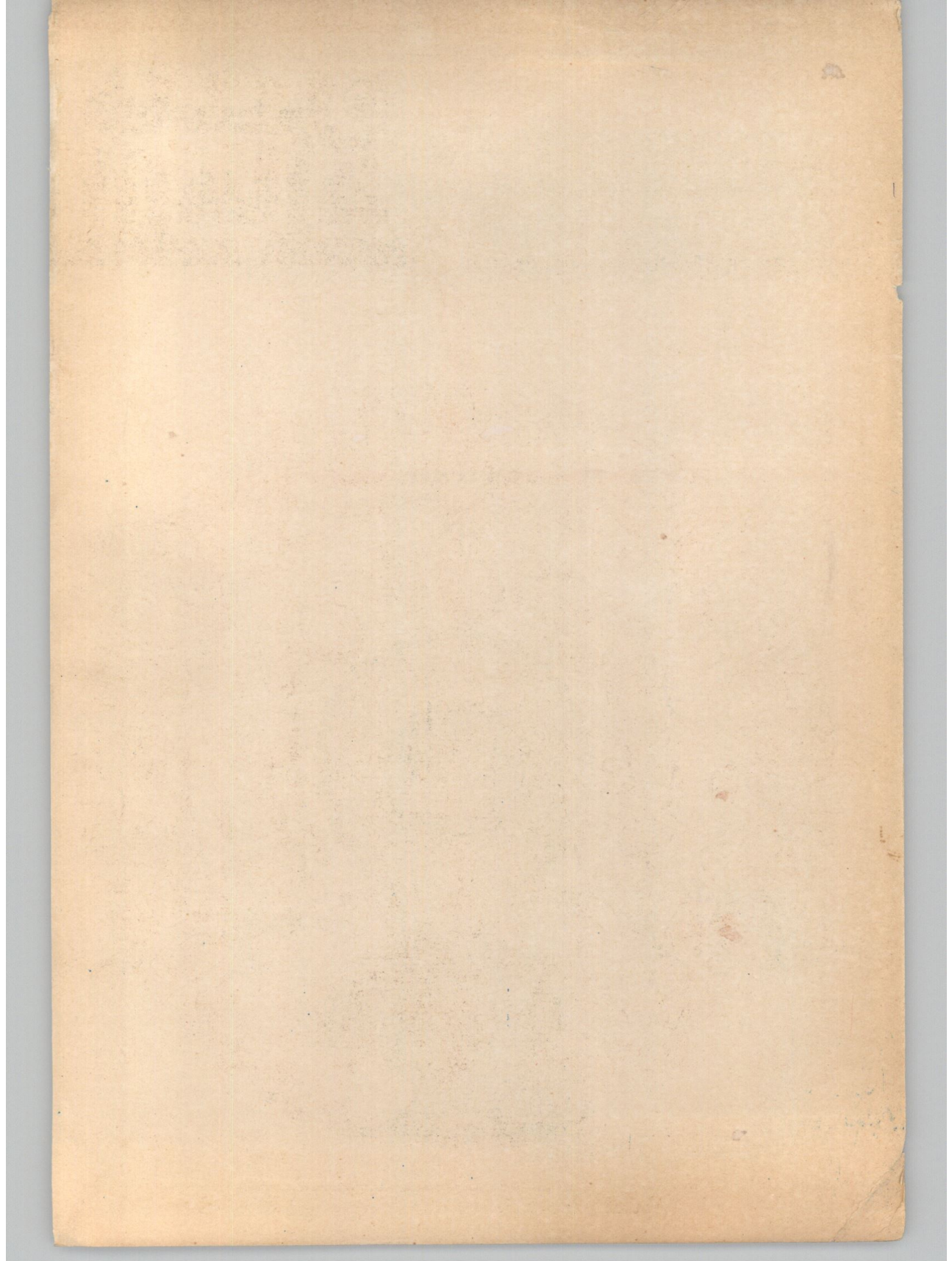
مع
العدد

الأسبوع

الثلث ١٥ قرشاً

السنة ٣٥ • العدد ١٢ • ذو الحجة ١٣٩٧ • نوفمبر ١٩٧٧





الاسلام

يصدرها
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

في غرة
كل شهر عربي

رئيس التحرير
محمد توفيق عويضة

العدد ١٢، السنة ٣٥، ذوالحجة ١٣٩٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من محتويات العدد

- نص كلمة الرئيس محمد أنور السادات في احتفال نادى القضاة ..
 - تفسير سورة آل عمران الأستاذ أحمد حسين
 - إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون
 - الزكاة فريضة وحق
 - يوم عرفه
 - الحج مناسك وأسرار
 - الأعياد وأثرها في حياة الأمم
 - هداية سورة الحج
 - إلى فوائد فريضته
 - الحدود وحكمة تشريعها
 - وأثر تطبيقها
 - البيت الحرام
 - ولكل أمة جعلنا منسكا
 - في مهبط الوحي
 - واجب مفروض على
 - علماء المسلمين
 - جمع القرآن في عهد عثمان
 - ولنا رسالة
 - الطب الوقائي بين الهدى النبوى
 - والطب الحديث
 - زخرفة الأواني الزجاجية
 - في العصور الاسلامية
 - رجل ومعارك [قصة العدد]
- الشيخ عبد الجليل عيسى
 - الدكتور أحمد الحوفى
 - الدكتور الحسينى هاشم
 - الشيخ موسى محمد على
 - الشيخ عبد الحميد بليغ
 - الشيخ محمد مصطفى أبو العلا
 - الشيخ محمد خاطر
 - الشيخ إسماعيل صادق العدوى
 - الدكتور عبد المنعم سيد حسن
 - الأستاذ مأمون غريب
 - الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف
 - الشيخ أحمد على مرعى
 - الأستاذ عبد العظيم منصور
 - الدكتورة إيتسام عبد الحليم
 - الدكتور سعاد أحمد جمعه
 - الأستاذ محمد صالح



العنوان : ٣ شارع الأمير قدادار المتفرع من شارع التحرير خلف عمارة بحرى القاهرة تليفون : ٢٨١٥٦ - تلغرافيا : الاسلام - القاهرة .

الاشتراكات : ١٦٠ قرشا في جمهورية مصر العربية - ١٤٠ قرشا للعمال والطلبة تدفع مقدما ، ويضاف إليها البريد خارج جمهورية مصر العربية ، وما يساوى قيمة هذه العملة في البلاد الأخرى .. تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين .



الرئيس المؤمن محمد أنور السادات



نص كلمة الرئيس المؤمن
بسم الله الرحمن الرحيم
في احتفال نادى القضاة
١٩٧٧/١٠/١٠

أعلن الرئيس أنور السادات في لقائه بقضاة مصر :

- أنه لن تعود أمته الى الوراء واعلام أبنائها هي اعلام الحق وسواعد أبنائها هي عرق الأقوياء .
- وقال الرئيس السادات انه اذا كان المقاتل المصرى يوم السادس من أكتوبر قد حقق النصر بقوة الارادة و ارادة القوة ، فان قضاةنا العادل الحق سباجا لنضال الارادة والقوة .. وقال أن رمزنا في نضال التحرير والبناء هو الحق والقوة فلقد أصبح للأمة درع وسيف .
- وفي حديثه عن إجراءات التحقيق والتقاضى قال الرئيس السادات ان العدل البطيء هو نكوص من حركة المجتمع التي تطورت الى الانطلاق السريع .. وقال ان الجماهير تشكو من بطء إجراءات التحقيق ومن أجل هذا فان الشعب ينتظر من قضاته أن يقودوا ثورة في إجراءات التقاضى .



الرئيس السادات يعانق المستشار ابراهيم خليل (٨٠ سنة) وهو القاضى الذى حكم ببراءة الرئيس فى قضية مقتل أمين عثمان وقد أهداه الرئيس وساماً جديداً يهدى لأول مرة يسمى (وسام المقام الرفيع) وقال الرئيس أنه يهدى الوسام الى هذا القاضى الجليل وإليك جميعاً حضرات القضاة فليس هناك أرفع من القاضى

كل الثقة ، وأعطتهم كل الحصانة ليكونوا حمايتها
ممن ضعفت نفوسهم ، وليكونوا مناعة ممن أغواهم
الشر والشيطان ، وليكونوا أمنها وأمانها إذا
ما هدها عابث فى الظلام .
قضاة مصر .. انتم سلطان الحق الذى يدعم
قوة الامة وسلطانها ، وإذا كان شعبنا المقاتل فى
٦ أكتوبر قد حقق النصر بقوة الارادة و ارادة
القوة ، فان قضاءنا العادل قد أعلى الحق
سياجاً لنضال الارادة والقوة .
وصاحب الحق قوى بحقه .. انه السلطان العادل
فى ضمير كل انسان ، وسلطان القوة بغير الحق هو
البطش وسلب الحقوق ، وهو أداة تدمير وعنصر

وفيما يلي نص الكلمة التى ألقاها سيادته فى الاحتفال .

أيها الاخوة .. يا قضاة مصر .. عندما أتحدث
اليكم اليوم فى نادىكم نادى القضاة ، وأنا اتشرف
بزيارته لأول مرة ، بل لعلنى اتشرف بأن أكون أول
رئيس للدولة فى مصر يقوم بهذه الزيارة .
عندما أتحدث اليكم اليوم - يا قضاة مصر -
فاننى أشعر من أعماق الاعماق أننى أتحدث الى
بعض عزيز غال من العائلة المصرية ، أشعر اننى
أخاطب فريقاً من أبناء العائلة يمثل صفوة نقية
طاهرة مؤمنة .. اختارتهم العائلة ووضعت فيهم

هزت كلمتي معاشتي كاملتي للقيم الجليلة التي قدمها قضاة مصر ..

القاضي من الهام السماء ، وهي لا تهبط من
علياء النور حتى تقول الكلمة الفاصلة متجردة
من كل اغراءات الأرض .

وقد سمحت لنفسى أن أقول في هذه المعانى
والافكار وان أعد كلمتي لهذا اللقاء بل لم تسمح لى
نفسى الا أن أهيم مع هذه المعانى والافكار ، لا جريا
وراء فذللك لغوية أو تشبيهات شاعرية ، بل معاشية
كاملة للقيم الجليلة التي قدمها قضاة مصر عبر كل
عهود القهر ، والتي جعلتنا نرث ونهتف بالعبارات
المشهورة : ان في مصر قضاة .

عايشت هذه الافكار وأنا أعد كلمتي لهذا اللقاء ،
لأننى عرفت بالتجربة لماذا يغلى قلب المظلوم عندما
تحاصره السهام في قفص الاتهام ، وكيف تمضى به
الدقائق في محبسه ، وكأنها أطول الايام ، وماذا
تمثل له هذه المنصه العاليه المتجرده من الهوى
والغرض ، وهو يتطلع الى كلمة حق فيها ، هي
أكسير الحياة كلها ، وكيف تنهشه الشكوك وتهزه
الاوهام وهو بعيد زنزانته يتصور انه من الممكن أن
يترك بها نسيا منسيا الى آخر الايام .. عايشت
هذه الافكار ، وعادت بى الى أروع الذكريات التي
تركت خطوطها العميقة مسارا لانسان امتدت اليه
يوما يد العدالة وأعطته أمانه وحريته ، وهي تتحدى
بحكمها وقرارها أعتى وأشرس قوى البغى
والبطش ، بل وهي تقول للمستعمر الذى أنل الملك
والزعامات والحكومات والاحزاب .. تقول هذه
المنصه للمستعمر بكل هذا السلطان ، وهذا
الهيلمان : قف مكانك ان في مصر قضاة .

واذا سمحت لى - أيها الاخوة القضاة - أن
تمضى بعض الكلمات مع هذه الذكريات فأننى

جريمة ، وهو الدعوة السوداء الى شريعة الغاب ،
وسلطان القوة بالحق ، ومن أجل الحق . هو الردع
والتقويم لدعوة الباطل وفعله ، وهو الانقاذ للانسان
من أنياب الغابة واقتراسها .. وهو أكاليل العدل
والسلام تجل هامة هذا الانسان .. وهو الدرع
الحامية لمعصوية العينين تمسك بالميزان بيد ثابتة
لا تهتز أبدا مهما فاجأتها العواصف والأنواء ..
قضاة مصر .. من وحى هذه المعانى التي
لا يمكن أن يهرب من التفكير فيها حاكم أو محكوم
في هذا العالم المثقل بصراع المتناقضات .. من
وحى هذه المعانى التي تهدينا الى النظرة الواعية
لطريق التحرير والبناء ، اتخذت القرار بأن يكون
الزى العسكرى للقائد الاعلى مكتملا بوشاح
العدالة .. الذى تفضل مجلسكم الاعلى باهدائه
لى .. وبذلك يتمثل أمامنا دائما وأمام من يريدون
لنا خيرا أو بنا شرا .. يتمثل أمامهم أن رمزنا في
نضال التحرير والبناء هو الحق والقوة ..

ولعلكم تذكرون - أيها الاخوة ياقضاة مصر -
اننى أعلنت في مجلس الشعب بعد انتصار قواتنا
المسلحة في ملحمة أكتوبر الخالدة ، أعلنت انه قد
أصبح للأمة درع وسيف اليوم فانه يسعدنى أن
اعبر اليوم أمامكم بيقين الثقة والصراحة
والاطمئنان ، ان قوة الدرع والسيف لامتنا يحميها
ويؤمنها ايمان بالحق يعليه قضاة الامة بسيادة
القانون ولن تعود أمة ابدا الى الوراء وإعلام
أبنائها هي اعلام الحق ، وسواعد ابنائها هي
عرق الاقوياء ، وأنتم - أيها الاخوة ياقضاة
مصر - أنتم الاقوياء باعلاء الحق من منصة
عالية لا تترفع بعلوها ، بل هي تقرب بقلب

إن منصة القاضي وأنا في قفص الاتهام عاصف وهتف إلى الشئ الكثير..

القاضي بكل جهده واجتهاده لأداء أنبل رسالة ..
وأرجو أن يوفقنا الله ونحن نواجه أكبر التحديات
الاقتصادية، أن نوفر لهذه المنصة العالية
ما يجعلها دائماً ابداً شامخة عالية، فإذا كانت
سيادة القانون هي للملايين صمام الأمان، فأجدر
بنا أن نحقق كل الأمن والأمان لمن يجعلون من
سيادة القانون حقيقة بارزة في حياة مجتمعنا ..
وأول مظلة لأمن القاضي وأمانه هي استقلال
القضاء.

واستقلال القضاء لا يعني مجرد النص في دستور
أو تشريع، ولكنه يعني أولاً وقبل كل شيء التزام كل
السلطات التزاماً صارماً باستقلال سلطة
القضاء .. هذا الالتزام الصارم الذي لا يحتمل أي
اهتزاز هو التزام الحاكم قبل المحكوم .. فرسالة
الحاكم هي عنوان لرسالة القضاء .. والحاكم
الذي يخضع في قراره لأي ضغط أو تهديد، يمزق
أمانة المسؤولية .. والقضاء هو السلطان الأول
على كل حاكم ومحكوم.

أيها الاخوة - يا قضاة مصر - إذا كان لي
كمواطن يؤمن بأن سلطة القضاء هي من أفضل
العناصر في حركة المجتمع نحو بناء العدل
والمساواة في الحقوق والواجبات .. إذا كان لي أن
أبلى برأي اعتقد أنني أعبر به عن صوت
الجمهير فاسمحوا لي أن أقول أنه قد آن الأوان
أن نحدث ثورة في إجراءات التقاضي.

لقد تحدثت معي في هذا الشأن اخوتي من أعضاء
المجلس الأعلى والنادي .. علينا جميعاً أن نحمل
المنصة العالية من تعدد وتعقيد هذه الإجراءات،
ومن استثمار المتقاضين بثغرات في القانون تضع

أقول إن منصة القاضي وأنا في قفص الاتهام
علمتني الشئ الكثير، وهدتني إلى الشئ
الكثير المهمني القوة وأنا أرى الجالس عليها
أقوى بسلطان الحق والقانون من كل قوى
متوحشة كانت تهدد أمن هذا البلد وحرية
أبنائه .. عززت خطواتي على طريق الإيمان
وأنا أثق أن الله سبحانه وتعالى قد هيا لي ولكل
مظلوم أن تكون كلمة المصير هي على لسان هذا
الجالس على منصة النور.

ومن هنا كان لقائي بنفسي في وحدة الحبس
الانفرادي، هو لقاء الذات، ولقاء الذات أمر يحتاج
إليه كل إنسان يجرفه صراع الحياة بعيداً عن كنه
نفسه ومكنون ذاته .. وحين استوعبت لقاء الذات،
وجدت الجواب الصحيح الذي نقلني من الحيرة إلى
السكينة وحد لي الهدف والمسار .. عرفت أن
الحياة ليست هي الأنوار التي تبهر الإبصار من
حولنا ولكنها هي النور الحقيقي المنبعث من
أعماقنا ولو لم يبهز أبصار غيرنا .. عرفت أن

الحياة هي الرضاء عن النفس باقناع النفس أولاً
قبل أن أقنع الآخرين .. عرفت أن القوة الكبرى
هي قوة النفس عندما يحميها الإيمان من كل
اغراءات الهوى وشهوات هذه الحياة.

اغفروا لي - أيها الاخوة يا قضاة مصر - إذا
كنت قد مضيت بكم إلى حديث عن النفس فأنني
أرويه اعترافاً صادقاً وعرفانا عميقاً عما سلحتني
به في حياتي قضاء عادل وقاض جليل يعطي لشعبه
الأمن والطمأنينة والثقة والإيمان .. ولاشك أن هذا
يضاعف من إيماننا جميعاً بأن مجتمعنا يجب أن
يوفر لقضاته الجالسين والواقفين كل مطالب
حياتهم التي تنأى بهم عن أنني شبهة حتى يتفرغ

حديثنا حديث العائلة المصرية نجاز به بروح السماحة لنحقق المجتمع الصالح بإحقات الحق وإصرار العدل

يدعم بناء سلطان القضاء ولكل ما يستجيب الى
نفض المجتمع .. مجتمع ٢٢ يوليو .. مجتمع
١٥ مايو .. مجتمع أكتوبر المتسبب بالسيادة
الكاملة للقانون .

ايها الاخوة يا قضاة مصر لقد استمعت الى من
تحدث من قبلي من الزملاء ولقد ضمدتم جراحي
مرتين .. المرة الاولى حينما كنت في قفص الاتهام
أمام قضاة مصر وكما قلت وذكرت لكم من قبل
كانت تدل في تلك الاوقات اعناق الزعامات اعناق
الملك اعناق الاطيار كلها كانت تدل امام المستعمر
ولكن في تلك القاعة التي زرتها اليوم وأسعد دائما
بزيارتها كلما اجتمع المجلس الاعلى للهيئات
القضائية جلس قضاة ثلاثة من قضاة مصر لكي
يتحدوا ارادة المستعمر بكل ما كان له من جنود
وأسلحة على هذه الارض وبكل ما كان له من قوة
تدل لها أعناق الملك والاحزاب والزعماء والاطيار
ووقف وكيل نيابة شاب كان لابد أن يقدم رقبتى
الى المشنقة بحكم عمله ولكنه استهل مرافعته في
ذلك الوقت وفي تلك الاجواء التي احكى لكم عنها
وقال ان كل كلب ينيح في مصر يقول لبريطانيا
اخرجى من مصر .. ضمدتم جراحي وصدرت كلمة
القضاة الثلاثة عالية مدوية شامخة تعلو كل
الهوام .. صدرت وضمدتم جراحي لاول مرة ..
واليوم حين أتى الى ناديكم ويقف زميل من قضاة
مصر وكأنه يعيش ما عانيته وأعانيه أحس في هذا
المكان اننى بين أخوة واصفياء .. أحس في هذا
المكان بروعة هذا اللقاء مع قضاة مصر .. تقدم
بعض الاخوة ببعض ما يريده قضاة مصر ولقد
تعودت منذ ان كانت ابصارى معلقة بتلك المنصة أن
استجيب لكل ما تقولون .. لقد حكمتهم وليس لى

عراقيل الوقت أمام أعمال القانون لسيادته فتصل
الىنا كلمة العدالة بطيئة بعد رحلة طويلة .. والعدل
البطىء هو نكوص عن حركة المجتمع التى تطورت
اليوم الى الانطلاق السريع المذهل .. وتحضرني في
هذا المقام كلمة أفلاطون : « كلما ازداد عدد
القوانين التى تسنها ازداد اغراؤك للناس بالخروج
عليها » .

واذا انطبقت هذه الحقيقة على القضاء الجالس
فهى أكثر انطباقا على القضاء الواقف .. ان
الجماهير تشكو من بطء اجراءات التحقيق وتقديم
القرار الى المنصة العالية ، وقد أصبح هذا ملحوظا
في تحقيقات هامة يتابعها الرأى العام ليطمئن على
سيادة القانون على الكبير قبل الصغير ، بل ان
بطء اجراءات التحقيقات قد استثمره الصائدون في
الماء العكر لكي يشككوا في سيادة القانون ، ومن
أجل هذا فان الشعب ينتظر من قضاته ان يقودوا
ثورة في اجراءات التقاضى ...

ولقد أسعدنى اعظم سعادة أن أستمع الى تقرير
السيد وزير العدل عن التعزيز الذى تم للهيئات
القضائية حتى تنهض بواجبها في هذا الشأن ..
اننى أعلم علم اليقين ما يلاقى قضاتنا من ضغط
العمل ، ومن مشقة المسئوليات ، ولكننى اطالبكم
كما يطالبكم الشعب بمزيد من هذا العمل حتى
تصل إليه العدالة ويطلبكم أيضا ان تعلوا أمام الكل حتى
لا يكون لحاقد أو لموتور كلمة يتنزع بها عن سيادة القانون .

ويسعدنى أن أعلن أننى لمست فى لقائى الاخير
بأعضاء المجلس الاعلى للقضاء عندما تفضلوا
بأهدائى وشاح القضاء ، لمست تفهما عميقا
واقبالا صادقا وحماسة نقية بكل ما من شأنه أن



الرئيس السادات اثناء زيارته لقاعة محكمة الجنايات
بمحكمة مصر بباب الخلق... ويقول الرئيس انها هي
كما هي يوم حوكم في نفس هذه القاعة في قضية مقتل
امين عثمان عام ١٩٤٨

ولكم جميعا فليس في مصر صاحب مقام رفيع غير
القضاء .

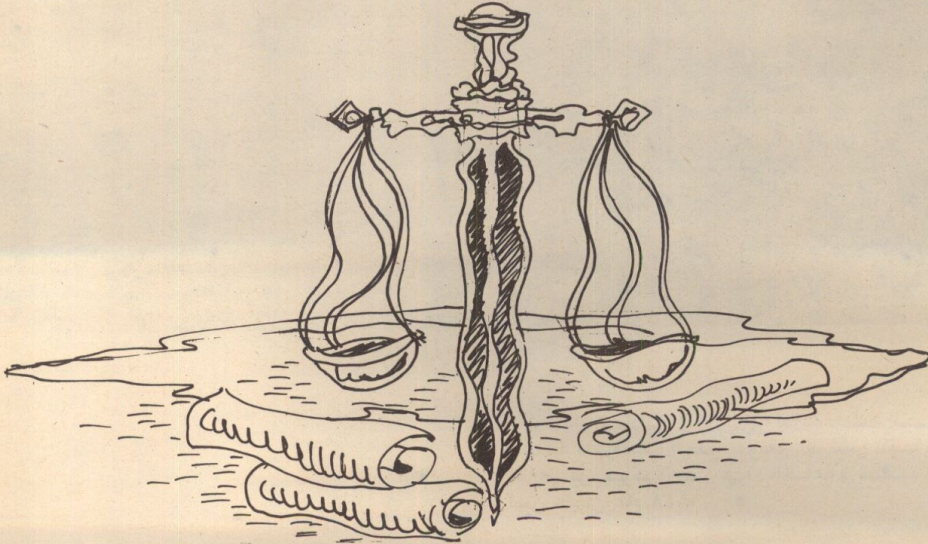
أيها الاخوة القضاة .. هذا حديثنا حديث
العائلة المصرية نتجاذبه وتبادل به روح
السماحة والمودة والحب ساعين معا ، وعاملين
معا بكل ما في وسعنا من جهد وعرق وبكل زادنا
من العلم والايمان لكي نحقق المجتمع الصالح
وان نبني المواطن الصالح ، ولا صلاح لمواطنين
في مجتمع ولا صلاح لمواطن في مجتمعه
ولا صلاح لمجتمع كل المواطنين إلا باحقاق الحق
وإجراء العدل .. احمد الله سبحانه وتعالى
وأدعوه ان يوفقكم لحمل الرسالة وأداء
الامانة .. «انا عرضنا الامانة على السماوات
والارض والجبال فابدين ان يحملنها واشفقن
منها وحملها الانسان» ..

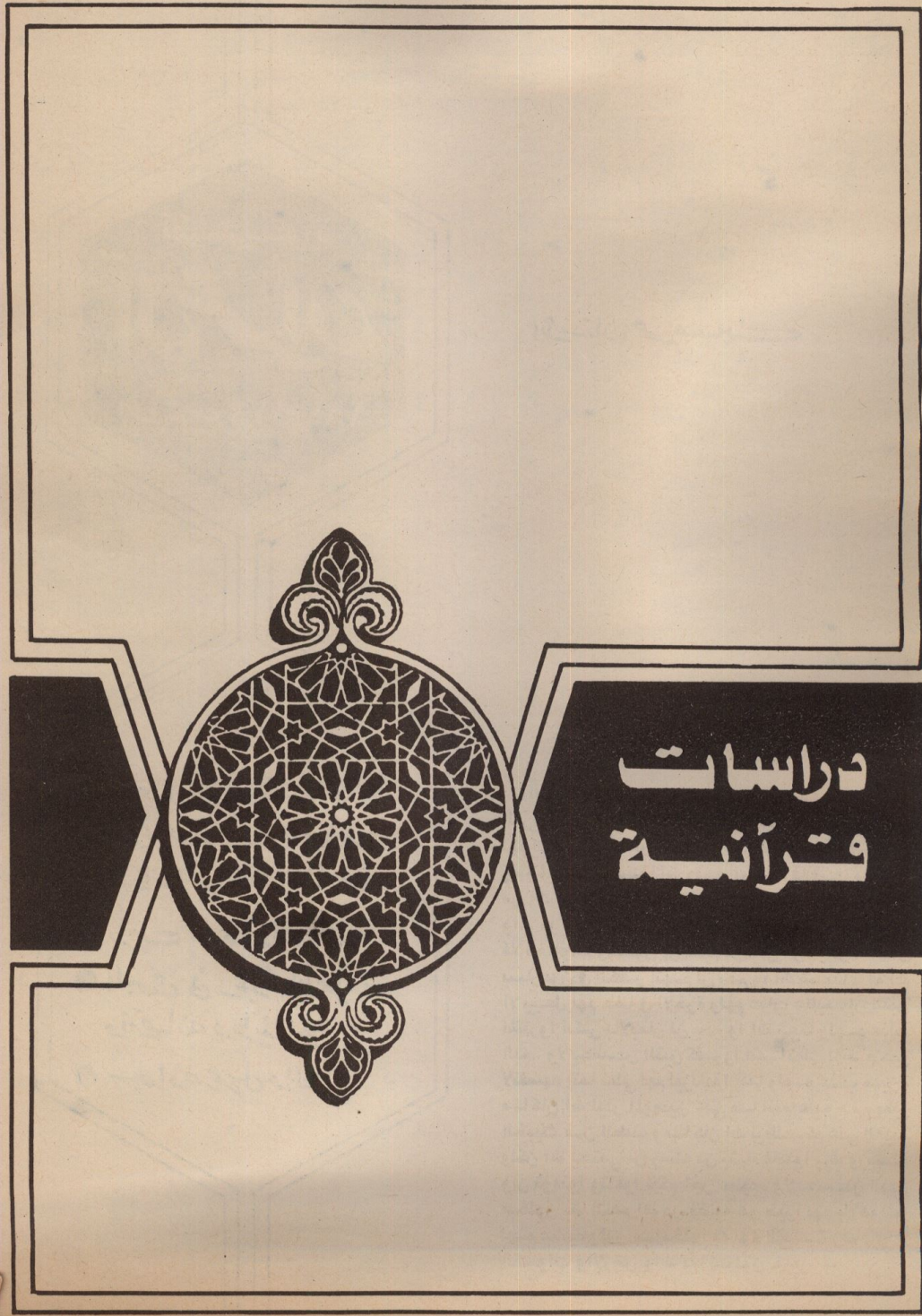
وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة الله .

الا أن أصبق على هذا الحكم فالعبور الى لاطو على
سيتحقق ان شاء الله واجراءات العناية الطبية وأنا
مشغول بها من ضغط العمل الذي أشعر أنكم
تلاقونه كل يوم ومما يقع من أحداث لقضائنا . من
أجل ذلك والى أن يتم انشاء مستشفى خاص
ستقوم رئاسة الجمهورية بعمل الترتيبات اللازمة
لكي يحجز لكم جناح في مستشفى المعادي ،

وليس لي في بقية الطلبات الا أن استجيب بلا نقض
ولا ابرام ، أما أخوتنا من هذه العائلة المقدسة
الذين أدوا واجبههم باسمكم وباسم الشعب فانني
أهدى اليهم الاوسمة واسمحوا لي كان هناك
وسام يعطى لصاحبه الحق في أن يطلق عليه
صاحب المقام الرفيع .. اسمحوا لي أمامكم وقد

هزنى وجود هذا القاضي الجليل طالما تشبثت
عيناي بمنصته وهو يعد الكلمة ليقول كلمة قضاة
مصر .. اسمحوا لي أن أهدى اليه هذا الوسام له





دراسات
وثرآنية

تفسير سورة

آل عمران

الآيات من ١٧٢-١٨٠

الأستاذ أحمد حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

«الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم . الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فأنقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم . إنما لكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين . ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئاً يريد الله ألا يجعل لهم حظاً في الآخرة ولهم عذاب عظيم . إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئاً ولهم عذاب اليم . ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين . ما كان الله ليزر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فأمّنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلکم اجر عظيم . ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولهم ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير .»

- يستحيل إلا أن يكون القرآن الكريم صادراً عند ما يروى أهدأ مما يعرفه كل الناس .
- رأس الحكمة مخافة الله .
- البحث في زيادة الإيمان ونقصانه ورأيناه .
- سبحانه يرحل ولا يرحل .

سيرة الرسول كما ينيرها القرآن الكريم .

● لقد حفظ لنا القرآن الكريم الحقائق البارزة في سيرة الرسول بطريقة لم يحظ بمثله أي إنسان آخر في العالم ، وأنا أعني ما أقول بكل دقة علمية ، من أنه لا يوجد إنسان آخر في هذا الكون قد سجلت الحقائق البارزة في تاريخ حياته بما لا يدع مجالاً للشك فيها ، كما هو الشأن بالنسبة لسيدنا محمد ﷺ فما من إنسان كبر أو عظم عبر التاريخ ، إلا وكان مصدر المعرفة بسيرته ، هو ما كتب عنه ، وهذا الذي كتب أما أن يكون من قوله هو أو من قول معاصريه ، أو من قول من جاءوا بعد وأحاطوا بالمصدرين السابقين . وكل ما يقوله الإنسان عن نفسه ، كأثنا ما كان هذا الإنسان ، فهو شيء يحتمل الصق والكذب ، ومن باب أولى ما يقوله الناس عنه .

● وهنا يأتي انفراد سيدنا محمد ﷺ ، بصديق كل ما قاله القرآن الكريم عن وقائع حياته ، لأن القرآن الكريم هو كلام الله ، فتلك مسألة نؤمن بها نحن المسلمين ، ولكننا نسوق القول للمسلمين ، المؤمنين منهم وغير المؤمنين بقلوبهم ، كما نسوقه لغير المسلمين فقد كان القرآن الكريم هو كل سلاح .

● سيدنا محمد ﷺ ، ودعامة وكان قوله : إن هذا الكلام الذي يجري على لسانه في بعض المناسبات ويسميه قرآنا ، هو وحى من رب العالمين ، وقد كان هذا القرآن باعتباره الصديق كله هو السبيل الذي لا سبيل غيره لكى يؤمن من آمن بأن سيدنا محمداً هو رسول رب العالمين ، فأحسب وهذا هو الموقف ، فيستحيل أن يتضمن القرآن شيئاً جرى على مرأى ومسمع من الناس ، لم يكن هو عين ما حدث بالفعل لأنه في هذه الحالة سيكون أصحاب سيدنا محمد ﷺ قبل خصومه ، هم أول من يتشكك في هذا الوحى ، فعندما يقول القرآن الكريم لسيدنا محمد « ألم يحنك يتيما » فهذا قاطع الدلالة على أنه كان يتيما ، والا لما وجد إنسانا واحدا يتابعه وعندما يقول له « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » فيستحيل أن يكون سيدنا محمد ﷺ غير هذا وهكذا فعندما يشير القرآن الكريم الى غزوات الرسول فيستحيل أن يكون الأمر قد سار على خلاف ما يقوله القرآن وهذا هو الفارق الأساسى بين ما يقوله القرآن الكريم في أى شأن من الشؤون وما يقوله أى مصدر آخر .

غزوة حمراء الأسد أم غزوة بدر الصغرى : سقنا هذه المقدمة بين يدي تفسير الآيتين اللتين تحدثتا عن غزوة لرسول الله ﷺ في أعقاب غزوة أحد ، فأحد القولين ، وهو قول الجمهور الذى يقرب من الاجماع على أن الآيتين اللتين سنعرض لهما بالتفسير ، قد نزلتا فيما أسمته كتب السيرة « غزوة حمراء الأسد » وقد وقعت غداة غزوة أحد ، عندما انتدب سيدنا رسول الله المسلمين للخروج معه للتصدي لجيش أبى سفيان ، الذى أرجف المرجفون انه سينقض على المدينة ، فوصل سيدنا محمد ﷺ بمن معه ، الى

« حمراء الأسد » التى تقع على بعد ثمانية اميال خارج المدينة ، ولكن الرعب كان قد استولى على قلب المشركين ففروا مذعورين إلى مكة كما قدمنا ، وهكذا عاد سيدنا محمد ﷺ فائزا منصورا وقد استرد هيبة المسلمين وجيش المسلمين .

ولكن اقواما آخرين قالوا ان الآيتين نزلتا بمناسبة « غزوة بدر الصغرى » أو بدر الموعد « فقد قدمنا فيما سبق أن أبى سفيان قال عقب ما حدث في غزوة أحد « يوم بيوم (يقصد أن ما حدث في أحد يقابل ما وقع في بدر) ثم تواعد مع المسلمين ، أن يتقابلا في مثل هذا اليوم من العام القادم » .

وعندما اقترب الموعد دس ابو سفيان على المسلمين من يخوفهم عاقبة الخروج لملاقاة جيش المشركين ، ولكن سيدنا

محمدا وصحابته لم يأبهوا لهذا التخويف ووصلوا بالفعل الى بدر في الموعد ، ولكن جيش المشركين هو الذى خاف فلم يصل .

وعندنا ان لا تعارض بين الواقعتين ومن المحقق على ما تشير الآيتين ، ان جيش المشركين كان قد فر إلى مكة عقب غزوة أحد مباشرة ، كما أن جيش المشركين لم يواف الموعد المضروب في بدر ، وأصبحت الآياتان يمكن أن يشيرا الى الواقعتين كحقيقة مؤكدة فلا تعارض بينهما وبعد هذا التمهيد نقول وبالله التوفيق .

الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم . القرع : بالفتح هو أثر الجرح من الخارج وهو هنا يعنى ما أصاب المسلمين يوم أحد ، من استشهاد من استشهاد ، وجرح من أصيب بجراح ومظهر الجيش العام الذى بدأ كأنه قد انكسر . فعبر القرآن عن ذلك كله بكلمة « قرع » أى أثر لجرح ، وهو قاطع الدلالة في أن الآية تتحدث عن استجابة المسلمين لسيدنا محمد ﷺ عندما دعا المسلمين غداة يوم أحد مباشرة للخروج لمطاردة قريش .

فتنص الآية الكريمة على أن الله سبحانه وتعالى يعد الذين استجابوا لدعوة الرسول ، أى صدعوا بالأمر ، رغم ما فيه من صعوبة ومشقة نتيجة ما حدث في اليوم السابق ، يعد الله هذا النفر .

« للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم » والله كما أخبر عن نفسه يضاعف الأجر لمن يشاء بما يشاء بغير حساب ولذلك فنراه من التكلف التفرقة في حرف « من » في هذه الآية الكريمة وهل هو للتبويض ، أو للتبيين ، فالنتيجة

واحدة في الحالتين وهى أن الفضل له درجات في كل الأحوال ، وأن الله يفضل على من يشاء بما يشاء من الأجر .

وقد جاء في الصحيحين : البخارى ومسلم حديث لعروة بن الزبير عن السيدة عائشة رضى الله عنها ما يقطع بأن المقصود بهذه الآية : هو ما حدث في اليوم التالى مباشرة لما حدث في أحد ويبدأ الحديث بقول السيدة عائشة لعروة « يا ابن أختي ، كان أبوك - تعنى

ابابكر والزبير - من الذين استجابوا لله والرسول .. الخ ثم يمضي الحديث بمعنى ماكرناه فيما سبق . ولست أحسب ان احدا كائنا من كان يمكن ان يمارى في ذلك ، وانما ظهر خلاف بالنسبة للآية التالية ، فهي إما ان تكون استمرارا لهذه الآية نزلت موصولة بها ، وإما ان تكون تأخرت في النزول لتشير الى الواقعة الثانية التي وقعت بعد عام ، ثم وضعت عقب الآية الاولى طبقا لتوجيهات جبريل عليه السلام ، ولتثبت أولا نص الآية : (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) .

اتصور ان هذه الآية هي التي سمحت للبعض ان يقولوا انها نزلت بعد عام ، اي بمناسبة « بدر الصغرى » حيث كان ابوسفيان قد واعد المسلمين على التلاقى ثانية ، ولعل مبعث هذا التصور جملة « ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم » فهي تعنى التهديد بتجميع جديد للمشركين (مجهول امره) حيث كانت قوتهم في « أحد » معلومة ومعلوم انها هزمت عند الصدمة الاولى على ما قدمنا « ان تحصونهم ياذن » واذا كانت الامور تطورت الى ما تطورت اليه بعد ذلك ، فقد كان نتيجة لعصيان اوامر رسول الله ، ومن هنا جاز ان يقال ان لا محل هنا لتخويف المسلمين ، وإنما كان ذلك بعد انقضاء عام كامل وجاء التخويف بجموع جديدة وكبيرة للمشركين ، نقول ان ذلك احتمال قائم ، ولكنه لا يمنع كذلك من ان يكون القول متصلا بالآية الاولى وان المرجفين في المدينة اذا عوا واشاعوا ان جيش المشركين قد اعدا تنظيم صفوفه وارسل يستجلب مددا جديدا . ليهاجم المسلمين في المدينة ذاتها ، فكان رد الرسول صلوات الله عليه ، ان استنفر من كانوا معه بالأمس ، ليكونوا هم المهاجمين ، ليس هناك ما يمنع هذا التصور الذي عليه الجمهور .

الناس ، من هم ؟

وقد راح المفسرون وكتاب السيرة يتساءلون من هم الناس الذين حاولوا ارهاب المسلمين بتجميع المشركين وكالعادة يتلقفون اقوالا من هنا وهناك فمن قائل انهم منافقو المدينة ، ومن قائل بل « هو نعيم بن مسعود » وقال ابن اسحق هو « ركب عبد القيس » نسهم ابوسفيان ليقولوا للمسلمين هذا القول ولنا نص القرآن الكريم من ان ناسا « كائنا من كانوا » حاولوا ارهاب المسلمين بتجميع المشركين ، فلم يكن لهذه المحاولة الا ان جعلت المؤمنين يزدادوا ايمانا اى اصرارا على الخروج لمواجهة المشركين وهم مؤمنون بنصر الله ، ذلك هو معنى « فزادهم ايمانا » .

هل الايمان يزيد وينقص : هنا وترى الأثر السئ الذي تركه منطق ارسطو على بعض عقول علماء المسلمين فترى كثيرا من كتب التفسير القديمة تتوقف امام هذه الجملة « فزادهم ايمانا » ويتساءلون (هل الايمان يزيد وينقص) ثم يروحون يرددون سفسطة ارسطو من ان الايمان « جوهر » لا يزيد ولا ينقص وانما يوجد او لا يوجد ، ثم

يضيفون الزيادة الى ائلة الايمان او افعال الايمان وكل ذلك لكى يوفقوا بين منطق ارسطو والقرآن ، حيث لا نتردد نحن لحظة في تسمية منطق ارسطو من انه لا يعدو ان يكون سفسطة منظمة ، فالقرآن لا يفتأ يحدثنا عن زيادة الايمان من مثل قوله :

- فمنهم من يقول ايكم زانته هذه ايماننا (سورة التوبة)

- واذا تليت عليهم آياته زانتهم ايماننا . (سورة الانفال)

- فاما الذين آمنوا فزانتهم ايماننا . (سورة التوبة)

- هو الذى انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم . (سورة الفتح)

فما القرآن الكريم يحدثنا من اوله الى آخره عن زيادة الايمان ، فلم يعد من الجائر ان نرد سفسطات قال بها ارسطو من ان الجوهر لا يزيد ولا ينقص ، ثم نعتبر الايمان جوهر يسرى عليه هذا الحكم ونقطع بأنه لا يزيد ، ثم نحاول صرف كلمات القرآن عن معناها لتتلاءم مع تفسيرات وشروح ارسطو « المعلم الاول ؟ »

وينسى هؤلاء المتكلمون تلامذة المعلم الاول ان القرآن الكريم لم يقف عند حد ذكر كلمة الزيادة بل فصلها تفصيلا في قصة سيدنا ابراهيم عندما سأل ربه ان يريه كيف يحيى الموتى ، فلما سأل ربه « أو لم تؤمن » فكان الجواب « بلى » ولكن ليطمئن قلبي « اى ان سيدنا ابراهيم عليه السلام رأى في ان يرى بعينه لما يؤمن به طمأنينة لقلبه ونعود فنقول ان القرآن الكريم عندما يكرر قضية ، لزم الوقوف عندها وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل .

وهذه آية تكشف كيف أصبحت آيات القرآن الكريم تجرى في حياة المسلمين اليومية مجرى الدم فما من مسلم صادق بالأمس واليوم وغدا ، الا وتسمعه يردد في بعض المواقف العصبية « حسبى الله ونعم الوكيل » وقد يكررها البعض على سبيل العادة دون أن يدرك ما تعنيه الفاظها على وجه الدقة :

حسب : مأخوذ من الاحساب اى الكفاية ،

حسبنا الله : اى يكفينا الله .

ونعم الوكيل : اى وأعظم به من سند ومعين لنتوكل عليه ، اى لنعتمد عليه .

وفي البخارى عن ابن عباس رضى الله عنه « قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » قالها سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام عندما القى في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قال لهم الناس : « ان الناس قد جمعوا لكم » فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم .

فانقلبوا : اى فعادوا ورجعوا بعد أن ذهبوا لملاقاة عدوهم . بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء اى أن محاولات تخويف المسلمين من المشركين لم تنجح وإنما زادت المؤمنين ايمانا واصرارا على مواجهة عدو الله عو الله وعدوهم ، وسرعان ما اتضحت الحقيقة وهو ان تفوق

المسلمين العسكري على المشركين ، كان قد اصبح مسألة مقررة وانتهى الأمر ، ولذلك لم يعثر المسلمون على جيش المشركين في كلتا الحالتين ، سواء غداة معركة أحد ، وهذا ان دل على شيء فعلى أن المشركين اسرعوا يعيدون الى مكة ، وعلى الوجه الآخر فقد عجزوا عن الظهور في الموعد المضروب بعد عام ، وهكذا عاد المؤمنون « بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » ومعنى ذلك انهم حصلوا على انتصار ساحق (بطريقة سلبية على خصمهم حيث كان هو الذى انسحب في إحدى الحالتين ، وكان هو الذى احجم عن القتال في الحالة الثانية .

بنعمة من الله وفضل :

ونعمة الله هي الخير يسبغه الله على من يشاء وكذلك فضل الله فهو واسع رحمته وثوابه وبره ، ولكن بعض المفسرين يصرون على ان كل كلمة تنصب على واقعة معينة محددة بالذات ، وهي أن سيدنا محمدا ﷺ عندما وصل بالجيش الى بدر لملاقاة المشركين كان ذلك في موسم بدر فاشترى رسول الله صفقه من الابل ثم باعها فربح فيها مالا كثيرا فوزعه على افراد الجيش فهذا هو « الفضل » الذى أشارت له الآية الكريمة ونحن بطبيعة الحال لا يسعنا الا أن ننقل ما قال به الاقدمون مما لا يخالف « عقلا او نقلا » ولكننا نقول « الله أعلم » .

فاتبعوا رضوان الله :

أي حصلوا على رضوان الله ، ورضوان الله رضاؤه ورضاء الله هو « الجنة » وهكذا فاز هؤلاء الذين استجابوا لرسول الله

— لم يمسسهم سوء (فلم تكن هناك حرب .

— فازوا بنعمة الله

— وفضله

— ورضائه (أى بجنته)

والله ذو فضل عظيم

ولذلك هو إيمان المؤمن بربه فهو واسع بلا نهاية ولا حد لفضله يمنحه لمن يشاء كيف يشاء بالقدر الذى يشاء « انما نلکم الشیطان یخوف اولیاءه فلا تخافوهم وخافون ان کنتم مؤمنین » . وهنا يحاول بعض المفسرين ان يقولوا ان كلمة « الشیطان » في هذا الموضع تعنى شياطين الانس هؤلاء الذين حاولوا ان يخيفوا المسلمين كنعيم بن مسعود ونحن نرى ان ذلك كله خبط وتخبط ، خذ على سبيل المثال ان نعيم بن مسعود قد اسلم فيما بعد وتعزو له كتب السيرة النبوية انه قام بدور عظيم لانقاذ المسلمين في غزوة الأحزاب فما كان الله سبحانه وتعالى يحكم عليه هنا بأنه شیطان ، ثم يجعله يسلم بل ويكون على يديه نجات المسلمين ومن هنا سمحنا لأنفسنا ان نصف بالتخبط من حاول ان يجعل كلمة « الشیطان » هنا تشير الى بعض الانس ، ونحن نستحيل علينا ان ننكر ان من البشر شياطين فذلك نص القرآن « شياطين الانس » ولكن عندما تذكر كلمة « الشیطان » مفردة معرفة ، فليس سوى شیطان واحد ، وهو ابليس اللعين ، فكيف اذا جاءت الآية تخصص وتحدد بل وتحصر . « انما نلکم الشیطان »

یخوف اولیاءه : واولیاء الشیطان هم كل من تنكب طريق الخير والاستقامة كل من أثر العمى على الهدى ، كل من بعد عن النور وسار في الظلام ، هم الكفرة والمنافقون في عهد نزول القرآن والى ابد الابدین .

فلا تخافوهم وخافون ان کنتم مؤمنین : والكلام هنا لا تباع سيدنا محمد ﷺ الى ابد الابدین أن لا يخافوا من الكفرة والمنافقين واعداء الله ايا كان اسمهم او قوتهم او عددهم ، وليكن الخوف من الله بحيث يحمو الخوف من أعداء الله بحيث لا يبقى في نفس الانسان الا الخوف من الله وما قد يفعله بالانسان اذا هو حاد عن الحق .

ولعل مشكلة البشرية اليوم نتيجة فقدان الناس للخوف من الله ، حتى ليكاد الناس يفترس بعضهم بعضا ، لولا الخوف من الوقوع تحت طائلة العقاب الذى تنزله الدولة ، فاذا ضعف سلطان الدولة او استطاع الانسان ان يحتاط لنفسه حتى لا يقع تحت طائلة القانون ، فلا عليه ان يسرق وان ينهب وان يكذب وان ينصب وان يزور ويرتشى وان يقتل في خاتمة المطاف ، وذلك كله نتيجة عدم الخوف من الله .

وخافون ان کنتم مؤمنین .

شرط وجواب فليعرف كل من يريد ان يصف نفسه بأنه مؤمن ، أن ذلك مشروط بأن يخاف الله فمن لم يخف الله في سره مثل ما في علانيته ، فهو ليس بمؤمن وقد بلورت مصر وهى مهد الايمان من قديم الزمان هذه الحكمة الخالدة فطالعتها بنفسى في شبابى فوق باب بطريركية الاقباط « راس الحكمة مخافة الله » فأدركت أن هذه حكمة الدهور كلها تلتقى عندما سائر الاديان .

وهاهو القرآن الكريم يجليها ويعلنها مدوية إلى ابد الدهر أن لا خوف إلا من الله وحده « ولا یضرنک الذین یسارعون فی الکفر انهم لن یضرؤا الله شیئاً یرید الله الا یجعل لهم حظاً فی الآخرة ولهم عذاب عظیم » .

مجتمع المدينة :

عندما هاجر سيدنا محمد ﷺ الى يثرب (المدينة المنورة) كانت اكثريتها الساحقة قد اعتنقت دين الاسلام ، ولكن كان اليهود لا يزالون في المدينة فسكتوا على مضض وان دخلوا في جدل مع المسلمين مما يظهر اثره بوضوح في سورة البقرة حيث كان الله سبحانه وتعالى يتتبع بعض أقاويلهم فيدحضها ويكبتهم ، كما كان في المدينة جماعة المنافقين وعلى رأسهم عبد الله بن أبى سلول الذى كان أحد كبار الزعماء ، فلما ان جاء الاسلام الى المدينة أضمر له العداء ولكنه كان أهون من ان يعلن عداءه فكان زعيماً للمنافقين الذين اعلنوا الاسلام بافواههم ولكن قلوبهم ظلت تنكره وقد كانوا يتربصون الدوائر بالمسلمين فلما وقع انتصار بدر الحاسم كبت اليهود والمنافقون ، فلما ان حدث ما حدث في أحد ، كانت هذه فرصة اليهود والمنافقين لينفثوا سمومهم ، لو كان محمد رسول الله اكان يهزم ؟ وراحوا يضخمون فيما حدث ، ويهولون فيما سوف يقع ، ولا جدال ان ذلك كله قد ترك اثره في نفس سيدنا محمد باعتباره بشراً ، فنزل

عليه الوحي يسرى عنه ويثبت ايمانه واقدامه ، وان الله معه
وانعم بالله مؤيدا ونصيرا ..

ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر :

من المحقق ان سيدنا محمدا ﷺ مذبذبة الله لهداية البشر
وهو شديد اللهفة على هداية الناس لينجيهم من العذاب
الآليم ولذلك فقد كثرت الاشارة في القرآن الكريم الى ما كان
يطرا على سيدنا محمد من حزن لتأخر قومه عن الايمان ،
من مثل قوله تعالى .

« فلا تذهب نفسك عليهم حسرات » . او قوله تعالى :
« فلعنك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا
الحديث أسفا » . ولابد ان يكون سيدنا محمد ﷺ قد حزن
أشد الحزن للحالة التي سادت مجتمع المدينة في اعقاب
غزوة أحد فكان هذا التوجيه والارشاد من الله سبحانه
وتعالى .

يسارعون في الكفر

يقول بعض المفسرين انها نزلت في قوم ارتدوا بعد
اسلامهم ، ونحن نستبعد ذلك وخاصة في مجتمع المدينة . فقد
رأينا كيف ان رسول الله ﷺ قد كشف عن سيطرته
العسكرية ، عندما ندب الناس في اليوم الثاني مباشرة
للخروج لملاقاة المشركين وهكذا ظل سيدنا محمد هو سيد
الموقف فنحن نستبعد ان يجاهر أحد بالارتداد عن دين
الاسلام فلم يعتنق أحد هذا الدين عن اكراه وكل الذين
كانوا قد دخلوا في الاسلام قد دخلوه والمسلمون مضطهرون
معذبون مشردون وما حدث في غزوة أحد لا يمكن الا ان يزيد
المؤمنين إيمانا .

ولكن الذي نتصوره هو ما قدمناه من ان ما حدث في غزوة
أحد كان هو فرصة اليهود والمنافقين ، لكي يقولوا ويتقولوا
وكان ما يقولونه هو كفر صريح ، فبحسب كائننا من كان ان
يتشكك في رسالة سيدنا محمد كي يكون كافرا بأقوالهم في
مجالسهم الخاصة ، ولكن ذلك ما كان ليغيب عن علم رسول
الله وهو الأمر الذي أحزنه .

« انهم لن يضرؤا الله شيئا »

فليس في الأمر ما يدعوك الى الحزن يا محمد فليس في
الأمر شيء جديد من ناحية ، فالكفار بكل اشكالهم ،
والوانهم ، سواء كان المقصود بهم كفار قريش او يهود
المدينة ومنافقيه ، او بعض من جاهر بالكفر بعد الايمان
فليس في ذلك كله ما هو جديد على الدعوة الى التوحيد وبقي
ان تستيقظ يا محمد ، ان كل هؤلاء لن يضرؤا الله شيئا
ونتصور ان المعنى المقصود هنا « انهم لن يضرؤوا الدعوة
الى الله » فستبقى عالية منصوره « يريد الله الا يجعل لهم
حظا في الآخرة » . هذا هو ما يجب ان يدركه كل مؤمن
عندما يرى من يتردى في الكفر فهكذا شاءت ارادة الله ان
لا يجعل لفريق من البشر حظا (أى نصيبا) في الآخرة (أى
الجنة) وذلك يبين من قوله تعالى : ولهم عذاب عظيم . أى
نار جهنم ، ذلك ان الآخرة ، اما جنة وأما نار فمتى حكم
على هؤلاء بالنار فقد تحدثت كلمة الآخرة هنا بأنها تعنى
الجنة . ان الذين اشتروا الكفر بالايمن لن يضرؤوا الله
شيئا ولهم عذاب أليم .

وبعد ان كان الخطاب يدور حول هذا النفر المحدد على
زمان رسول الله أطلق الله سبحانه وتعالى المبدأ ليؤكد
لسامعيه اول مرة ، من ناحية وليجعله عاما لكل البشر في كل
زمان ومكان ، وأن يدفع الايمان ثمنا لشراء الكفر ، أى
يختار الكفر والاحاد لأى سبب من الاسباب فهو لا يضر
إلا نفسه اذ ينتظر عذاب اليم . اما الله سبحانه وتعالى غنى
عن العالمين لا ينفعه أو يضره ماذا يفعلون ولا يحسبن
الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم
ليزدادوا انما ولهم عذاب مهين .

نملى : من الاملاء ، والاملاء هو الامهال ومن الأقوال
الشائعة المأثورة « ان الله يمهل ولا يهمل » فهذا هو معنى
« الاملاء » أى ان الله سبحانه وتعالى يمد للكافر والظالم
فيطيل في عمره أحيانا ، ويوسع عليه الرزق ويفسره
بالتجاح ، أحيانا أخرى .

فلا يتصورون الكافر والظالم ان ذلك : « خير لانفسهم
انما نملى لهم ليزدادوا انما »

أى أن الاستمرار على الكفر ان ذلك خير يؤيده الواقع
كازدهار الحال ، والحقيقة أن ذلك ابتلاء من الله عز وجل
وامتحان ليثوب الى رشده ويعدل عن كفره ويطغيانه ، أم
يزداد تمسكا بكفره وعناده ، وبالتالي يحق عليه قوله
تعالى : « ولهم عذاب مهين »
سنة الله في خلقه .

ونرجو ان نكون كرجال الصف الأول الذى سمعوا القرآن
اول مرة ففهموا ما ينطوى عليه من عظة وحكمة ليستفيدوا
في تعميق يقينهم والآية كما يدل عليها معانى الفاظها تدل
على انه ليس من سنة الله في خلقه ان يعاقبهم او يقتص
منهم على الفور ، ذلك أن هذا لوحدث لسقط حق الاختيار
والحرية التى منحها الله للانسان « فمن شاء فليؤمن ومن
شاء فليكفر » على ان يكون الحساب والعقاب او الثواب
يوم القيامة اما لوكان الثواب والعقاب فوريا في هذه الدنيا
لما انحرف احد او فسق فضلا عن كفر ولما أصبحت الدنيا
دارا ابتلاء واختبار وعلى ذلك فلا يتخذن الكافر من سكوت
عليه في هذه الدنيا ما يحمله على التمدادى في غيه .

ذلك ما نفهمه في بساطة فالمعنى واضح وصريح ولكن
العالم الاسلامى نكب في وقت من الأوقات بالمتفلسفين
فراحوا يتساءلون ، ولماذا يمد الله للكفار في الجبل ليزدادوا
انما ، وقال آخرون ان هذا يدل على ان الله كتب على
الاشقياء شقوتهم الى آخر ما قالوا وملاؤا به كتبنا
وانقسموا عليه فرقا .

ماكان الله لينذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز
الخبث من الطيب .

ينذر : يترك أو يدع .

يميز :: يفرق .

وهذا هو موضع العظة والتحذير والانذار المذكورين في
الآية السابقة ، والقول كله يدور تعقيبا حول ما حصل يوم
أحد فمن ناحية خاطب الله الكفار ان لا يغتروا بما حدث يوم
أحد فيتمادون في كفرهم تصورا منهم ان لوكان الله موجودا
لما تركهم ، فالقرآن الكريم يذكرهم ان حكمته اقتضت ان

يهد لهم ، وهذه الآية توجه الحديث هذه المرة للمؤمنين فتقول لهم ان الله سبحانه وتعالى : « ما كان الله لينز المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » وقد وصفنا مجتمع المدينة فيما سبق وكيف نافق الكثيرون واخفوا العداوة للاسلام ، وجاء انتصار المسلمين في غزوة بدر ، فازداد المنافقون خفاء ، فجاء هذا الذي حدث في أحد .

ليتكشف كل إنسان على حقيقته ومن هو المؤمن الصادق قوى الايمان ، ومن هو الضعيف المزعزع ، ومن هو المنافق ومن ومن وباختصار كان الذي كان « حتى يميز الله الخبيث من الطيب » وما كان الله ليطلعكم على الغيب » اى ان كل ما حدث كائن في علم الله منذ الازل فهو يعلم المؤمن ويعلم الكافر والمنافق ولكنه ما كان يطلعكم على قديم علمه فجعل الاحداث هي التي تعلمكم وهي التي ترشدكم لحقيقة ما ومن حولكم .

ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء .

يجتبي : يختار ويصطفى

بعد ان أثبت الله سبحانه وتعالى علم الغيب لنفسه وأنه لا يطلع على غيبه احدا استثنى من ذلك ما يوحى به الى رسله عن عالم الغيب من مثل يوم القيامة والجنة والنار ، فهذه من عالم الغيب الذي يختار الله رسلا من البشر ، ليبلغوها للناس ، قال تعالى « عالم الغيب فلا يطلع على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول ... الآية » فآمنوا بالله ورسله .

اى يأياها المؤمنون المخاطبون بهذا القرآن ليس معنى ان الله لا يطلعكم على الغيب ، ان سيدنا محمداً ليس رسولا ، فهو واحد من الرسل الذين يختارهم الله ويصطفاهم ليبلغوا الناس بعض هذا الغيب ، والذي يبدأ اول ما يبدأ بالله نفسه باعتباره خالق هذا الكون وان ارادته قد شاعت .

فتمسكوا ايها المؤمنون بايمانكم بالله وتقوى الله هي الخشية من الله بالالتزام بأوامره والانتهاى بنواهيه .

وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم .

والاجر العظيم هو الجنة ، والجنة درجات لاحد لها يمنحها الله للمؤمنين المتقين .

ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وشر ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير .

من رأى الشيخ الجليل محمد عبده ، على ما نقله عنه تلميذه العلامة الشيخ رشيد رضا في تفسير المنار المتداول ، ان لا علاقة بهذه الآية بغزوة أحد ، التي تم الحديث عنها عند الآية السابقة ، وأن الحديث بهذه الآية قد انتقل الى الحديث عن اليهود وأشار الى ان البعض يرون ان « البخل » هو كتمان العلم ، ونحن نخالف هذا القول جملة . وتفصيلا ، ونرى ان الآية الكريمة لا تزال متعلقة بما قبلها في التحذير عن أحد ومعقبات أحد ، وان البخل هنا هو البخل بمعناه الحقيقي اى الشح بالمال وهو موجه لمجتمع المدينة بكل من

فيها من مؤمنين ومنافقين ويهود وكل من دعاهم رسول الله للانفاق في سبيل الله لمواجهة الآثار التي خلفتها معركة أحد ، فلا بد ان يكون المسلمون قد فقدوا قدرا من الأسلحة لزم ان تعوض ولا بد ان رسول الله ﷺ قد دعا الى الانفاق في سبيل الله ، ولا بد ان يكون المنافقون وغيرهم من كبار الأغنياء قد غلبهم البخل وشح انفسهم فمنعهم من الاستجابة وفي تصورهم ان الحرص على المال انفع لهم من انفاقه في سبيل الله ، ومن هنا نزلت الآية الكريمة ، وسوف نورد حديثا في صحيح البخارى وخرجه ابن كثير في تفسيره بروايات متعددة وكلها تقطع ان المقصود بالبخل هو المال وليس كتمان العلم ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم .

وهذا قول بلسان عربى مبين يندد بمن آتاهم الله فضلا (اى مالا) ثم يبخل به فلا ينفق بعضه في سبيل الله ولا يتصورون البخل ان الشح بالمال خير بل هو شر في الدنيا والآخرة ولكن لما كانت سنة الله في الدنيا هي ما نكر في الآية السابقة « الأملاء » اى التمهل المحقق والمؤكد يوم القيامة من ان البخل شر يحق بالانسان .

سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة :

ونحن نفهم من كلمة « سيطوقون » أنها من الطوق جاء في معجم الفاظ القرآن الطوق حلى يجعل في العنق وكل شيء استدار فهو طوق وطوقه كذا يجعله له طوقا كقلده البسه ويكون المعنى الذى نفهمه من الآية . هو ان اموال البخل ستصبح طوقا وغلا للبخل يوم القيامة وقد جاء في صحيح البخارى والنسائى وما أخرجه ابن كثير في تفسيره بصريح وروايات مختلفة .

« من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاع اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمته يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا هذه الآية »

ونحن نكتفى بهذا القدر فلا نلقى بالا للكلام الكثير الذى قيل لتبرير تفسير البخل بأنه كتمان العلم .

وشر ميراث السموات والارض .

اى ان أى انسان مهما طال به العمر وكثر ماله ، فسوف يموت حتما وستموت ذريته من بعده وسيبقى كل شيء على الأرض ولا يبقى سوى الله وحده ، واليه يؤول كل شيء واذا كان الناس قد اعتادوا ان يسموا ما يخلفه الانسان ميراثا فإن الله سبحانه وتعالى سيرث الأرض والسموات بكل ما ومن عليها .

والله بما تعملون خبير

اى عالم بنواياكم وما تسرون وتعلنون ، فكيف بأعمالكم المالية كحسب المال والتوقف عن انفاقه في سبيل الله .

البخل والحديث عنه .

والآية تثير موضوع البخل ، وترجو ان يقدرنا الله بمناسبة آيات قادمة ان نتحدث عنه طويلا ، وحسبنا اليوم ان نسجل ما روى عن رسول الله ﷺ بطرق مختلفة ولا يجتمع شح وايمان في قلب رجل مسلم ابدا »

[يتبع]

• إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون •

جرائم بني إسرائيل

كما قصها القرآن الكريم

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

ولا تتبع شهواتهم المخالفة لما أنزل الله اليك ، واحذر فتنتهم لك بصرفك عن بعض ما أنزل الله اليك ، ولو قليلا . روى ابن جرير عن ابن عباس أنه قال : إن بعض أخبار اليهود قالوا : ذهبوا بنا إلى محمد لعننا نفثته عن دينه ، فأتوه فقالوا : يا محمد إنا أخبار اليهود ، ولو اتبعناك لاتبعك اليهود كلهم ، وإن بيننا وبين قومنا خصومة ، فنتحاكم إليك فإن قضيت لنا صدقناك ، فأبى ﷺ فأنزل الله : « وأن احكم بينهم ، الخ . فتكون الآية اقراراً له ﷺ على ما فعل وأمرنا له بالثبات وعدم الانخداع بهم .
فان تولوا عن حكمك فاعلم ان حكمة الله في ذلك هي ان إرادته تمت على أن يصيبهم أي يعذبهم ببعض ذنوبهم في هذه الحياة أما في الآخرة فيؤفهم جزاء كل ذنوبهم . ثم سلاه ﷺ على عدم إيمانهم بقوله : « وإن كثيرا من الناس لفاسقون وإذا عرضوا عن حكمك فهل حكم الجاهلية يطلبون ، وهو حكم يسير وراء الشهوات لا وراء العدل . ولا أحد أحسن من الله حكما عند قوم يوقنون بصحة شرعه . (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين .
وإذا ناديتكم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون .
قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وإن أكثركم فاسقون .
قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله

الجريمة رقم ٧٤

محاولة خيلاء اليهود ان يفتنوا رسول الرحمة والعدل ويحولوه إلى حكم الجاهلية ويتخذوا دين المؤمنين هزوا ولعبا ولكن الله سبحانه خيب أمالهم ولعنهم وغضب عليهم .

(وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون افحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون)

(آية ٤٩ وآية ٥٠ من سورة المائدة)

المفردات :

ولا تتبع أهواءهم : أي لا تتبع يا محمد شهوات خيلاء اليهود المخالفة لما أنزل الله عليك من الحق .

أن يفتنوك : أي يصرفوك عن بعض ما أنزل الله عليك .

حكم الجاهلية : هو الذي يكون على وفق الشهوات وأخذ الرشاوى .

يبغون : أي يطلبون .

الشرح :

وانزلنا اليك أيها النبي القرآن ، وانزلنا اليك قولنا لك وأن احكم بينهم أي الأمر بالحكم . . . الخ ، وليس مكررا مع الأمر بالحكم أولا ، بل ليفيد أن الأمر به كان فيما نزل عليه ، وهذا يفيد عناية خاصة .

وغيض عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل .
 وإذا جاءكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون .
 وترى كثيرا منهم يسارعون في الأثم والعنوان واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون .
 لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الأثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون .
 (الآيات ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ من سورة المائدة) .

المفردات :

هزوا : قال في كتاب الصحاح الهزه هو السخرية تقول هزأت به وهزأت منه سخرت منه .
 لعبا : اللعب ضد الجد كالعبث .
 الذين أوتوا الكتاب : هم هنا اليهود .
 الكفار : مشركو العرب الذين اتخذتموهم أولياء أي أصدقاء تطعنونهم على أسراركم .
 وإذا نابيتكم إلى الصلاة : هذا بيان لاستهزائهم بحكم خاص من أحكام الدين بعد استهزائهم بالدين كله . كما كانوا يفعلون عند الكعبة من الصفير والتصفيق . المعبر عنهما (بالمكاء والتصديع) آية ٣٥ سورة الأنفال قال تعالى (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصديع .. الآية) .

هل تنقمون منا : يقول العرب نقم فلان من فلان بفتح القاف بوزن ضرب يضربه أي عابه وانتقده عليه وكرهه .
 وما أنزل من قبل كالتوراة والإنجيل الصحيحين .
 مثوبة : مصدر ميمي بمعنى الثواب قال الراغب في كتابه (غريب القرآن) المثوبة لفظ مأخوذ من الثواب والثواب يقال في الخير كالشر . وفي الشر قليلا ومنه ما هنا وقال بعض العلماء إن الثواب لا يستعمل إلا في الخير وإذا استعمل في الشر يكون على سبيل الاستهزاء كقوله تعالى (فبشره بعذاب اليم) آية ٧ سورة لقمان وبشر الذين كفروا بعذاب اليم .. الخ) آية ٣ سورة التوبة .
 والمثوبة في الخير كقوله تعالى (ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير) آية ١٠٣ البقرة .

من لعنه الله : هذا خير لمبتدأ مفهوم من سياق الكلام والأصل : العمل الذي يتسبب في شر الجزاء هو عمل ، من لعنه الله وهم اليهود ، فهذا نظير قوله تعالى (ولكن البر من آمن بالله) آية ١٧٧ البقرة فالمراد برمن آمن بالله ، وللعن معنيان قال الراغب في كتابه غريب القرآن لعن من الله في الدنيا وهو أبعاد رحمته عنه بسبب جرائم سيرتكبها ولعنته في الآخرة عقوبة شديدة كالعذاب الأليم والخلود في جهنم .
 وغيض عليه : الغضب من الله سبحانه شدة الانتقام التي تهوى بالعبد في واد سحق . قال (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) آية ٨١ من سورة طه .
 القردة والخنازير : قال في المنارج ٦ ص ٤٨٨ وجمهور المفسرين على أنهم مسخوخا قردة وخنازير حقيقية

وانقرضوا ولم ينسلوا لأن المنسوخ لا يكون له نسل وقال ابن المنذر مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة وخنازير وإنما هو مثل ضربه الله لهم كقوله تعالى فيهم (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) آية ٥ سورة الجمعة ولم يحملوها أي لم يعملوا بها فالمراد هنا أنهم صاروا كالقردة في نزواتها والخنازير في اتباع شهواتها .

عبد الطاغوت : عبد معطوف على (لعنه الله) . الخ أي من لعنه الله وغيض عليه وعبد الطاغوت .
 والطاغوت : هو كل طاغية جبار من الانس والجن كإبليس .

شر مكانا : شر خبر (أولئك) المذكورة سابقا .
 مكانا : تمييز أي أن الشر الذي سيلحقهم في الآخرة جاءهم من جهة مكانهم فيها وهو جهنم .
 وإذا جاءكم قالوا آمنا : قال قتاده : هذا في قوم من اليهود (الذين حول المدينة) منافقون يقولون - إذا جاءوا مجلس الرسول ﷺ آمنا ثم يخرجون على كفرهم .
 الأثم : كل محرم ومنه الكذب والنفاق .
 العنوان : مجاوزة الحد في المعاصي .

السحت : الحرام مطلقا ومنه الرشوة كالتى كانت سائدة عند اليهود .

لولا ينهاهم : (لولا) حرف يفيد الرغبة في حصول ما بعده ومنه قوله تعالى (لولا أخرجتني إلى أجل قريب) آية ١٠ المنافقون .
 الربانيون والأحبار : هم رجال الدين منهم .
 الشرح :

نهى الله تعالى عن موالة اليهود فقال : «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم» أي عبائتكم «هزوا» أي مهزوءا به ومسخورا منه ، ولعبا أي ملعوبا به وأداة تسلية وانتقوا الله فلا توالوهم إن كنتم مؤمنين صادقين تحرصون على كرامة دينكم .

ثم ذكر نوعا من استهزائهم فقال : وإذا نابيتكم أي أنتم ودعوتم الناس للصلاة اتخذوا الصلاة والمناداة لها هزوا ولعبا . روى أنهم كانوا إذا رأوا المسلمين ساجدين يسخرون بهم ، وإذا سمعوا المؤذن يقول : أشهد أن محمدا رسول الله قال بعضهم هلك الكذاب ويتضحكون قال تعالى :

(إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون) آية ٢٩ ، ٣٠ من سورة المطففين ذلك الاستهزاء الواقع منهم بسبب أنهم قوم لا يعقلون ، لأن عدم العقل والسفه يؤدي إلى الجهل بمحاسن الحق .

وأراد سبحانه أن ينبههم إلى أن الدين ليس مثار استهزاء فقال قل لهم أيها النبي ميكتا : يا أهل الكتاب هل تكرهون منا وتعيبون علينا إلا إيماننا الصابق بالله وبكتبه

خصائص القصة القرآنية

عودة بنى إسرائيل إلى الوثنية

الأستاذ فتي رضوان

جاء الله سبحانه وتعالى ببنى إسرائيل البحر ، وأغرق لهم عدوهم ، فيه ، وهم ينظرون ، وانجأهم من هذا العدو ، صاحب الملك ، والسلطة والمال والجاه ، وقائد الجنود ورب الجيوش ، ورأس أعظم الدول في عهده ، وزعيم أكبر الحكومات في أيامه . وكان شيء من هذا كله ، كفيلا بأن يملأ قلوب بنى إسرائيل بالحب لنبيهم موسى عليه السلام ، والطاعة لرب موسى الذى أرسله اليهم ، هم وأولادهم من بعده جيلا بعد جيل ، إذ لم يسبق لرجل قبل موسى أن خدم أهله وقومه ، كما خدم موسى اليهود : جمعهم بعد تفرق ، وقواهم بعد ذل ، ومنحهم الشعور بالكرامه بعد هوان ، وأعاد اليهم الشوق الى الحرية ، والرغبة فيها ، بعد اخلاص الى العبودية واستنامة اليها . ولم يطلب اليهم مقابل تحقق هذه النعم التي لم تخطر لهم على بال ، ولم تجر في خيال ، جهدا يبذل ، ولا مالا ينفق ، ولا عناء يحتمل ، فقد قام عنهم بكل ضرائب الجهاد ، ونهض بجميع اثقال المقاومة : ذهب وأخوه الى فرعون ، ودعوا الى اطلاق بنى إسرائيل ، ثم ساق اليه البيئة بعد البيئة ، اليهود يسمعون هذه الأنباء ، فيتولاهم العجب ، ثم لا يجراؤن على الجهر بالايمان بالدين الذى جاء به موسى ، فلما اصر فرعون وملؤه على التمسك بدينهم والتشبث بعقيدتهم ضرب رب موسى ، قوم فرعون ، بالآفات والكوارث ، ورأى بنو إسرائيل هذه الغرائب ، دون أن يفهموا سرها ، ولا يحيطون بالقوة التي اضعافها الله على رسول الله اليهم ، وقائدهم ، والداعى الى حريتهم ، فلا يزيدهم ذلك كله شوقا الى التحرر ولا شجاعة الى الوقوف بجانب موسى وهارون ولا قدرة نفض نير الذل عن أعناقهم قال تعالى في سورة يونس : فما آمن لموسى الا نرية من قومه على خوف من فرعون وملأهم أن يفتنهم »

وقد أشار القرآن الكريم الى فضل رب موسى على (بنى اسرائيل) في سورة البقرة : قال الله تعالى :

« واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم »

وفي سورة الأعراف :

« واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب .. يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم » .

ونفس المعنى بنفس الألفاظ تقريبا في سورة ابراهيم ، وبالفاظ مغايرة في سورة القصص .

اما موقف بنى اسرائيل الخالي من العرقان بالجميل ، بل المتسم بالحدود ، وبالجبن فقد أشار الله في كتابه العظيم في مواضع عديدة :

في سورة البقرة : يندد كتاب الله ببنى اسرائيل في ثلاثة مواضع على الأقل . فمن ذلك قول الله تعالى :

« واذ قال موسى لقومه ، يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم » .

وقوله : واذ قلت يا موسى لن تؤمن لك حتى ترى الله جهرة فاختنكم الصاعقة وانتم تنظرون :

وقوله تبارك : واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا .. الى قوله تعالى : فبذل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون .

وقوله تعالى : واذ قلت يا موسى لن نصبر على طعام واحد الى قوله تعالى : قال اتستبدلون الذي هو ادنى

بالذي هو خير اهبطوا مصرا ، فان لكم ما سألتم ، وضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وباءوا بغضب من الله .

وفي سورة الأعراف

« قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ... »
« قالوا اوتينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا »

وفي سورة الصف قال عز وتبارك :

« واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤنوني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم »

ولقد تغير حال بنى اسرائيل من النقيض الى النقيض ، بعد ان عبر بهم موسى البحر الأحمر من الغرب الى الشرق ، اذ ما كانوا يضعون اقدامهم في أرض سيناء ، حتى احسوا - كما سبقت الاشارة - الى ان امرهم بات

بأيديهم ، وان سلطان فرعون سقط من فوق اعناقهم ، فهم قادرون على أن يقولوا ما شاءوا ، وان يعترضوا على قائدهم وزعيمهم موسى رسول الله اليهم ، ما يخطر لهم على

البال ، بلا اثناء ولا تمحيص ، وجملته القول انهم ظهروا على حقيقتهم ، غلاظ الأكباد ، سليطي اللسان ، يجترؤون على موسى ، ولي نعمتهم ، في حين كانوا يقبلون اشد العسف من

فرعون صابرين ، الى جانب قصر نظرهم ، وسوء تقديرهم ، فهم يطلبون الذي هو ادنى ، ويرفضون الذي هو خير ، ويحنون اول الأمر الى العبودية ، ويحلمون بها ، ثم يعودون

آخر الأمر الى وثنيتهم ، فيفضلون عبادة العجل ، التي نشأوا عليها في مصر ، والفوها على عبادة الواحد الأحد . لأن عقولهم لا تطيق فكرة الاله الذي لا يرى ، ولا يلمس باليد ، ولا يسمع له صوت ، ولا يقبل من أحد شفاعة ، اذ ان تجريد الاله من الشكل والمادة والارتفاع به عن الزمان والمكان ، يحتاج الى مرتبة من نمو العقل وبقة الوجدان ، ودرجة من التحضر والتمدن ، لم تكن قبائل العبرانيين قد وصلت اليها ، ولقد صور القرآن ، صور هذا الانحدار العقلي والفكري والنفسى والردة عن الدين السليم ، والخروج على مقتضيات الاعتراف بالجميل والاهتداء الى المصلحة الذاتية والقومية ، ننقل منها بعضها في الآيات التالية ففي سورة البقرة ..

« واذ قلت يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك فخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ، قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير ، اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم .

وفي سورة الأعراف ..

« وجاوزنا بنى اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كمالهم الهة ، قال انكم قوم تجهلون ، ان هؤلاء متبر ما هم فيه ، وباطل ما كانوا يعملون ، قال اغير الله ابغيمكم الها وهو فضلكم على العالمين وفي سورة الأعراف أيضا :

« ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون ، وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما ، واوحينا الى موسى اذ استسقاء قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم ، وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن والسلوى ، كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ، ولكن كانوا انفسهم يظلمون . »

والوقائع التي جرت على أرض سيناء بعد عبور الاسرائيليين اليها ، كانت من الضخامة في تاريخ هذه القبائل المشاكسة العنيدة القلقة المتقلبة ، ومن ثم في تاريخ عقيدة التوحيد ، وفيما بيني على هذه العقيدة من حضارات وثقافات ، ومقام على قاعدتها من اديان وعقائد .

ولهذا فهي في حاجة لأن تدرس في القرآن لنرى كيف تناولها كتاب الله بالسرد والبيان ، ملتزما خصائص القصة في انباء الانبياء التي جرى عليها :

أولا - من الاعجاز المعجز .

ثانيا - من اغفال اسماء الأشخاص والمواقع ، وتواريخ الحوادث وعدد الجيوش .

ثالثا - من تضمين الحكمة في النبأ أو الحديث والانتفاع بها في تأكيد عقيدة التوحيد وتثبيت قلوب المؤمنين على الايمان بأن الله ينصر رسله ، وان النصر مكتوب لدين الله والذين اتبعوه ، وان اعترضت سبيلهم احوال العقبات ، ونزلت بهم اشد الكوارث والمحن وببت كفة الشرك والظلم هي الراجعة :

والو قائع التي جرت في ارض سيناء بعد عبور الاسرائيليين اليها ، بقيت - كما قلت - تؤثر في حياة اليهود الى اليوم ، فقد طبعتهم بطابعها ، فبقوا يحملون سميتها في السياسة والدين والفكر الاجتماعى ، وقد تناولتها اقلام المؤرخين ، والادباء ، والفلاسفة وعلماء الاجتماع حتى هذه الساعة ، وقلوبها على وجوها ، واعتبروها حينا حقيقه : لا يتيها الباطل من بين يديها أو خلفها ، واعتبروها رمزا على مأسى وفواجع حياة اليهود في المجتمعات الحديثة حيث لقوا على ايدي الحضارة الأوروبية الحديثة وايدي المسيحيين والجامع المقدسة النصرانية ، احوال التعذيب ، والتشريد ، والطرده والنفى ، واعتبرها آخرون من صنيع الخيال اليهودى الذى صاغه احبارهم على مر القرب والقرن ، وقد قصدوا بها تحقيق اغراض السياسة اليهودية حسب تقلبات الأزمان والتاريخ . وقد يحسن ان نلخص وقائع تلك الفترة قبل ان نطالع نص الرواية القرآنية لها :

١ - بعد العبور ، هال اليهود انهم القوا انفسهم في صحراء مجدية لاء ولا غداء ولا ظل . فصرخوا - على حد رواية التوراة التى نقلناها فيما سبق ، وتذمروا من موسى وطلبوا العودة الى مصر ، حيث كانوا جالسين أمام قبور اللحم يأكلون على حد رواية التوراة ، وسخروا من موسى وقالوا له اخرجتنا من مصر ، الى هذه البرية لعدم وجود قبور في مصر ، واخترت لنا ان نهلك في الصحراء وندفن فيها .

٢ - طلبوا من نبيهم أن يروا الله جهرة .

٣ - ذهب موسى الى ميقات ربه ، ليناجيه ، ويستمع الى اوامره ويتلقى منه الاوامر .

٤ - خلف هارون اخاه موسى عليهما السلام ، على بنى اسرائيل ، ليقم بينهم النظام ، وليتولى هدايتهم ، حتى يعود موسى اليهم .

٥ - شعر العبرانيون بفرغ روحى ضخم ، ثقل على نفوسهم ، اشتدت وطأته على قلوبهم ، وهم قليلو الصبر سريعو التقلب ، يطلقون السننهم بقوارص الكلام ، اذا نزل بهم مصاب ، ولو اتت حماقتهم الى الخراب والبوار .

٦ - استبغل هذه المحنة ، اسرائيلى مياكر اسمه « السامرى » طمع في الذهب الذى سرقة بنات بنى اسرائيل من نساء مصر ، في الليلة السابقة على يوم العبور فحبب اليهم ان يصنع لهم من الذهب تمثالا لعجل ، شبيها بعجل أبيس المعبود المصرى ، يخرج صوتا كأنه خوار ثور ، وكان يترك انهم تعساء اذا فارقوا دين المصريين ، وجوهم الروحى ولم يعد اليهم نبيهم ، بما وعدهم به من قانون ونظام وشرعية جديدة . فاقبلوا على الاله الجديد ، وراحوا يقدمون له القرابين ، ويتلون بين يديه الادعية .

٧ - كان هؤلاء العبرانيون ، قد طلبوا صراحة من موسى عليه السلام ، حينما مروا بقوم في الصحراء ، يعكفون على اله لهم ، ان يجعل لهم الها مثله ، فسجلوا على انفسهم بهذا الطلب غاية الجهل فقد طلبوا من نبي جاء يبشر بالتوحيد ،

ويلقى الأمرين في سبيل نشر عقيدته ، واقامة ديانته ، ان يقيم لهم دين وثنية وان يجعل من نفسه كبير أخبار هذا الدين .

٢ - عاد موسى من لقاء ربه تعالى ، فاذا به الحال بين قومه قد انقلب رأسا على عقب . فهارون عاجز عن ردهم عن ممارسة عبادة العجل ، التى رأهم سعداء بها ، مقبلين في فرح عليها ، واخوه منزو مغلوب على أمره ، صابر على بلواه منتظر من الله الفرج . فشد موسى لحيته وامسك برأسه (غضبان اسفا) فاستخذى هارون وطلب من اخيه ان يدعه ولا يشمت به الأعداء ، وقر بان القوم استضعفوه .

٩ - طلب موسى من بنى اسرائيل ، ان يدخلوا فلسطين ، فقد كتب الله لهم ان يدخلوها في تلك الأيام ، ان كانت لهم عزيمة المجاهدين المؤمنين ، وان صدقوا وعد الله ، واخذوه مأخذ الجد ، أى لو اخذوا ميثاق الله (بقوة) كما قال القرآن الكريم . ولكنهم كعاداتهم تخاذلوا وجنوا بحجة ان في فلسطين ، اقوما جبارين ، وانهم لا يستطيعون ان يدخلوها الا اذا خرج هؤلاء منها .

١٠ - حكم الله على اليهود ، لقاء جبنهم وتخاذلهم وضعف ايمانهم ، الا يدخلوا فلسطين ، فقد حرمت عليهم ، ثم ان يتيها في ارض سيناء اربعين سنة كاملة فبقيت في اخلاق اليهود من تلك الفترة صفات عقلية ونفسية لازمتهم حتى اليوم .

الأولى - الكفر بالفكرة المجردة ، والايمان بعجل الذهب ، وما يرمز اليه هذا العجل في دنيا المال والتجارة ، والسياسة ، والحكم ، أو في دنيا العقيدة والعبادة .

الثانية - شدة اللدونة والميل الى الخصومة والتفرق ، واستصغار شأن من يحكمهم او يقودهم ، مالم يأخذهم بالشدة ويركبهم بالهوان .

الثالثة - عقلية التيه ، التى تحرمهم من طمأنينة الانتماء الى وطن ، أو الاخلاص الى أرض ، أو التعلق بمذهب ، فكل شيء عندهم قابل للنزول عنه واستبدال أى نظام أو عقيدة اخرى به .

رابعا - الخوف من الحرب السافرة ، فهم لا يتقنون إلا حرب الخديعة - والاحتواء بسواهم .

وقد ان الآن أن نرى كيف سجل كتاب الله هذه الاحداث الكثيرة الضخمة في آيات قصار ، لم تدع عنصرا من عناصرها الا بينته ، واضحا ، جليا ، بينا ناطقا .

قال الله تعالى في سورة البقرة :

« واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون ، وانتم تنظرون . واذ اعدنا موسى اربعين ليلة ، ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون » .

ثم قال تعالى في سورة البقرة أيضا :

« واذ قال موسى لقومه ، يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم

خير لكم عند بارتكم ، فتاب عليكم - انه هو التواب الرحيم . واذا قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاختنكم الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ، وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى ، كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ، ولكن كانوا انفسهم يظلمون .

ثم قال تعالى :

« واذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم ، كلوا واشربوا من رزق الله ، ولا تعثوا في الارض مفسدين . »

وقال تبارك في سورة البقرة أيضا :

« واذا قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ، قال استنبولون الذي هو انى بالذى هو خير ، امبطوا مصر ، فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . »

وفي سورة البقرة كذلك :

« واذا اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خنزوا ما اتيناكم بقوة ، وانكروا ما فيه لعلكم تتقون ، ثم توليتهم من بعد ذلك فلو لا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين . »

وفيها أيضا :

« ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل بعده وانتم ظالمون ، واذا اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خنزوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا ، قالوا سمعنا وعصينا ، واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ، قل بئس ما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين . »

وفي سورة الاعراف :

« وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة قال انكم قوم تجهلون »

وفي سورة المائدة قال تبارك على لسان موسى عليه السلام :

« يا قوم اخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا تتردوا على اibarكم فتقلبوا خاسرين - قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين . »

وما دامت النصوص القرآنية كلها ، فى شأن أبناء بنى اسرائيل ، فى شبه جزيرة سيناء ، تحت نظرنا فان من الممكن التأمل فى هذه النصوص ، وتبين خصائص القصة القرآنية . فاذا تصفحنا المصحف سواء ابتدأنا بالجزء الأول ، الذى يبدأ بسورة البقرة المدنية ، أو بالجزء الثلاثين الذى يبدأ بقصص السور المكية لم نجد أى حدث أو نبأ من أحداث حياة الرسل وجهادهم ويبدأ بالمرحلة الأولى من هذه الحياة ، ثم يتابع الحديث مرحلة بعد مرحلة .

فإن أول ذكر لبنى اسرائيل مع نبيهم موسى عليه السلام يأتى فى الآية التاسعة والأربعين من سورة البقرة : « واذا نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ، ثم يأتى عقب ذلك مباشرة حديث عبور البحر الأحمر وبعد الإشارة الى هذا العبور ، تاتى الإشارة الى واقعة متأخرة فى سياق الأحداث ، وهى واقعة ذهاب موسى الى ميقات ربه ، ثم واقعة اتخاذ بنى اسرائيل العجل ، ثم تاتى واقعة طلب بنى اسرائيل أن يروا الله جهرة ، ثم الإشارة الى فضل الله عليهم اذ ظلل عليهم الغمام ، وانزل عليهم المن والسلوى وهى سابقة على واقعة ذهاب موسى لى حاجة الله ، وواقعة اتخاذ العجل ثم يتنقل الحديث القرآنى الكريم الى دعوة موسى لقومه ليدخلوا القرية ، التى كانت فى الأرض التى اجفل بنو اسرائيل من الدخول فيها خوفا من الجبارين الذين توهموا وجودهم بها ، وهى قرية بيت المقدس فى أرض كنعان ، ثم يعود الكلام الى واقعة مبكرة ، وهى خاصة باستسقاء موسى لقومه فور نزولهم فى أرض سيناء .

وهكذا . فاذا انتقلنا الى سورة (غافر) المدنية . وهى أولى السور التى وردت فيها إشارة واضحة عن موسى مع فرعون ، وقد بدأت هذه الإشارة بواقعة ارسال موسى عليه السلام الى فرعون ، وثورة فرعون بعد سماع الدعوة التى جاء بها موسى ، ثم تهديده بالقتل : « نرونى اقتل موسى وليدع ربه » فى حين ان قصة موسى فى طفولته ، فقد اشير اليها فى سورة طه ، وهى مكية .

ولا تفسير لهذا المنهج ، إلا ما سبق به القول ، بان المنهج الانسانى ، يقصده احاطة السامع أو القارئ بالوقائع فى القصة على وجه يثير انتباههما ويستدرجهما حتى يصل بهما الى خاتمة القصة ، وكلما نجح الكاتب فى تحقيق هذا القصد ، فاستولى على اهتمامهما وانسأما مشاغلهما وهمومهما ، وامتعهما ، كان العمل الأدبى موفقا .

أما القصة القرآنية فهى تهدف الى تنبيه وجدان السامع والقارئ ، ولفت قلبه وعقله ، الى معانى ومغازى ، أحداث حياة الرسل ودلالته على أن الله خلق السموات والأرض بالحق ، وإن ما نراه من وقائع حياة الناس عظمتهم ودهماتهم التى تبدو أنها تجرى اعتباطا ، وأنه لا رابط بينها ولا هدف لها ، هى فى واقع الأمر امور محكومة تنتهى دائما الى عليه الحق ، وهزيمة الباطل وانتصار الفضائل وهزيمة الرذائل . ولذلك فلا عبرة بان نتناول الكتب السماوية وقائع حياة وكفاح انبياء الله ، منذ ولدوا حتى يتوفاهم الله ، لأن الميلاد والزواج والأولاد ، لا قيمة لها فى هذا المنهج السماوى ، بل اننا لانجد فى الكتاب الذى انزله الله على رسوله ، شيئا عن مولد أحد من هؤلاء الرسل ، وتاريخه ومكانه الا موسى وعيسى عليهما السلام لأن مولدهما ، يلعب دورا هاما وخطيرا فى دلالة النبأ وأهميته ، فى إطار الغاية القرآنية منه ، لا الهدف القصصى ، فانت لا تعرف من القرآن متى مات موسى ولا إبراهيم ولا يوسف ، وبالتالي جميع الانبياء .

لا تتبع الترتيب الزمني الذي الفه الانسان فيما يسمعه من قصص وروايات واحايث .
وفي الحديث التالي بإذن الله ، نتأمل سويا ، فيما نقلناه من آيات القرآن الكريم ، عن وقائع حياة بنى اسرائيل في سيناء .

ولقد استطاع قراء القرآن من مسلمين وغيرهم أن يوقفوا على انباء انبياء الله تعالى آدم ونوح وابراهيم ولوط وموسى وعيسى وصالح وهود وغيرهم ، من القرآن الكريم على الرغم من تناثر هذه الانبياء في مواضع متعددة من كتاب الله ، وعلى الرغم من ان تلك الانبياء ،

« بقية مقال إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »

أما مثلكم والحال أنهم قد دخلوا عليكم متلبسين بالكفر ، فهم كاذبون ، وهم أنفسهم قد خرجوا من عندكم بالكفر ، أي لم يتغير منهم شيء ، خرجوا كما دخلوا ، وإذا صح أنهم يخادعونكم فكيف يخادعون الله وهو أعلم بما كانوا يكتمون .

وترى أيها النبي كثيرا من هؤلاء اليهود يسارعون في قول الاتم أي الكذب والعدوان والظلم وتجاوز حدود الله تعالى وفي أكلهم الحرام . وعزتي لقد قبح ما كانوا يعملون .

ثم بين سبحانه ان الفساد قد عم هذه الطائفة حتى شمل علماءهم فقال : لولا أي هلا ينهاهم ويزجرهم الربانيون والأحبار عن هذا الكذب وأكل الحرام ، أي لم يفعلوا ولو فعلوا لما تعبدوا هذا الاجرام وعزتي لقبح ما كان يصنع هؤلاء الربانيون والأحبار .

(كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) آية ٧٩ من سورة المائدة .

والله الموفق

ومنه الكتاب الذي أنزل عليكم ، وإيماننا بأن أكثركم فاسقون أي خارجون عن شرائع الله .

ثم نبههم إلى أن الأحق بالنقمة والعيب هو ما هم عليه فقال : قل لهم هل أخبركم بعمل أقبح من استهزائكم بديننا وإذا كنا من حيث الجزاء عند الله يوم القيامة ؟ ثم أجاب عن هذا السؤال فقال : من لعنه الله الخ أي عمل من لعنه الله ، أي العمل الذي استوجب من الله اللعن والغضب والمسخ والخسوع لكل طاغية جبار وهذا العمل ذكر في القرآن كثيرا كقتلهم الأنبياء بغير حق ، ونقضهم العهود وعبادة العجل وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً إلى غير ذلك . انظر كيف جعلهم قردة في الآية ٦٥ من سورة البقرة يقول تعالى :
« ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » أولئك الملعونون المغضوب عليهم مكانهم في الآخرة أشد شرا لأنه جهنم لأنهم أشد ضلالا وبعدا عن الطريق المستقيم .
ونزل في منافقي اليهود : وإذا جاءكم أيها المؤمنون قالوا

كلمة :

■ الله ، هو الحقيقة . ولا بد للكون من حقيقة ، فما يجوز أن يكون في ذلك خلاف ..

إنما يبدأ الخلاف بين الناس حين يبحثون عما يعنيه من وجود الله ، لأنهم يبحثون حينئذ عن الجزاء والمصير وما يصيبهم مما يحبون أو يكرهون - وهذا هو مثار كل خلاف . !

■ الحقيقة من غير الشريعة ، إباحة وفسوق . !
عباس محمود العقاد

من أمثال القرآن الكريم

١١

تحت هذا العنوان . تكلمنا على بعض الأمثال الواردة في كتاب الله تعالى من أول سورة البقرة .

ونتابع الكلام - بفضل الله تعالى ومعونته وتوفيقه - على بعض الأمثال الباقية في سورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام . وما بعدها فنقول وبالله التوفيق :-

يقول الله عز وجل « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين بانئن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ، يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء » [الآيات من سورة إبراهيم] .

فضيلة الشيخ أحمد كامل الحنظلي

(أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا اله الا الله) ... « كشجرة طيبة » يعنى طيبة في نفسها . وطيبة في ثمرها . وهى النخلة في قول ابن عباس رضى الله عنه . وهو قول ابن مسعود وأنس ومجاهد وعكرمة والضحاك رحمهم الله وروى الشيخان البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى . عن ابن عمر رضى الله عنهما . قال كنا عند رسول الله ﷺ فقال (أخبروني عن شجرة الرجل المسلم . لا يتحات ورقها . تؤتى أكلها كل حين) قال ابن عمر فوقع في نفسى أنها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان . فكرهت أن أتكلم فلما لم يقولوا شيئا . قال رسول الله ﷺ (هى النخلة) قال فلما قمنا . قلت لعمر يا ابتاه والله لقد كان وقع في نفسى أنها النخلة فقال ما منعك أن تتكلم فقلت لم أركم تتكلمون . فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئا . فقال عمر . لأن تكون قلتها . أحب إلى من حمر النعم أصلها ثابت » أى جذورها ضاربة في الأرض . وداخله ومستقرة وثابتة فيها « وفرعها في السماء » أى فروعها عالية سامقة وذاهبة في جهة السماء « تؤتى أكلها كل حين بانئن ربها » أى تعطى ثمارها في كل وقت ووقته الله تعالى لها بتيسره سبحانه وتكوينه وخلقه - ومعلوم أن النخلة تثمر ثمرا عظيما . وتنفع الناس بمنافع كثيرة . فهى تنتج البلح اللذيذ الطعم . والذي يكون بسرا

في هذه الآيات الكريمة . ضرب الله سبحانه وتعالى مثلين رائعين . مثلا للسعداء ومثلا للأشقياء :- فأما مثل السعداء . فهو الكلمة الطيبة وهى قول (لا اله الا الله محمد رسول الله) يقولها المؤمن . مثلها بالشجرة الطيبة . وهى النخلة - وأما مثل الأشقياء . فهى الكلمة الخبيثة . كلمة الكفر والعياذ بالله تعالى . يقولها الكافر . مثلها بالشجرة الخبيثة وهى شجرة الحنظل . ثم أخبر سبحانه وتعالى أنه يثبت المؤمنين بالقول الثابت . وهو قول لا اله الا الله محمد رسول الله في الدنيا عند الفتن وفي الآخرة . حين يسألهم الملكان في القبر . وفي الموقف العظيم . حين يقوم الناس لرب العالمين . وأنه يضل الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم وطغيانهم وتمردهم على الله . في هذه المواطن الثلاثة . وأنه سبحانه يفعل ما يشاء . لا يسأل عما يفعل - فذلك قوله عز وجل « ألم تر » الخطاب لكل واحد من الناس . ألم تر أيها الانسان . وتحتمل أن يكون الخطاب للنبي ﷺ أى ألم تر يا محمد بعين قلبك . فتعلم علم اليقين باعلامى إياك - ويدخل فيه كل واحد من الناس « كيف ضرب الله مثلا » أى بين شيئا . والمثل عبارة عن قول شئ يشبه قولاً في شئ آخر بينهما مشابهة . ليتبين أحدهما من الآخر ويتضح ويتصور « كلمة طيبة » هى كلمة التوحيد . قول لا اله الا الله . وهى أفضل كلمة قالها قائل يقول سيدنا رسول الله ﷺ

ورطباً وتمراً بعد تجفيفه - والبلح من الفواكه النافعة المشتملة على العناصر الغنية بالفيتامينات المفيدة للجسم والمكونة له - كما أن النخلة يؤكل منها الجمار والطلع . وهما فضلاً عن طعمها اللذيذ . فانهما يفيدان الجسم فوائد كثيرة . . . فانت ترى أن النخلة ينتفع بثمارها في كل وقت وفي كل حين . وينتفع بخصوصها وجريدها في عدة مقاصد - وهي لا يرمى منها شيء . حتى نوى البلح يتخذ منه العلف للجمال . . . فسبحان من خلقها وكونها هذا التكوين الرائع وجعلها شجرة طيبة مباركة . ولهذا كانت جذيرة بأن يمثل بها سبحانه وتعالى الكلمة الطيبة . وهي كلمة الاخلاص والتوحيد . كلمة لا اله الا الله - ذلك انهما يشتركان في وجوه كثيرة (منها) أن كلمة الاخلاص ثابتة الدعائم في قلب المؤمن . كما أن النخلة أصلها ثابت وعميق في باطن الأرض (ومنها) أن كلمة الاخلاص ترفع عمل المؤمن إلى السماء . كما قال جل ذكره (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) كذلك فروع النخلة وأغصانها ترتفع عالية نحو السماء (ومنها) أن ثمر النخلة ينتفع به في كل وقت وفي كل حين . وكذلك ما يكتسبه المؤمن من الأعمال الصالحة في كل وقت وفي كل حين . ببركة كلمة الاخلاص وبقوة سرها - فكلما قال المؤمن (لا اله الا الله) كلما صعدت الى السماء وجاءته ببركتها وثوابها وخيرها . . .

والنخلة شبيهة بالإنسان لأنها اذا قطع رأسها فانها تموت . وكذلك الانسان . بخلاف سائر الشجر . فانه اذا قطع نبت ثانياً . ولأنها لا تثمر الا اذا لقحت بطلع الذكر . وكذلك الانسان . لا يتكون الا بتلقيح الذكر . . .

وتمثل كلمة الايمان بالشجرة على الاطلاق . لأن الشجرة لا تسمى شجرة الا بثلاثة أشياء . عرق راسخ . وأصل ثابت . وفرع قائم - وكذلك الايمان لا يتم الا بثلاثة أشياء . تصديق بالقلب . وقول باللسان . وعمل بالجوارح . . .

« ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون » يعنى أن الله تبارك وتعالى اقتضت حكمته . واتجهت مشيئته أن يضرب الأمثال للناس ويبينها فضلاً منه سبحانه ورحمة . لأن الأمثال تزيد الناس فهماً وتذكيراً . وتنقلهم من دائرة المعقول . إلى دائرة المحسوس الذى يشاهد . ومن دائرة المعانى الخفية . إلى دائرة المعانى الواضحة التى لا تقبل الشك . وبذلك يتذكرون ويتبرون « ومثل كلمة خبيثة » وهي كلمة الكفر والشرك . والعياذ بالله تعالى « كشجرة خبيثة » وهي كل شجرة لا يطلب ثمرها . وفي الحديث أنها شجرة الحنظل . قاله انس بن مالك ومجاهد رحمهما الله . . وأخرجه الترمذى رحمه الله « اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار » أى قطعت صاعد إلى السماء . بل عروقتها وجذورها قريبة من سطح الأرض فيسهل اقتلاعها - كذلك الكافر لا خير فيه . وليس لاعتقاده أصل ثابت . ولا يصعد له إلى السماء قول طيب . ولا يرفع له عمل صالح - فهو خبيث

واعتقاده خبيث . وعمله حابط لا نفع فيه ولا خير فيه . . . « ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء » أى يدعم الله المؤمنين على ايمانهم . ويثبتهم بالقول الثابت أى في قلوبهم المتمكن منها . وهو قول لا اله الا الله محمد رسول الله . . . وكل كلمة طيبة ذات خير فهي قول ثابت . فالمؤمن يتفضل الله عليه بتيثيت قلبه على الايمان وتدعيمه . فلا يتزعزع ولا يفتن في دينه كلال وصهييب وغيرهما من أصحاب رسول الله ﷺ حاول المشركون أن يفتنوه في دينهم ويحولوه عن . ولكن الله ثبتهم عليه . وكأصحاب الأخدود . الذين نكروهم الله تعالى في كتابه الكريم . ثبتوا على الايمان بالله تعالى رغم التعذيب الشديد . والتنكيل العظيم . . . فهؤلاء قد ثبتهم الله على الايمان في الدنيا . وكذلك يشبههم في الآخرة . في القبر حينما يسألهم الملائكة ويوم القيامة في المشهد العظيم - عن البراء ابن عازب رضى الله عنه . أن رسول الله ﷺ ذكر قبض روح المؤمن فقال (ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك . . . فيقول ربى الله . ودينى الاسلام . ونبى محمد ﷺ . . . فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فذلك قوله ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت . ثم يقول الملكان . عشت سعيداً . وميت حميداً . ثم نومة العروس) أى منعماً - أما الكافر فلا يثبت الله . بل يضل به بسبب كفره . فلا يهديه . ولا يثبت عند الفتن . ولا يوفقه إلى الاجابة بالصواب في القبر حينما يسأله الملكان . ويوم القيامة يكون أضل . . . والله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء . فيوفق المؤمنين ويهديهم ويثبتهم . . . ويخذل الكافرين ويضلهم . . . ولا اعتراض عليه ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون . . .

ومعلوم أن كل إنسان تقوم قيامته بموته . فان كان من أهل السعادة . ينعم في قبره . وإن كان من أهل الشقاوة فانه يعذب في قبره - يقول سيدنا رسول الله ﷺ (القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار) نسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من السعداء وأن ينير لنا قبرنا ومثوانا . وأن يجعله روضة من رياض جناته . بمنه وفضله وكرمه . . . آمين . . .

يقول جل ذكره . . . « ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سرا وجهراً هل يستوفى الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ، وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ، والله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير » الآيات « سورة النحل »

في هذه الآيات الكريمة . ضرب الله تبارك وتعالى ثلاثة أمثال رائعة . لبيان لها سخف أولئك المشركين . الذين

يشركون معه سبحانه في العبادة - الأوثان والأصنام . وهى أحجار لا تضر ولا تنفع . ولا تدرك ولا تعقل . وأولئك الذين ينكرون البعث والحساب يوم القيامة . مع أنها آتية لا ريب فيها . وهى فى مجيئها أسرع من لمح البصر . أو هى أقرب من ذلك . وبين سبحانه أنه وحده الذى يعلم غيب كل شئ فى السموات وفى الأرض . وأنه جل وعلا قادر على كل شئ .

(المثل الأول) العبد المملوك للغير . العاجز عن التصرف الذى لا يملك شيئاً - والحر الغنى الذى آتاه الله مالا كثيرا ينفق منه سرا وجهرا فى وجوه البر والخير . . . فهل يستويان فى القدر والمنزلة . . . طبعاً لا يستويان . . . وهذا حكم بديهي لا يحتاج إلى كبير فهم أو نقاش . . . كذلك الأصنام التى لا تملك شيئاً . ولا تقدر على عمل شئ . فهى لا تستطيع أن تجلب نفعا أو تدفع ضرراً . . . لا تستوى مع الله عز وجل النافع الضار . القادر على كل شئ . الفعال لكل شئ المستحق لكل كمال المنزه عن كل نقص (المثل الثانى) الأبهى العاجز عن الكلام والنطق الذى لا يسمع ولا يستطيع التصرف . ويحتاج إلى نفقة وخدمة وهو عاجز عنها . . . فيكون بذلك حملاً ثقيلاً على أهله وقرباته - والمؤمن العاقل الفطن الذى يأمر بالعدل والإحسان . ويدعو إلى الخير والمعروف . وينهى عن الشر . . . فهو على صراط مستقيم لا عوج فيه ولا انحراف . . . فهل هذان يستويان . . . طبعاً لا يستويان . . . وهذا حكم بديهي أيضاً لا يحتاج إلى أعمال فيك . أو نقاش - كذلك الأصنام والعاجزة عن التصرف . والتى لا تجلب نفعا أو تدفع ضرراً . . . والتى تحتاج إلى نفقة فى نقلها وفى حملها وصيانتها . . . لا تستوى عند الله تبارك وتعالى رب العالمين . الغنى والناس كلهم فقراء إليه . الذى لا يحتاج إلى غيره . وغيره محتاج إليه (المثل الثالث) تمثيلة سبحانه وتعالى أمر الساعة وقيام القيامة . التى ينكرها الكافرون بلمح البصر . . . فذلك قوله تعالى « ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شئ ومين رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سرا وجهراً هل يستويون) هذا هو المثل الأول . . . والمعنى أن الله تبارك وتعالى يقول . . . مثلكم أيها المشركون . فى إشراككم بالله العلى القدير فى العبادة - الأصنام والأوثان الباطلة العاجزة . كمثل من سوى بين عبد مملوك للغير عاجز عن التصرف . وبين حر كريم مالك قادر على التصرف فيما أعطاه الله من مال . وما رزقه من رزق حسن . فهو ينفق منه فى حرية تامة . فى السر وفى العلانية . فى وجوه الخير والبر . . . وهذا سخف عظيم . . . فإن صراحه العقل . وبدهاة الفكر . تشهد وتجتّم أنه لا يجوز التسوية بينهما على الإطلاق فى التعظيم والاحلال - وإذا كانت التسوية بينهما لا تجوز أصلاً مع استوائهما فى الخلقة وفى الصورة البشرية . . . فكيف يجوز للعاقل أن يسرى بين الله عز وجل . الخالق لكل شئ . والقادر على كل شئ . والمفضل بالرزق والأعطاء - وبين الأصنام والأوثان التى لا تملك شيئاً . ولا تقدر على شئ . والتى لا تضر ولا تنفع « الحمد لله » هذا ثناء من الله تبارك وتعالى على نفسه المقدسة . لأنه هو المستحق لجميع المحامد . المستوجب لسائر الكمالات .

دون غيره سبحانه . . . وهو تعليم للعباد . . . فواجبهم أن يحمدا الله تعالى ويشكروه دون غيره على ما أنعم به عليهم من نعم كثيرة لا تعد ولا تحصى . ولا يمكن لأحد ما أن يحصرها وكان ﷺ وهو خاتم المرسلين . وأول العابدين . وأعرف العارفين به سبحانه يقول (سبحانه سبحانه . لا نحصى ثناء عليك . أنت كما أثنيت على نفسك) فمهما أثنى العبد على الله . . . ومهما حمده وشكره . . . فإنه لا يستطيع أن يؤدى ما عليه من الحق له سبحانه « بل أكثرهم لا يعلمون » أى بل أكثر الكفار لا يعلمون أن الحمد والعبادة لا تكون إلا لله . لضلالهم وكفرهم وطغيانهم . . . « وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم » هذا هو المثل الثانى . . . والأبكم الذى يولد أخرس . فهو لا يسمع ولا يفهم ولا يستطيع أن يفهم غيره - وكل أبكم أخرس . وليس كل أخرس أبكم « لا يقدر على شئ » فهو عاجز تماماً . وناقص نقصاً كاملاً . لأنه لا يستطيع أن يتكلم كلاماً « وهو كل على مولاه » كل يفتح الكاف وتشديد اللام . أى حمل ثقل على من يلى أمره ويعوله وينفق عليه . فإنه لا يستطيع التصرف . ويحتاج إلى نفقة وخدمة . وهو عاجز عنها « أينما يوجهه لا يأت بخير » أى مهما وجهه ولية ومن يعوله إلى منفعة أو مصلحة . فإنه لا يأتى بخير ولا ينفع فى أمر من الأمور . فهو حائر فى شأنه « هل يستوى هو » أى ذلك الضعيف العاجز « ومن يأمر بالعدل » أى القوى السليم الحواس النافع الذى يأمر الناس بالعدل والخير « وهو » يعنى فى نفسه « على صراط مستقيم » أى على طريق معتدل لا عوج فيه ولا انحراف . وسيرة طيبة كريمة . ودين حق قويم . فلا بد لمن يأمر الناس بالعدل والخير أن يكون فى نفسه عالماً قادراً على الافادة مستقيماً ذا خلق كريم . . . فهل يستويان . . . طبعاً لا يستويان إطلاقاً . . . فذلك لا تستوى الأصنام والأوثان التى هى أحجار ولا تضر ولا تنفع . والتى تحتاج إلى نفقة وخدمة وصيانة . مع الله العظيم العلى القدير المتصرف النافع الضار . المنعم على العباد بالنعم الكثيرة والعطايا الوافرة - فيكون من سخف هؤلاء الكفار والمشركين . أن يشركوا مع الله تبارك وتعالى فى العبادة هذه الأصنام والأوثان . . . « وشه غيب السموات والأرض » هذا مظهر من مظاهر قدرة الله عز وجل التى لا حد لها . . . فهو وحده الذى يعلم كل شئ فى السموات والأرض « وما أمر الساعة إلا كلمح البصر » هذا هو المثل الثالث . . . مثل سبحانه وتعالى أمر الساعة وقيام القيامة . التى ينكرها الكافرون والمشركون . والتى هى من الغيب التى اختص بعلمه دون غيره . بلمح البصر . ذلك لأنه يعرف عند الناس زمان أقل من لمح البصر . وأن كان سبحانه قال « أو هو » يعنى : أمر قيام الساعة « أقرب » يعنى من لمح البصر - وذلك من مظاهر قدرته التى لا حد لها . . . ولذلك قال جل وعلا « إن الله على كل شئ قدير » فقدرته تعالى قدرة كاملة لا يدرك حقيقتها وكمالها وعظمتها إلا هو سبحانه وتعالى . . . فهو إذا أراد شيئاً أى شئ قال له كن فيكون . . .

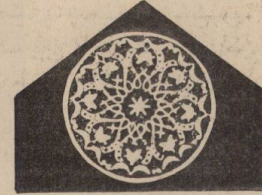
الإعداد والاستعداد

الإعداد هو تهيئة الشيء للمستقبل ، وإعداد الشيء إحضاره . والعدة : ما أعدته لحوائث الدهر من المال والسلاح ، ويقال أخذ الأمر عنته أى أهبطه ، وأعدت لك هذا : جعلته بحيث تعده وتتناوله بحسب حاجتك إليه .

والعد : الإحصاء ، وأعد لأمر كذا أى هياه له ، وأخذ له عنته ، واستعد : تهيأ كاعد : وفلان فى عداد أهل الخير أى يعد فيهم ، والعتاد : إخبار الشيء قبل الحاجة إليه كالاعداد ، ومن كلام العرب الذى نكره صاحب « لسان العرب » : كونوا على عدة ، أى استعداد ، وهذا يذكرنا بشعار حركة الكشف الذى يقول : كن مستعداً ومن هذا نفهم ان العرب قد سبقوا من ابتدعوا نظام الكشف الى قول هذا الشعار .

والاعداد أو الاستعداد خلق من أخلاق القرآن الكريم ، وفضيلة من فضائل الاسلام العظيم ، وجانب من هدى النبى عليه الصلاة والتسليم ، ومن شأن الانسان البصير المتخلق بأخلاق الخير وخصال البر ، أن يحسب حساب الغد ، فيدخر له ما يستطيعه من وسائل الصيانة وأسباب الحصانة ، وأن يبادر فيجعل له عند ربه رصيداً من الزاد والعتاد ، مما ينفعه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

فضيلة الدكتور
أحمد الشرباصى



كما قلت : « القرآن الكريم بحثنا على المبادرة بالطيبات ، والمصارعة إلى الصالحات والمسابقة إلى القربات ، فيقول فى سورة آل عمران : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » . ويقول فى السورة نفسها عن المؤمنين : « يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين » ، وفى سورة الانبياء عن زكريا : « فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين » ، وفى سورة المؤمنون : « إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ، والذين هم بربهم لا يشركون ، والذين يؤتون

ولقد قلت فى كتابى « توجيه الرسول للحياة والأحياء » هذه العبارة : « إن العمر محدود ، والأجل غير معلوم ، والانسان لا يدري متى يودع حياته ليلقى ربه ، والمضى قد ذهب ولن يعود ، والمستقبل غيب محجب ، فلم يبق إلا اليوم ، فواجب المؤمن انتهاز الفرصة فيه قبل أن تصير غصة .

ما مضى فات والمؤمل غيب
ولك الساعة التى أنت فيها
وهناك آفات وعوائق تصد الانسان عن مواصلة العمل أو الجد فيه ، فعليه أن يبادر ويسارع إلى إخبار الطيبات عند ربه قبل أن يعجز عن ذلك ، ولذلك يقول حديث رسول الله ﷺ : « أغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » .

ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ، أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون » وفي سورة الواقعة : « والسابقون السابقون ، أولئك المقربون » وفي سورة الحديد : « سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

وقد أشار القرآن الكريم إلى فضيلة الاعداد جهد الطاقة والاستطاعة فقال في سورة الأنفال : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » : أمر الله عباده المؤمنين بأن يستعدوا لدفع العدوان والشر ، ولحفظ الأنفس ، ورعاية الحق والفضيلة بأمرين أولهما إعداد جميع أسباب القوة بقدر الاستطاعة ، والأمر الثاني هو مرابطة الفرسان المجاهدين في الثغور والحدود .

والحديث يقول : « ألا إن القوة الرمي » . والرمي يشمل كل ما يرمى به العدو من سهم أو قذيفة أو غير ذلك ، والرمي في كل عصر . بحسب ما يهتدى إليه أهله .

وفي لطائف الاشارات « جاء تفسير الآية على هذا الوجه : « أعدوا لقتال الأعداء ما يبلغ وسعكم ذلك من قوة ، وأتمها قوة القلب بالله ، والناس فيها مختلفون ، فواحد يقوى قلبه بموعود نصره ، وآخر يقوى قلبه بأن الحق عالم بحاله ، وآخر يقوى قلبه لتحقيقه بأن يشهد من ربه . قال تعالى : « واصبر لحكم ربك فانك باعيننا » وآخر يقوى قلبه باثار رضاء الله تعالى على مراد نفسه ، وآخر يقوى قلبه برضاه بما يفعله مولاه به . ويقال أقوى محبة للعبد في مجاهدة العبد ، وتبريه من حوله وقوته » ونعود إلى « ظلال القرآن » في تفسير الآية أيضا ، لنجده يقول : « الاستعداد بما في الطوق فريضة تصاحب فريضة الجهاد ، والنص يأمر باعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها ، ويخص رباط الخيل بأنه الأداة التي كانت بارزة عند من يخاطبهم بهذا القرآن أول مرة ، ومع ذلك فما يزال رباط الخيل ضروريا في كثير من المواقع التي يعسر الوصول إليها بوسائل الحرب الحديثة . والمهم هو

عموم النص واتجاهه إلى إعداد كل قوة مستطاعة ، ومنها قوة العقيدة والتربية والخلق والتنظيم ، فالوسائل المادية وحدها ليست هي التي تفصل في المعارك ، والأعصاب أحيانا تكون هي القوة الفاصلة ، وما يثبت الأعصاب ويقويها كالعقيدة التي تربط القلوب بالله ، وتصل قوة المجاهدين بالقوة الكبرى التي لا تغلب ، وتمد الأرواح بالينبوع الدافق الذي لا ينضب .

ويحسن أن نعرف حدود التكليف بإعداد القوة ، فالنص يقول : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » وإن فليس المقصود إعداد قوة مماثلة لقوة الأعداء . وفريضة الجهاد لا تنتظر حتى يتم إعداد قوة مماثلة . إن ذلك أمر بطول ، وقد لا يجيء أبدا ، ولو أنتظر المسلمون بغزوة بدر حتى تتكافأ قوتهم وقوة خصومهم ما قام الاسلام . إنما هي الحفنة المؤمنة استعدت بقدر ما استطاعت ثم خاضت المعركة فكان فيها الفرقان .

وقد جاء ذكر الاعداد في موطن آخر من القرآن الكريم حيث يقول الله تبارك وتعالى في سورة التوبة : « ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين » قال بعض أهل التأويل : إعداد العدة هنا يراد بها متابعة الأنبياء .

وفي لطائف الاشارات : لو صدقوا في الطاعة لاستجابوا ببذل الوسع والطاقة ولكن سقمت إرادتهم ، فحصلت دون الخروج بلادتهم ، وكذلك قيل : « لو صح منك الهوى أرشدت للحيل » .

وينبغي أن نلاحظ أن معنى الاعداد والاستعداد قد يظهر لنا من معنى الاستباق إلى الخير والبر ، كما في قول الله تعالى في سورة المائدة : « فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا » . وكذلك يظهر في معنى التزود من الصالحات حيث يقول الحق جل جلاله في سورة البقرة : « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب » أي تزودوا لمعادكم من الأعمال الصالحة ، وخير الزاد اتقاء المنهيات ، وفي هذا تنبيه على أن هذا الدار ليست بدار قرار ، ولذلك قال أهل الاشارات : نكرهم الله تعالى سفر الآخرة ، وحثهم على تزود التقوى فإن التقوى زاد الآخرة . يقول الشاعر :

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على أن لا يكون كمثلته
وأنت لم ترض كما كان أرصدا
ويقول الآخر:

الموت بحر طامح موجة
تذهب فيه حيلة السابح
يا نفس إنني قائل فاسمعي
مقالة من مشفق ناصح
لا يصحب الإنسان في قبره
غير التقى والعمل الصالح

ولقد ارشدتنا السنة المطهرة إلى أمور تعد من
لباب الاعداد والاستعداد بالمعنى الأخلاقي
الجليل، فروى الامام مسلم قول سيدنا رسول
الله ﷺ: «إن أفضل مانع شهادة أن لا إله
إلا الله».

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلا - هو نو
الخويصرة اليماني - سأل النبي ﷺ فقال: متى
الساعة؟

فقال له النبي: وماذا أعدت لها؟
قال الرجل: لا شيء إلا أنني أحب الله ورسوله
ﷺ.

فقال النبي: أنت مع من أحببت.
قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي
ﷺ: أنت مع من أحببت.

ثم قال أنس: فأننا أحب النبي ﷺ وأبوابه

وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن
لم أعمل بمثل أعمالهم. رواه البخاري.

وهناك رواية أخرى رواها البخاري أيضا عن
أنس قال: بينما أنا والنبي ﷺ خارجان من
المسجد، فلقينا رجلا عند سدة المسجد، فقال
يارسول الله متى الساعة؟ (أي متى تقوم القيامة)
فقال النبي ﷺ: ما أعدت لها؟
فكان الرجل استكان.

ثم قال يارسول الله: ما أعدت لها كبير صيام
ولا صلاة ولا صدقة، ولكن أحب الله ورسوله.

قال النبي أنت مع من أحببت.
ويروى الترمذي قول سيد الخلق صلوات الله
وسلامه عليه: كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر
سبيل، وعد نفسك من أهل القبور.

وهذه الحال تجعل صاحبها يحسن الاعداد
والاستعداد، كما جاء في الأثر الاسلامي القائل:
«أعمل لندائك كأنك تعيش أبدا وأعمل لآخرتك
كأنك تموت غدا». وقد أشار عمر رضوان الله
عليه إلى فضيلة الاعداد والاستعداد حين قال:
حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل
أن توزنوا، وتهيأوا للعرض الأكبر، يومئذ
تعرضون لا تخفى منكم خافية.

نسأل الله عز وجل أن يهبنا نعمة الاعداد
لما عنده والاستعداد ليوم لقائه، إنه بالمؤمنين
رؤف رحيم.



جمع القرآن في عهد عثمان وسببه

رضي
الله
عنه



ظلت الصحف التي جمع فيها القرآن في رعاية الخليفة الأول
أبي بكر الصديق مدة خلافته ثم انتقلت بعده إلى رعاية
الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ثم عندنا المؤمنين حفصة بنت
عمر بعد وفاة أبيها وبقيت عندها إلى أن طلبها الخليفة الثالث
عثمان بن عفان في صدر خلافته ففي عهده اتسعت الفتوحات .
وأمتد العمران . وتفرق المسلمون في الأمصار والأقطار ونبئت
ناشئة جديدة في حاجة إلى دراسة القرآن . وطال عهد الناس
بالرسول ﷺ . وبالوحي والتنزيل . وكان كل إقليم من أقاليم
الإسلام . يأخذون بقراءة من اشتهر عندهم من الصحابة .
فأهل الشام يقرءون بقراءة أبي بن كعب . وأهل الكوفة يقرءون
بقراءة عبد الله بن مسعود . وغيرهم يقرأ بقراءة أبي موسى
الاشعري .

فضيلة الشيخ أحمد علي مرعي

المختلفين عن النبوة . وعدم وجود الرسول بينهم يطمئنون
إلى حكمه يأخذون جميعاً برأيه واستفحل الداء .
وكانت تكون فتنة في الأرض وفساد كبير وكانت الأمصار
النائية عن المدينة والحجاز أشد خلافاً ونزاعاً . أضف إلى
ذلك أن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم لم تكن
معروفة لأهل تلك الأمصار البعيدة ولم يكن من السهل
عليهم أن يعرفوها كلها حتى يتحاكموا إليها عند
الاختلاف . إنما كان كل صحابي في إقليم يقرئهم بما يعرف
من الحروف التي نزل القرآن بها . ولم يكن بينهم مصحف
جامع يرجعون إليه . وفي السنة الثانية أو الثالثة على
اختلاف الروايات من خلافة عثمان رضي الله عنه سنة خمس
وعشرين من الهجرة . كان حذيفة بين اليمان مأموراً بغزو
الري وهي مدينة مشهورة بالعراق أرميلية حتى أنزبجان .
فراى كثرة اختلاف المسلمين في وجوه القراءة . ورأى أن
كل من جماعات المسلمين يزعم أن قراءته خير من قراءة
غيره فاستعظم ذلك حذيفة وأكبره . وفزع إلى الخليفة
عثمان وأخبره الذي رأى وقال له أدرك الناس قبل أن
يختلفوا في القرآن . الذي هو أصل الشريعة ودعامة الدين -
كما اختلف اليهود والنصارى في كتبهم .
فلهذه الأسباب والاحداث أترك عثمان رضي الله عنه

وهكذا فكان بينهم اختلاف . في وجوه القراءة . ومنشأ
هذا الاختلاف إنزال القرآن على سبعة أحرف كما ثبت ذلك
عن رسول الله ﷺ بالأحاديث المتواترة . ومنها ما رواه
البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب قال . « سمعت هشام
ابن حكيم بن خزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول
الله فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم
يقرئنيها رسول الله ﷺ فكنت أساوره في الصلاة - أي
أقاتله - فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه - أي جمعت
رداءه على لبته - فقلت من أقرأك هذه السورة التي
سمعتك تقرأ قال أقرانيها رسول الله ﷺ فقلت كذبت .
فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت إني سمعت
هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها . فقال
رسول الله ﷺ اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي
سمعته يقرأ . فقال رسول الله ﷺ كذا أنزلت . ثم قال اقرأ
يا عمر فقرأت القراءة التي أقراني فقال ﷺ كذلك أنزلت
إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فافرقوا ما تيسر
منه » .

وكان هذا الخلاف مدعاة إلى فتح باب الفرقة والشقاق
بين المسلمين في قراءة القرآن العظيم خصوصاً بعد هؤلاء

بثاقب نظره أن وراء هذا الاختلاف فتنة كبرى ففكر في علاجها . قبل أن يستفحل خطرهما : فجمع أعلام الصحابة ونوى الراى منهم وكان عددهم اثني عشر الفا للبحث عن علاج هذه الفتنة ووضع حد لهذا الاختلاف .

فاجمعوا رأيهم على نسخ مصاحف يرسل لكل مصر مصحف منها يكون مرجعا للناس عند الاختلاف . وعلى احراق ما عداها من المصاحف . ومنها مصاحف كانت لبعض الصحابة وهي مصحف عبد الله بن مسعود . ومصحف ابي بن كعب ومصحف عائشة ومصحف الامام على . ومصحف سالم مولى حنيفة بن اليمان وغيرها . أصبحت كلها مفسولة بالماء او محترقة بالنار ويعتد ظهر الجو الاسلامي من اوبئة الشقاق والنزاع . وبذلك يستاصل الخلاف في كتاب الله العزيز . وبعث عثمان الى حفصة أم المؤمنين واستحضر من عندها الصحف التي كتبت في عهد ابي بكر الصديق رضي الله عنه . واحضر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام . وامرهم أن ينسخوها في المصاحف وشرط عليهم أن يكون النسخ على لسان قريش اى على مصطلح كتابتهم كما نص على ذلك جماعة من المحققين .

وجعل الرئيس عليهم زيد بن ثابت لعدالته وحسن سيرته . ولكنه كان كاتب الوحى الداوم عليه بين يدي النبي ﷺ ولاعتماد ابي بكر وعمر عليه في كتابة الصحف في خلافة الصديق (قيل) وقد انضم لمساعدتهم جماعة منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو ابن العاص وابي بن كعب وأنس بن مالك وإبان بن سعيد ومالك بن عامر جد الامام مالك بن أنس وكثير بن مفلح . فنسخوها في المصاحف بالتحريير التام . وكان نسخ هذه المصاحف بإشراف الخليفة عثمان . وأعلام الصحابة من المهاجرين والأنصار .

وكانوا لا يكتبون في هذه المصاحف شيئا إلا بعد أن يعرض على الصحابة جميعا ويتحققوا أنه قرآن . وأنه لم تنسخ تلاوته . وأنه استقر في العرصة الأخيرة فلم يكتبوا ما نسخ تلاوته . ولا ما لم يكن في العرصة الأخيرة .

وقد كتبوا مصاحف متعددة وكان قصد الخليفة عثمان إرسال ما وقع عليه إجماع الصحابة إلى الأقطار الإسلامية . وهي متعددة . وكتبوا هذه المصاحف خالية من النقاط والشكل لتكون مشتملة على الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم .

فالكلمة التي اشتملت على أكثر قراءة وخلوها من النقاط والشكل يجعلها محتملة لما اشتملت عليه من القراءات . تكتب برسم واحد في جميع المصاحف وذلك نحو « فتشبتوا » و« ننشرها » و« هيت لك » و« أف » وهكذا . أما الكلمات التي تضمنت قراءتين أو أكثر وتجريدها من النقاط والشكل لا يجعلها محتملة لما ورد فيها من القراءات . لا تكتب برسم واحد في جميع المصاحف بل ترسم في بعض

المصاحف برسم يدل على قراءة . وفي بعضها برسم آخر يدل على القراءة الأخرى نحو « وصى بها ابراهيم » بالبقرة فقد رسمت في بعض المصاحف بواوين قبل الصاد وفي بعضها بأشبات همزة الواوين ففي قراءة « ووصى » وفي قراءة « وأوصى » ونحو « وسارعوا إلى مفقرة من ربكم » بآل عمران رسم في بعض المصاحف بواو قبل السين وفي بعضها بحذف الواو . ونحو تجرى تحتها الأنهار » بالتوبة في الموضع الأخير منها رسمت في المصحف المكي بزيادة من قبل تحتها وفي بقية المصاحف بحذفها ونحو « فإن الله هو الغنى » في الحديد كتب في بعض المصاحف بإثبات ضمير الفصل « هو » وفي بعضها بحذفها .

والذي دعا الصحابة إلى سلوك هذا المنهج في كتابة المصاحف أنهم تلقوا القرآن عن رسول الله ﷺ بجميع وجوه قراءاته التي نزل بها القرآن الكريم . فكانت هذه الطريقة أنى بالاحاطة بالوجوه التي نزل عليها القرآن الكريم فلا يقال أنهم اسقطوا شيئا من قراءاته لأنها منقولة نقلا متواترا عن رسول الله ﷺ .

ومن هنا يتضح أن اختلاف القراء الذي أفرز حذيفة وعثمان رضي الله عنهما . وكان سببا في كتابة المصاحف إنما كان في أحرف وقراءات تلقاها قراؤهم قبل العرصة الأخيرة ثم نسخت بهذه العرصة ولكن نسخها لم يبلغ هؤلاء القراء . ولما اتموا نسخ الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة أم المؤمنين وأرسل إلى كل أفق من الأفاق الإسلامية مصحفا مما نسخوا . وأمر بما سواه من صحف أو مصاحف أن يحرق سدا لباب الشر وحما للمسلمين على أن يجعلوا هذه المصاحف مرجعهم الوحيد وأصلهم المعتمد وفي ذلك يروى البخارى أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأنزيريجان مع أهل العراق فافزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا الصحف ننسخها ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام . فنسخوها في المصاحف . وقال : عثمان للرمط القرشيين إذا احتلتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة . وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه كل صحيفة ومصحف أن يحرق .

فرضي الله عن ذي النورين عثمان . فقد أرضى بذلك العمل الجليل ربه . وحافظ على القرآن الكريم وجمع كلمة الأمة وأغلق باب الفتنة ولا يبرح المسلمون يقطفون من ثمار صنيعه إلى اليوم وما بعد اليوم .

أما عدد المصاحف وكونها مشتملة على القراءات المتواترة وموقف المسلمين إزاءها ففي الحديث التالي إن شاء الله .

الصورة القرآنية

ويلاحظ المتأمل في البيان القرآني أن من بين الصور المحسوسة التي يقدمها القرآن لإبراز المعنوي المجرد صورة (سرعة انخداع الإنسان بالحياة وبما فيها من وسائل النعيم وأسباب الترف).

ولاريب في أن وصف الإنسان بتلك الصفة يكشف عن جانب مهم من واقع ذلك الكائن فوق الأرض، حيث يعرَى ضميره ومكون ذاته لتبدو تلك الدخائل المستورة في مرأى العيان. ولاريب كذلك في أن إدراك تلك الصفة المعنوية في حالة التجريد لا تحقق الغاية المنشودة منها كما تحقق إذا ما اندركت بالحواس المادية في صورة تحرك عملي، أو صوت قولي، أو نبض عاطفي صادر من بعض أعضاء ذلك الكائن المتصف بها.

الدكتور إبراهيم عوض

وتتضح صورة الجزع الذي يلبس الإنسان حين يلاحظ المتأمل أن دعاءه حين يمسه الضر يوجه إلى الله ممثلاً في مجموعة من صفاته العليا يستتجد بها، مثل الرحمة والوقاية والستر والشفاء... إلى غير ذلك، مما تشير إليه ظلال الصورة المنعكسة من توجيه الدعاء إلى الجماعة وليس إلى المفرد.

«دعانا... فلما كشفنا عنه ضره...»

وهكذا يتضح للمتأمل سر التعبير بالجمع في مقام المفرد، فليس - كما يقول البلاغيون - إن ذلك لتعظيم النفس، ولكن هو للإشارة إلى أن الدعاء متعدد، وأنه موجه إلى عديد من صفات الله سبحانه وتعالى استنجاداً به. فليست اللفظة ماثلة في هيئة الداعي فحسب، بل هي كذلك منعكسة من الفاظ الدعاء.

وفي المشهد الثاني ترى هذا الكائن الجزوع المتهالك البالغ في الضعف أبعد درجاته... تراه في حالة مقابلة حين يستجيب الله دعاءه ويكشف عنه ما ألم به من ضر.

«فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا إلى ضر مسه...»

ترى صورة غير الصورة، وتواجه بكائن لا صلة بينه وبين

أقرأ معي في ذلك ماتقدمه سورة يونس في قوله تعالى: «وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا إلى ضره مسه: كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون» تجد أمامك صورة قائمة على مشهدين تربط بينهما المفارقة الساخرة.

أما المشهد الأول فترى فيه هذا الكائن حين يمسه الضر بما فيه من ضعف وجزع وخور... حيث يتجه مباشرة إلى الله خالقه من غير تفكير ولا تدبر ولا مراجعة، فلا دخل للعقل في تلك الحال إنليس المجال مجال العقل والتفكير، وإنما هو الاندفاع التلقائي إلى القوى التي يحس بفطرتها أن بمقבורها رفع ما يعانى... دون مراعاة للهيئة التي يكون عليها في تلك اللحظة، فليس هناك وقت لمراجعة الهيئة.

«... دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً...»

لهفة واندفاع إلى الله، والتجاء إليه، واحتماء فيه، واستعانة به... حين يمسه الضر مجرد مس، لا إصابة ولا ما هو أبعد من الإصابة، وإنما يصنع الإنسان كل ذلك حين يمسه الضر.

الكائن السابق... فانت هنا أمام إنسان معاف صحيح، يحركه الغرور، ويقوده الكبرياء، ويسرى في خلایا جسمه دم التعالی والغطرسة، فهو لا يلتفت إلى ما حوله، ولا ينظر فيما يحيط به، ولا يذكر شيئاً من ماضيه القريب ولا البعيد، ولا يكلف نفسه عناء التوقف أمام مشاهد الحياة... فليس هناك ما يدعوه إلى شيء من ذلك، وبالتالي... ليس هناك ما يدعوه إلى التفكير في الله خالقه وكاشف الضر عنه، حتى ليخيل لمن يراه في مروره ذلك أنه كائن غير الكائن الجازع المفزع الذي التجأ إلى الله بكل لغة وفي كل حال يدعوه ليكشف عنه ما أصابه من ضرر.

وهكذا يقف المشهدين المتقابلان في مواجهة المتأمل في البيان القرآني ليرى من خلال هذا التقابل الدقيق تلك السمة الملازمة للإنسان حتى تكاد تكون طبيعة من طبائعه التي لا تتفك عنه، ولا ينفك عنها... تلك السمة هي سرعة انخداع الإنسان بالحياة وما فيها من أسباب الراحة والنعيم، بحيث ينسى حاله التي كان عليها، وينسى ما صنع الله به وله.

«وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضرر مسه»

«كذلك زين للمفرفين ما كانوا يعملون»
وهكذا تبرز تلك السمة وتكشف بما لا يترك مجالاً لغموض فيها، فإذا بها من خلال تلك الأحداث في المشهدين كيان قائم مائل يرى ويلمس ويسمع.

(ب) أو اقرأ قول الله عز وجل في سورة الزمر:

«وإذا مس الإنسان ضرر دعا ربه منيباً إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله.

«قل: تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار»
تجد نفسك أمام مشهدين تقوم عليهما تلك الصورة، وهما مشهدين كذلك متقابلين تقوم العلاقة بينهما على المفارقة المثيرة للسخرية.

فأنت مع المشهد الأول ترى أحد أفراد الجنس الإنسان حين مسه ضرر متضرعاً إلى الله راجعاً إليه بكلية، لا يترك منفذاً يتجه منه إليه بالدعاء إلا ولجه في استسلام وخضوع وإنابة.

«وإذا مس الإنسان ضرر دعا ربه منيباً إليه...»
ويلاحظ المتأمل أن هلع الإنسان في هذا المشهد وفزعته ناشئ مع مسه بضرر أي ضرر، وليس بالضرر البالغ الشديد الأيلام، فهو هنا أشد هلعاً وفزعاً من الإنسان في مشهد الصورة السابقة التي قدمتها سورة يونس، إذ الإنسان في الصورة الأولى يجزع حين يمسه الضر الشديد الوقع والأيلام، أما الإنسان في تلك الصورة فهو جزوع لأي ضرر يمسه.

والإنسان في هذا المشهد أكثر التصاقاً بربه حين يتجه إليه بالدعاء، كما يتضح ذلك من حاله وقت الدعاء.

دعا ربه منيباً إليه...

وهذه الفوارق بين المشهدين المتشابهين فوارق يتطلبها الأحكام البياني المعجز، إذ الصورة تكشف هنا عن موقف إنساني يختلف عن الموقف السابق، وذلك يتضح من النظر في المشهد المقابل هنا وهناك.

فالمشهد الثاني يرينا ذلك الإنسان الفزع حين يمسه أي ضرر، الملتجئ إلى الله والشديد الالتصاق به... يرينا ذلك الإنسان في هيئة الناس فضل الله عليه بمجرد منحه نعمة أي نعمة من نعمه، فهو كما يجرع حين يمسه ضرر أي ضرر، ينسى صاحب الفضل حين يخول نعمة أي نعمة. ويتطور هذا النسيان عنده، فيتحول إلى موقف أبلغ في النسيان، إذ يصطنع أمثالا لله يفقههم معه ويشركهم في الملك والسلطان.

«... ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله...»

فالسمة التي تميز الإنسان في تلك الصورة هي سمة النسيان السريع لفضل الله عليه، والتحول السريع تحت تأثير الأحداث من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار. وكذلك رأينا سمته في الصورة السابقة... بيد أن الوقائع والمشاعر والعواطف التي تصنع المشهدين هنا تختلف عنها في الصورة الأولى، مما يقرر أن لا تكرار في البيان القرآني بأي لون من هذا التكرار.

ولعل الموقف البياني يزداد وضوحاً إذا مد المتأمل نظره في تلك الصورة قليلاً، إذ يرى على بعد نحو أربعين آية من هذه الصورة التي قيمتها سورة الزمر صورة أخرى قريبة الشبه بسابقتها، لكنهما - كذلك - تختلف عنها في بعض الأحداث إشارة إلى تغاير الموقف عن سابقه.

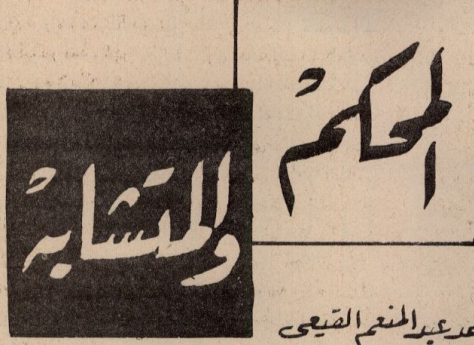
اقرأ في ذلك قول الله عز وجل في سورة الزمر:
«فإذا مس الإنسان ضرر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال: إنما أوتيته على علم.

«بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون»
وأبرز الحوادث التي تفترق بها الصورة هنا عن سابقتها في الصورة ذاتها أن الإنسان حين مسه ضرر لم يقف دعاءه على الله ربه فحسب، وإنما هو يتجه بالدعاء إلى أكثر من صفة من صفات الله تعالى، ومن ثم... دعا في الأولى ربه، وفي الثانية دعائاً. والذي خوله نعمة منه في الأولى هو ربه، أما في الثانية فالذي خوله نعمة منه هو مجموع من صفات الله الرب الرحيم الرؤوف الكريم الحنان المنان ذو الفضل. ومع ذلك فهو في الصورة الأولى قابل نعمة ربه بالنسيان الذي تطور فأصبح إشراكاً ودعوة إلى الشرك، ولكنه في الثانية قابل نعمة ربه الرحيم الرؤوف الكريم... بالجحود والانكار، والادعاء الكاذب الذي يكشف عن الغفلة وخطل التفكير.

«ثم إذا خولناه نعمة منا قال: إنما أوتيته على علم...»

[البقية ص ٣٧]

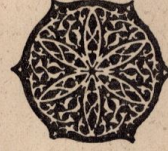
من علوم
القرآن



الكتور محمد عبد المنعم الصبي

من القرآن ما يعده العلماء متشابهاً في اللفظ والمعنى وهو خمسة أقسام:

- ١ - ما كان التشابه فيه من جهة الكم - كالعموم . هل هو باق على عمومته ، أوله مخصص ، وما هو ، وأين يوجد ؟ ..
- ٢ - ما كان التشابه من جهة الكيفية - كالوجوب ، والندب ، والاباحة - نحو : (إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه) .. والأمر متردد بين الوجوب والندب والاباحة ..
- ٣ - ما كان التشابه فيه من حيث الزمان نحو : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) وقوله : (فاتقوا الله ما استطعتم) .. وفي مثل هذا يقع الاشتباه . فإذا علم الزمان لنزول كل منهما - زال الاشتباه إما بالجمع كأن تجعل الأولى في العقائد ، والثانية في أعمال الجوارح .. وإما بالنسخ كأن تجعل الثانية ناسخة للأولى ..
- ٤ - ما كان التشابه من جهة المكان كقوله : (إنما النسيء زيادة في الكفر) .. فما لا علم له من عادات العرب في الجاهلية وقد كانوا يجعلون شهراً من الأشهر الحرم مكان شهر آخر - كرجب - مكان شعبان ، وشعبان مكان رجب .. ومن لم يعلم ذلك لا يفهم النسيء ..
- ٥ - ما كان التشابه من وضع شروط كقوله : (وأقيموا الصلاة) وجاءت السنة تحدد شروط وجوبها وصحتها وكمالها .. إذا اتضح هذا - فاعلم أن المتشابه ثلاثة أنواع :
نوع لا سبيل للإنسان إلى معرفته - كالأمور الغيبية ..
ونوع يمكن التوصل إليه كمعرفة الألفاظ الغريبة ..
والنوع الثالث يتوصل إليه الراسخون فقط - كتحديدهم أحد معاني اللفظ المشترك بالأمارات .. أ هـ .



بقيت مسألة من التشابه تتصل بالله سبحانه نحو: اليد والوجه والعين والنفس والمجىء... وهذه ألفاظ يوهم ظاهرها التشبيه وهى قابلة للتأويل بالمعنى الاصطلاحي، وهو صرف الكلام عن ظاهره الراجع الى محتمله المرجوح بقرينة...

لفظ اليد - تحتل الجارحة وهى محال أن تراء بالنسبة لله. وتحتل القدرة واستعمال اليد فيها استعمال مجازى لا يصار اليه الا بعد القرينة. لكن ما هى القرينة؟... أهى لفظية واللفظ في ذاته يحتمل الحقيقة، والمجاز، والعموم، والخصوص، والحذف وعدم الحذف، وغير ذلك من الاحتمالات؟... وكل ما يقبل الاحتمال فهو ظنى الدلالة، ولا بد في القرينة أن تكون قطعية الدلالة ولا قطعية هنا من جهة اللفظ لأن دلالة ظنية، والمسألة في العقائد، والعقائد لا ينفع فيها الظن...

وإذا انعدمت القرينة اللفظية وجب المصير الى القرينة العقلية. لكن إذا كان من حق العقل أن يحيل حمل اللفظ على ظاهره - فليس من حقه أن يحدد المراد منه...

ومن أجل هذا فالاسلم أن نؤمن بها كما آمن السلف - أحوالوا إرادة الجارحة وفوضوا العلم بالمراد منها إلى الله سبحانه. فهو كما وصف نفسه ولا يقال كيف - فالكيف عنه مرفوع...

ومن الخلف من يؤول هذه الألفاظ ويحملها على معان تليق بذات الله... واختار ابن برهان مذهب التأويل وقال: لا يجوز أن يكون في القرآن لفظ لا يفهم الراسخون في العلم معناه...

وتوسط ابن دقيق العيد فقال: إذا كان التأويل قريباً من لسان العرب قلنا به نحو: (على ما فسرطت في جنب الله) أول بحقه. وإذا كان التأويل بعيداً توقفنا عنه ونزهنا الله عما يفيد ظاهر اللفظ وفوضنا العلم له بالمراد...

وهذا القول غير سائغ، لأن التأويل البعيد مرفوض في أى شيء... والحق أن طريقة السلف أسلم وأحكم في الأصول وطريقة الخلف أكثر اقناعاً للذين يثيرون الشبهات. وإليك بعض الأقوال في بعض هذه الآيات المتشابهات:

١ - (الرحمن على العرش استوى):

(أ) معنى (استوى) استقر... وهذا موهم للتجسيم...

(ب) معناه (استولى)... ويرد بأن الاستيلاء لا يكون إلا بعد مغالبة ومضادة، وتعالى الله أن يغالبه شيء... وأيضاً إنه مستولى على الأكوان كلها - فما معنى تخصيص العرش؟...

(ج) معنى (استوى): صعد... ويرد بأنه منزّه عن الصعود...

(د) (علا) في الآية فِعْلٌ... و (العرش) مبتدأ... والمعنى: الرحمن استعلى والعرش له استوى... ويرد بأنها حرف والعرش مجرور بها...

(هـ) الكلام تم عند العرش... والابتداء من (استوى) له ما في السموات... ويرد بأن هذا بطر للمعنى... وإذا قلنا الرحمن على العرش استوى - بقى الاعتراض قائم...

(و) معنى استوى: أقبل... والتقدير: الرحمن أقبل على خلق العرش كقوله: (ثم استوى الى السماء وهى دخان)... ويبعده أنه لو كان كذلك لتعدى بالى كما في (ثم استوى الى السماء) استوى بمعنى اعتدل - أى قام بالعدل كقوله: (قائماً بالقسط)... هذا بعض ما قيل في هذه الآية...

ولو تنبه المؤولون الى أن أفعال الله مجردة من الزمان ولا تدل إلا على الحدث - لنفهم ذلك...

٢ - ومن ذلك لفظ (النفس) في قول عيسى: (ولا أعلم ما في نفسك)... وأولوها بأنها جاءت على باب المشكلة في تسمية الشيء باسم ما - جاوره أو صاحبه أو قابله. والآية (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك)...

والمراد به الغيب لأنه مستتر كالنفس. وكأن المسيح قال: ولا أعلم ما في غيبك أى ما غاب عني وأستأثرت بعلمه ويرشحه: (إنك أنت علام الغيوب)...

وقد يراد بالنفس - العقوبة أو الذات. والمقام هو الذى يقرب المعنى القريب في التأويل كما في قوله تعالى: (ويحزنكم الله نفسه)...

وقال السهيلي: النفس عبارة عن حقيقة الوجود دون معنى زائد. ومن ثم صلحت للتعبير بها عن الله سبحانه...

٣ - ومن ذلك لفظ (الوجه) في قوله: (ويبقى وجه ربك)... أول بالذات...

وقد يؤول الوجه بالجهة كما في قوله: (فثم وجه الله) أى الجهة التى أمر بالتوجه لها...

وقد يؤول بما يتجه اليه من اخلاص النية كما في قوله: (يريدون وجهه)...

٤ - العين كما في قوله: (ولتصنع على عيني)... فالعين حقيقة في البصر، مجاز في الادراك...

وقيل: هى حقيقة في الادراك، مجاز في تسمية العضو بها... وأيا كانت العين في البصر أو الادراك - حقيقة أو مجاز - فما المراد بنسبتها الى الله...

قال ابن اللبان: نسبة العين الى تعالى اسم لآياته المبصرة التى بها سبحانه ينظر للمؤمنين، وبها ينظرون اليه، قال تعالى: (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة) نسب البصر للآيات على سبيل المجاز تحقيقاً لأنها المرادة بالعين المنسوبة اليه...

وقال سبحانه: (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) أى فإنك بآياتنا تنظر إلينا وبها ننظر اليك ونرعاك...

٥ - اليد في قوله: (يد الله فوق أيديهم) أولت بالقدرة...

ومنهم من جعلها صفة ذات أخص من القدرة بدليل : (بل يدها مبسوطتان) والظاهر أنها استعارة لنور القدرة وهذا معنى أنها أخص من القدرة فللقدر نوران نور الفضل ، ونور العدل .. واليمين رمز لنور الفضل ..

٦ - (الساق) في قوله : (يوم يكشف عن ساق) أول بالشدة . تقول العرب : قامت الحرب على ساق ..

٧ - القرب في قوله : (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) أول بالعلم . وفيه استعارة أو مجاز من إطلاق المسبب وإرادة السبب ..

وقد جعل الله في كتابه آيات واضحة الدلالة ، وآيات الوصول إلى معرفتها يحتاج إلى تأويل وذلك لفوائد : -

منها : اظهار فضل العلماء الباحثين عن الحقائق .. ومنها : اتساع القرآن لأصحاب المذاهب العديدة ، ليضع كل واحد منهم يده على الحقيقة بعد ما يقدم له شيئاً مما يوافق مذهبه الفكري ، ولم يكن ذلك على سبيل الخداع والاستدراج . فالحق في القرآن لا يتعدد ، وإنما يتجدد الفكر البشري في أصول مسلمة من الجميع ، ثم يتفرع إلى فروع يقع فيها الخلاف ..

ومنها : حصول الثواب على قدر المشقة ..

ومنها : التسليم بتفاوت الناس في الإدراك . فما يكون بدهيا عند قوم يكون نظريا عند آخرين . وكل عالم يعرف أن لعلمه نهاية ، وفوق كل ذى علم عليم . والعلم الحقيقي عند الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ..

« بقية مقال تأملات في البيان القرآني »

والخوف حين يسهم ضر إلى دعاء ربهم راجعين إليه بالتوبة والندم .

فإذا أجاب الله تعالى دعاءهم وأذهب عنهم ما مسهم ، ورأوا نعمة ربهم عليهم ، وفوق ذلك غمرتهم رحمته به حتى تنوقوها ، ووجدوا في نفوسهم آثارها .. عنئذ غفلت طائفة منهم عن مصدر تلك الرحمة وأشركوا مع الله غيره ممن لا يملك نفعا ولا ضرا ، قاصدين من ذلك إنكار فضل الله عليهم وجود ما آتاهم في شدائدكم من ألوان رحمته الغامرة . « ليكفروا بما آتيناكم ... »

وهكذا تتضح أمام متأمل البيان القرآني صورة النسيان والانخداع بما يجد عليه في حياته ، بحيث أصبحت مجسمة مرئية في سلوك هذا الإنسان وتصرفاته . وبحيث زال عن هذا المعنوى المجرد ما يلبسه أو يعميه ويجعله في إدراك المتأمل .

وهكذا تبرز الصور الثلاثة سمة من أهم سمات الفطرة البشرية - وهي سمة النسيان السريع والتقلب المفاجيء من حال إلى حال - في مواقف مختلفة لكل موقف ملايساته ودوافعه .

بيد أن المتأمل في البيان القرآني يلاحظ أن هناك صورة أخرى لا تبرز سمة متعلقة بالجنس ولكنها تخص بتلك السمة طائفة من جماعة الإنسان هم الذين يسرع إليهم النسيان ، وتغطي عقولهم الغفلة ، فلا يرون في الحاضر ماضيهم وما كانوا عليه فيه .

اقرأ في ذلك قوله تعالى في سورة الروم :

« وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون . »
« ليكفروا بما آتيناكم فتمتعوا فسوف تعلمون . »
فهنا ... الصورة لجماعه من الناس يدفعهم الجزع



قضايا فكرية في فهم العربية في الأسلوب القرآني

الحروف المقطعة

سالني محبتي عن أسماء أخرى كانت أعلاما للمذكر والمؤنث على سواء إذ لم نعرض لغير هند، وأسرف في ظنه حين ادعى أننا لن نجد لهذا أصلا، ولا عليه دليلا وإنما هو تعميم للقول مستند على جزئية عثر عليها القلم عفوا، وها نحن أولاء نقول له: حنانك فإنك تصورت أن في كلامنا إطلاقا ولم يدر بخلدك أن في كلامك أرسالا فما أردنا إلى التكثر وإنما أردنا إلى الإشارة التي تغني عن العبارة، وعدنا إلى التلميح دون التصريح، وصمتنا حيث كان الصمت أبلغ من الكلام وتكلمنا حيث كان الكلام واجبا وإن شئت فأنت واحد لدى القدماء فصلا في ذكر أسماء تساوى فيها الرجال والنساء.

الكتور محمد بدرى عبد الجليل

رقيم صحابي: حميضة بن الشمول تابعي، حميضة بن قيس شاعر، ومن النساء حميضة بنت ياسر، حميضة بنت أبي كثير. الرباب بنت البراد بن معرور، الرباب بنت كعب أم حنيفة، الرباب بنت النعمان عمه سعد بن معاذ، الرباب زوجة الحسين بن علي وفي الرجال تابعي يقال له رباب سمع من ابن عباس. زيد في الرجال كثير، وزيد بنت مالك بن عميث. عصيمة حليف للأنصار من بني أسد، عصيمة حليف لهم من أشجع كلاهما شهد ببرا ومن النساء عصيمة بنت حبار، عصيمة بنت أبي الأفلح مباحثان. عليّة بن زيد صحابي ومن النساء عليّة بنت شريح أم السائب ابن أخت نمر، وعليّة بنت المهدي. عميرة ابن يثربى قاضي البصرة لعمر بن الخطاب، عميرة بن سعد يروي عن علي رضي الله عنه. عميرة بن زياد عن ابن مسعود ومن النساء عميرة بنت سهل، عميرة بنت ظهير. عميرة بنت ثابت صحابيات. وفي حاضرنا ما تجده ماثلا بين يدك للرجال والنساء جميعا: إحسان، إقبال: أمل، إيمان، بدر، بشرى، تهنائي، تيسير، جمال، حشمت، رجاء، رضا، سعد، صباح، صوفي، عصمت، عفت، قمر، محاسن، منال، نجاح، نهاد، نور، وفاء، ولاء.

هذه واحدة لم يكن بد من اللفت عن سواها أما الثانية فإضافة إلى الكلام عن «إيفانس» إذ أن هناك قبيسا يدعى إيف وهو الذي نصر مقاطعة بيريتاني غرب فرنسا وله فيها

فمن ذلك ما تساوى فيه الاسم والنسب: أمية بن أبي الصلت قال فيه النبي ﷺ كاد أمية يسلم، أمية بنت أبي الصلت روى حديثها ابن إسحاق، أمية بن عبد الله حدث عن ابن عمر أمية بنت عبد الله تروى عن عائشة. عمارة بن حمزة من ولد عكرمة، عمارة بنت حمزة وهي التي اختصم فيها على وجعفر وزيد. فضالة ابن الفضل حدث عن أبي بكر بن عباس. فضالة بنت الفضل روى عنها عبد الرحمن ابن جبلة. طلحة بن أبي سعيد المصري روى عن القاسم بن محمد، طلحة بنت أبي سعيد روى عنها ابن أبي جبلة أيضا. هند بن المهلب روى عنه محمد بن الزبيرقان. هند بنت المهلب حدثت عن أبيها. هبة بن أحمد شيخنا «الجوزي»، هبة بنت أحمد حدثت عن أحمد بن محمود. ومن الأسماء التي تساوى فيها الرجال والنساء دون أنسابهم: أسما بن حارثة وأسما بن رباب صحابيان، أسماء بنت أبي بكر، وأسما بنت عميس صحابيتان. بركة أم أيمن مولاة رسول الله بركة أم عطا ابن أبي رباح ومن الرجال بركة بن الوليد روى عن ابن عباس، بركة ابن نسيب روى عن عثمان بن أبي شيبة. بريدة بن الحصيص صحابي، بريدة بنت بشر صحابية. جويرية ابن مسهر يروي عن علي جويرية بن بشير يروي عن الحسن، جويرية بن أسماء عن نافع، جويرية بن الحجاج شاعر ومن النساء جويرية أم المؤمنين، جويرية بنت زياد، جويرية بنت علقمة. حميضة بن

كنيسة مشهورة والاسم من الاسماء الكلتية القديمة وهى شعوب قدمت من الهند ووصلت إلى بريتانى في غرب فرنسا واستقر فيها ، واستقروا أيضا في إقليم ويلز في إنجلترا ولديهم لغة ويلش في ويلز وتسموا الناس باسمه أو باشتقاق اسمهم فهناك ايف وإيفو وفي النساء إيفور وإيفا وإيفيت وبذا تكون مس إيفانس اسما للأسرة أى لرجل وهذا أدخل في عرف التسمية الأجنبية .

عود إلى حرف الهاء وقد سبق وعد بالحديث عن معناه وهو قد ورد عنوانا في سورتين كريميتين الأولى التى تعرض لموقف مريم وقد استبد بها حزن عبر لها عنه ولم

تعبير هى عنه : ولأمر ما تمنيت موتها ولم تَقْضِ موت وليدها « ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا » ٢٣ ك مريم ١٩ وإنما تمتت مريم الموت خوفا من انكار قومها وظنهم بها الشر ووقوعهم في نهبها بل أرادت ان تكون نسيا « وهو يفتح النون وكسرهما الشئ الحقيق الذىلقى لم يلتفت إليه » وكان لها من وليدها عيسى نبى امته . ثم تعرض لموقف ولد صالح من والده في امر يتعلق بمن طبع القلوب وفطر النفوس وانفرد بالهداية تقديرا وتبيرا ، قلب الولد بابيه متعلق وعليه قلق وكان ابراهيم عليه السلام رفيقا به شقيقا عليه ولم لا ؟ وإبراهيم لم يصم أباه بضلاله الذى بلغ حد التفريط بله الافراط ، ولم يسم نفسه بعلمه الذى بلغ حد الخلط بله الرسالة . ابراهيم ينادى بحديث كله أدب وقول كله حُب والقرآن يسجل « إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا . يا أبت انى قد جاءنى من العلم ما لم ياتك فاتبعنى أهك صراطا سويا . يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عاصيا . يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا » [مريم] .

وبقدر ما كان ابراهيم حليما عطوفا ، لطيفا حنوناً كان أبوه فظا غليظا ، جهما عنيدا ، أبوه يرد في عنف يقابل الأبوة بالنبوة وانما « قال أرأيت أنت عن الهى يا ابراهيم لئن لم تنته لأرحمك وأهجرنى مليا » [مريم] وكان ان ودعه ابراهيم « قال سلام عليك ساستغفر لك ربى إنه كان بى حفييا واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيبا » ٤٧ - ٤٨ ك مريم وفي الاعتزال امتثال إذا الطاعة الإلهية فوق الأبوة والنبوة جميعا .

وفي طه نجد الهاء تعنون حديثا طويلا نجد فيه عرض موضوع أم حنون جزعت على وليدها . في أمر الهى لا جدال فيه ولا تعقب له ، وموسى يخاف والله يأمره قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى (٢١ ك طه ٢٠ ، وموسى وهارون يستبد بهما خوف يعلنان عنه (قال ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى) ٤٥ ك طه ٢٠ ، ويذهب المولى عنهما هذا الخوف (قال لا تخافا إني معكما أسمع وأرى) ٤٦ ك طه ٢٠ (فأوحى في نفسه

خيفة موسى) ٦٧ ك طه ٢٠ ، ويطمئن موسى (قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى) ٦٨ ك طه ٢٠ ، وفي موقف آخر يجد فيه موسى عليه السلام العدو وراءه متركا والبحر أمامه مغرقا والله سبحانه وتعالى منجز ما وعد أمرا (فأضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف لربكا ولا تخشى) ٧٧ ك طه ٢٠ ، وأزمة يحوها الخوف البالغ بين موسى وهارون (إني خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل) ٩٤ ك طه ٢٠ ثم هناك خوف معتدل لدى الصالحين (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) ١١٢ ك طه ٢٠ ويعد فإنك تجد .

هـاء للأمر تاهب له وأعد نفسه لمزاولته (مبالغة في هاء) تهايا ولا يكون التاهب للأمر وأعداد النفس لمزاولته أن لم تكن النفس في حاجة إلى مراسى وإن لم تكن قاهرة على الخوض والمواجهة دون معاناة وعلى لغة المناطقة ليست معدة بالفعل لهذا ولكنها معدة بالقوة أى من الممكن أن تعد لذلك وهذا الاعداد في حاجة الى تهئية وفي حاجة الى عوامل أخرى تطرا عليها فتزيل خوفها وتخلع عليها أمنها ، وكيف لا يكون خوف وامرة متبينة عفيفة طاهرة من نسل طاهر تجد لها ولدا وعليها أن تواجه ظنون قومها وقد حاولت كيف لا يمكن خوف ونبى يعلم مالا يعلمه البشر ورسول يبلغ الرسالة والناس تؤمن به طمعا في وعد وخوفا في وعيد وأبوه لا يلين لهذا ولأذاك وانما هو ماض في غيه ينظر الى هذا جميعه نظرة نكد ، وكيف لا يكون خوف وأم بيدها تقشف بابنها في اليم وقلبها معلق به موله عليه ، والأمر نافذ والرضا محقق الأمر ماض والرضا بما أهل المأمور به نفسه مائل ، وكيف لا يكون خوف ورسوله يقف أمام من ادعى الالهية ثم يواجه سحر السحرة وهو لا يعلم من أمرهم شيئا وإن لم يكن النصر فالهلاك له والقضاء عليه وعلى هذا فقس .

إنها أمور تحتاج فيها النفس لاعداد العدة وتحتاج بها لترو . وأناة تحتاج فيها لعزم لا يتوفر لكثير لكنه يتوفر لأقل القليل وبها يكون التهئية لما أريد الامتثال لما أمر وأذعان لما قضى والرضا بما قدر . وهى تلبية من العبد لله .

وهاء كجاء تلبية قال الشاعر :

لايل يجيبك حين تدعو باسمه فيقول له هاء وطالما لى وكانت تلبية الله سبحانه وتعالى لما دار بخلدهم من تطلع ولما جال في خواطرهم من تشوف جوائز يمنحها لهؤلاء الذين ثبتوا إيماناً ورسخوا عقيدة . فلما اعتزلهم . . . وهبنا له مريم .

وهذان اثنيان للهاء أو لها هما اللذان تعبر عنها الآيات فتجد الخوف ومعها التلبية وهى سنة في الخلق جارية ونهج في القرآن سار لقد ابتلى الله سبحانه وتعالى آدم بوسوسة الشيطان فوجد التوبة وإبراهيم بالنار فوجد الخلّة وإسماعيل بالذبح فوجد الفداء ويعقوب بالشدة والقحط فوجد الفرج والملك ويوسف بالسجن فوجد الصديقين وأيوب

[البقية ص ٤٩]

من دقائق القرآن

ولكل أمة جعلنا منسكا

ما تزال جهود علماء الاجتماع والجناس وما يتصل بهذين العلمين تتعاقب على ابراز خصائص كل أمة وتحديد سمات كل جنس وهم يحاولون أن يصدروا حين يأخذون أنفسهم بذلك عن هدى من علم وبينة من الاستقراء الدقيق بقدر ما يتاح لهم من الأسباب والوسائل التي تفضي بهم الى النتائج والغايات مستعينين بمؤثرات من البيئة أو الوراثة أو بميزات فطرية أو كسبية أو ببعض المكونات الحضارية التي تضرب بجذورها في مسارب الأرض أو غيايات التاريخ وان تعجب فعجب حكمهم على عصور ما قبل التاريخ عن طريق ما يتفق لهم من حفريات أو مكتشفات وأيا ما كانت السبيل إلى ما يصرون من نظريات وأحكام فامرهم فيها قائم في الأعم الأغلب على الحدس والافتراض اذ ليس للتجربة القائمة على الملاحظة والتسجيل فيما أحسب كبير حظ فيما يصدر عنهم من افتراضات أو ظنون بليل ما يقرأ أو يعرف من اختلافهم المتجدد حول تحديد زمن لبداية العالم أو وجود البشر ، ولا يعني هذا أن نحكم على ما يقررونه في هذا المضمار بالرفض أو التكنيب أو نلقاه بطوفان من الشك والريبة فهم يبذلون قصارى الجهد فيما يتصدون له وان فند اللاحق منهم رأى السابق فما ذلك إلا الأمر بدا له صحيحا من وجهة نظره أو نظرية انقذت في ذهنه حسبها تقرب به مدارج اليقين وليس علماء الجناس والاجتماع بدعا من الباحثين في مختلف العلوم الانسانية فكلهم يتواطئون على تشدان الحقيقة والسعى الى الصواب بقدر الوسع والطاقة من جهة وبقدر ما يقع لهم من صنوف العلم من جهة أخرى والناس حيال ما يلقونه اليهم ما بين موقن قانع وشاك متارجح بين الرفض والاستسلام .

الدكتور عبد المنعم سيد حسن

بيد أن هنالك فئات من الناس يضلون ببعض النزعات أو تضل بهم فلا يكون بالاحقية ولا سمعا إلى علم ولا يخضعون إلا لما وقر في أنهنهم من تلك النزعات التي تسيطر على أفكارهم على نحو ما يلج به الأريون من أن لهم الصدارة على البشر وعلى نسق ما يريده اليهود من انهم شعب الله المختار حتى اعتنوا العالم بغريتهم تلك التي صلى البشر منها نار العدوان وما يزال وعلى نمط ما حدثوا به عن شعب الصين اعتقادهم انهم على ضرب من التفوق والعلو على الأجناس الآخر وربما يرجع السر في إدعاء هؤلاء وأولئك شيئا من التسامى على سائر البشر بتفاوت حظوظهم من سلامة التفكير والاسراف في القول وسوء الاعتقاد قول . ربما يرجع السر في ذلك الى أنهم الغوا الأمر في تحديد الأجناس وصفاتها منوطا بنظريات ليس لها صفة القطع أو صبغة الرجحان فطوت لهم نفوسهم أن يطلعوا على العالمين بنظريات فجة وشبهات قوامها الوهم والسراب وليس في السينات أضر بالبشر أفرادا وجماعات وافتك بمصالحهم ومصايرهم من سيئة قوم زعموا لأنفسهم الاختصاص بعراقه الأصل وطيب العنصر وبنوا على ذلك أن لهم وحدهم الحق في الاستمتاع بكل خير تنبته الأرض ، أو تنزله السماء فإذا عدنا الى رأى الاسلام وكتابه القرآن لتتفيا ظلهما في هذه القضية أمتنا الا يقيما وزنا لما تواضع عليه الناس من التفاضل بالأجناس والتفاخر بالانساب وأن يقضيا على كل النوازع القبلية والتقوقع في الطائفية المفرقة والحمية المقتة والعصبية المردولة وامتعتنا كذلك ان تنضوى الأمم كلها تحت راية واحدة تتمثل فيما سن الله للناس من مناسك تسلمهم جميعا الى ذكر الله الذي لا تختلف عليه القلوب المؤمنة فالناس كلهم على الرغم من تناول الحقب سلم لاله واحد يصرف أقدراهم وينظم مسالكهم مهما تشعبت بهم طرائق الحياة أو تفرقت بهم السبل في ابتغاء العيشة الراضية على ما تشهد به الآية التي اتخذنا مطلعها فاتحة لقالنا هذا وهى بتمامها قوله تعالى (ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين) . فعندى الله أعلم بمراده أن المنسك في الآية يحمل على عموم العبادة التي يتقرب بها الى الله اخذا مما يرد بأصله الذي هو النسك ولعموم ما علم الله رسوله ﷺ أن يعالين الناس به في قوله تعالى (قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) وأن فسر المنسك في كلام بعض المفسرين بالنزع أو الأضحية أو العيد ويشهد لما قلته قوله تعالى (فإلهكم إله واحد فله أسلموا) فإن كلمة التوحيد هى الشعار الاول لجميع الرسالات والاديان السماوية كما يشهد بذلك قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا إله إلا أنا فاعبدون) . ويسوغ لنا تبعا لذلك أن نقرر ان كلمة التوحيد وما يستتبعه الايمان بها وبمضمونها من قربات وطاعات وهى التي جعلها الله فوق الجنسيات والقوميات كما جعلها سبحانه مناط التمايز والمفاضلة يلتقى عليها المؤمنون بها غير عابئين بجنس أو عنصر وينسبون بها

الحديث عن كرم المحتد وشرف المنبت وأقرب ما يرد على ذهن المسلم مؤيدا لذلك من السنة النبوية المطهرة قوله ﷺ (المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم) وتأتى هذه الآية التي نحن بصدها في أعقاب التشريعات المنظمة لأداء مناسك الحج الذى هو خامس قواعد الاسلام وهو بجمعه للمسلمين في صعيد واحد كلما خفوا للقيام بأحدى شعائره أو ينهضوا ببعض تبعاته أوضح برهان عملى على ما يهدف اليه الاسلام ويدعو اليه أهله من نبذ كل ما يرجع بالمسلمين الى نطاق القبلية الخائفة أو الجنسية الضيقة وقد سبقت الآية التي نعالج مضمونها بالتجلية والتحليل لقوله تعالى (ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) وما التقوى في القرآن والسنة النبوية المطهرة الا اجتماع الناس قاطبة على التقرب الى الله تبارك وتعالى وابتغاءهم مرضاته ومن ثم كانت الطريق الاوحد للحكم للانسان أو عليه ما يشهد به قوله ﷺ في حجة الوداع ضاربا صفحا عن كل الاعتبارات والأوضاع (ايها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد كلكم لأدم وأدم من تراب أن أكرمكم عند الله اتقاكم ولا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى الا اهل بلغت اللهم فاشهد) ولا يقدح فيما قلته من عموم المنسك في الآية وحمله على العبادة بوجه عام ايقاع ذكر الله على ما رزق الناس من بهيمة الأنعام لكون الذكر في عرف الاسلام مفتتح كل عبادة وعنوان كل قرية وكأني بالآية تقر أن لكل أمة منسكا هداها الله اليه ليحمله على ذكر الله والانقياد له فيما تأتى وتذر من شئون الحياة ويعين على ما ارتابته تكرر هذا المبدأ في السورة نفسها دون التقيد بما يخصص المنسك أو يعلقه بوجه خاص من وجوه العبادة على ما يقرأ في قوله تعالى (لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعك في الأمر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم) واصل المنسك في كلام العرب هو الموضع الذى يعتاده الانسان وتردد اليه ولهذا سميت مناسك الحج بهذا بنك لتوارد الناس اليها وعكوفهم عليها ولا يغيب عن بال المسلمين والمسلمات تلك الخصيصة التي رسم القرآن بها أمة الاسلام في قوله تعالى (كنتم خير أمة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) ولعمري انها لا ثبت الخصائص وابقاها على الزمن في حين يعود العلماء المعنيين بشخصيات الأمم ومميزاتها لليل واضح المقدمات أو مسلم النتائج وقد رسم الله هذه الأمة بسمات اخرى لا ينال منها تعاقب الجديدين في قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) قال رسول الله ﷺ (يدعى نوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيدعى قومه فيقال لهم : هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد فيقال لنوح : من يشهد لك ؟ فيقول محمد وأمه . قال فذلك قوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) قال الوسط العدل فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم أشهد عليكم - رواه البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجة من طرق عن الأعمش كما أخرجه أحمد في مسنده .



التكبير في القرآن الكريم ذكر جليل على وجه التخيير بين سور القرآن ولم يرسم في المصاحف كما رسمت المسمة .

وحكمه : أنه سنة عند ختم القرآن . والاصل في ذلك : أن النبي ﷺ انقطع عنه الوحي فقال المشركون : قلى محمدا ربه . أي هجره وتخلي عنه ولن ينزل عليه وحيا بعد ذلك . فنزلت سورة « والضحي » فقال النبي : الله أكبر . وأمر النبي أن يكبر إذا بلغ « والضحي » مع خاتمة كل سورة حتى يختم

قال ابن الجزري : وهذا قول الجمهور من ائمتنا كابى الحسن بن غلبون وأبى عمرو الدانى وأبى الحسن السخاوى وغيرهم من متقدم ومتأخر . قالو : فكير النبي صلى الله عليه وسلم شكر الله تعالى وتكبيها للكفار

وقد اختلف في سبب انقطاع الوحي مدة أو إبطائه وفي القائل « قلاه ربه » وفي مدة انقطاعه في روايات متعددة كثيرة أوردها ابن الجزري وغيره من أئمة القراءات والمفسرين بأسانيد متعددة نذكر من بينها : ما رواه الحافظ أبو نعيم في دلائل النبوة بإسناده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله وسلم « لما فرغت مما أمرنى به من أمر السموات والأرض . قلت يارب إنه لم يكن نبي قبلى إلا وتذكر حجته . جعلت إبراهيم خليلا . وموسى كلميا . وسخرت لداود الجبال . ولإسليمان الريح والشياطين . وأحييت لعيسى الموتى . فما جعلت لى ؟ قال أوليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله . أن لا أذكر إلا نكرت معى . وجعلت صدور أمتك أنا

جيلهم ، يقرأون القرآن ظاهرا ولم أعطيها أمة وأعطيتك كنزا من كنوز عرشى . هو :

« لاحول ولا قوة إلا بالله » .

وقد صح التكبير عند أهل مكة . قرائهم وعلمائهم وأئمتهم . ومن روى عنهم صحة استفاضت واشتهرت حتى بلغت حد التواتر .

كما صح أيضا عن أبى عمرو من رواية السوس وعن أبى جعفر من رواية العمري وورد أيضا عن سائر القراء . أما محل ابتداء التكبير وانتهائه : فقد اختلف مثبتوه من أى موضع يبتدأ به وإلى أين ينتهى . فذهب جماعة كالدانى إلى أن ابتداءه من آخر « والضحي » وانتهائه آخر الناس .

وقال آخرون : أن ابتداءه من أول الم نشرح وانتهائه أول الناس . ويذهب فريق إلى أن ابتداءه من أول « والضحي » وانتهائه أول الناس وسبب هذا الخلاف : أن تكبيره ﷺ كان آخر قراءة جبريل عليه السلام لسورة « والضحي » وأول قراءته ﷺ لها . فإن جعلنا التكبير لقراءة النبي ﷺ كان من أول « والضحي » ويكون للأوائل . وينتهى بأول الناس .

وإن جعلناه لقراءة جبريل عليه السلام كان بعد « والضحي » وهو ظاهر في جملة للأواخر . وينتهى بأخر الناس .

وأما إثباته في أول « الم نشرح » ففيما يروى عن ابن مجاهد قال : قرأت على ابن عباس تسع عشرة ختمة : وكلها يأمرنى بأن أكبر فيها من أول « الم نشرح » ومفهوم هذا : أن التكبير يكون للأوائل وينتهى بأول الناس كما سبقت الإشارة إليه . وأما التكبير المروى عن جميع القراء في أوائل جميع سور القرآن فهو ما ذكره الحافظ أبو العلا الهمدانى والهذلى عن أبى الفضل الخزاعى قال ابن الجزرى في طبيته : وروى عن كلهم أول كل يستوى . وأما صيغة التكبير فهى : الله أكبر قبل البسملة من غير زيادة تهليل ولا تحميد . فيقول القارئ : الله أكبر بسم الله الرحمن الرحيم . وذلك في أوائل سور القرآن جميعها .

أما إذا قرأ القارئ مبتدئا من (والضحي) فيجوز له زيادة التهليل قبل التكبير هكذا « لا اله إلا الله والله أكبر بسم الله الرحمن الرحيم » كما زاد بعضهم التحميد مع التهليل والتكبير ولفظه « لا اله إلا الله والله أكبر وش الحمد بسم الله الرحمن الرحيم وهو طريق أبى طاهر عبد الواحد بن أبى هاشم . وقد جرى عمل الشيوخ عليه لأن المحل محل اطناب للتلذذ بذكر الله تعالى عند ختم القرآن الكريم .

وعلى ضوء هذا : يتبين للقارئ الكريم أن التكبير لم يروى في أثناء السورة مهما كانت بداية القراءة من أول ربع أو جزء أو خلاف ذلك . وما نسمعه من بعض القراء يتبتون التكبير في أثناء السور فهو مخالف لما عليه الأئمة مخالف لما ورد في ذلك من نصوص .

هدانا الله وإياهم سواء السبيل .

الفكر القرآني ودعوة ابن تيمية

وصلنا مع ابن تيمية في المقال السابق الى أن المنهج الفكري الذي سلكه القرآن الكريم في عرض قضايا الألوهية والوجود، هو المنهج المنتج، والموصل الى الإيمان حقيقة، وأن ما اتبع غيره من مناهج، لم تنتج، ولم تقنع، ولم تثبت أمام هجمات الخصوم، بل لم تنفع أصحابها في شيء حتى في تثبيتهم على الإيمان، ولم تورثهم شيئاً غير الحيرة والوقوع في الشك وأن بعض المسلمين منهم من علماء الكلام وغيرهم لجأوا الى طريقة القرآن ومنهجه بعد هذه التجارب مع العقلانيات غير الإسلامية.

وفي هذا المقال نصحب ابن تيمية مع بعض الأمثلة التطبيقية التي يبين بها منطق القرآن وعقليته وأنها منتجة ومنطق اليونان وفلسفتهم وعقمها في الإلهيات.

الدكتور إبراهيم هلال

عنه الا واحد والله واحد فما صدر عنه فهو واحد . وبلغ بهم الغلو والتطرف في تنزيه الله سبحانه - مجارة لارسطو - ان نزهوا الله سبحانه عن أن يفعل شيئاً بالممارسة أو الإرادة ، لأن الله عندهم عقل أي شيء معنوي غير مادي ، وعندهم أصل ان المعنوي يترفع على المادي ولا يتصل به ويترفع عليه ولا يهتم بأمره وهو مشغول بأنواره وروحانيته ، وتأمل ذاته وعن هذا التأمل يصدر عنه ما يصدر مما نرى من مظاهر الكون والوجود الذي نراه ، ونعيش فيه ، والعالم كله بما فيه من أفلاك وكواكب وغيرها يتحرك ، ويتغير وينمو بغريزة العشق فيه للذات الإلهية التي صدر عنها والانجذاب اليها رجاء العودة اليها ثانية ، فما يحصل في العالم من نماء ومن تطور وتغير إنما هو في رأيهم بخاصية العشق للاله من ذات المألوه ، لا بالارادة والتدبير من الله سبحانه . فأسقطوا عن الله سبحانه رعايته لهذا الكون وإمساكه له عن الزوال والفناء ذلك الإمساك والتدبير الذي جاء في قوله تعالى : (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا ، إن أمسكهما من أحد من بعده ، انه كان حليماً غفوراً) «فاطر» وأسندوا ذلك إلى العقول أو الملائكة والأفلاك التي جعلوها تصدر عنه تعالى وتنوب عنه في تدبير الكون وإيجاده . فقالوا إن أول مخلوق في هذا الكون أو أول مبدأ للخلق في هذا الكون أن عقلاً فاض عن الله ، سماه أفلوطين : العقل الكلي ، وسماه الفارابي وشيعته من المسلمين ، العقل الأول وقربوا ذلك بمثال مادي ، فقالوا : فاض عن الله كما تفيض البرودة من الثلج أو الحرارة من الشمس . وهذا العقل الذي صدر عن الله واحد من جهة اتصاله بالله ، واستفادته صفة الوجود ، كثير من جهة ذاته هو ، وهو أنه في طبيعته ممكن ،

ومن تلك قضية الوجودانية وقضية خلق الكون وحلوه . وهاتان القضيتان مرتبطتان ببعضهما ببعض عند فلاسفة اليونان الأقدمين ، ومن سلك على دربهم من أتباع الأفلاطونية المحدثة مسلمين وغير مسلمين ارتباطاً بلغ بهما درجة الوحدة أو التجانس الكامل والزمهم بالقول بوحدة الوجود أي الوحدة بين الله وبين الكون ، أي أن الكون جزء من الله أو فاض عنه حسب نظرية الفيض التي ظهرت في الأوساط الفلسفية الإسلامية والتي نبتت في الفلسفة اليونانية الأفلاطونية في القرن الأول الميلادي ومن قبله في مدرسة الاسكندرية اليونانية الشرقية أو الهرسيه على كلتا التسميتين . وكان السبب في قول هؤلاء بهذه الوحدة الوجودية ، أو وقوعهم في القول بوحدة الوجود ، هو التزامهم بالمنطق اليوناني وأقيسته في هذه القضايا الدينية الإيمانية رغم وصولهم إلى وجود الله ووجدانيته - على قدر تصورهم - بجهدهم وتفكيرهم ، وأنه العالی على خلقه ، والمدير له وحده - اذا استثنينا أرسطو في هذه القضية . إلا أن استخدامهم قياسهم المنطقي الذي افتعلوه نتيجة اجتهد خاطيء في تعليل وجود الكون عن الله ، وكيف أوجده ، وأرادوا بهذا الاستخدام ، المبالغة في تنزيه الله سبحانه ، أو قمعهم في وصف الله بما لا يليق به ، وفي تشبيهه بمخلوقاته .

لأنهم لما رأوا ان الله واحد وعلمو علماً يقينياً فطرياً أنه الموجد لهذا الكون وأن الكون يخضع له ولتدبيره في النهاية ، أرادوا تفسير ذلك الوجود . وكان عندهم قضية هي في واقعها جدلية ولكنهم ظنوها برهانية كما يقول (ابن رشد) وهي ان الواحد لا يصدر عنه إلا واحد ، فخرجوا الى هذا القياس ، وهو الواحد لا يصدر

كان بعد ان لم يكن فهو كثير في واحد ، أو واحد في كثير ، فصفة الوحدة فيه هي التي خولت له ان يكون أول صابر عن الله تشبها مع مبدأ الواحد لا يصدر عنه الا واحد . وصفة الكثرة هي التي اجازت ان يصدر عنه الكون الكثير بطريق الفيض التدريجي في سلسلة العقول التسعة ، أو العشرة ، على حسب تعدد آرائهم في هذا العدد . قالقارابي رائد الافلاطونية المحدثة يجعلهم احد عشر في كتابه آراء اهل المدينة الفاضلة . وابن سينا وبقيّة أتباع الافلاطونية المحدثة يجعلونهم عشرة .

ويقولون : ان العقل الأول قد صدر عنه عقل وفلك ونفس ، ثم عن هذا العقل الثاني عقل ثالث وعن الثالث رابع وهكذا يستمر الفيض الى العقل العاشر ، كل عقل يفيض عنه عقل ونفس وكوكب ، الى أن تنتهي العقول الى العقل العاشر ، الذي يفيض عنه كوكب القمر والعقل الحادي عشر الذي ينتهي عنده أو به وجود الأجسام السماوية ، وعن هذا العقل الأخير فاض الوجود الأرضي ونفس الأحياء أو الكون العنصري بما فيه . . . الخ ما يقولون في ذلك مما عرف في أوساطهم وأوساط الدارسين لهم ، بنظرية الفيض أو الصور .

ومما زاد هؤلاء ضلالا ، وبعدا عما جاء في الكتاب والسنة ، أنهم جعلوا هذه العقول هي الملائكة التي اخبر عنها القرآن الكريم والحديث الشريف بغير ما يصفون وجعلوا العقل العاشر أو الفعال جبريل عليه السلام الذي ينزل بالوحي على الأنبياء عليهم السلام : وهنا ينبغي لهم ابن تيمية رادا عليهم هذه الأضاليل ومفندا لهذه الأباطيل التي ضلوا بها عن طريق الدين وطريق العقل وأول شيء في ذلك أنهم شوهوا صفة الوجدانية بالنسبة لله تعالى حين ادعوا المحافظة عليها وخضعوا لمبدأ : الواحد لا يصدر عنه إلا واحد ، فوصلوا بنظرية الفيض التي اخترعوها لتفسير الخلق على هذا الأساس الى القول بالتولد عن الله وان الله يلد ، ذلك البهتان الذي نفاه عن نفسه في كتابه الكريم وعلى السنة انبيائه من قبل ، فقال في ذلك رادا هذه المزاعم والمفتريات (قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد) سورة الاخلاص .

وابن تيمية يضع يدنا على الفكر القرآني الأصيل الذي قام عليه رد أباطيل هؤلاء فيقول (فزعمهم أن العقول والنفس - التي جعلوها الملائكة ، وزعموا انها معلولة عن الله صادرة عن ذاته صبور المعلول عن علته - هو قول بتولدها عن الله ، وان الله ولد الملائكة وهذا مصادره الله ونزه نفسه عنه ، وكتب قائله بقوله : (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) . ونحن نرى إلى جانب ذلك أيضا ، ان في هاتين الآيتين رداً على قول النصاري بالوهمية عيسى عليه السلام ، أو أنه ابن الله ، فبين أن الاله لا يولد وعيسى بن مريم عليهما السلام فاذا جعلوه أيضا ابنا لله ، كانوا بذلك مبطلين الوهميته ، والوهمية الله سبحانه ، فليسوا انن باتباع عيسى عليه السلام وليسوا من المؤمنين بالله الواحد الأحد .

وقد بنى الله سبحانه نفى الولادة عنه على أصل سليم يؤمن به كل عاقل ويحترمه ، وهو ان الاله لا يكون مستأويا للمألوهين ، ولا على صفتهم (ولم يكن له كفوا أحد) ففى السورة نفى الولادة ، مؤيدا بالليل والمنطق المقنع : الخالق والصانع على غير ما يخلق وعلى غير ما يصنع ، والله خالق باعترافكم أو اله موجد فهو على خلاف ما خلق وعلى غير ما تصفون كما قال : (سبحانه وتعالى عما يصفون) (سبحانه رب العزة عما يصفون) الصافات ، فلا يكون له كفوا أحد .

ومما رد به ابن تيمية في هذا الصدد قوله تعالى : (إلا أنهم من أفعكم ليقولون ولد الله . وإنهم لكاذبون » إلى قوله « أصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون ، أفلا تذكرون ؟ أم لكم سلطان مبين ؟ فائتوا بكتابكم إن كنتم صادقين » . الصافات وقوله تعالى :

(وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون) وذلك ان البعض من مشركي العرب وغيرهم قالوا ان الملائكة بنات الله فرد عليهم بهذا الرد المسكت .

ويأتى ابن تيمية بعدد من الآيات في هذا الصدد ، منها هذه الآية الثائرة التي بلغت في التحدى ذلك المبلغ القرآني المفحم المقنع (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ، لقد جئتم شيئا إدا . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً . أن دعوا للرحمن ولداً . وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً . أن كل من في السموات والأرض إلا أتى الرحمن عبداً . لقد أحصاهم وعدهم عداً ، وكلهم آتية يوم القيامة فرداً) . وهذه صفة الآله مع المخلوقين ، ووضع المخلوقين مع الآله . عند من يعقل . وفي ذلك يقول ابن تيمية فأخبرناهم معبدون ، أى مذللون مصرفون مدينون مقهورون ، ليسوا كالمعلول المتولد تولدا لازما لا يتصور ان يتغير عن ذلك . وأخبر أنهم عباد الله وعباد الله لا يشبهون به ، لأن ذلك لا يكون إلا فيمن بينهما صلة مادية أو حسية ، كالمعلول وعلته ، أو الولد ووالده .

ومنهج ابن تيمية في رده على فلاسفة المسلمين في هذا المجال وبصدد هاتين القضيتين ، هو منهج القرآن الكريم في رده على السابقين واللاحقين ، وهو اننا متى أثبتنا الوجدانية خالصة لله ونفينا عنه التولد ، نكون بذلك قد أبطنا نظرية الفيض أو العقول العشرة ، وأثبتنا الخلق لله وحده . والله في ذلك قوله تعالى

(وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون . بديع السموات والأرض ، وإذا قضى أمرا ، فإنما يقول له كن فيكون) .

فلما قلنا من قبل أن الاله لا يتخذ ولدا ، ولا يلد ، ولا شريك له في ملكه فهو ليس في حاجة الى معاونة أحد ، فهو الخالق وبديع السموات والأرض ، وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ، أى يريده ويشاؤه فيكون . ويقول ابن تيمية في ذلك (فأخبر أنه يقضى كل شيء بقوله (كن) لا بالتولد المعلول عنه) .

ويوجهنا ابن تيمية في رده على هؤلاء إلى أصل آخر قد جاء في القرآن الكريم وهو : الذي ولد ، لابد وأن تكون له صاحبة ، أي زوجة ، لأن الولادة لا تكون إلا بين أصليين أو بين اثنين . وفي ذلك جاء قوله تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون ، يبيع السموات والأرض ، أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ؟؟ وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم) [الأنعام] فأخبر أن التولد لا يكون إلا عن أصليين كما تكون النتيجة عن مقدمتين وكذلك سائر المخلوقات المخلولة ، لا يحدث المخلول إلا باقتران ما تتم به العلة فأما الشيء الواحد وحده لا يكون علة ولا ولدا قط ، لا يكون شيء في هذا العالم إلا عن أصليين ولو أنهما الفاعل والقابل كالنار والحطب والشمس والأرض ، فأما الواحد وحده فلا يصدر عنه شيء ولا يتولد (ومنطق القرآن في ذلك أن الله واحد باعتراف الذين خاضوا في هذه القضايا وأنه ليس له صاحبة ، أي زوجة فبناء على ذلك فهو منزه عن الولادة ، كما نزهتموه عن الزوجة وهنا يبين لنا ابن تيمية قوة حجة القرآن وأن الله ما فرط في الكتاب من شيء ، وأن اعداءه لا يجزونه في الحجة أو البرهان فيقدم لنا قوله تعالى : (ولا ياتونك بمثل الإجنثاء بالحق وأحسن تفسيراً) أي أن الله الحجة البالغة على عباده ، وعلى المشتبه عليهم ، وعلى الشاكين والكافرين ، وأنه ما من اعتراض أو شبهة تعرض للمجادلين أو للشاكين أو للإنسان عموماً إلا ويأتى القرآن فيها بالحق ، والتفسير والتعليل الحسن ولا جدال في ذلك فهو خالق الإنسان المعترض والمشتبه عليه والشاك وخالق ذلك العقل الذي شبه عليه أو شك فهو القادر على هدايته ورده إلى الحق ، وإلى أحسن تفسير وتبيين .

وفي ذلك يقول ابن تيمية (فبين القرآن أنهم أخطأوا طريق القياس في العلة والتولد حيث جعلوا العالم يصدر عنه بالتعليل والتولد فلاهم انتفعوا بمنطق ولاهم آمنوا بنص ثم يقدم آية أخرى في النص على أن التولد لا يكون إلا بين زوجين أو شيئين : (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)) وانها مناقضة لقولهم أن الصابر عنه واحد أو أن العقل الأول فاض عنه تعالى ومن هذا العقل صدر الخلق . ثم يعلق على ذلك أيضاً (بأن هذا وفاء بما ذكره الله تعالى في قوله (ولا ياتونك بمثل الإجنثاء بالحق وأحسن تفسيراً) . إذ قد تكفل بذلك في حق كل من خرج عن اتباع الرسول وذلك في قوله تعالى في سورة الفرقان (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) .. فنذكر الوحداية والرسالة إلى قوله (ويوم يعرض الظالم على يديه يقول : يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ياويلتي ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً . لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني ، وكان الشيطان للإنسان خذولاً) إلى قوله (ولا ياتونك بمثل الإجنثاء بالحق وأحسن تفسيراً) . وهؤلاء الصائبة قد آتو بمثل ، وهو قولهم (الواحد لا يصدر عنه ويتولد عنه الا واحد ، والرب واحد فلا يصدر

عنه الا واحد يتولد عنه) فأتى الله بالحق وأحسن تفسيراً ، وبين أن الواحد لا يصدر عنه شيء ولا يتولد عنه شيء أصلاً ، وأنه لم يتولد عنه شيء ولم يصدر عنه شيء ولكن خلق كل شيء خلقاً ، وأنه خلق من كل شيء زوجين اثنين ولذلك قال لنوح عليه السلام فيمن يحمل في سفينته وما يحمل : (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه

القول) . ولهذا قال مجاهد . وذكره البخاري في صحيحه في الشفع والوتر في قوله تعالى : (والفجر وليال عشر والشفع والوتر) : أن الشفع هو الخلق فكل مخلوق له نظير والوتر هو الله الذي لا شبيه ولا نظير له ولذلك قال : (أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ؟) . فهو الواحد الذي لا ند له ولا نظير والذي يجب له حين الحديث عنه أن يراعى ذلك في صفاته وفيما يتصل به .

وهناك رد لابن تيمية على قولهم بأن الولادة جائزة من واحد وتمثيلهم لذلك بالشعاع مع الشمس وبالصوت مع مصدره فيقول : (وأما تشبيههم ذلك بالشعاع مع الشمس وبالصوت (الطنين) مع الحركة أو النقد فهو أيضاً حجة لله ورسوله والمؤمنين عليهم وكلام الله يرد ذلك أيضاً بل هو اعتراض لا يرد على كلام الله في تحقيق هذا المبدأ : (الواحد لا يصدر عنه شيء أصلاً) - وذلك أن الشعاع ان أريد به نفس ما يقوم بالشمس فذلك صفة من صفاتها ، فليست متولدة عنها وصفات الخالق ليست مخلوقة ولا هي من العالم الذي فيه هذا الكلام ، حتى نجعل ما فاض عنه في ظنهم من صفات الله ، فما يقولونه أو ما يصفونه بالفيض عن الله ، هو العالم وليس العالم هو الله .

هذا إن أريد بالشعاع نفس ما يقوم بالشمس وإن أريد به ما ينعكس على الأرض ويفصل عن الشمس فإن ابن تيمية يرى أن ذلك خرج على قاعدة الواحد لا يصدر عنه إلا واحد وإن هنا شيئين ، قد أوجدا هذا الشعاع المتفصل فيقول : (وإن أريد بالشعاع ما ينعكس على الأرض ، فذلك لابد فيه من شيئين وهو الشمس التي تجرى مجرى الأب الفاعل والأرض التي تجرى مجرى الأم القابلة وهي صاحبة للشمس) .

وبالنسبة للصوت يقول : (وكذلك لا يتولد إلا عن جسمين يقرع أحدهما الآخر ، أو يقلع عنه فيتولد الصوت الموجود في الأجسام عن أصليين يقرع أحدهما الآخر أو يقلع عنه) .

ثم يعقب على ذلك بقوله (فمهما احتجوا به من القياس ، فالذي جاء الله به هو الحق وأحسن تفسيراً ، وأحسن بيانا وإيضاحاً للحق وكشفاً له) .

فأين مكان المنطق اليوناني بأقيسته وفلسفته في الدينيات وعقيدة الألوهية وهل يمكن بعد ذلك أن تبني عليه عقيدة ، أو يتوصل به إلى يقين أو أن نعتبر الفكر اليوناني في هذا المجال فكراً ، يقوم عليه إيمان أو يقوم هو على برهان ؟ هذا وقد بقى لنا حديث عن الملائكة لرد هذه الشبهات التي أثرت نحوهم موعنا معه في العدد القادم إن شاء الله .

هداية سورة الحج إلى فوائد فريضة الحج

بعد آيات مبينات ، أنزلت في سورة الحج ، انكشفت - بها - حكم .
واحكام ، وعقائد سليمة ، وتضمنت عظات موقظة للقلوب من سنة
الغفلة ، ومنقذة للبصائر من سكرة الحيرة ، ومحياة لها من موت
الجهالة ، ومستخرجة لها من ضيق الضلالة - قال الله : تبارك وتعالى ،
في هذه السورة الكريمة :

وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي
للطائفين والقائمين والركع السجود .



فضيلة الشيخ محمد مصطفى أبو العز

يدل على أن البيت - كان مبنيًا ، واندرس ، وروى البزار ،
والطبراني ، في معجمه الكبير ، وابن خزيمة ، وابن حبان ،
في صحيحيهما ، والحاكم ، وقال : صحيح الاسناد ، عن ابن
عمر : رضي الله عنهما : قال : قال رسول الله : ﷺ :
(استمتعوا بهذا البيت ، فقد هدم مرتين ، ويرفع في الثالثة)
قال ابن خزيمة : قوله : (ويرفع في الثالثة) - يريد بعد
الثالثة .

وقوله تعالى : في هذه الآية الكريمة :

[أن لا تشرك بي شيئاً] - متعلق بمحذوف دلت عليه آية
سورة البقرة ، وهي قوله تعالى : (وعهدنا إلى إبراهيم
 وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين) : الآية ، فبالتة هذه
 الآية الكريمة بسورة البقرة على أن المحذوف المتعلق به
 القول الكريم ، هنا - هو - القول - عهدنا : أي أوصينا
 إبراهيم أن لا تشرك بي شيئاً ، والقرآن - يفسر بعضه
 بعضاً ، فالمنكور هناك في سورة البقرة - كأنه منكور هنا
 في سورة الحج ، لأن كلام الله يصق بعضه بعضاً .

والتنظيف - هنا في قوله تعالى : (أن طهر بيتي) - يشمل
التطهير المعنوي والحسي فيطهره الطهارة الحسية من
الأقذار والطهارة المعنوية من الشر والمعاصي .

ولقد طهر إبراهيم عليه السلام - البيت من الأصنام :
كما طهره منها - رسولنا ﷺ عند فتح مكة وقد قال الله
تعالى له ﷺ : (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم
حنيفاً) : الآية .

أي [و] أنكر أيها المؤمن ، فيما تذكر : مما بينت هذه
السورة الشريفة (إذ بوأنا لإبراهيم) أي حين هيأنا
لرسولنا إبراهيم : عليه السلام (مكان البيت) وعرفناه
إياه : لبيته بأمرنا ، على قواعده الأصلية ، المندرسة حين
أمرنا ببنائه ، كما يهيا المكان لمن يريد النزول به ، ويقول
المفسرون بواه له وأراه إياه بسبب ربح تسمى الخروج
كنست ما فوق الأساس الأول ، حتى ظهر وكان مندرسا
فجدد بناءه إبراهيم وكان يعينه ولده اسماعيل عليهما
السلام وقد قال تعالى : (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من
البيت وإسماعيل) ، قيل : أرسل الله تعالى له مزنة ، أي
سحابة بيضاء ، فاستقرت فوقه ، فكان ظلها على قدر
مساحة البيت الحرام ، الكعبة المشرفة ، فحفرها عن
الأساس ، فظهر لهما قبنايه عليه ، ويقول المفسرون إنه كان
مندرسا : من زمن طوفان نوح عليه السلام ، وأن محله -
كان مريض غنم ، لرجل من جرهم وغاية ما دل عليه القرآن
الكريم - أن الله : جل وعز - بوأ مكان البيت لإبراهيم : عليه
السلام فهيا له ، وعرفه إياه لبيته في محله ، وذهبت جماعة
من أهل العلم إلى أن أول من بناه إبراهيم : عليه السلام :
ولم يبن قبله ، وظاهر قوله : تعالى : حكاية لدعاء إبراهيم
عليه السلام ، حين ترك إسماعيل ، وأمه هاجر ، في مكة :
ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك
المحرم .

والمراد بالطائفتين : في الآية الشريفة - الذين يطوفون حول البيت ، وروى البيهقي : بإسناد حسن : عن ابن عباس : رضى الله عنهما - أن النبي ﷺ - قال : (ينزل الله كل يوم على حجاج بيته الحرام - عشرين ومائة رحمة : ستين للطائفتين ، وأربعين للمصلين ، وعشرين للناظرين) ، فالنظر إلى الكعبة - المشرفة ، عبادة وعمل صالح ، يثاب عليه والمراد بالقائمين في الآية الشريفة في صدر المقال ، وبالركع السجود المصلون .

فالله تبارك وتعالى - يقول لخليله ، إبراهيم عليه السلام : طهرا بيتي للمتعبدين : بطواف وصلاة ، ونظفه من الأقدار ، والأصنام .

ولا يخفى أن الخطاب في قوله : تبارك وتعالى : (وأنن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) هو لسيدنا إبراهيم ، والمنكور : في الآية قبلها ، أى وأمرنا إبراهيم : أن أنن في الناس بالحج ، أى أعلمهم ، وناد قبيهم بالحج : أى بأن الله أوجب عليهم حج بيته الحرام ، وذكر المفسرون - أنه - لما أمره ربه أن يؤذن في الناس بالحج - قال : يارب كيف أبلغ الناس ، وصوتى - لا ينفذهم ، فقال : ناد وعلينا البلاغ ، فقام على مقامه ، وقيل : على الحجر ، وقيل : على الصفا ، وقيل على جبل أبى قبيس بمكة ، وقال : يا أيها الناس ، إن ربكم - قد اتخذ بيتا ، فحجوه ، فيقال : إن الجبال - تواضعت ، حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض ، وأسمع من في الأرحام ، والأصالب ، وأجابه كل شيء سمعه ، من حجر ، ومدر ، وشجر ، ومن كتب له الله أنه يحج إلى يوم القيامة : لبيك اللهم لبيك ، ولا يخفى أن الأرواح مخلوقة قبل الأجساد ، فلا يشكل إجابة من كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة وقال ابن كثير رحمه الله بعد أن ذكر نداء إبراهيم عليه السلام : هذا مضمون ماورد عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ، وغير واحد من السلف .

وقوله تعالى : (ياتوك رجالا) أى ياتوك ماشيين ملبين دعوتك ، حاجين بيت الله الحرام : كما نابتهم لذلك : (وعلى كل ضامر) وركبانا على كل بعيد مهزول اتعبه السفر (يأتين من كل فج عميق) يأتين من كل طريق بعيد . ووجوب الحج على الأمة المحمدية : بهذه الآية - مبني على أن شرع من قبلنا - شرع لنا : ما لم يردنا من قبلنا ، بل في هذا الموضوع في شرعنا ما يوافق : قال تعالى : في سورة آل عمران : في ذلك الوجوب : [وش على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين] .

وقال ابن كثير رحمه الله ، عند تفسير هذه الآية ، التي نحن بصدد تفسيرها : [وأنن في الناس بالحج ياتوك رجالا] : قد يستدل بهذه الآية - من ذهب من العلماء إلى أن الحج ماشيا لمن قدر عليه - أفضل من الحج راكبا : لأنه - قدمهم أى مشاة الحجاج : في الذكر في الآية ، فدل على الاهتمام بهم ، وقوة همهمهم ، وقال وكيع : عن أبى العميس ، عن أبى طلحة : عن محمد بن كعب ، عن ابن

عباس : رضى الله عنهما : قال : (ما أسى - ما أحزن - على شيء - إلا أتى - وددت أنى كنت حجت ماشيا - لأن الله يقول : (ياتوك رجالا) ، والذي عليه أكثر أهل العلم - أن الحج راكبا أفضل : اقتداء برسول الله ﷺ فإنه حج راكبا مع كمال قوته وقال داود الحج ماشيا - أفضل لأن النبي : ﷺ قال لعائشة : رضى الله عنها : (ولكنها - أى المثوبة - على قد نفقتك أو نصبك) : رواه البخارى ومسلم والظاهر أن الحال التي يكون إقبال العبد معها - إلى الله تعالى بقلبه أعظم هى الأفضل وفي الغالب تكون مع الركوب لا مع المشى حيث شدة العناء وكثرة التعب الشاغل للنفس والمؤثر عليها وقد روى الترمذى عن أنس رضى الله عنه من حديث أنه ﷺ قال : (وما أقبل عبد على الله بقلبه إلا جعل الله قلوب المؤمنين تنادى إليه بالود والرحمة ، وكان الله بكل خير إليه أسرع)

ثم بين الله تبارك وتعالى - فوائد الاستجابة وامثال الأمر بالحج ، فقال : (ليشهدوا منافع لهم) والمراد بشهود الحجاج منافع لهم ، وحضورهم المنافع ، هو حصولها لهم ، وقد جاء بيان بعضها في بعض الآيات القرآنية وأن منها ما هو نبوي وما هو آخرى : أما النبوي فكأرباب التجارة : إذا خرج الحاج بمال تجارة معه ، فإنه يحصل له الربح ، غالبا ، وقد أطبق علماء التفسير على أن معنى قوله تعالى (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) أى ليس عليكم - أيها الحجاج ، إثم ولا حرج ، إذا ابتغيتم ربحا بتجارة ، في أيام الحج ، إن كان ذلك لا يشغلكم عن شيء : من أداء مناسككم ، ومن المنافع الدنيوية - ما يصيبه الحجاج من الذبائح والمنافع الآخورية التي يصيبها الحجاج - خير من منافع الدنيا بلا شك وأبقى كالوقاية من النار ، وبخول الجنة : (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) ، وقد روى البخارى ومسلم في صحيحيهما : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ : أى الأعمال أفضل ؟ قال : (إيمان بالله ورسوله قيل : (ثم ماذا ؟ قال : (ثم جهاد في سبيل الله : قيل ثم ماذا ؟ قال : (ثم حج مبرور) ، والحج المبرور هو الحج الذى لا يخالطه إثم ، وقال الحسن فيمن برحجه : إنه يرجع زاهدا في الدنيا ، راغبا في الآخرة وروى أحمد ، والطبرانى في الأوسط : عن جابر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة : قيل : وما بره ؟ قال : أطعام الطعام ، وطيب الكلام ، وفي رواية لأحمد « أطعام الطعام وأفشاء السلام » وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (من حج فلم يرفث ولم يفسق - رجع من نؤوبه كيوم وليته أمه) وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة : رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) ، وروى ابن جريج بإسناد حسن ، عن جابر : رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (هذا البيت دعامة الإسلام فمن خرج يوم : أى يقصد هذا البيت من حاج أو معتمر - كان مضمونا على الله : إن قبضه أن يدخله الجنة ، وإن رده - رده بأجر وغنيمة)

ثم قال تعالى مبينا بعض فوائد الحج أيضا : (وينكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) فذلك القول - معطوف على قوله تعالى السابق : (ليشبهوا منافع لهم)

فهو تبارك وتعالى - يدعو إلى الأعلام بالحج ، والمناذرة في الناس بإيجابه عليهم : مع شهود منافع لهم - لأجل أن يتقربوا إليه تعالى باراقة - بماء ما رزقهم : من بهيمة الأنعام ، مع نكرهم اسم الله تعالى عليها عند النحر والذبح . وهذه البهيمة هي الهدى ، الذي قال فيه عمر : رضى الله عنه : أهوا : فإن الله يحب الهدى) ، وأجمع العلماء على أن الهدى - لا يكون إلا من النعم ، وهي الأبل ، والبقر ، والغنم والذكور والأنثى سواء : في جواز الأهداء ، وهي - في الأفضلية - على هذا الترتيب : لأن الأبل أنفع للفقراء لعظمها ، والبقر - أنفع لهم : كذلك ، واختلفوا في الأفضل : للشخص الواحد ، والظاهر - أن الاعتبار بما هو أنفع للفقراء ، وأقل ما يجزئ - عن الواحد - شاة ، أو سبع بنه ، أو سبع بقرة : فإن البنية أى الجمل أو الناقة - تجزئ عن سبعة أفراد ، وكذلك البقرة : قال جابر رضى الله عنه : (حججنا مع رسول الله ﷺ فنحرقنا البعير عن سبعة والبقرة عن سبعة) رواه الإمام أحمد ومسلم ، لا يشترط في الشركاء في الذبيحة - أن يكونوا جميعا ممن يريدون القرية إلى الله تعالى ، بل لو أراد بعضهم التقرب وأراد البعض اللحم - جاز خلافا للحنفية ، فهم يشترطون التقرب إلى الله تعالى : من جميع الشركاء ، والهدى يكون مستحبا للحاج والمفرد ، والمعتمر المفرد ، ويكون واجبا على القارن ، الذى نوى الحج والعمرة معا ، وعلى المتمتع ، وهو من اعتمر في أشهر الحج ، ثم حج من عامه الذى اعتمر فيه .

وفي الأيام المعلومات قال أبو حنيفة : هي ثلاثة أيام : يوم عرفه والنحر والحادى عشر وقال على رضى الله عنه : المعلومات - أربعة : يوم عرفه والنحر ويومان بعده ، وقال مقاتل المعلومات أيام التشريق وقال محمد بن كعب : المعلومات والمعدودات واحد وما يوضح أن الأيام المعلومات - هي أيام النحر : سواء قلنا إنها ثلاثة يوم النحر واثنان بعده ، أو أربعة : يوم النحر وثلاثة بعده - أن الله تعالى نص على أنها هي التى يذكر فيها اسم الله عند التنكية من المنكين أى الذابحين : (على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) وليتنبه المسلم إلى أن يفعله كثير من الحاج الذين يزعمون التقرب إلى الله تعالى بالهدى يوم النحر : من ذبح الغنم : في أماكن متفرقة من منى ، لا يقدر الفقراء على الوصول إليها ، والتمكن منها وتركها منبوحة ليس - بقرىها فقير - ينتفع بها - تضییع لتلك الغنم ، فهو من إضاعة المال ، والله تعالى كره لعبده أن يضيع المال ، ومع ذلك تنتفخ الذبيحة وينتشر نتن ريحها في أقطار منى ، حتى يعم أرجاءها النتن ولا شك أن الله تبارك وتعالى - لا يرضى ذلك الضرر ولا يجوز لمن بسط الله يده ، وولاه على الناس إقرارهم على ذلك الفعل . . . لأنه - فساد ، وإذية

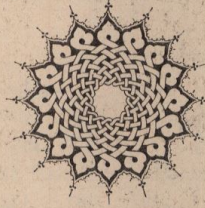
لسائر الحاج بالارواح المنتنة ، كما أنه إضاعة للمال ، وإفساد له : باسم التقرب إلى الله ، وليعلم كل ماهد وذابح لهدية أنه يلزمه إيصال لحم ما يتقرب به إلى الفقراء ، فعليه إذا ذبح الذبيحة أن يؤجر من يسلمها طرية حين ذبحها ، أو يسلمها هو ، ويحملها بنفسه أو يستأجر من يحملها حتى يوصلها إلى المستحقين لأن الله تعالى - قد قال : (فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) ، ولا يمكن إطعامها إلا بإيصالها إليهم ، وعلى من يقدر على إعانة الحاج المتقرب بالدماء - على طريق إيصال ذبيحته إلى الفقراء - أن يعينه وييسر له الوسيلة ، الكفيلة بذلك ، فإله : تعالى - يقول : (وتعاونوا على البر والتقوى) وليعمل على تهئية عدد ضخم من العاملين للإيجار يوم النحر ، وفي أوقات الذبح : لنحو سلخ الهدى ، وهو طرى ، وحمل اللحوم للفقراء ، ولتعدد مواضع الذبح في أنحاء منى ، وفجاج مكة ، ونحو ذلك : من الطرق ، والوسائل المعينة على إيصال الحقوق لمستحقيها ، والمسئول الله تبارك وتعالى : لتوفيق ولاية الأمور لذلك والتحقيق أن فقراء الحرم - هم الموجودون فيه ، وقت نحر الهدى : من أهل الأفاق ، وحاضري المسجد الحرام ، فمن ذبح في موضع فيه فقراء ، وخلق بينهم وبين الذبيحة - أجزاء ذلك - لأنه - يسر لهم الأكل منها : بطريق لا كلفة عليهم فيها ، فكانه أطعمهم بالفعل ، وإن ذلك - لأحسان : (والله يحب المحسنين) ومن الأحسان ، الذى يحبه الله تعالى - أن يكون الهدى مستوفى الشروط ، فإذا كان من الضأن - فإنه - يجزئ منه الذبح ، وهو ماله ستة أشهر ، وكان سمينا ، ولا يخفى أن يجزئ ما كان فوقه ، وإذا كان من الأبل ، فإنه يجزئ ماله خمس سنين ويجزئ من البقر ماله سنتان ، ومن المعز - ماله سنة تامة ، ومن شروط الهدى أن يكون سليما فلا تجزئ فيه العوراء ولا العرجاء ولا الجرباء ولا العجفاء وهي الهزيلة وفي استحباب اختيار الهدى : حسنا : روى مالك عن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان يقول لبنيه يا بني لا يهد أحدكم الله تعالى من البين من الأبل شيئا يستحبى أن يهدى لكريمه ، أى لحبيبه المكرم العزيز لديه فإن الله - أكرم الكرماء ، وأحق من اختيار له) ، وروى سعيد بن منصور - أن ابن عمر رضى الله عنهما سار فيما بين مكة على ناقة بختية هي أنثى الجمال فقال لها . بخ . . بخ . . : وهي كلمة تقال عند الملح والرضا بالشئ وتكرار للمبالغة فأعجبته فنزل عنها ، وأشعرها وأهداها) ومعنى أشعرها جرحها في صفحة سنامها وسلت الدم عنها . وليتنبه المسلم إلى أنه لا يجوز أن يعطى الجزاء الأجرة من الهدى ، ولا بأس بالتصدق منه عليه ، وروى عن الحسن البصرى رضى الله عنه - أنه قال : لا بأس أن يعطى الجازر الجلد .

والأمر بالأكل من لحوم الهدى : في قوله تعالى : (فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) يتناول بظاهره هدى الواجب وهدى التطوع وقد اختلف في ذلك الفقهاء ، فذهب الامامان أبو حنيفة وأحمد إلى جواز الأكل من هدى التمتع وهدى القران وهدى التطوع وعدم الأكل مما سواها وقال

الاقبال والسعى إليه ، والحرص عليه : بهمة ونشاط واجتهاد وحسب الحاج - أنه قاصد بيت مولاه وسناح لكسب رضاه ولكنز وده ، تعالى وحسن عقابه ولاخيار المثوبات ، التي يفلح بها ويسعد في آخره ، عنده جل علاه . وفيما تجلى في هذا الهدى الالهى : من آيات سورة الحج المبينات - للروح غذاء ، وللنفس شفاء ، وأخذ باليد إلى رفعة الدرجة ، عند واهب النعماء سميع الدعاء ، الذي قال رسوله ، سيد الأنبياء : ﷺ : **الحجاج والعمار وفد الله : إن دعوه ، اجابهم ، وإن استغفروه - غفر لهم** (رواه النسائي وابن ماجه ، ورواه ابن خزيمة ، وابن حبان : في صحيحهما ، بلفظ (وفد الله - ثلاثة : الحاج ، والمعتمر ، والغزى) .

وفق الله تعالى - على الدوام - لفهم كتابه ، والعمل به ، والاهتداء بهديه ، ونشر هدايته ، في الأمة : لحسن الحال ، والمآل ☆

الامام مالك : يؤكل من الهدى الذي سيق لفساد الحج ولفواته ومن هدى التمتع ومن الهدى كله : الافدية الاذى وجزاء الصيد وما نذر للمساكين ، ومن هدى التطوع : إذا عطب قبل محله ، وعند الامام الشافعي لا يجوز الاكل من الهدى الواجب ، مثل الدم الواجب : في جزاء الصيد وإفساد الحج ، وهدى التمتع والقران وكذلك ما كان نذرا أوجبه المرء على نفسه ، أما ما كان تطوعا فللمرء أن يأكل منه ويهدي ويتصدق والمهدي أن يأكل من هديه الذي يباح له الاكل منه أى مقدار . يشاء أن يأكله ، بغير تحصيد ، وله كذلك - أن يتصدق وأن يهدي بما يراه ، وقيل : يأكل النصف ويتصدق بالنصف وقيل يقسمه أثلاثا فيأكل ثلثه ، ويهدي ثلثه ويتصدق بثلثه فيفوز - مع كسب الاكل بود المهدى له وبثواب الصدقة والله تبارك وتعالى - يقول : (إن المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم) . وبعد : فكم في تأدية فريضة الحج من فائدة ، تبعث على



« بقية مقال قضايا فكرية في فهم العربية »

هذان المعنيان هما الجاريان خوفا وتلبية أو اعداء للنفس متمسم بالصمود أمام الابتلاء تواكبن التلبية تهدي وتعطي توفيق وتمنع وإن شئت فتذكر أن الله ابتلى خليله بعشرة أشياء ثم أثنى عليه بعشرة ثم أعطاه عشرة أما الابتلاء فهو مناظرة النمرود والكوكب والقمر والشمس وبكسر الأصنام ومناظرة الأب بالهجرة وبنار النمرود وبذبح الولد ، وبالاخلاص في قول الله له اسلم وبالعشر كلمات وبالملائكة الذين بعثهم الله اليه شبه المجوس يعرض عليه الايمان وأما الثناء عليه فسماه أمة قانتا لله حنيفا ، شاكرا لأنعمه وفيها صديقا نبيا قيما ، أديبا واصطفاء بالاجتباء والاهتداء والبركة والبشارة بأسحاق والحجة على قومه والامامة والمقام ونسبة الأمة الحميدة على جميعهم السلام والخلة في قوله تعالى (واتخذ الله ابراهيم خليلا) ١٢٥ م النساء

وإلى اللقاء إن شاء الله تعالى

بالبلاء فوجد الصبر ويونس بالموت فوجد النجاة ونبينا محمد ﷺ باليتم فوجد العزة قال تعالى (فكان قاب قوسين أو أدنى) ٩ ك النجم ٥٣ وسليمان ابتلاه الله بزوال الملك فوجد الانابة وسبب زوال ملكه أنه نظر اليه فابتلاه بالقاء الجسد على كرسيه وإلى ملئه وقوته فابتلاه بأصاف وإلى سياسته فابتلاه بالهدد فقال (أحطت بما لم تحط به) النمل ٢٧ ، وإلى جنوده فابتلاه بالنملة قالت له (تنظر إلى جنوك ولو عرضت عليك جنودى سنة لم يفرغوا فأياك والنظر إلى غيره سبحانه فتبتلى (لأن من عابته سبحانه أن أحب شيئا ابتلى بفراقه فإن رجع إلى الله رده له عليه كسليمان لما رجع إلى الله رد الله عليه ملكه وموسى لما رجع إلى الله رد الله عليه عصاه فقال له « خذها ولا تخف » ويعقوب قال « إنما اشكو بئى وجرئى إلى الله » جمع اليه شمله به ، وابراهيم لما رجع إلى الله في ذبح ولده فداه الله بذبح عظيم إنه ابتلاء وعطاء .

وانظر الى حمارك .. ولنجعلك آية للناس

ناقشنا في مقالنا السابق ما هادنا الله حول « موت » صاحب الحمار الذي مر على قرية خاوية على عروشها واستبعد ان يحيى الله هذه القرية بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه ، ووعينا بان نكمل الحديث بتوضيح ما يعرفه العلم عن ظواهر « الاسباب اى الموت ثم الاحياء » بالنسبة للحيوانات من غير الانسان وفيما يلي ما هادنا الله اليه لاكمال المناقشة السابقة :

الدكتور احمد صنيع الفضل

١ - نبدأ القول عن مخلوق غريب ، مخلوق يحيا ويموت ويصير ليحيا ، وهكذا نواليك انه مخلوق يعرفه العلماء باسم « الفيرس » والمعروف عن هذا المخلوق انه خلقه صلة بين الجماد والاحياء ، فهو حين يكون ميتا يكون في صورة جماد لا يأكل ولا ينام ولا يشرب ولا يتنفس ، شأنه في ذلك شأن الجمادات الاخرى ، ولكن اذا قدر لهذا المخلوق ان يغزو خلية لمخلوق حي ، فسرعان ما يحيا فيستعيد نشاطه وسيطرته على خلية عائلته الجديد . بحيث يهيمن على كل اجهزة هذه الخلية لمصلحته الجديد . ولذا فإنه يتكاثر بالآلاف والملايين محدثا بذلك امراضا خطيرة في فترات وجيزة وقد تنتشر هذه الامراض ويسرعة من عائل آخر بحيث يصيب المرض وباء لا يحد من انتشاره إلا الوقاية السريعة منه وإلا مات الكثير من ضحاياه .

ويصيب الفيرس النباتات فيحدث بها امراضا ، كما يصيب الحيوانات ومنها الانسان فيحدث بها امراضا أيضا . ومثال الاولى امراض « التبرقش » ومثال الثانية الانفلونزا وشلل الأطفال ومرض الكلب .

ويحيا الفيرس داخل خلايا ضحاياه حيث يتكاثر ويعدى ، وحين يتواجد خارج الخلايا فإنه يسبب اى « يموت » في صورة جماد حتى إذا وافته الفرصة ثانية فتواجد في خلايا حية بعث من جديد فزاول نشاطه ... وهكذا تكون حياته ادوارا متبادلة من موت وحياة . وتنقل العدوى بالفيرس بوسائل متعددة منها الهواء الملوث أو الأغذية والأشربة الملوثة به إذ يكفي أن « يعطس » المريض بالانفلونزا في جمع من خلطائه ليصيبهم جميعا بالمرض ولا ينجو منهم إلا

من عصمه الله بالمناعة . والفيرس تتباين أنواعه وبالتالى تتباين امراضه . وكثيرا ما نسمع عن كلمة « الميكروبات » وهى مخلوقات مجهرية - اى لا ترى إلا بالمجهر - لكنها تخالف الفيرس في انها تتكاثر خارج الخلية الحية . وداخلها بنشاطها الخاص ، اى انها مخلوقات حية تزاول نشاطها الحيوى في البيئات المناسبة . وتحدث انواع كثيرة من الميكروبات امراضا متنوعة ، فمرض « الكوليرا » الذى نسمع عنه يتأتى عن ميكروب بكتيرى تنتشر عدواه حين يصيب الانسان كانتشار النار في الهشيم ذلك لانه يتم دورة حياته في بضع دقائق إذ ينقسم الفرد الواحد إلى اثنين والاثنان إلى اربع والأربع إلى ثمان ... وهكذا . ومن ثم ، يكون الفرد الواحد الآلاف بل الملايين في فترة وجيزة ومن هنا كان انتشار عدواه السريعة إذا لم تؤخذ الاحتياطات الكافية في مقاومته والحد من انتشاره .

٢ - وكثيرا ما نسمع عن كلمة « الميكروبات » وهى مخلوقات مجهرية - اى لا ترى إلا بالمجهر - لكنها تخالف الفيرس في انها تتكاثر خارج الخلية الحية . وداخلها بنشاطها الخاص ، اى انها مخلوقات حية تزاول نشاطها الحيوى في البيئات المناسبة . وتحدث انواع كثيرة من الميكروبات امراضا متنوعة ، فمرض « الكوليرا » الذى نسمع عنه يتأتى عن ميكروب بكتيرى تنتشر عدواه حين يصيب الانسان كانتشار النار في الهشيم ذلك لانه يتم دورة حياته في بضع دقائق إذ ينقسم الفرد الواحد إلى اثنين والاثنان إلى اربع والأربع إلى ثمان ... وهكذا . ومن ثم ، يكون الفرد الواحد الآلاف بل الملايين في فترة وجيزة ومن هنا كان انتشار عدواه السريعة إذا لم تؤخذ الاحتياطات الكافية في مقاومته والحد من انتشاره .

٣ - وتوجد حيوانات تعرف علميا بوحيدات الخلية - كما توجد نباتات لها نفس الصيغة - ذلك لأن الفرد يتكون من خلية واحدة . وهذه المخلوقات تتكاثر بالانقسام الثنائى بمعنى أن الفرد الواحد ينقسم إلى اثنين والاثنان إلى اربع

والأربع إلى ثمان ... الخ وهكذا يصل تعداد الفرد - إذا اتاحت له الظروف - إلى الآلاف والملايين في زمن وجيز من جراء هذا الانقسام .

وإذا ضربنا بالأمية - حيوان وحيد الخلية - مثلا فإن هذا الحيوان حين يتواجد في بيئة مناسبة من ماء أو تربة رطبة فإنه ينقسم تباعا في مدى نحو ربع ساعة بين كل انقسامين . لكن إذا ساءت الظروف حوله - من جفاف أو ارتفاع لدرجة الحرارة أو البرودة أو وجود مادة كيميائية غير مناسبة وغير مميتة - فإنه يتكيس أي يتحول فيفرز حول نفسه غلافا واقيا من طبقتين يستطيع أن يكمن فيه مسبتا لفترة تطول أو تقصر متوقفة في ذلك على عودة الظروف المناسبة من جديد . والأمية الواحدة المتحوصلة تنقسم نواتها أثناء تحوصلها إلى نحو مائة قسم يكون كل منها حيوانا جديدا يمارس نشاطه من جديد عند عودة الظروف المناسبة له . وفترة الاسبات في هذا الحيوان قد تعدد إلى عشرات أو مئات الأضعاف بالنسبة لعمره الذي يقاس بالفترة بين انقسامين في الظروف المواتية لنشاطه الحيوي

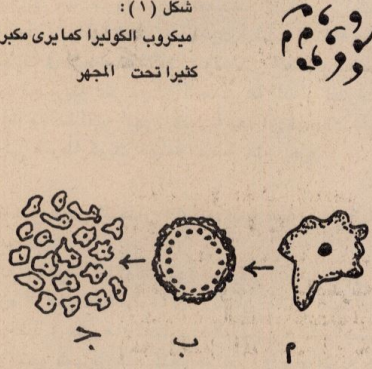
٤ - ومن بين الديدان المفلحة الصرة نضرب مثلا لدودة تعرف باسم « البلاتاريا » تعيش في مياه البرك ويبلغ طولها نحو سنتيمترين وهي تستطيع أن تعيش بلا طعام ولا شراب لمدة شهرين يضمّر أثناء هذه المدة جسمها كثيرا ، وإذا لم تسعف بالطعام بعد ذلك فإنها تموت موتا حقيقيا . أي لا حياة بعده على النحو الذي نعهده . لكن أحد العلماء أجرى تجربة مثيرة على عدد من هذه الديدان في معمله فقد أخذ عددا منها في سن معينة وقسم هذا العدد إلى مجموعتين عامل كل منهما على النحو التالي

(١) المجموعة الأولى : أمدها بمتطلباتها من الغذاء فأخذت تتكاثر ثم يموت البالغ منها بعد أجله المسمى ليترك وراءه ذريته التي تتكاثر من جديد فيموت ما يشيخ منها وتبقى الذرية لتعاود التكاثر من جديد ، وهكذا ظلت تتكاثر في التجربة حتى تسعة عشر جيلا (مدة التجربة)

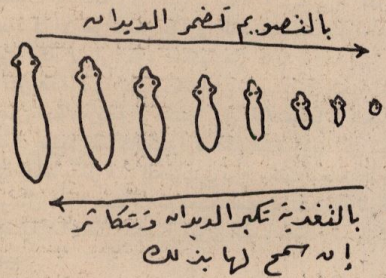
(ب) أما المجموعة الثانية : فقد حرّمها الباحث من الغذاء لبضع أسابيع فضمرت أجسامها وبلغت حجما صغيرا وصارت أشبه بالالوات ثم أسعفها ثانية بالغذاء فكبرت ثانية حتى وصلت إلى حجمها المعهود وقبل أن تتكاثر حرّمها من الغذاء لبضعة أسابيع فضمرت أجسامها من جديد وصارت أشبه بالالوات ثم أسعفها ثالث مرة بالغذاء حتى تمت وبلغت وعاد فحرّمها من الغذاء فضمرت ... وهكذا .

ولقد استمرت التجربة على المجموعتين وقتا طويلا ماتت فيه أجيال بعد أجيال من المجموعة الأولى التي سعتت بالغذاء على استمرار أما المجموعة الثانية التي صامت فترة ونعمت بالغذاء فترة : أخرى وهكذا فقد عاشت أفرادها دون تكاثر . وفسر العالم الذي أجرى التجربة هذه الظاهرة بأن ديدان المجموعة الثانية كان يعيدها الصيام إلى صباها

شكل (١) :
ميكروب الكوليرا كما يرى مكبرا
كثيرا تحت المجهر



شكل (٢)
الأمية النشيطة (١) إذا صانفتها ظروف سيئة تحوصلت (ب)
وصارت في حالة إسبات وحين تتحسن الظروف تنقسم النواة إلى
أعداد كثيرة في الحوصلة وتخرج منها أميبات كثيرة نشيطة (ج)



شكل (٣) :
بورة البلاتاريا وتأثرها بالتصويم
وبالتغذية



شكل (٤)
(١) يرقات الانكستوما في عمرها الثالث تثبت داخل جلد
الانسلخ (مكبرة جدا)
(ب) حوصلة لأحدى أنواع النيماتودا التي تصيب النباتات تسكن
بين حبيبات التربة (مكبرة)

بالضمور والاسباب وكان يرجعها الغذاء إلى شبابها وكهولتها حتى إذا استعدت لتكوين ذريتها ردها الصيام ثانية إلى صباها واسباتها ليعيدها الغذاء مرة أخرى إلى شبابها وكهولتها وهكذا استمرت فطالت أعمارها كثيرا عن مثيلاتها في المجموعة الأولى . وقد كان العالم يستطيع أن يمد تجربته على بیدان المجموعة الثانية لفترات لا يعلم إلا الله مداها لكنه أنهى التجربة بعد أن قطعت المجموعة الأولى شوطا كونه أثناءه تسعة عشر جيلا .

٥ - وبعض الديدان الأسطوانية يمارس أيضا ظاهرة الاسباب

(١) فيرقانة الانكستوما - وهي الطفيل الذي يسبب طوره البالغ الانكستوما في الانسان - التي تعيش في التربة تجد أنها في طورها المعدى - الطور الثالث - يمكنها أن تبقى نحو شهرين مستكنة (مسببة) في جلد انسلاخها حتى تسوق لها الصدفة إنسانا يمكنها أن تخترق جلده لتصل بعد ذلك إلى أمعائه .

(٢) وبودة القمح - النيماتورية التي تصيب نبات القمح دون غيره تستعد يرقانها أخيرا في حبة القمح - وتعرف حينئذ علميا بالثؤلولة - حيث تعد فيها بالمئات والالوف . وتسبب اليرقانات في الحية - الثؤلولة - حتى إذا بذرت من جديد في الأرض ضمن تقاوى القمح نشطت اليرقانات بعد طول رقاد لتعاود كرة حياتها من جديد .

لكن هذه اليرقانات يمكنها أن تسبب في الحبة المصابة سنين عدة شريطة ألا تصلها رطوبة تنشطها أو يلحق بها فساد عينا كليا كالحرارة الشديدة . ويمكن تجريبيا الاحتفاظ بمثل هذه الحبات في درج مكتب لبضع عشرات من السنين (٣٠ سنة) ثم تعريضها بعد ذلك للرطوبة واختبارها تحت المجهر فيرى أنها بعثت وتحركت من جديد .

(٣) وبين حبيبات التربة وحين تجف هذه فإن بعض أنواع النيماتور التي تسبب امراضا للنبات تتحوصل في صورة اكياس صغيرة ليسبب فيها الطفيل حتى تتحسن الظروف من حوله فتنشط من جديد .

٦ - وهناك مجموعة من الحيوانات تعرف بالعجلليات تعيش في الماء في البرك والمستنقعات وحين تجف هذه فإنها تجف هي أيضا بل تنكسر أجسامها وتصبح لصغرها ولخفتها قابلة لأن تنقل بواسطة الرياح أو عوامل أخرى كان تعلق بأرجل الطيور مثلا حيث تسبب طويلا أو قليلا حتى إذا نقلت إلى بيئة مناسبة اكتملت أجسامها وعادت نشاطها من جديد .

٧ - وحتى بیدان الأرض - ومنها طعم السمك - التي تعيش في ألقان في التربة يصنع بعضها في نهاية أنفاقها حجرة (جزءا متسعا) تسبب فيها شتويا إذا برد الجو أو تسبب فيها صيفا إذا ارتفعت درجات الحرارة عما ينبغي وحين يزول العامل المؤدى إلى إسباتها فإنها تعود إلى نشاطها من جديد .

٨ - أما مفصليات الأرجل والتي تزيد أنواعها على أنواع جميع الحيوانات الأخرى مجتمعة ، فإنه يمكن أن تضرب عشرات الأمثلة على الاسباب لكن ضيق المقام يقتضى أن تضرب مثلا بمجموعة من الحشرات تعرف علميا بالحشرات كاملة التبل وهي تلك التي تقتضى دورة حياتها تبدا من البيضة إلى اليرقانة إلى العذراء إلى الحشرة الكاملة . وما يهمنا هنا هو طور العذراء لأنه هو طور الاسباب في دورة الحياة واليك بعض الأمثلة للعلم دون الحصر

(١) كلنا أو معظمنا يعرف دورة حياة بودة الحزير - بودة القز - وبعضنا مارس تربيتها إملا للهوية أو للتجارة - إنتاج الحرير - ويرقانة هذه البودة (الحشرة) حين تبلغ فإنها تنسج لنفسها شرنقة - هي بمثابة قبر لها - تتحول داخلها إلى عذراء وهذه تسبب داخل شرنقتها إلى أجل مسمى حتى إذا حان موعد بعثها أى تحولها إلى فراشة نشيطة فإن هذه تثقب شرنقتها بهداية من ربيها لتخرج ثانية فتتأخر حياتها في وضع بيضها بعد تلقيح من ذكرها إلى أمد قصير ثم تموت موتا حقيقيا .

(٢) أما الذباب - وهو أنواع كثيرة - فإن اليرقانة بعد أن تبلغ تتخذ من جلد إنسلاخها خدرا (قبرا) لعذراتها حيث تسبب فيه إلى أجل مسمى حتى إذا حان وقت انقلابها إلى حشرة كاملة - ذبابة - فإنها تخترق جدار هذا الستار الذى ينشق عن حشرة لا تلبث أن تركب من الهواء طائفة . ونكتفى بضرب المثلى السابقين كأمثلة للنيماتورات الاجبارى في دورة حياة هذه المخلوقات من الحشرات التي تتعدد بيئاتها وسلوكها في الاسباب ومكان الذى قد يكون في حجرة من طين كالخال في عذراء بودة ورق القطن أو في صفوفه في قلب ساق شجرة بل أن بعض مفصليات الأرجل قد تجبرها الظروف المناخية من برد قارس أو حر لافح على أن تسبب في صورة معينة من دورة حياتها كالبيضة أو اليرقانة أو العذراء أو الطور البالغ حتى إذا اعتدلت الظروف المناخية من حولها بعثت الحياة فيها من جديد فمارست نشاطها المعتاد بالنسبة لها .

٩ - وكثير من الحيوانات التي تعيش في الماء ، حين تجف بيئتها فإنها لا تجد مناصا للاحتفاظ بحياتها من أن تسبب بعض الوقت :

(١) فكثير من القواقع تدفن نفسها في الطين حين تجابه الجفاف وتظل في حالة إسبات انتظارا لعودة الماء فتمارس نشاطها من جديد .

(٢) وهناك أنواع من الأسماك تعرف بالأسماك الرئوية إذا واجهت جفاف الماء الذى تعيش فيه غمست نفسها في الطين وعملت مئاناتها الهوائية كثرات وخللت إلى الاسباب الى حين يتجدد الماء فيبعث فيها النشاط وتنفس ثانية بالخياشيم .

(٣) وكثير من الضفادع والزواحف إذا جفت المياه التي تعيش فيها دفنت نفسها في الطين لتعيش في حالة إسبات

انتظارا لعودة الماء أو قد تلجأ إلى الاسباب حتى في وجود الماء إذا زادت برودة الشتاء ومنها ما يبدأ اسبابه خريفا ويظل كذلك حتى الربيع الثاني .

١٠ - أما الطيور فنظرا لقدرة أغلبها على الطيران فإنها تهجر من البيئات غير المناسبة إلى بيئات أخرى مناسبة حيث تمارس نشاطها .

لكن الثدييات - وهي أقرب تركيبا إلى الإنسان - فمنها ما يسبت شتويا خاصة في المناطق ذات الجو البارد كالمناطق القطبية بل وحتى في المناطق المعتدلة ومثال ذلك القنابد والخنافيس والدب القطبي وغيرها .

وما سريناه سابقا يكفي للتليل على أن الحيوانات المختلفة من غير الإنسان يمكنها إجباريا - تحت عوامل البيئة غير المناسبة - أو اختياري - كمرحلة من مراحل حياتها - أن تلجأ إلى ظاهرة الاسباب أو الموت الوقتي الذي تبعث بعده لتمارس الحياة .

ومن هنا يبرز الاعجاز في « موت » صاحب الحمار مائة عام وأهل الكهف مع كلهم ثلثمائة وتسع من السنين ثم عودتهم أحياء ليمارسوا نشاطهم بعد هذه الفترة الطويلة من السبات أو النوم المستغرق غير المعهود طبيعيا في الإنسان .

ومن هنا فإن الله سبحانه وقد قال لصاحب الحمار « ولنجعلك آية للناس » فقد تحقق ذلك لعلمهم بموته ثم بعد ذلك يبعثه بعد مائة عام مما يؤكد قدرة الله على بعث من يموت مصداقا لقوله تعالى :

● « واقسموا بالله جهد إيمانهم لا يبعث الله من يموت ، بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ٣٨ - النحل

● « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا ، قل : بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير » ٧ - التغابن

هذا وإن ماورد في سورة التوبة في قوله تعالى :

● « وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ... » ٣٠ - التوبة فقد يبدو أن عزير هذا هو شخص آخر صاحب الحمار ، ففي « المنتخب في تفسير القرآن الكريم » أن عزيرا هذا هو كاتب موسى عليه السلام وفي تفسير « المراغي » أنه هو « عزرا » وينتهي نسبه إلى العازار بن هارون عليه السلام وأنه كاهن يهودى وكاتب شهير سكن بابل حوالي سنة ٤٥٧ ق م . وأنه هو الذى أحيا الشريعة اليهودية ولهذا لقبوه « بابن الله » ..

والله تعالى أعلم .



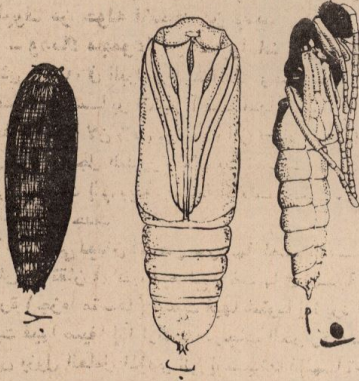
شكل (٥)

- (١) حبة قمح سليمة
- (ب) حبة قمح مصابة (تؤلولة)
- (ج) قطاع في حبة القمح المصابة
- (د) بعض من آلاف اليرقات مكبرة والتي توجد في حالة إسبات داخل التؤلولة

شكل (٦)

عذارى الحشرات

- (١) عنراء حرة أى لا تلتصق أطرافها بجسمها تماما
- (ب) عنراء مكبلة أى أن أطرافها مربوطة بجسمها (وقد توجد داخل شرنقة)
- (ج) عنراء مستورة أى توجد داخل جلد الانسلاخ اليرملى الشكل (عذارى النجاس)



فريق في الجنة .. وفريق في السعير

أورد الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم صوراً سوف تحدث في يوم القيامة وسردها في عبارات سهلة ، يسهل على أى مخلوق - مهما كانت ثقافته - أن يتأملها ويتدبرها ، ويعى ما فيها من توجيهات ربانية ، فيها السعادة والخير للبشرية . وصورة اليوم هي إحدى اللوحات التي أجمل القرآن الكريم رسمها ، فكانت غاية في الإبداع يعجز أعظم الفنانين عن محاكاتها ... ، أنها تصور لنا الإنسان الذي قضى حياته في فعل الطاعات ، وتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بكل عمل يرضيه .

فضيلة الشيخ محمد صالح المنجد

والعذاب ... ، وكان الله سبحانه وتعالى قد أثار له بصيرته وأوضح له الأسباب التي كانت سبباً في شقائه يوم القيامة ، فأخذ يلوم نفسه وينتدب حظه قائلاً « ما أغنى عني ماليه - هلك عني سلطانيه » ليتأكد لنا أن أعظم شرين على الإنسان هما المال والسلطان ، فإذا ابتلى الله عبداً من عباده بأحدهما أو كليهما ثم استطاع أن يحقق عدالة الله فيها فهو من الناجين يوم القيامة والأفعليه إصلاح ما فسد معتبراً بتلك الصورة الزهية ... ، ثم تصور لنا تلك اللوحة الالهية قرار العدالة في تلك القضية ... ، وهو قرار ليس فيه نقص ولا استئناف لأنه صادر من مالك الملك الذي لا تعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، فيقول آمراً ملائكته « خذوه قفلوه ثم الجحيم صلوه - ثم في سلسلة نرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه » والمتأمل في ذلك القرار الالهى يجد الترتيب الدقيق في تنفيذ العقوبة ، فالإغلال والقيود أولاً ثم الجحيم ثانياً ثم انتهى بدركات التعذيب ، كما قال المصطفى صلوات الله وسلامه عليه « الجنة درجات والنار دركات » وعلى نمط التقاضى في الأرض تذكر الحثيات التي توضع جوانب الاتهام فيقول رب العزة أو من ينبيه « انه كان لا يؤمن بالله العظيم - ولا يحض على طعام المسكين - فليس له اليوم ها هنا حميم - ولا طعام الا من غسلين - لا ياكله الا الخاطئون » ، فليعتبر اولو الالباب عنما يتأملون تلك اللوحة في سورة الحاقة ، وليتدبروا ما جاء فيها من أسباب تسوق الى الجحيم فيتجنّبوها ، وما ورد فيها من أعمال يرضى عنها رب العزة فليكثر منها حتى ينالوا رضا الله في ذلك اليوم الرهيب ... ، يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

فقال في الآخرة كتابه بيمينه - وهذا دليل على رضا الله عنه - فهو يمشى مسروراً يباهي بمكانته عند الله ويخبر كل من يقابله بأنه قد حصل على مبتغاه ، الذي هو أمل كل مخلوق في ذلك اليوم العظيم « فاما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرعوا كتابيه » . وكأن سائلاً يسأله : كيف استطعت الحصول على تلك الدرجة العظيمة في ذلك اليوم العصيب ؟ فيجيب عليه « اني ظننت اني ملائق حسابيه » أى تأكلت أثناء وجودي في الدنيا بأن هذا اليوم أت لا ريب فيه ، فأعدت العدة له وفعلت كل خير يرضى الله سبحانه وتعالى ، فكان جزاؤه ما أنا فيه الآن من سعادة أخروية ... ، ويبين القرآن الكريم ما سوف يكون عليه العبد الذي قال كتابه بيمينه حتى تكتمل صورة السعادة فيقول : « فهو في عيشة راضية - في جنة عالية - قطوفها دانية » ويأمرهم ربهم أن يتمتعوا بهذا النعيم جزاء وفاقا لما قدموه في الدنيا فيقول لهم « كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية » . ويستلرد القرآن الكريم في نفس اللوحة صورة للجانب الآخر منها للنفس الأمارة بالسوء ، التي لم تعمل حساب ذلك اليوم الرهيب ، فعاشت في الدنيا فساداً ، وارتكبت المعاصي ، وكفرت بيوم البعث ، فكانت على النقيض من الصورة الأولى ، يقول عنها القرآن الكريم « واما من أوتي كتابه بشماله فيقول : يا ليتني لم أوت كتابيه - ولم أنر ما حسابيه - يا ليتني كانت القاضية » .

وهذه الآيات توضح مدى العذاب الاليم الذي يواجه المعاصي ، حتى انه يتمنى عدم تسلم كتابه ، وعدم معرفة حسابيه ، بل يصل به اليأس الى تمنى أن لو كانت الموتة الأولى هي النهائية فلا يكون بعدها احياء للحساب

الإعجاز العلمي في القرآن

النجم الثاقب

الدكتور السيد اجميلى

« والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب » ١ -
٣ الطارق .

لقد أعجز القرآن العرب في جاهليتهم بلاغة وتبياناً وما هو
قائم بإعجازه مستمر بعطائه الذى لا ينضب وفي عصر التقدم
العلمي الهائل معجزا العلماء في حضاريتهم تجربة
وعلماء وتطبيقاً فان عجائبه لا تنفد وإعجازه لا يتوقف
وروعته لا تنوى .

ولو أنا تعمقنا في البحث العلمي القرآني لألفينا ما يعجز
أفهام العلماء بحق وما يذهل الفكر من تنبؤات منذ أربعة عشر
قرناً من الزمان تحقق بعضها بيد أن الكثير منها ما فتىء
مجهولاً .

وعندما يبلغ النجم من الكبر عتياً ويتضخم بدرجة
كبيرة للغاية يسبح في بحر متلاطم من السحب الكثيفة
من الغازات وهو منطلق العنان لا يلوى على شيء
وعندما يسرى هذا النجم العاتى عبر السحب يترك
خلفه نفقاً كبيراً وفراغاً هائلاً أضعاف حجمه ومن ثم
سمى (النجم الثاقب) .

ويتناسب قطر النفق المحفور في الفضاء على السرعة
النسبية بين النجم والغاز فكلما قلت السرعة النسبية اتسع
قطر النفق المحفور وكبر قطر النجم بالتالى وهو لا ينفك
يجذب إليه المزيد من الغازات .

يقول العالم الكبير (لقلتون) أن الشمس لا زالت
تجمع حول قرصها بعض الغازات ببليل أننا
لو صورناها قبيل الشروق أو قبيل الغروب نجد سطحها
جلياً واضحاً صافياً إلا أنه عند الكسوف الكلى للشمس
فإننا نسنفيع أن نرى لها سطحاً خارجياً خافت الضوء
يتلون من طبقتين الداخلية واسمها الكروموسفير

ولا ينحصر إعجاز القرآن في ناحية من النواحي أو زاوية
من الزوايا إنما في شتى المجالات ومختلف النشاطات في
الطب والهندسة والفلسفة والمنطق والفلك ، في العلوم
والجولوجيا مما يؤكد بما لا يقبل المجادلة أنه ليس من قول
بشر .

أقسم سبحانه وتعالى بالنجم الثاقب ... فما هو
النجم الثاقب ؟

إنتهى الفلكيون - من ضمن ما انتهوا إليه - إلى أن النجم
يتكون من سحب غازية تتكون بدورها من غاز الأيدروجين
بنسبة كبيرة لا تلبث أن تتجمع وتتألف وتتجانب تجانب
القلوب المخلصة ثم تنضغط وتدور على هيئة سحابة حول
محور ثابت بسرعة قد تصل إلى عشرة آلاف ميل في الساعة
الواحدة ، وبازدياد جاذبية المركز تزداد الكثافة شيئاً فشيئاً
وتتولد حرارة هائلة داخل النجم بارتفاع درجة جاذبية
أجزائه بالتدريج مع ازدياد سرعة دورانه ويعزى انطلاق
هذه الطاقة إلى تحول الأيدروجين إلى هيليوم .

درجة حرارته مرتفعة جدا تصل إلى آلاف من الدرجات
المنوية ناهيك عن الحمم البركانية الملهبة، من ذلك
ينجلي لنا أن هناك تاصلا بين الأرض والشمس أو بينها
وبين النجم العاتى فوق البراق المتهالك الدارس .
وقد إبان مصداقا لذلك - مرصد جبل دلسوان الشهير
بعضا من النجوم فوق البراقة والتي تبلغ في عتوها
حدود الخيال وتربو على مدى الظن .
كل هذه النجوم والكواكب السيارة تنور كل منها حول
نفسه وحول الآخرين في تناسق وانسجام ولا شك أن
ماراه علماء الفلك هو القليل الذى ظهر في مجالات
عدسات مناظيرهم المكبرة ولا مرأه أن هناك أبعد من هذه
الحدود وما هو أكبر وما هو اعظم وما هو أروع .
سبحانك ربى « لا علم لنا إلا ما علمتنا » ...

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه الواحد .
ولا جرم أن النجم الثاقب يؤكد للعلم الحديث
والتكنولوجيا المتطورة أن القرآن حافل بالعجزات مفعم
بالغرائب لا تنفض عجائبه ولا تشبع منه العلماء . فلنتدبر
آياته فإن فيها ما ينطق عن عظمة وروعة الخالق جل شأنه
وهذان ربنا إلى سواء السبيل . وإلى اللقاء في العدد القادم .

والخارجية إسمها الكورونا أو الاكليل الشمسى .
والاكليل الشمسى هذا سمكه يصل إلى عدة ملايين من
الأميال بمنأى عن الغلاف الغازى وما هو إلا غازات
اجتذبتها الشمس واختلستها من النجوم السيارة الأخرى
التي يعج بها الفضاء الكونى ... سبحان الله .
(أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا
رتقا ففتقناهما ، وجعلنا من الماء كل شيء حي) .
والنجم في عرف الجيولوجيين والفلكيين - نوعان :
النجم البراق ... والنجم فوق البراق .
والنجم على وجه العموم يتلألأ في الفراغ والفضاء الكونى
وهو ملتهب يشع ضوءا وحرارة ويفقد كثيرا من طاقته
إلا أن النجم فوق براق أكثر وضاءة وأكثر التهابا وأشد
انفجارا وأقوى تدميرا وأعنى دوراننا حتى أنه قيل أن أصل
الأرض إنما يرجع تكوينه إلى أن الشمس قد شددت إليها
نجما ضخما فوق براق منذ ملايين السنين الخالية فارتطم بها
ومن ثم تناثرت أشلاؤه هنا وهناك وكانت الأرض إحدى
القطع المتناثرة من جسد ذلك النجم الهالك فكان لقاؤه حتفه
مولدا لكثير من الكواكب الأخرى ، والتي أخذ بسطحها
الخارجى يبرد بواسطة الهواء الجوى .
ومما يؤكد ويؤيد صدق هذه النظرية أن باطن الأرض

الحب في الله تعالى

يروى عن رسول الله ﷺ أن رجلا زار أخاه
في الله ، فأرصد له الله ملكا فقال له : أين تريد ؟
قال أريد أن أزور أخى فلانا ، قال له : لحاجة
لك عنده ؟ قال لا ، قال لقراءة بينك وبينه ؟ قال
لا ، قال فبنعمة له عندك ؟ قال لا ، قال فيم ؟
قال : أحبه في الله قال : فإن الله أرسلنى إليك
يخبرك بأنه يحبك لحبك إياه ، وقد أوجب لك
الجنة .

حديث شريف



التشريع
الإسلامي

الحدود

وحكمة تشريعها وأثر تطبيقها

كان بحثنا الذي قمناه في المؤتمر الثامن لعلماء المسلمين الذي انعقد في الشهر الماضي بدعوة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر تحت عنوان «الحدود وحكمة تشريعها وأثر تطبيقها» .

وحتى تعم الفائدة - رأينا أن نقدم موجزا منه تباعا بمجلة منبر الاسلام اذ تجوب انحاء العالم لينتفع به الملايين من قرائها . واليك اول سلسلة منه :

فصلة الشيخ محمد خاطر

شبهات المعوقين .

وقد بينت المقدمة - أن الحد في اللغة - المنع . وقد سمي السجان حدادا لمنعه المسجونين من الخروج ، كما سمي البواب حدادا لمنعه الناس من الدخول . وحدود الدار نهايتها لمنعها من دخول الغير فيها .

والحد في الشريعة : عقوبة مقدرة وجبت حقا لله تعالى ولذا فإن القصاص لا يسمى حدا لأنه وإن كان عقوبة مقبرة لكنه يجب حقا للعبد ولذا يجري فيه العفو والصلح بخلاف الحد فإنه لا يجري فيه ذلك لأنه حق الله وكذلك لا يسمى التعزير حدا لأنه غير مقدر فقد يكون التعزير بالضرب أو الحبس أو بهما معا ، وقد يكون بغير ذلك .

تفصيل أوجه الخلاف

بين الحدود والقصاص والتعزيرات

لقد قلنا أن العقوبة في الحدود مقدرة محسوبة فليس للقاضي حرية في اختيار العقوبة التي يراها في جرائم الحدود أو تقدير كميتها ، بل قد حددت عقوبة هذه الجرائم مقدما وجعلتها الشريعة الغراء ذات حد واحد لا يزيد ولا ينقص ولا يختلف باختلاف الأشخاص أو ظروف الجاني أو ظروف الجريمة أو غير ذلك ، كما لا يمكن استبدال هذه العقوبة بغيرها أو يوقف تنفيذها .

وكذلك الأمر بالنسبة للعقوبة المحددة في القصاص ، فليس للقاضي أيضا حرية في اختيار العقوبة التي يراها أو تقدير كميتها ، بل قد حددت الشريعة مقدار العقوبة مقدما .

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وامام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه الى يوم الدين (وبعد) . فإن أحكام الشريعة الإسلامية وما بها من قواعد تنير الطريق وتهدي السبيل وتقضي على الشر وتوازنه ، كفيلة بإسعاد البشرية في الحال والمآل ، وقد تمكن المستعمر في حقب الضعف من تنحية الشريعة الغراء بقواعدها السمحة عن الحكم والقضاء في الاموال والافئس في معظم البلاد الإسلامية بما استورده من قوانين وضعية تمكن له من حكم البلاد ولا تقوى على دبر الشر والفساد - والآن وقد استقلت البلاد الإسلامية والحمد لله ، فليس لها في طريق الاستقرار والسعادة والحرية الا العودة لكتاب الله وسنة رسوله وتطبيق أحكام الشريعة الغراء وحصولها في جميع مجالات الحياة لتعود الأمة الإسلامية لسابق مجدها وعزتها كما كانت في صدر الاسلام وفي هذه العجالة سأعرض بإيجاز للحدود الشرعية وحكمة تشريعها وأثر تطبيقها ، وسيشتمل البحث على مقدمة وثلاثة فصول :

أما المقدمة : فهي في تعريف الحد والفرق بينه وبين التعزير والقصاص .

والفصل الأول : في بيان العقوبة في الشريعة وحكمة مشروعية الحدود وبيان الحقوق التي وجبت من أجلها الحدود والقصاص والتعزيرات .

والفصل الثاني : في بيان الحدود بإيجاز وما وضع من شروط وقيود لاثباتها .

والفصل الثالث : في بيان أثر تطبيق الحدود والرد على

حرمات الله تعالى وجعل الناس يعيشون مطمئنين في هذه الأرض .

هذا وتعتبر العقوبة حقاً لله في الشريعة كلما استوجبتها المصلحة العامة من دفع الفساد عن الناس وتحقيق الصيانة والسلامة لهم وكل جريمة يرجع فسادها الى العامة وتعود منفعة عقوبتها عليهم . تعتبر العقوبة المقررة عليها حقاً لله تعالى . ف جرائم الحدود من الجرائم الماسة بمصلحة الجماعة وان كانت في الغالب تقع على افراد معينين وتمس مصالحهم كالسرقة والقتل وليس في اعتبارها ماسة بالجماعة انكار لمساسها بالافراد وانما هو تغليب لمصلحة الجماعة على مصلحة الافراد ويظهر اثر ذلك التغليب في انه لو عفا الفرد في الحد بعد وصول الجريمة للحاكم لم يكن لعفوه اثر على الجريمة أو العقوبة وجرائم القصاص في النفس والاطراف تقع على الافراد وليس معنى ذلك انها لا تمس الجماعة وانما كان ذلك لتغليب حق الفرد على حق الجماعة فللفرد ان يتنازل عن القصاص والدية وهما العقوبتان المقرتان أصلاً للجريمة وقد اعطى له حق التنازل لأن الجريمة تمسها مباشرة فاذا تنازل عن العقوبة المقررة لا يترك الجاني وإنما يعاقب بعقوبة تعزيرية حفظاً لمصلحة الجماعة وواقع الامر ان كل جريمة تمس مصلحة الجماعة وتمس في النهاية مصلحة الافراد كما ان كل جريمة تمس مصلحة الافراد تمس في النهاية مصلحة الجماعة . فما من حق لأئمة الاوّل في حق ، ومن حق الله على كل مكلف ان يترك أذى الغير ممتلاً للأوامر والنواهي .

والى لقاء ان شاء الله في المقال التالي نبين فيه العقوبة في الشريعة والحقوق التي وجبت من أجلها الحدود والقصاص والتعزيرات (الفصل الاول من البحث) .

ويفترق الحد عن القصاص في ان عقوبة الحد وجبت حقاً لله تعالى فلا يمكن فيها العفو أو الصلح أما القصاص وقد وجبت العقوبة فيه حقاً للعبد ، فلصاحب الحق فيه ان يطالب الاستيفاء أو يترك القصاص بالعفو عن الجاني - فاذا عفا المجنى عليه او صاحب الحق كان القاضى ملزماً بعدم الحكم بالقصاص لكن له في هذه الحالة ان يحكم بالعقوبة التعزيرية التي يراها مناسبة .

والتعزير كما اوضحنا عقوبة غير مقدرّة ترك تقديرها للحاكم ومن ذلك يبين الفرق بين الحد - والقصاص - اما التعزير فهو يختلف في عقوبته واثباتها عن كل من الحد - والقصاص . فالعقوبة فيه غير مقدرّة ترك تقديرها للحاكم حسب ظروف الجريمة واثرها في المجتمع وظروف الجاني وما سبق له من جرائم وللحاكم ان يختار من بين العقوبات التعزيرية ما يراه مناسباً للجرم الذي ارتكب ومناسباً لردع الجاني الى غير ذلك من الفروق التي سنعرض لها بالتفصيل حين التكلم عن اثبات الحدود وشروطها . هذا والعقوبات التي اعتبرت حدوداً هي حد الزنا وحد القذف وحد الشرب وحد السرقة وحد قطع الطريق وحد الردة .

وسميت العقوبات في هذه الجرائم حدوداً لأنها مصدرة بمقدرة بتقدير الله تعالى فليس لأحد أن يزيد فيها الحد أو ينقص وقد تقررت هذه العقوبات لحماية الفضائل الإنسانية العليا التي قررها الاسلام فهي بمنزلة الحد الفاصل الذي يمنع الاضرار من اقتحام حصن الاخيار - من أجل ذلك سميت تلك العقوبات حدوداً ويسمى كل واحد منها حد الله تعالى .

وقد شرعت لحماية المجتمع - والغاية منها حماية

قرآن كريم :

« يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد »

[سورة آل عمران]

آية ٣٠

الزكاة



كان في العرب قبل الاسلام احرار وارقاء، وكان بينهم اغنياء وفقراء، وكان فيهم كرماء وبخلاء، شأن كل امة من امم العالم قديما وحديثا.

ولكن تميز المجتمع العربي بنشأة طائفة من الفقراء هم الصعاليك، وإذا كانت كلمة، الصعلكة تدل في أصل استعمالها على الفقر، فإنها دلت أيضا على الفقر المقترن بنزوع ثوري.

ومعنى هذا أن الصعاليك لم يكونوا فقراء فحسب، بل كانوا فقراء شجعانا أقوياء نوى حس مرهف وإدراك مؤلم لما بينهم وبين الأغنياء والبخلاء من فوارق، فإذا هم هذا الإدراك، وضاقوا بخلاء أيديهم من المال، وبعجزهم عن الحياة التي يشتهون.

فماذا يعملون؟
ثاروا على النظام المالي، فسلبوا بالقوة ما يعوزهم، واستراحوا إلى أنهم يثأرون من الأغنياء الأثرياء في مجتمع بدوي لا تجميه شرطة، ولا يخضع لقانون ملزم، ولا يلجأ إلى قضاء ومحاكم.

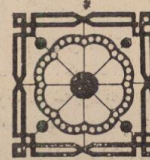
وكان من تعاليمهم أنهم لا يبالون بالحتوف، لأنهم يخاطرون بحياتهم لتحقيق غرض شريف في نظرهم هو كفكفة نموع البائسين والبائسات، ولأن الموت حتم لا مهرب منه.

ومن تعاليمهم أيضا أنهم يسلبون بالقوة ولا يطلبون، ويصبرون على الجوع مهما يبلغ بهم الجهد حتى يغنموا برماحهم وسيوفهم.

ولقد حققوا تضامنهم تحقيقا عمليا، إذ عطف بعضهم على بعض، وشارك بعضهم بعضا في الأسلاب، وتقاسموا ما غنموه، وأشركوا في القسيمة إخوانهم العاجزين عن المشاركة في الغزوة.

ولم يجدوا غضاضة في غاراتهم على أموال الأغنياء البخلاء، بل اعتقدوا أنهم على حق فيما يفعلون، لأنهم يكفلون لأنفسهم وللضعفاء من إخوانهم وأخواتهم أسباب الحياة.

فريضة وحق



الكتور احمد محمد الحورثي

ويتبين من دراسة شعرهم أنهم كانوا دعاة إلى المشاركة العملية القسرية الاجبارية .

ومن أشهر رجالهم عروة بن الورد وتابط شرا والشنفرى والسلوك بن السلوك وعمرو بن بركة ، ثم اشتهر منهم في الاسلام الاحيمر السعدي الذي جهر بان المال مال الله ، فهو حق مشاع يأخذ منه الصعاليك ما يشاءون ، وقال إنه يخجل من الله أن يجرح حبلًا ليس فيه بغير ، وأن يسأل البخيل بغيرا ، والابل كلها على كثرتها لله تعالى .

ثم صور كراهيته للناس بأنه يأنس إلى عواء الذئب ، ويفزع من صوت الانسان ، وأشهد الله على كراهيته للناس ، حتى لتتأذى عينه وقلبه برؤيتهم :

وإنى لأستحيى من الله أن أرى
أجر حبلًا ليس فيه بغير
وإن أسال الجبس اللثيم بغيره
وبعيران ربي في البلاد كنير
عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى
وصوت إنسان فكنت أظير
يرى الله أنى للأنيس لشاني
وتبغضهم مقلة لي وضمير

(٢)

فلما جاء الاسلام عالج مشكلة الفقر علاجاً كفيلاً بأن يعيش الفقير كاسياً شعبان مطمئناً على حياته وعلى حياة بنيهِ .

وكان أساس هذا العلاج أن الزكاة فريضة على الأغنياء في أموالهم ، وحق للفقراء في هذا المال .

قال تعالى : « وفي أموالهم حق للسائل والمحروم » سورة الذاريات - ١٩ -

وقال سبحانه : « وآتوا حقه يوم حصاده » سورة الأنعام ١٤١

وقال تعالى : « فات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل » سورة الروم - ٣٨ -

وقال تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر - إلى قوله تعالى - وأقام الصلاة وآتى الزكاة » سورة البقرة - ١٧٧ -

ولم يقتصر الاسلام على هذا ، بل جعل المال كله ملكاً لله تعالى ، وأمر بالبذل منه على الفقراء ، قال تعالى : « وآتوهم من مال الله الذي آتاكم » سورة النور - ٣٣ - وجعل مالكي المال خلفاء لله على هذا المال ، وأمرهم بالبذل منه على الفقراء ، والمحتاجين ، ووعدهم ثواباً عظيماً على هذا البذل ، وليس من حق الخالف أن يعصى أمر ربه الذي استخلفه ، قال تعالى : « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم ، وأنفقوا لهم أجر كبير » سورة الحديد - ٧ -

ثم إن الاسلام أوجب على الغنى أن يتنازل للفقير عن جزء مما يمتلكه ، قال أبو سعيد الخدري : كنا في سفر مع رسول الله ، فقال : من كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ، ومن كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ثم أخذ يعد من أصناف الأموال حتى ظننا أنه ليس لنا من مالنا إلا ما يكفينا .

ونذكر الموصلي في كتاب الاختيار أن من اشتد جوعه حتى عجز عن طلب القوت فرض على من علم به أن يطعمه ، أو يدل عليه من يطعمه ، فإذا امتنعوا عن ذلك حتى ماتوا اشتركوا في الآثم . قال عليه الصلاة والسلام : ما آمن من بات شعبان وجاره إلى جانبه طاو وقال أي رجل مات ضياعاً بين أغنياء فقد برئت منهم زمة الله ورسوله وكذا إذا رأى لقيطاً أشرف على الهلاك ، أو أعمى كاد يتردى في البئر ، وصار هذا كله كانجاء الغريق .

وقال ابن حزم : من عطش فخاف الموت فرض عليه أن يأخذ الماء حيث وجد ، وأن يقاتل عليه . ولا يحل المسلم اضطر أن يأكل ميتة أو لحم خنزير وهو يجد طعاماً فيه فضل عن صاحبه ، لأن إطعام الجائع فرض على صاحب الطعام ، فإذا كان ذلك كذلك فليس بمضطر إلى الميتة ولا إلى لحم الخنزير ، وله أن يقاتل عن ذلك ، فإن قتل كان على قاتله القود ، وإن قتل المانع فإلى لعنة الله ، لأنه منع حقاً .

وقد ورد جماعة من المسلمين على عمر بن الخطاب ، فأخبروه أنهم وردوا ماء ، وكانوا عطاشاً مشرفين على الهلاك هم وماشيتهم ، فامتنع أصحاب الماء أن يسقوهم ، فقال لهم عمر : هلا وضعتم فيهم السلاح .

ولم يقتصر الاسلام على تصوير المال بأنه مال الله ، ولم يكتف بأمره الأغنياء أن يبذلوا في سبيل الله من مال الله الذي آتاهم ، ولم يقف عند وصف المال الذي يأخذه الفقير من الغنى بأنه حق للفقير في مال الغنى ، بل حجب البذل إلى الأغنياء بأن وعد الذين ينفقون أموالهم على الفقراء والمساكين وفي سبيل الله ثواباً عظيماً وفي الآخرة ، ومضاعفة لأموالهم في الدنيا ، قال تعالى : « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة ، والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون » سورة البقرة - ٢٤٥ - وقال سبحانه : « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أُنبتت سبع سنابل ، في كل سنبلة مئة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم » سورة البقرة - ٢٦١ -

وتوعد الذين يحرصون على المال ولا ينفقون منه في سبيل الله بعذاب شديد ، وقد صور هذا العذاب تصويراً مفزعاً مخيفاً إذ جعل الذهب والفضة والأموال التي كنزها صاحبها وبخل بالإنفاق منها في سبيل الله تحمى في نار جهنم ، ثم تكوى بها جباه البخلاء وجنوبهم وظهورهم ، وتبادلهم هذا هو المال الذي بخلتم بإنفاقه في سبيل الله تعالى ، فنزقوا وبأل ما كنزتم ، قال تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم ، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم ، فنزقوا ما كنزتم تكنزون » [سورة التوبة ٣٤ - ٣٥]

وقال سبحانه وتعالى : « ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوفون ما بخلوا به يوم القيامة » سورة آل عمران ١٨٠ . ولقد نبه الاسلام ، إلى حقيقة تجلى صدقها في جميع عصور التاريخ وفي جميع الأمم ، وهي أن الخير العام للوطن وللناس جميعاً لا يتحقق في الثروات إلا إذا تداولتها الأيدي ، وأن الشرور والثورات والأحقاد والسلب والنهب

الوحدة دعوة الإسلام

وجعلنهم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، وقال - ﷺ - أيها الناس : أن أباكم واحد وأن ربكم واحد كلكم لأم ، وآمن من تراب .

وأن وحدة العرب اليوم - لتعد أملا ضخما طالما ارتقبه المسلمون والعرب واحتملوا في طلبه من المكاره والمصاعب ، وعنق المقاومة من قبل خصومهم ما تنهد لمثله قمم الجبال ولكن : كان لابد لسيل الكفاح المتواصل الهدار أن يمضي في هديره حتى يبلغ غايته القصوى وكان لابد للوحدة العربية - ذلك الوليد العاني الذي اقترن مخاضه بالعزم والتصميم وتجارب السنين أن ينبعث قويا غلابا يجتاز السدود ويحطم القيود ويسرع خصومه على جانبي الطريق حتى يحقق ذاته ويعن مشيئته .

وكانت الوحدة العربية حلما متألقا رائعا لانه كبيرة عريقة حملت كلمة الاسلام وغدت في ظل حضارته الخالدة الزاهرة تصنع للانسانية امجادها وتضفي على جوانب الدنيا خيرا وأمنا وسلاما .

وكان العرب الأولون أحمر أنفا وأخلصهم طبعاً وأوسعهم في أرضهم حرية كما كانوا أكثر بعدا من غيرهم من الأمم ذات السبق الحضاري والنظم المدنية عن التعرض لمساوئ هذه المدينيات الواهنة والفلسفات المتحولة وأسلم شخصية من انطباعات السلطة الفاشمة وقد جعلهم اتصالهم المباشر بالطبيعة حيث يعيشون فوق صحراء سافرة وتحت سماء صافية لامعة النجوم ، وفي أفاق مترامية صافية معبرة مختلف ألوانها وظلالها على تكوين من بساطة التناول وسلامة الفطرة وصفاء الأعماق يمكنهم من فهم رسالة السماء والاصفاء الى صوت الوحي فبعث الله فيهم محمد ﷺ - نبيا عربيا ومعه قرآن عربي فلم يكذب يقذف بنور هذا القرآن في قلب هؤلاء العرب كما يقذف الهشيم المشتعل في قلب الليل حتى انطلقوا يسبحون في

تشجيع في الأمم حينما تصير الثروات حكرة بأيدي الأغنياء . قال تعالى : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » سورة الحشر - ٧ .

وإذ كان النبي عليه الصلاة والسلام هو المبلغ عن ربه ، وهو المنفذ للتشريع الاسلامي ، ضرب أعلى الأمثلة في السخاء ، فكان يعطي العطاء الجزل ، ولا يستكثر ما يعطى . أتاه رجل فسأله فأعطاه غنما سدت ما بين جبلين ، فرجع الرجل إلى قومه وقال : اسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة .

ولما عاد من غزوة حنين جاء الأعراب يسألونه ، حتى لجأوه إلى شجرة ، فخطفت الأغصان رداءه ، فوقف وقال : أعطوني رداي ، لو كان لي عدد هذه العضاء (الأشجار) لقما لقسمتها بينهم ، ثم لاتجدوني بخيلا .

وبلغ به الخرم أنه كان يستحي أن يرد سائله خالي اليدين معتذرا بالفاقة ، جاءه رجل فسأله ، فقال له : ما عندي شيء ، ولكن ابتع علي ، فإذا جاعنا شيء قضيناه .

وجاءه صبي يقول له : إن أمي تستكسيك قميصا ، فقال رسول الله : من ساعة إلى ساعة يظهر ، فعد إلينا ، فذهب الصبي إلى أمه ، فقالت له : عد إليه ، فقل له إن أمي تستكسيك قميصك الذي عليك ، فدخل رسول الله داره ، ونزع قميصه ، وأعطاه الصبي .

وله في الحضر على الصدقة ، أحاديث كثيرة ، منها قوله : السخي قريب من الله ، قريب من الناس ، قريب من الجنة ، والبخل بعيد من الله ، بعيد من الناس ، قريب من النار .

وقوله : إذا طبختم اللحم فأكثروا المرق ، فإنه أوسع وأبلغ للجيران .

وقوله : ليس المؤمن بالذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه .

وقوله : شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الشبعان ، ويحبس عنها الجائع .

ولكن لا يصح أن يفهم أحد من هذا أن الاسلام يحجب إلى الفقراء أن يتوكلوا ويتكاسلوا ويعتمدوا على ما ينالون من عطايا الأغنياء ، فإن الاسلام يدعو إلى العمل ، ويحضر عليه ، ويؤثر الرزق المكسوب بالجد والجهد ، وينفر من البطالة والكسل والمسألة .

بل الذي ينبغي أن يفهم من هذا أن الاسلام فرض الزكاة على الأغنياء ، أمر بالصدقات ، وأباح للفقير أن ينال من هذه ومن تلك ، كما أباح الضرورات التي لا مندوحة عنها ، فالزكاة مفروضة والصدقات مستحبة ، ولكن لمن ؟ لطائفة معينة هم الذين عجزوا عن السعي والكسب وممارسة العمل المستطاع ، ولهذا أوجب الاسلام على الأغنياء أن ينفقوا على أقاربهم الفقراء والعاجزين عن الكسب ، فأوجب على بيت المال الإنفاق على العاجز والشيخ الهرم والمرأة إن لم يكن لهم أقارب تجب عليهم نفقتهم .

ولم يفرق الاسلام بين المسلمين والذميين في كثير من هذه الأحكام .

قال تعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى

فضيلة الدكتور محمد صالح المنجد

الوحدة شعار الاسلام ، واصل عقيدته ، والهدف الأكبر من تعاليمه الأساسية فالله المسلمين اله واحد ورسولهم رسول واحد ، وقبلتهم التي يتجهون اليها في صلواتهم قبلة واحدة ، مهما تعدت ديارهم ، واختلفت أقطارهم ، وفرائض الصلاة والزكاة والصوم والحج مظاهر بيّنة عن وحدة الصف ووحدة الشعور ووحدة الانتصار على النفس ، ووحدة السفر والغاية . والزي والهيئة والشعائر لتحقيق وحدة أعظم ، هي توحيد المسلمين في اتجاه واحد وعاطفة واحدة وتفاهم مشترك ومصالح أمينة واحدة مشتركة هكذا هو الاسلام بين وحدة شاملة لكل المؤمنين به وهو بهذا الموقف يبرهن على أنه دين أنساني حق يعبر عن الاشواق العليا التي تضطر بها قسرة الانسان فمن الوحدة انبثق الانسان : والى الوحدة دائماً تنزلق اشواق روحه .

لقد اقتضت ارادة الله أن يذل رقب الافراد يوماً من الأيام بعد أن كان ينادى ارسطو بأن الله خلق خلقاً ليكونوا عبيداً . ولم يكن الذي ازاله العبيد أنفسهم من أجله انما هم سادة هؤلاء العبيد والقادرون على ابقاء عبيداتهم ولكنه كما قلت لكم منطق التطور وناموس الوجود والله غالب على امره . وعلى هذا القياس يتضح لكم أن الاستعمار رغم بوله المتوارثة ذاهب هو الآخر ايضاً وأنه اليوم كما أرى يعاني الموت القريب حتماً .

لقد صمدت الوحدة العربية في مناضلة الاستعمار ناضلتها في مصر في ثورة ١٩ وناضلتها في فلسطين - وما يوم خليصة بسر - وناضلتها في سوريا فوق أرض - ميسلون الشهيدة وناضلتها في العراق فمغن الشعب العراقي ضم للعراق لحكومة الهند رغم ارادة المستعمرين ، وناضلتها فوق كل أرض ، عربية حتى انتهت نضالها بهزيمة السلطنة ووحدها الظافرة .

قال تعالى «ولينصرن الله من ينصره ان الله لقنوي عزيز» .

تعتبر الوحدة التي انتهت اليها جهود الاباطال والزعماء العرب ابان حرب رمضان المجيدة وتلك الايام الخالدة ، أكبر نصر للامم الاسلامية ، والعربية ، بل هي ولادة جديدة لهذه الامم على طريق التقدم والازدهار الى آخر المدى وان العالم ليرقينا اليوم ، اعداؤنا واصفاؤنا على السواء لينظرونا ماذا نحن قاعلون ، ماذا يفعل الذين أصيبوا في أنفسهم ، واموالهم وكراماتهم ومقنساتهم تحت وطأة الاستعمار الغاشم والمستعمرين القساة الغلاظ ، هل يحفظون الدرس : درس القرون والاحيال : وهل يرفعون الأمانة : أم ينسون ، ويضيعون ؟

الأرض هداة ومعلمين وفي إيمانهم - كفلق الصبح - أعظم رسالة عرفها الناس وهدى بها الناس .

لقد ولدت يوم ذاك الوحدة العربية الكبرى واستمرت في الزمن . ثم أتى على العرب في غضون التاريخ خطوط فرقت كلمتهم وذهبت ريحهم واستطاع أعداءهم وأعداء الكتاب الاقدس الذي يتنزل بلغتهم أن يتقسموها مزقا في افواههم كل أمة منها تحت ضرسى ماضع .

تدل عمليات التاريخ التي تمثل قاموس الكون على أن ارادة الوحدة بين قبيل من الناس تجمعهم رابطة اللغة والعقيدة والمشاعر والاماني ووحدة التراث ، ثم الحاجة الحتمية للحماية من عدو مشترك قدر لا بد أن يصل الى غايته ، وليس في مقدور أي عائق وأي قسرة وأي خداع ، وأي تكتمل أن يحول دون قيامه وتحققه .

فمنذ بدأت تتراءى الوحدة العربية في تشخيص ذاتها على طريق البعث الجديد ، وكل قوى الشر التي تتركز في كبد الاستعمار ومطامعه تقف لها بالمرصاد .

وهذا الاستعمار وأعنى به أي صورة التخلل الاجنبي يواجه الوحدة العربية في احتضاره .

وان الاستعمار في كل الدنيا يواجه اليوم نهايته ويصغي دوره ويرد ذلك عند من يرصد التاريخ ان الحياة - وهي في طريقها الى غاياتها التطورية الكبرى تلبس من الشارات والتيارات اثواباً ثم تخلعها وكم ظهر على : نبج الحياة الزاخر اثناء عبورها من نظم وأشكال وحركات وافكار وصور عفت واندرست واستبيلت بها الحياة اثواباً غيرها .

والاستعمار - برغم صلابه نشأته هو ثوب من أثواب الحياة التي لم تعد صالحة للعمل ولا للبقاء واقل السياسيين فطنة من يظن ان هذا الصادر العجوز قد بقي له من عمره شيئاً .

واذا نظرنا نظرة فاحصة متأملة نجد ان المسلمين اليوم شبه غارقون في بحر من ظلمات اعدائهم بحر مليئة بالفسائس وحقد الحاقدين وحسد الحاسدين على ما وضعه الله في ايديهم من كتاب اجل ودين اعز وما وهبهم من ثروات طبيعية ركزت في ارضهم . وما اشبه اليوم بالأمس فمن يقلب صفحات التاريخ يجد بين الطور انه كثيرا ما حاول الحاقدون والطامعون ان ينالوا العرب والمسلمين ولكن ما استطاعوا اليه - سبيلا ذلك ان المسلمين من خلال محنتهم وفي هول مصائبهم اظهروا من أصالة التماسك وعنفوان الاتحاد ما أبهر الأبصار وأذهل العقول واليوم هم مطالبون أكثر من أي وقت مضى بأن يعملوا بمبدأ القرآن في الوحدة وأن يشيدوا وثاق الاتحاد واضعين في عزمهم ومقرين في تصميمهم ان العمل بكتاب الله وسنة رسوله هما طريق النجاة من شرور الاعداء والافلات من تكبد الازوال والمصاعب قال النبي صلوات الله وسلامه عليه « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي » .

فهذا هو الضمان الاكيد : ولا ضمان سواء لصيانة وحدتنا ، وبقيائها ، وترسيخ جنورها في أعماق الحياة والتاريخ : وفي إمدادها بالقوة والخصوبة التي تهيئها لانتاج أنفع الثمرات وأعظم الخيرات « كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » .

الا انلكم على الطريق الا انلكم على الضمان : ضمان السفينة الضخمة العملاقة التي نزلت المحيط بالأمس : لتجوب مسالك الدنيا وتصنع أحداث التاريخ قال تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها » نزلت هذه الآية في قبيلتي الأوس ، والخزرج بالمدينة وكانوا دعامة الاسلام ، وفيها يمن الله على هاتين القبيلتين برجعهم الى الاخاء - والمودة بعد العداوة التي أوشكت ان تقع بهم في مثل حفرة النار تلاشيا فناء وكانما نزلت هذه الآية فينا معشر العرب اليوم أيضا : والضمان كما وصفت الآية الاعتصام بحبل الله وهو القرآن : التمسك المطلق بأحكامه ، وشرائعه ، وقضائيه ، في أنفسنا ، وفي حياتنا العامة ، والاستمداد من نوره وهديه في كل أعمالنا وكل علاقاتنا بالعالم من حولنا .

وفي مثل هذه الأيام العصيبة ومع تربص دوائر البغى والعدوان يمر العرب والمسلمون بأعظم اختبار وأدق ظروف فإنه يجدر بنا الاشارة الى عظيم الاخذ بمبدأ القرآن في الحفاظ على وحدتهم فان هذا هو أوثق رباط خاصة وان سيل الفتن الهدار لا ينقطع ولا يتوقف ومن وقت لآخر تحيط دوائر التربص اللثام عن وجهها المشوه بأثار دسائسها وقبح جرائمها فيعرف العالم ويعرف المسلمون شدة كيدهم وخبت تبيرهم « ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين »

كلمة :

■ الله نور ينكشف لقلب المؤمن المتجرد من قيود المادة ، المنصرف بكل جوارحه إلى الحق .
فلا يدرك الله إلا من يعيش في الله ..
ولا يرى نور السماء إلا من صفا قلبه من المطامع والأهواء .
الامام أبو حامد الغزالي

آيات الله تعالى في مخلوقاته

الأستاذ محمد عبد اللطيف بن الخطيب

« وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم »
يقول المولى جل وعلا « وما من دابة في الأرض » والدابة : كل مخلوق
ينب على وجه الأرض : من إنسان . أو حيوان . وأريد به هنا الحيوان .
« ولا طائر يطير في الهواء » بجناحيه الا أمم أمثالكم في التكامل والتكافل
والتدبير ومعرفة الله .

وقد يفوقونكم : بقّة ، ونظاما ، ومعرفة ، وعبرة « وإن من شيء
الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » .
وقول المولى سبحانه وتعالى « الا أمم أمثالكم » اى تحتاج الى تبدير
معاشها : كما تحتاجون وتبدير ارزاقها : كما تبديرون :
وتدل على ان لها خالقا يرعاها : كما يرعاكم : ويرزقها : كما يرزقكم :
ويوفقها الى ما يصلحها : كما يوفقكم :
وبذلك صارت أمما أمثالكم :

وفي الآية الكريمة : حث على وجوب السير مع هذه الامم بالحسنى ،
وعدم مجاوزة الحدود التي رسمها الله تعالى في معاملتها ، ووجوب
الرفق بها في سائر الحالات : ليست أمما أمثالنا :
وقد شغل اناس كثيرون من علماء الحيوان ، والنبات بدراسة هذه
الامم : من الحيوان والطير : فراوا عجايب يضيق بصنعة الانسان : فانك
لو اريت ان ترى آية في الاختراع ، وغاية في الابداع : لما وجدت أروع ،
ولا ابداع ، من لوح الشمع الذى يصنعه النحل بنفسه ، فإن الرسام
المبدع : لا يكاد يستطيع ان يرسم بأبواته وأقلامه : ما رسمه النحل
بتوفيق من ربه ! وناهيك باختباره للورود والازهار التى يرتشف منها
الذى يحوله - بقرة ربه والهامة - الى شراب مختلف الطعوم
والألوان !

خشية التلف ويعيدونها الى مخازنها التي اعدوها لها من قبل !

والذي يبدو : ان الله تعالى خلق هذه المخلوقات وابدع هذه الكائنات لخدمة بني الانسان ، ومنفعته الخاصة . ولا تقف هذه المنافع عند المنفعة المادية فحسب ، بل هناك منافع انبية وتعليمية : لاحد لها ، فالمؤمن الصابق الايمان يجب عليه ان يقلد هذه الامم - التي هي بونه في الخلقة وفوقه في الخلق - فلا يعيش لنفسه فقط ، ولا يقصر جهده على ما يعود عليه وحده بالمنفعة ، بل يجب ان يكون كالنحلة : دائب العمل لمصلحة الآخرين فقامن شك ان النحل ياكل من الثمار والازهار : ليحفظ نفسه وحياته ، ولكنه لا يكتفي بهذا القدر ، بل يسعى جاهد لتوفير القوت والشراب لغيره .

وكذلك النمل : فإن تبديره لمعيشته : يفوق تبدير كثير من المخلوقات لان مثابرتة وكده ، وتضحية بعضه في سبيل بعضه ، كل ذلك سخره الله تعالى ليستفيد منه بنو الانسان ما يجعلهم اهلا للخلافة في هذه الارض ، - ليعمروها بالخير والبر ، فتبارك الخالق الباري المصور ، الهادي للحيوان والمنعم على الانسان ، ليتبذر ذلك من كان له قلب او القى السمع وهو شهيد :

وكل هذه المخلوقات : تسير بوحى من الله . وتوفيق منه جل شانه - وحى الهام - يقول المولى جل شانه : وعز سلطانه «واوحى ربك الى النحل ان اتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ، ثم كلى من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا ، فتعالى الخالق ، الحكيم المبر ، وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ،،

هذا عدا النظام الدقيق : الذي تسير عليه مملكة النحل ، مما يعجز أساطين العقول البشرية عن الاتيان بمثله ! فسبحان من خلقه ، وسخره واوحى اليه بأمره : فاستمع الى وحي ربه ، شأن فضلاء بني الانسان :

ولو تأملت الى مملكة النمل ، وما هي عليه من نظام محكم دقيق : لصغرت أمامك نفسك ، وهانت عليك حكمتك وتبديرك ، فقد ثبت انه من خير الامم المنظمة : التي تدبر حياتها ومعيشتها ، وتحفظ في يومها لغدها ، وتثابر في عملها حتى تنال مرادها ! وترى النمل اذا نزلت به نازلة ، أو اجتاحت جائحة : لا تفتر عزيمته ، ولا تنهار قوته بل يعتبر النمل نفسه وحدة لا تتجزأ ، وأنه يجب التضحية بالقرود لمصلحة المجموع فكما يقيم الانسان عن نفسه - ما يصيبه في هذه الحياة - بيده اويأى عضو من أعضائه ، ويضحي بزهرة أبنائه في سبيل الدفاع عن أرضه ووطنه ، فكذلك النمل : يضحي ببعضه في سبيل حياة باقية : فتراه اذا دهمه مطر ، أو سيل قارون بمنازله ، وإطاح بمملكته ، فجعلها خرابا يبابا ، وصارت الفناء الشامل ، والهلاك المدمر : قيد خطوة منه ، حينئذ تراه يتجمع الوفا مؤلفة وملايين لإعداد لها فيتكرر على نفسه : فيحمل السيل هذه المجموعات الهائلة منه : حتى تستقر على اليابسة - بعد أن يبديد أكثرها اختناقا وغرقا : فيبدأ من نجا من أفراد هذه المملكة في العمل ، والانشاء والتعمير : كان لم تحمل بهم داهية تذهب بلب الحكماء وتعصف بعقول العقلاء : وتراهم يبداون بما فيه قوام حياتهم فيلتقطون الحبوب - التي اختزنوها ونالتها مياه الأمطار : فيجففونها في الشمس ،

كلمة :

■ نفوس الناس معادن .

ومن المعادن ما يزحف الصدا عليه ..

ومن المعادن ما ينحسر الصدا عنه . !

د . طه حسين



إن الله جل جلاله، له ميراث السموات والأرض، وما يتوارثه أهلها فيهما من المال وغيره، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه، وويل للبخلاء الذين يمنعون حقوق الفقراء، ويغلون أيديهم عن الأنفاق في سبيل الله، فمولاهم من ورائهم محيط، وهو عز وجل بما يعملونه خير، وسيجازيهم عليه يوم الحساب. ولقد روى البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته، مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع - يعني ثعبانا عظيما - له زبيبتان - أي نكتتان سوداوان فوق عينيه - يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني شذقيه - ثم يقول أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا قول الله تعالى:

(ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله، هو خيرا لهم، بل هو شر لهم، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة، والله ميراث السموات والأرض، والله بما تعملون خير).

فمن أعطاه الله تعالى مالا، ويبلغ نصابا، ولم يؤد زكاته، ويعرف حق الله تعالى فيه، فإنه يصير يوم القيامة ثعبانا كبيرا، فوق عينيه نكتتان سوداوان، يفرزع من يراه، ويتملكه الخوف، يأخذ بشذقيه ويجعل طوقا في عنقه، وينطقه الله تعالى بعظيم قدرته، فيقول له توبخا وتقرىعا، أنا مالك الذي منعت زكاته، أنا كنزك الذي لم تنفق منه في سبيل الله، ولتوضيح ذلك تلا أشرف الوري قول الله عز وجل بسورة آل عمران: (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم وأعطاهم (الله) تبارك وتعالى

فضيلة الشيخ
احمد علي منصور

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد
قال عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما: بت عند خالتي ميمونه أم المؤمنين وأنا غلام، لأنظر صلاة رسول الله ﷺ، فتحدث مع أهله مدة، ثم نام فلما كان الثلث الأخير من الليل استيقظ، وأخذ ينظر إلى السماء، ويقرأ قول الله تعالى (إن في خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار) إلى آخر سورة آل عمران، ثم قام إلى القربة وتوضأ، ثم شرع يصلي، فتوضأت وقمت عن يساره، فأخذني وجعلني عن يمينه، وصلى ركعتين ركعتين، ثم أوتر بواحدة، واضطجع حتى أقبل المؤذن ينادي لصلاة الفجر، فقام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم خرج فصلى الصبح.

ولقد سأل جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم، أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها وعن والديها: أخبرينا عن أعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ، فبكت وقالت كل أمره كان عجبا، لقد دخل على ليلة في فراشي، ثم قال ذرني أتعبد لربي عز وجل، ونهض إلى القربة وتوضأ منها أحسن وضوء، ثم قام يصلي فقرا وأطال، ثم ركب وأطال، ثم سجد وأطال وشرع يبكي حتى بل بدموعه الأرض، ثم اضطجع يذكر الله تعالى حتى أقبل بلال ينادي إلى الفجر فذهب إلى المسجد، وأدى الصلاة، ولما عاد قلت له سمعتك تبكي بدموع منهمرة، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال وكيف لا أفعل ذلك، وقد أنزل الله تعالى على في هذه الليلة قوله: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار) ثم قال ﷺ «ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها».

وأولوا الأبواب هم الذين يؤدون الصلاة من قيام عند القدرة أو من قعود واضطجاع واستلقاء عند الفجر، وتكون السننهم رطبة يذكر الله، ويتفكرون في مخلوقاته وأبداع صنعته، ودلالاتها على عظم شأن الصانع، وكبرياء سلطانه، وصح عن المصطفى ﷺ أنه قال: «بيننا رجل مستلق على فراشه، إذ رفع رأسه ونظر إلى النجوم وإلى السماء، فقال: أشهد أن لك ربا وخالقا، اللهم اغفر لي، فنظر الله إليه فغفر له» وقال عليه الصلاة والسلام «لا عبادة كالتفكير» وذلك لأن الفكرة تذهب الغفلة، وتحدث للقلب الخشنة، وما جلبت القلوب بمثل الأحزان، ولا استنارت بمثل الفكر.

ويقول أصحاب العقول السليمة: حال تفكيرهم في مظاهر الوجود: ربنا ما خلقت هذا باطلا بغير حكمة، بل خلقت لأسرار عظمى، وجعلت الدنيا دارا للعمل، وأقامت الأدلة الواضحة على معرفتك، فسبحانك ربنا وتنزيها لك يا مولانا عن الوصف بخلق الباطل، ونسألك أن تبعدنا عن عذاب النار، لأن الذي يدخلها يخزي ويهان، وليس له نصير ينصره، ولا شفيع يشفع له في رفع هذا العذاب عنه. ويقر هؤلاء الموفقون بأنهم سمعوا أشرف الوري أو القرآن العظيم ينادي للأيمان، بالله القوى القادر، فآمنوا وصدقوا، ويطلبون منه جل علاه غفران ذنوبهم، وتكفير

(من فضله) لأن المال مال الله، وصاحب المال من الناس مستخلف فيه، فإن جعل منه حقا معلوما للسائل والمحروم، وأنفق جانباً منه في سبيل الله، بورك له فيه وزاده العلى القدير من نعمه، وإن بخل به تلف وكان عليه وبالا وخسرا، وفي صدر الآية ما فيه من تهديد ووعد، من الله جل جلاله لهؤلاء البخلاء، فلا يحسبن المانعون زكاة أموالهم، بخلهم (هو خيرا لهم بل هو شر لهم) يؤدي بهم إلى أوخم العواقب وسوء المصير، ولات ساعة مندم (سيطوفون ما بخلوا به يوم القيامة) فيقلب هذا المال ثعبانا كبيرا، وحية عظيمة، ويجعل ذلك الثعبان أو تلك الحية طوقا في عنقه، يأكله وتنهشه (ولله ميراث السموات والأرض) يرثهما بعد فناء أهلها، لأنه وحده الحى الدائم الباقي الذى لا يزول ولا يتغير (والله بما تعملون خبير) فيجازيك عليه يوم الدين، ويحاسبكم به يوم يقوم الناس لرب العالمين.

وروى مسلم عن أبي ذر الغفارى رضي الله تعالى عنه، قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ ذات يوم وهو جالس في ظل الكعبة، وسمعتة يقول «هم الآخرون ورب الكعبة» وكررها مرارا، فقلت له فذاك أبى وأمى يا رسول الله، فمن هؤلاء؟ فقال صلوات الله وسلامه عليه «هم الآخرون أموالا الآمن قال هكذا، وهكذا، من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، وقليل ما هم» ثم أتبع ذلك قوله ﷺ: «والذى نفسى بيده ما من صاحب إبل أو بقرة أو غنم لا يؤدي زكاتها، إلا جاءت يوم القيامة، أعظم ما كانت واسمته، تنطحه بقرونها، وتطوؤه بأظلافها، كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها، حتى يقضى بين الناس».

وإن الله جل جلاله قد جعل في خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، آيات ودلالات واضحات على وحدانيته وقدرته وعظمته، وعلمه وحكمته، وتدبيره ومشيتته، لأولى الأبواب، وأصحاب العقول السليمة، الذين خلصت أفئدتهم عن الهوى خلوص اللب عن القشر، فتفكروا واعتبروا فيما خلقه وأنشأه بديع السموات والأرض، ذو الجلال والإكرام، لأرزاقهم وأقواتهم ومغاشيتهم ومنافعهم، من سموات مرفوعة بغير أعمدة مرئية، مژذاته بالكواكب والشمس والقمر، والبروج والأفلاك، يسكنها الملائكة الأطهار، وفيها ما فيها مما خلق القادر العظيم، من اللوح والقلم، والعرش والكرسى، وسندرة المنتهى، والآيات الكبرى والأسرار العظمى، التى يحيط علما بها من خلق كل شيء فقره تقديرا.

وما أنشأ من الأرض التى دحاها، وأخرج منها ماءها ومرعاها، ومن الجبال التى أرساها، ومن اختلاف الليل والنهار في الطول والقصر، والزيادة والنقصان، وتعاقبهما في نظام بديع، لنسعى بالنهار في طلب أرزاقنا، ونسكن بالليل لراحة أجسادنا، وفي كل هذا دلالات بينات على وحدانية مولانا وقدرته، لأهل النظر والاعتبار، والتأمل والتفكير:

سيئاتهم وموتهم على مثل درجة الأبرار المتسكين بالكتاب والسنة، حتى يجثروا معهم يوم الحساب .
كما يضرعون إلى الله جل جلاله ، أن يعطيهم ما وعدهم به الأنبياء والمرسلون ، والأخيرهم ويفضحهم يوم القيامة ، على رموس الأشهاد ، وهو تبارك اسمه لا يخلف وعده كرما وعدلا ، وقد يخلف وعيده إحسانا وفضيلا ، وقد استجاب لدعائهم ، وحقق آمالهم ورجاءهم ، ولم يضع عمل عامل منهم من ذكر أو أنثى ، وقد قضى بأن الذين يهاجرون عن أوطانهم ، فارين إلى الله تعالى بدينهم ، ويلاقون أصناف الأذى واللوان التعذيب في سبيله ويقاثلون المشركين ويستشهدون لأعلاء كلمة العلي العظيم ، يكفر الله عز علاه عنهم سيئاتهم ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار وإن ميا عند الله تعالى من الكثير الدائم ، خير للأبرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل .

ولقد شرح مولانا صدور كثير من أهل الكتاب اليهود والنصارى للإسلام ، فاعتنقوه عن عقيدة وإيمان ، ولم يتطرق إلى نفوسهم رب ولا شك ، فيما جاء به خير الخلائق أجمعين ، فآمنوا به وبالنبين من قبله ، ولم يشترطوا بآيات الله ثمنا قليلا ، فآجل الله ثوابهم ، ووفقهم في دنياهم ، وسدد خطاهم ، وأعد لهم في آخرتهم النعيم المقيم وقرر الله تعالى ذلك بسورة آل عمران ، في قوله سبحانه :

(وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله ، وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم ، خاشعين لله ، لا يشترطون بآيات الله ثمنا قليلا ، أولئك لهم أجرهم عند ربهم ، إن الله سريع الحساب) وتنص هذه الآية الكريمة ، على أن بعض اليهود والنصارى أهل التوراة والانجيل ، قد أقرروا بوحداية الله تعالى ، ودخلوا الإسلام الحنيف طائعين وصدقوا بالقرآن المبين ، والتوراة والانجيل خاشعين لله خاضعين ، متواضعين غير مستكبرين ، وابتعدوا عن تحريف الكلم في التوراة أو الانجيل عن مواضعه ، ولم يكتفوا ما ورد بهذين الكتابين ، من صفات المصطفى ﷺ ، لأجل عرض زائل ، كما فعل غيرهم ، هؤلاء سينالون جزاء أعمالهم من ربهم ، وهو تعالى سريع الحساب .

ولقد أمر جل جلاله المؤمنين ، بالصبر على العمل بأحكام الدين ، ومصابرة الأعداء في الجهاد ، ومغالبتهم في الصبر على شدائد الحروب ودعاهم إلى الإقامة في الثغور ، رابطين خيولهم بها ، مترصدين مستعدين للغزو والقتال ، والتزود في دنياهم بتقوى ربهم ليفوزوا ويفلحوا ، وفي ذلك يقول جل جلاله بختام سورة آل عمران :

(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ،

واتقوا الله لعلمكم تفلحون) لأن الصبر على الطاعة والتكاليف الشرعية ، وحرب الأعداء ، وأخذ الأهبة والاستعداد للقائهم ، ومراقبة العزيز الحكيم في السر والعلن طريق الفوز في الدنيا ، والسعادة في الأخرى يوم يقوم الناس لرب العالمين . وفي التعبير بلعل إبهام للعاقبة والمآل ، حتى لا يتكل الناس على الأمانى والآمال ، ويقصروا في تقديم صالح الأعمال ، ويفرطوا في خشية الله الكبير المتعال .
وفي الحديث الصحيح ، عن سهل بن سعد ، رضى الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما فيها » وحمل بعض المفسرين المراقبة في الآية الشريفة على انتظار الصلاة بعد الصلاة ، واستدلوا لذلك بما رواه مسلم في صحيحه ، عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال ، لأصحابه ذات يوم :

« ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات ؟ قالوا بلى يا رسول الله . فقال صلوات الله وسلامه عليه : إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط فذلكم الرباط » وقال أهل التأويل والاشارات في معنى هذه الآية العزيزة :

اصبروا على محبتي ، وصابروا في نعمتي ، ورابطوا أنفسكم في خدمتي ، لعلمكم تظفرون غدا بجنتي - وقال فريق منهم في تأويلها : اصبروا على بلائي ، وصابروا على نعمائي ، ورابطوا في مجاهدة أعدائي ، واتقوا محبة سوائي ، لعلمكم تفوزون في الآخرة ببلقائي - وقال جماعة من بينهم في الكشف عن مراميها : اصبروا على النعماء ، وصابروا على الباساء والضراء ، ورابطوا في مواجهة الأعداء ، واتقوا رب الأرض والسماء ، ولا تغفروا بدار الفناء ، لعلمكم تسعدون بالنعيم المقيم في دار الخلود والبقاء - وفسرها آخرون منهم بقولهم : اصبروا على الدنيا ومحنها رجاء السلامة ، وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة ، ورابطوا في مجاهدة النفس اللوامة ، واتقوا يوما يعقبكم الحسرة والندامة ، لعلمكم تفلحون غدا في دار الكرامة ...

«ربنا أمانا بما أنزلت ، واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين » وأفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين ، ولا تجعلنا فتنه للقوم الظالمين ، واغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا في أمرنا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين .



القضاء في الإسلام

مراتب الشهادة

الدكتور محمد عبد المنعم خنيس

المشتري اسقاطها من الشفيع وادعى الشفيع بعد سنة أنه كان غائباً ونحو ذلك . واجارة عقد أو أجلا وجرح خطأ لأنه يؤول لمال أو جرح مال عمدا كجايقه واداء نجوم كتابة ادعاه العبد على سيده فأنكر . وايصاء أو توكيل بتصرف فيه أى فى المال الا أن الوكالة والوصية بالتصرف بالمال لا يكون فيهما اليمين مع الشاهد . قال اللخمسى اختلف اذا شهد شاهد على وكالة عن غائب هل يحلف الوكيل مع الشاهد . والمشهور أنه لا يحلف وهذا أحسن إن كانت الوكالة لحق الغائب فقط فان كانت مما يتعلق بها حق للوكيل كأن يكون له على الغائب دين أو يكون ذلك المال بيده قراضاً أو تصدق به عليه حلف . واستحق أن أقر الموكل عليه بالمال الغائب . ومثله الوصى المذكور لأن اليمين لا يحلفها الا من له فيها نفع ولا يحلف الانسان لجرح نفع لغيره . قال المزرى - معروف المذهب أن الشاهد واليمين لا يقضى بهما فى الوكالة لكن القضاء بها ليس من ناحية قصور هذه الشهادة بل لأن اليمين مع الشاهد فيها متعذرة لأن اليمين لا يحلفها الا من له فيها نفع . والوكيل لا نفع له فيها .

ونكاح ادعته امرأة بعد موت لرجل أنه زوجها فيكفى فيه الشاهد والمرأتان أو أحدهما مع يمينهما من حيث المال فيقضى لها بالأرث والصداق لا من حيث ذاته فلا تحرم على أصوله وفروعه ولا عدة عليها فى ظاهر الحال أو اسبقيته أى الموت فيكفى الشاهد والمرأتان أو أحدهما مع اليمين أى اذا مات كل من الزوجين مثلاً وشهد شاهد بأن الزوج سبق موته الزوجة أو العكس فيكفى الشاهد واليمين فيرث المتأخر موتاً صاحبه . أو كموت لرجل ولا زوجة له ولا مدبر ونحوه كموصى بعقته أو أم ولد فانه يثبت بالشاهد والمرأتين أو أحدهما مع اليمين اذ ليس الا مجرد قسمة التركة . قال ابن القاسم اذا مات رجل ولم يكن له زوجة ولا أوصى بعقته عبد وليس له مدبر وليس الا قسمة التركة بشهادتين جائزة وقال غيره لا تجوز . وقصاص فى جرح يكفى فيه الشاهد والمرأتان أو أحدهما مع يمين المجروح ونقيض من الجراح .

المرتبة الرابعة - امرأتان

وتكون الشهادة بأمرأتين عليلين فيما لا يظهر للرجال كعيب فرج لامرأة حرة ادعاه الزوج وانكرت ورضيت أن ينظرها النساء أو أمه ادعاهما مشتريها وانكرها البائع . واستهلال المولود أو عدمه وكذا نكوره وانوثته ويترتب على ذلك الأرث وعدمه . وحيض الأيسة فى مواضعه . ومجرد استنزاع عند منازعة المتبايعين وولادة ادعتها المرأة ولم يحضر شخص المولود فتكفى امرأتان . وثبت النسب والأرث بشهادة امرأتين على الولادة والاستهلال فتكون الأيسة أم ولد حيث أقر سيدها بوطئها وانكر الولادة أى للولد فيثبت بشهادتهما نسبها اذا كان موجوداً معها وارثة ان استهل فيرث من مات قبل ذلك . يعنى اذا استهل ومات عن مال يثبت الارث عليه بشهادة

البقية ص ٧٤

مراتب الشهادة أربع : أربعة عدول - عدلان - عدل وامرأتان - امرأتان

المرتبة الاولى : أربعة عدول .

تكون الشهادة بأربعة عدول فى الزنا واللواط وأما الأقرار بهما فيكفى فيه العدلان . وتصح شهادتهم أن اتحد الزنا أو اللواط عندهم كيفية أى فى الصفة وأدوا الشهادة كذلك من اضطجاع أو قيام أو هو فوقها أو تحتها مكان كذا فى وقت كذا . ولابد من ذكر ذلك كله للحاكم على انفرادهم بعد تفرقهم قبل الاداء بأمكنة بأن يروا ذلك فى وقت واحد جميعاً . وأدوا ما يوردوها معا فى وقت واحد - لا متفرقين فى أوقات والألا لم تقبل . ووجه الشهادة فى الزنا أن يأتى الأربعة الشهاداء فى وقت واحد يشهدون على وطء واحد فى موضع واحد بصفة واحدة وبهذه تتم الشهادة . وينبغى اذا شهدت بيعة بالزنا أن يكشفهم عن شهادتهم وكيف راوه وكيف صنع فان رأى فى شهادتهم ما يبطل به الشهادة أبطلت .

المرتبة الثانية : عدلان

وتكون الشهادة بعيلين فى كل ما ليس بمال ولا أيل له كعق وطلاق ونسب وولاء ورجعة ادعتها هى أو ولها على زوجها المنكر لها ونكاح ورده واحصان وكتابة وتببير وتوكيل بغير مال أى شئ غير مال كتوكيل على نكاح أو طلاق وشرب خمر وقذف وقتل .

المرتبة الثالثة : عدل وامرأتان

وتكون الشهادة بعدل وامرأتين اذا كان المشهود به مالا أو أيلاً لمال كبيع وشراء وأجل ادعاه مشتريه وخالفه البائع أو اختلفا فى طولته وقبض الثمن أو قدره . وخيار ادعاه أحدهما وخالفه الآخر لأنه يؤول للمال . وشفعة ادعى

٧٠

سعادة العالم كله في آية من القرآن الكريم ”يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى“

الأستاذ عبد السلام الشاذلي القوصي

لقد تواترت الأخبار ودلت الآثار على أن الناس في القديم ما كان لهم عمل غير المشاحنات والتي من كثرتها أدت إلى البطاحن والاستعداد للحرب والنزال ، وما كانت تلك النيران تنطفئ لحظة بل كلما كانت تخدم من جهة تذكو من جهة أخرى ، وكانت رحي الحرب في دوران مستمر تطلحن فيه رقابا وتهرق دماء ، ولم يكن للأمن ذكر على سنتهم ولا حقيقة تخطر على بالهم ، فهذا يدافع عن مذهب « بالحرب » وذاك يدافع عن نسب « بالحرب » والآخر يدافع عن مركز قبيلته « بالحرب » ، ليس بين الناس في هذا الوجود تفاهم أو ارتباط بل دماء تسيل وأرواح تزهق ، حتى جاء الإسلام بعد آلاف من السنين فأوقف الحروب لأنه علم الناس كيف يتحدثون وفتح لهم أبواب السعادة التي كانت مغلقة في وجوههم وأرشدتهم إلى أن النجاح إنما يغدو بسرعة خلف محبة بعضهم البعض .

الأستاذ عبد السلام الشاذلي القوصي

والعرب بفضل الدين الإسلامي قد تركوا ما كانوا عليه من الكبرياء والعظمة فإن العربي كان يأنف من أن يطأه رأسه حتى ليصلح شراك نعله كما كان الفقير بينهم لا نصيب له من القول والعمل بجانب الغني ، وكان كل واحد منهم له وجهة فلا تكاد القبيلتان تتحدان بل الشخصان ، ولكن الإسلام جاء بضد تلك الشيم القبيحة التي لا تلائم العمران ، فجمع الغني والفقير في صف واحد « في الصلاة » وفي صعيد واحد « في الحج » وجعل للثاني نصيبا في مال الأول حتى يكون هناك ألفة ومحبة . وبعد أن كانت كل قبيلة يحكمها حاكم مستقل يخالف حكام القبائل الأخرى والكل على خلاف ، جعلهم يخضعون لكلمة واحدة هي (لا اله الا الله محمد رسول الله) ويعملون بيد واحدة (يد الله مع الجماعة) حتى صاروا أول الناس في الحضارة والمدنية . وقد كره الله للعرب فيما لا يوافق الهيئة الاجتماعية ، من القتل والزنا والظلم والاسراف وحقوق الوالدين وشرب الخمر ولعب القمار والتناوب بالالقاب والتفاخر بالانساب وغير ذلك من أمهات المفاسد والكبائر ففي القرآن الكريم (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق) (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا) (إنما الخمر والميسر

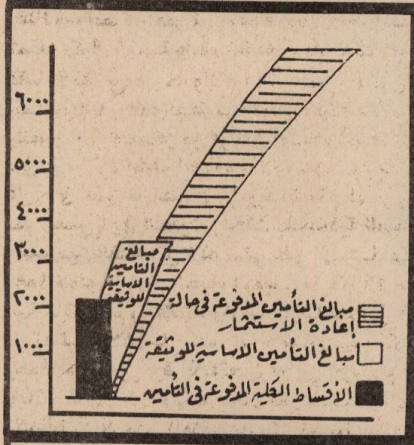
وبيتهم المغرضون الكارهون للإسلام بأنه جاء بالسيف ونجح بالحرب ، ولكن نسي هؤلاء أن الإسلام جاء ليقر وحدانية الله في الأرض ليعود الناس لعبادة ربهم ، ولينفخوا أمر الله في الآية التي وردت عن الله في كتاب الله (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) فاستعمل السيف بالحق اعلاء لكلمة الله ونظم الحروب في أدب وانسانية ونظام ، لأن الرسول ﷺ الذي جاء به كان في قمة الأدب والانسانية وكمال النظام . ولننظر الى بعض هذه الوصايا التي كان يوصي بها الخلفاء الراشدين من بعده ، قالوا للقواد في حرب الروم (إنك ستجد قوما حبسوا انفسهم الله فنذرهم وما حبسوا انفسهم له . « ويقصد بهم الرهبان في صوامعهم » ثم يقول له « ولا تغر ولا تمثل ولا تقتل هرما ولا امرأة ولا وليدا ولا تعقرن شاة ولا بعيرا الا ما اكلمتم ، ولا تحرقن نخلا ولا تخربن عامرا ولا تَغُل) وفي حديث الرسول ﷺ لآكرام قبط مصر والاحسان اليهم عندما كان في مرضه قال (استوصوا بالآدم الجعد خيرا) فسئل عليه السلام عن الآدم الجعد فقال ﷺ (هم قبط مصر ، فانهم احوال واصهار وهم اعوانكم على عدوكم واعوانكم على دينكم)

والانصب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه
 لعلمكم تفلحون (ولا تنابزوا باللقاب بئس الاسم
 الفسوق بعد الإيمان) ، وغير هذا من القوانين العظيمة ،
 كما كان الواد للبنات في العرب فاشيا وكانت البنت
 لاحظ لها في الحياة فانزل الله في ذلك (ولا تقتلوا أولادكم
 خشية اطلاق نحن نرزقهم وإياكم ، إن قتلهم كان خطئنا
 كبيرا) (وإذا الموعودة سئلت بأى ذنب قتلت) كل هذا
 مع الحث على ما يرقى بشان الإنسان ويجعله حيا
 بمعنى الكلمة ، كالاجتهاد في طلب العلم والاقتصاد
 والسعى وراء الرزق ونحوها من أمهات الفضائل قال
 تعالى (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا
 من فضل الله) فجعل الصلاة هي المفتاح لبابه جل جلاله
 ثم العمل . وما هي قوانين الاسلام السياسية يعمل بها
 أهل الحضارة وقد ابرك بواسطتها كل واحد ماله من
 الحقوق بعد ان كان مستبعدا لاحق له في أى طلب
 ولا اختيار له في أى عمل ، ولم يكن الاسلام دين قسوة
 وغلظة ، وإنما كان دين لين وعطف وشفقة ، ونبيه ﷺ ،
 اتصف بكامل الرحمة وتام الشفقة (ولو كنت فظا غليظ
 القلب لا نفضوا من حولك) (بالمؤمنين رءوف رحيم) .
 وهذا هو الدين الذى جعل من نفوس معتنقيه ، تميل اليه
 وتمسك به . ولم يكن من قوانين الاسلام تكليف الإنسان
 فوق طاقته (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) (وما جعل
 عليكم في الدين من حرج) (يريد الله بكم اليسر ولا يريد
 بكم العسر) وفي الحديث (بعثت بالحنيفية السمحاء) ،
 وهو دين التسامح لانه مبني على الاتحاد والالفة
 وهما المطلوبان لهذه الحياة الدنيا . أما الآية الكريمة التي
 فيها حياة الأمم وسلامتهم وقوتهم وارتباطهم فهي في قول
 الله تعالى « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى
 وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله
 اتقاكم » . الإنسان لم يخلق بأصل فطرته مستعدا للاغتيال ،
 ولا نوعا من الوحش المقتال ، بل خلق ضعيفا أنيسا ليعيش
 مع نوعه ويأنس مع بنى جنسه ، لا يترنن له كالسبع
 ولا مضال كالبلاب والصقر ، فتعديه على غيره بالقتل
 ومحاربة بعضه بعضا خروج على طبيعته وبعد عن أصل
 فطرته ، فإن حارب فقد توحش بعد أن كان أنسانا ، وتنافر
 بعد أن كان ألوا ، وجافيا بعد أن كان عطوفا وتبليت
 إنسانيته بالحيوانية ، وأدراكاته بالهمجية وكمالاته
 بالنقاى ، وفضائله بالردائل ، وبالجمل قد مسخ نفسه من
 عالم الإنسان إلى أقبح أنواع الحيوان ، وسعى في خراب
 العمران وتخريب البنيان وهدم دعائم الأديان .

ما فتحت ابواب المحاربات الهائلة بين الأمم الأبعد
 ما وقعت بينهم المناظرات الدينية وجرححت احساسات
 الطرفين ببذاءة السننتهم في الاختلافات العلمية فشرعت
 رؤساء الأمم أسنة أعلامهم في تسطير الردود والاعتراضات
 والتعريض بمن يحترمهم أصحاب المذاهب والديانات فكتبوا
 ما أمكنهم من الكذب والبهتان على مؤسسى الأمور ومشعى
 الأديان حتى جاشت الصدور وغلث النفوس فتبدلت حروب
 الأقالم بحروب السيوف وتسطير السطور بتأليف الصوف
 فأريق ما أريق من الدماء البريه وهدمت ما هدمت من
 البلاد العامره مما لا يمكن أن يطلع على بشاعة منظره
 وقطاعة مخبره الارحالة سواح من الأقطار ، جواب في
 الأمصار ، بجوب خلال البلدان والديار ، ويرى ببصره آثار
 ما يقرعون في الصنف والأسفار ، فيقف على تلك الطلول
 الموحشة ، والخرائب المستوحشة ، ويبكى على ما جرته
 عليها الالسنه الوقحة والأقلام الطائشة . والقرآن الكريم
 لم يترك أمرا الا عالجه ولا سبيلا الى العمران والتأخى
 الاطرقة ولا خيرا الايبنه ، ولا حياة فيها نفع
 الا أوضحها ودعى اليها ، ولا شر الا نهى عنه ، وفي ذلك
 يقول جل جلاله (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي
 أحسن) هذا هو أنب القلم لمصاحب القلم ، فليكتب في هذا
 الطريق من يكتب والا فليمسك ، ويقول أيضا جل جلاله
 (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في
 الأرض ولا فسادا) والعلو في الأرض هو الطغيان
 والجبوت والقسوة والبعد عن الدين وأحكامه وقوانينه ،
 والفساد ليس في معناه بأشد من الحروب فسادا فإنها قتل
 للأرواح وفيها هتك للأعراض وتشريد للأطفال وفوضى في
 البلاد وضياى للثروة وتبديد للرزق وتأخر في العقيدة وشماتة
 وتمزق وتفريق . وليس الاسلام وحده يدعو إلى السلام بل
 وفي الأنجيل أيضا وقد ورد فيه (طوبى للودعاء لانهم يرثون
 الأرض طوبى لصانعى السلام) هي نفس معنى الآية
 القرآنية وإن اختلفت في تركيب الكلمات . لقد سعت الدول
 ذات القوة والسلاح في بث الفتن بين الشعوب والقبائل
 والأديان ليعيش المستعمر في هذه الدول وحدهم في نعيم ،
 وبخيرات هذه الأمم ، فإذا ما انتهت هذه الأمم لهذا الغاصب
 المستبد الذى جاء اليه ناصحا ، فأنذا به سالباً وناهما ،
 سالباً لبلينه وناهما لثروته ، قاموا ليجمعوا أمرهم في اتحاد
 لطرده ، والاتحاد قوة ، فطردوه ، فعرفوا بعد ذلك ثمن
 ثرواتهم وخيراتهم . ولكن هذا المستعمر لم ينس ما كان فيه
 من عز فنصب الشباك يريد السيطرة على الأفكار والآراء
 وليقيم من نفسه وصيا لعل ذلك يجديه او يرده الى سالف
 الرفاهية والعز الذى كان يعيش فيه ، ومن الثروات
 المسلوبة من الأمم والشعوب ظلما وعدوانا ، فأقام لها
 مكانا سماه « عصابة الأمم » ليملى أرائته على أصحاب
 الحقوق وهم عنده ضعفاء . . . وفشلت عصابة الأمم
 وقامت الحرب المدمرة ، فاهلكت الحرث والنسل وعاد
 المستعمر الى هذه الدول ليستعمرها كما كان من قبل . . .
 ثم أقام لها شركا آخر سماه « الأمم المتحدة » . . . ولكن في

٣ = ١
وهذا صحيح
ولأول مرة في تاريخ التأمين

مبالغ التأمين الأساسية المستثمرة تنضاعف إلى أكثر من ثلاثة أضعافها



هذا هو أكبر استثمار تأميني
توفره تلك
الوثيقة

التماسية

لحافة الاستعلامات إملأ الكوبون المرفق
وارسله إلى:

شركة التأمين للهولندية المصرية

القاهرة ٣٤ و ٢٣ شارع قصر النيل تليفون ٩٧٩١٠٠
الاسكندرية ٣٣ شارع سعد زغلول ٨٠٢٣٢٨
القاهرة ص.ب. ٥٨٠ الاسكندرية: ص.ب. ٤٤٦



الاسم
العتوان
شخصية

من أجله قلوب المتقين .

سيدى القارىء : هل ترى أن الله ترك هذا العالم بدون دستور يحكمه أو قانون يريده أو طريق سهل مأمون يسير فيه . كلا . بل أوضح كل ما يجعل الانسان انسانا في هذا الوجود في تأخى وتحاب فقال . يا ايها الناس تذكرى لآدميته التى خلقها بيديه جل جلاله (انا خلقناكم من نكر وانثى) تعميما لنوعيته الذكر والانثى ، (وجعلناكم شعوبا وقبائل) توضيحا له بأن الذى وضعه في هذا الميزان الله جل جلاله (لتعارفوا) بعد أن ذكره بأصله ونشأته وأبان له الطريق ليتعلم ويعلم حده له مركز تواجدته في هذه الحياة الدنيا وبين هذه الأمم افرادا وجماعات وبين هذه الدول القريية والبعيدة ، اتحدت في الدين والطريق أم اختلفت في البيئه والغايات ، أبان لها الغاية من خلقكم جميعا « التعارف » ثم لم يكن التعارف وحده ملقى في الطريق تتضاربه الاهواء وتمزقه الغايات ولكن « التقوى » تسوره وتحيط به فتجركم الى معرفة الذى خلقكم فتعبوده وتطيعوه وتسيروا في الطريق الذى رسمه (في أربع مواد) أنه هو طريق النور الواضح المعالم في كتاب الله الذى قال فيه جل جلاله (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر واه عاقبة الامور) صدق الله العظيم .

هذه المره تنبهت الدول وعرفت أساليب المستعمرين فمنهم من يريد محو الأديان فلا رب ولا دين ، ومنهم من يريد افساد الأخلاق فلا حياة ولا عفة ، ومنهم من يريد استثمار خيرات الدول والشعوب ، ودرس الشرق كله هذه الأساليب عن تجربة ودرس العرب جميعا هذه الأخطار عن وعى وتنبيهوا من رقتهم فاتحدوا ... اتحدوا في الكلمة واتحدوا في الروح واتحدوا في الجسد واتحدوا في المال وعرفوا جميعا أن المستعمر يقصد اذلالهم والفتك بهم فقاموا قومة الرجل الواحد ليصدوا هذا الهجوم وهم على علم كامل بالتقسيم الجديد الذى يريده المستعمر لنفسه في هذه « الأمم المتحدة » والتى لم تخل من شيء أو حكم يجعل لهذا المستعمر قوة نفوذ مسلطة على أصحاب الحقوق فاستعملوا كلمة أسموها « حق الفيتو » .

سيدى القارىء : ان الانسان لا يتم ترقيه ولا بلوغه الشأو الذى ينتظر منه حتى نرى ونبصر بأعيننا تحقق ما أخبرتنا به الوعود الالهيه في الكتب السماويه من ذهب الحقد والضغائن من النفوس وتكميل هدايتهم وتجديد نشأتهم بالأخلاق الفاضله والصفات الكامله ، وعموم الراحة والأمن بينهم حتى يكونوا أخوانا على سرر متقابلين في جنة الطالبين بمجىء اليوم الرهيب المهيب ، الذى تهتز

» بقية مقال القضاء في الإسلام

خطها بشهانتها بشيء كالرجل لا بد من موتها أو بعد غيبتها . وليست الشهادة على خطها كالنقل عنها تجوز ولو لم تغب لأن الشهادة على الخط ضعيفة لا يصار اليها مع امكان غيرها . وأشار الى شرط صحة الشهادة على الخط الأول منها عام والثاني والثالث خاصان بالقسم الثاني بنوعيه بقوله ان عرفت البيئته معرفة تامة كالمعين أى كمعرفة الشيء المعين من حيوان وغيره فلا بد من القطع بأنه خط فلان . وأشار الى الشرطين المختصين بخط الشاهد بنوعيه بقوله . وعرفت ان الشاهد الذى كتب خطه ومات وغاب كان يعرف مشهده أى من اشهده بنسبه أو عينه والا لم تجز الشهادة على خطه وعرفت أنه تحملها عدلان ان كتب خطه بالشهادة وهو عدل ولا يشترط ان ينكر ذلك في شهادته بل شرط جواز الاقدام على الشهادة ان يعلم أنه وضع خطه وهو عدل واستمر عدلا حتى مات أو غاب .

المراتين فيرثه الحي بعده . أى يكفى امرأتان بلايمين من المدعى فيما لا يظهر للرجال .

وجازت الشهادة أى اداؤها على خط المقربان هذا خط فلان . وفي خطه اقر فلان بأن في نمته كذا فلان . وسواء كانت الوثيقة كلها بخطه أو الذى بخطه ما يفيد الاقرار فقط أو أنه كتب بعد تمامه المنسوب الى فيه صحيح ولا بد في الشهادة على الخط من عدلين وان كان الحق مما يثبت بالشاهد واليمين لان الشهادة بالخط كالنقل . ولا ينقل عن الواحد الا الاثنان ولو في المال على الاحج وقال بعضهم بل الراجح والمعتمد ثبوتها بالشاهد واليمين . وقال بعضهم اذا كان الشاهد واحد حلف معه المدعى وثبت الحق وهذا هو المعتمد ولا بد ايضا من حضور الخط عند الشهادة عليه فلا تصح في غيبته وهذا هو الذى به العمل . وجازت على خط شاهد مات أو على خط غائب تعد وجهل المكان كبعده . والمرأة الشهود على



واتموا الحج والعمرة لله



ممن اختلفت سنتهم والوانهم من عباد الله الصالحين الذين جاءوا ملبين لدعوة الله ولنداء ابراهيم عليه السلام حيث امره بهذا رب العالمين .

[وجوب الحج على المستطيع]

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال [خطبنا رسول الله ﷺ فقال :

[يا أيها الناس إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله ﷺ لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم : ثم قال : نروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه] .

وقد ورد أن الله لم يبعث نبيا بعد ابراهيم إلا حج ، وقد أكد الله فرضيته في قوله عز وجل .

[وله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين]

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

[من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه] يعني من حج فلم ينطق بسوء القول أو قبيح الكلام ولم يرتكب كبيرة ولم يصر على صغيرة رجع من حجه خاليا من ذنبه ، والله غفور رحيم ، وهو غافر الذنب وقابل التوب ، وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سئل النبي ﷺ أى العمل أفضل .؟؟

قال إيمان بالله . قيل ثم ماذا ؟ قال الجهاد في سبيل الله . قيل ثم ماذا ؟ قال حج مبرور] .

وعن عائشة رضى الله عنها عن النبي ﷺ قال ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة وأنه ليدنو ثم يباهي الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء :

والمعنى ما أراد هؤلاء إلا وجهى ذلك لأن إرادة الرياء في يوم عرفة بعيدة لذا فيوم عرفة أكثر الأيام عتقا من النار ، وما ذلك إلا لعظم شأن يوم عرفة .

ولا تزال قلوب الملايين تهوى إلى هذا البيت العتيق تأتي خاشعة خاضعة لغافر الذنب وقابل التوب ، وهى تهتف خافقة قائلة وهى ضارعة :

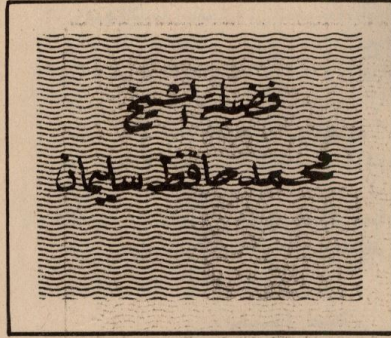
« جئناك يا رب نسعى إليك ، ووقفنا ضارعين بين يديك ، . . . وهتفنا قائلين ليك اللهم ليك . . . »

إن قاصد الحج قاصد مالك الملك الذى يهدى إليه من ينيب وهو قريب يجب دعوة الداعى إذا دعاه [وإذا سالك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون] . [سورة البقرة]

وفي الحج ذكريات باعثة ، وهناك تتواكب ذكريات الماضى والحاضر ، ذكريات ابراهيم وهو يرفع القواعد من البيت واستماعيل : . . . ذكريات الرسول وهو يحارب الشرك والاصنام : . . . ثم وهو يطوف بالبيت ويخطب ويعتف ، ثم وهو يحشد الحشود ويجند الجنود لفتح مكة البلد الامين ، [وإذا رفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن نریتنا امة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم] [سورة البقرة] .

ولقد أمر الله نبيه وخليه ابراهيم «باني البيت» بأن يؤذن في الناس بالحج . بعد الفراغ من بنائه وأن يدعوهم للحج إلى بيت الله الحرام . ووعد ربه بأن يلبى الناس دعوته على مر الزمن والسنين ، وسيقاطرون من كل فج عميق إليه رجالا على أقدامهم مشيا وركبانا «على كل ضامر» والضامر «الأبل يضرها الجهد والجوع والسفر» .

ولقد أقيم هذا البيت الحرام ليكون مثابة للناس وأمنا . ومركزا للمتطهرين من الشرك والوثنية . . . وقد بنى بتوجيه من الله عز وجل ، والغرض من إقامته . . . هو عبادة الله وحده لا شريك له ، وتخصيصه للقائمين والطائفين والركع السجود : وهو ملتقى الوافدين إليه من المشارق والمغارب



[الحج فريضة دينية ورحلة قديسية] ذلك لأن قاصد بيت الله الحرام قاصد لله عز وجل ، ولأن البيت بيته وقد أضافه لنفسه يوم قال لخليله إبراهيم عليه السلام [وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود] كما جاء في سورة الحج : [وإذ بوأنا لأبراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير . : ثم ليقتضوا ثقتهم وليوقوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق .] [سورة الحج]

[النفقة الحلال]

ومن آداب الحج أن تكون النفقة من حلال طيب لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ولا بد أن يكون القلب مخلصا في قصد العبادة [قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين] : [وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين] وفي الحديث [من عمل عملا ليس عليه امرى فهو رد ، فقد ورد : إذا كان آخر الزمان خرج الناس للحج : أربعة أصناف : سلاطينهم للنزعة وأغنيائهم للتجارة ، وفقراؤهم للمسالة ، وقراؤهم للسمعة ، والأعمال بالنيات .

« الإحرام »

يجب الإحرام من الميقات وهو « الجحفة » للمصريين والشاميين وقرب رابغ [الآن] والإحرام يتهيأ به الحاج بخلق الشعر وقص الأظافر ثم بالاغتسال كغسل الجمعة للنفقة لا للفريضة أو يتهيأ للوضوء إن لم يتيسر الاغتسال له مع التطيب ثم يلبس ملابس الإحرام .

وملابس الإحرام هي :

إزار يغطي النصف الأسفل من الجسم والأزار ثوب غير مخيط يستر ما بين السرة إلى ما دون الركبة من القماش الجديد الأبيض ، ورداء يغطي نصف الجسم الأعلى ، ولكن لا يغطي الرأس والوجه ولا يلبس قميصا ولا جلبابا ولا جوربا ولا فائنة في الإحرام .. إلا المضطر فليلبس ما يشاء وعليه فدية .

[فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ، ويلبس حذاء غير مخيط [شبهب] يظهر منه الكعب بحيث يكون مكشوفاً ، ومنى لبس الحاج ملابس الإحرام على هذا النحو عليه أن يصلي ركعتين «سنة» وينوي بقلبه الحج أو العمرة أو الحج والعمرة معا ، ، وبالإحرام . يحرم لبس القميص والسراويل والخف والعمائم ولا حرج إذا غطى جسمه

ما عدا رأسه بالبطانية أو اللحاف أو الامتثال بالشمسية . . .

أما المرأة فإحرامها أن تلبس الملابس العادية إلا ثوبا مسه زعفران أو ورس ، ولكنها لا تلبس القفازين وتكشف المرأة وجهها إلا عند خوف الفتنة ولا فدية عليها .

وذلك لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ ينهى النساء في إحرامهن عن القفازين والنقاب ومأمسه الزعفران والورس من الثياب ، وتلبس المرأة ما أحببت من ألوان الثياب معصفرا أو خزا أو جلبابا أو سراويل أو قميصا . [رواه أبو داود والبيهقي] .

ويحرم على المحرم صيد البر [يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هيبا بالغ الكعبة] . وفي الحديث . [صيد البر حلال لكم ما لم تصيدوه أو يصاد لكم] . [رواه أبو داود من حديث جابر ابن عبد الله] .

ومحرمات الإحرام - كما قال النووي في الإيضاح تسعة : اللبس والطيب وإزالة الشعر والظفر ودهن الرأس والحية وعقد النكاح والجماع ، وسائر الاستمتاع بمقدمات الجماع ..

[التلبية]

التلبية تبدأ بعد الإحرام وبعد قوله : اللهم إني نويت «الحج» أو «العمرة» أو الحج والعمرة فيسره أو فيسرهما أو فيسرهما لي وتقبل مني وأعني على أداء الفريضة ..

والتلبية أن يقول [لبيك اللهم لبيك : لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك] وتلك هي تلبية ابن عمر التي رواها رسول الله ﷺ : ثم يكرر المحرم هذه التلبية في الحل والترحال وفي القيام والقعود وفي الحركة والسكون وقبل الصلاة وبعدها ، وعند الصعود والنزول وعند النوم واليقظة وهكذا ..

بكتابك وفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد ﷺ . أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله) .

أو يقول سرا أو علانية :
(اللهم إني أسألك أن تقبل توبتي وأن تتجاوز عن خطيئتي وتضع عني وزري الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمانا .
وجعله هدى ومباركا للعاملين . : اللهم إني عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك ، جئت أطلب رحمتك ومغفرتك) .

« وفي » ابتداء الطواف

تستقبل الكعبة تجاه الحجر الأسود . بحيث يكون إلى يمينك الذي نويت الطواف ثم أبدا بالوقوف بجانبه إلى جهة الركن اليماني واستلمه بيمينك وقبله تقبيلًا خفيفًا إن استطعت ، وإلا فأشر إليه على قدر المستطاع ، ثم اجعل وجهك وصدرك نحوه وارفع يديك لاستقباله كما ترفعهما في افتتاح الصلاة ناويا الطواف ثم استدر عن يمينك واجعل الكعبة على يسارك وهي الجهة المستكن فيها قلبك ، مبنيًا كل شوط من قبالة الحجر الأسود وهكذا في كل شوط من الأشواط السبعة فإذا اعتراك شك في عددها فاعتمد على الأقل ، أو على غلبة الظن مع اعتبار الأقل عددا وكن مسرعا في الأشواط الثلاثة ، الأولى وامش مشية معتادة في بقية الأشواط الأربعة الباقية واختم الطواف عند الحجر الأسود كما بدأت : عليك أن تشغل طوافك بذكر الله .

بعد الطواف

فإذا فرغت من أشواط الطواف السبعة فتوجه إلى مقام إبراهيم وصل ركعتين سنة الطواف تقرأ في الأولى سورة : (يأيتها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون : وفي الركعة الثانية سورة (قل هو الله أحد) .
ثم عد لتدعو عند الملتزم (وهو جدار الكعبة) بين الحجر الأسود وبابها قائلا :
اللهم رب هذا البيت العتيق اعنق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا وإخواننا وأولادنا من النار) .

إلى زمزم

ثم اذهب إلى بئر زمزم فاشرب منها هنيئا مريئا ما استطعت ، فمساء زمزم لما شرب له : وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم طعام طعم وشفاء سقم) . رواه البزار والطبراني ، وقال رسول الله ﷺ (ماء زمزم لما شرب له إن شربته تستشفى شفاك الله ، وإن شربته لشبعبك أشبعك الله ، وإن شربته لقطع ظمئك قطعته الله ، وزاد بعض الرواة : وإن شربته مستعيذا أعانك الله ، وكان ابن عباس إذا شرب ماء زمزم قال اللهم إني أسألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء .

وهذه التلبية استجابة لمن سمع نداء إبراهيم حين قال له ربه [وأن في الناس بالحج] فمن سمع أجاب بالأحرام بنية الحج ولبى بقلبه وعقله ولسانه ووجدانه ، وفي قوله في التلبية « لا شريك لك » تثبيتا للتوحيد الراسخ في قلوب المتقين المشغولين بالتلبية التي تطرد الشيطان وترضى الرحمن ، وفي طريقك مكة لا تقلع شجرا ولا تصد صيدا ولا تجادل أحدا ولو كنت محقا ، ولكن ارفع صوتك بالتلبية لئلا يتسرب اللغوم القول إلى مجال العبادة المخلصة ولكن المرأة لا ترفع صوتها بالتلبية ، وأما المسافر بالطائرة فيحرم من بيته أو من المطار . :

« دخول مكة »

إذا وصل الحاج إلى مكة فليغلب الرجاء على الخوف ، لأنه ضيف الكريم الرحمن الرحيم ثم ليكن العبد أهلا - لضيافة سيده ومولاه الذي خلقه فسواه وألهمه فجوره وتقواه ، بالتقوى والاخلاص لله .

[عند مشاهدة الكعبة]

وعند مشاهدة الكعبة يحس الحاج بعظمة الله رب البيت الذي أطعم الناس من جوع وأمنهم من خوف ، فعلى المؤمن أن يستحضر عظمة البيت ورب هذا البيت ، وليشكر الله الذي أكرمه برؤية الكعبة قائلا عند الدخول [أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : بسم الله الرحمن الرحيم اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، فحينئذ بالسلام ، وأدخلنا الجنة دار السلام ، يا ذا الجلال والإكرام ،] ويقول قاصد الحج رب أدخلني مدخل صدق . وأخرجني مخرج صدق . واجعل لي من لذك سلطانا نصيرا . ، اللهم إن هذا الحرم حرمك وأمنك . فحرم لحمي وبمي وشعري وبشري على النار . وأمني من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلني من أوليائك وأهل طاعتك [.

فإذا اتجهت إلى الكعبة ورأيت هذه القبلة فكبر ولبى وافعل ما فعله رسولك الكريم ﷺ « يأيتها الحاج » وقل بسم الله والله أكبر « ثلاث » لا إله إلا الله وحده لا شريك له - له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . .

وكان رسول الله ﷺ يقول حين كان يرى الكعبة :
[اللهم زد هذا البيت تشريفا وتكريما وتعظيما ومهابة ، وزد من شرفه ممن زاره أو اعتمره تشريفا وتكريما وبراً .] ثم يقول الحاج :
بسم الله ، وبالله ، ومن الله ، وفي سبيل الله ، اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ، ،
الطواف

الطواف صلاة : (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) لكن يباح في الطواف التكلم فينبغي أن يكون المؤمن خاشعا ضارعا أثناء الطواف بقلب سليم مليء بذكر الله واستحضار جلاله وكماله قائلا بقلبه : اللهم إني نويت طواف بيتك المعظم سبعة أشواط لوجهك الكريم ، اللهم يسر حالي وتقبل مني ، اللهم إيمانا بك وتصديقا

(السعى بين الصفا والمروة)

بعد الطواف بالكعبة وصلاة ركعتين والدعاء عند الملتزم - يذهب الحاج للسعى بين الصفا والمروة وليبدأ بما بدأ به الله [إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم] ..

كيف تسعى

إن يصعد الحاج إلى جبل الصفا وسيرى الكعبة ثم يتجه إليها قائلا : الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله وحده . صدق وعده . ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون . وأنت أيها الحاج كن خاشعاً ضارعاً ثم اسع ماشياً على رجلك وعلى رسلك (مهلك) حتى تصل إلى الميل الأخضر فتهرول حتى تصل إلى الميل الأخضر الثاني ، ثم سر واصعد إلى المروة وعلى قمته أذكر ربك داعياً بما شئت ، وهذا هو الشوط الأول من الأشواط السبعة ، والمرأة لا تهرول .. ثم عد من المروة إلى الصفا وهذا هو الشوط الثاني ، وبهذه الطريقة يتم الشوطان والمسافة بين الصفا والمروة ثم بين المروة والصفا تعتبر شوطين في سعيك ، والشوط الواحد يكون بين الصفا والمروة أو بين المروة والصفا يبدأ بأحدهما ويختم بالآخر ، وكلما وصلت الصفا تقف متجهاً إلى الكعبة تجعلها قبالة وجهك كما فعلت من قبل قائلا رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين ، رب اغفر وارحم إنك أنت الأعز الأكرم ، ومتى أكملت الأشواط السبعة فقد أتممت الطواف والسعى فالحق حينئذ أو قص شعرك أو بعضه ، والحق أفضل للرجال ، وهو حرام على النساء وبهذا الحلق يتحلل المعتمر إن كان ناوياً العمرة بطوافه وسعيه هذا أو طواف القدوم إن نويت ذلك .

والحاج في فترة انتظار وعباده

ويظل الحاج بعد السعى للعمرة أو لطواف القدوم فترة بمسكنه بمكة على ألا ينقطع عن الصلاة في الحرم ، ومن الخير له أن يطوف بالبيت كثيراً .

إعادة الاحرام للحج لمن تحلل منه

وفي اليوم الثامن من ذي الحجة (يوم الترويه) يلبس ملابس الاحرام إن كان قد تحلل منها بعد السعى وإكمال أعمال العمرة أو طواف القدوم ، ويقول اللهم إني نويت الحج فيسره لي وتقبله مني ثم يلبى بالحج ثم يردد الحاء كلما انتقل من حال إلى حال من مكان إلى مكان إلى أن يصل إلى منى ثم يذهب إلى منى للمبيت بها [ليلة التاسع من ذي الحجة] وهذه [هي السنة] أو إلى عرفات وفي عرفات (يوم الوقوف) يوم التاسع من ذي الحجة يقف الحاج ، وهذا هو الركن المهم من أركان الحج ، ومن فاته الوقوف بعرفة فقد فاته الحج والمراد بالوقوف الحضور جالسا كان أو قائماً أو ماشياً أو راكباً من بعد ظهر التاسع إلى فجر اليوم العاشر والأفضل أن يجمع بين آخر جزء من نهار اليوم التاسع وأول جزء من ليل العاشر والأفضل

صلاة الظهر والعصر معا في عرفات في وقت واحد وأذكر ربك دائماً نكراً كثيراً وسبحه وكبره ولا تصم يوم عرفه في الحج أيها المؤمن الكريم وأفضل الدعاء هو دعاء النبي ﷺ وكان من دعائه في الموقف :

لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي صدري نوراً وفي سمعي نوراً وفي بصري نوراً اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري أعوذ بك من وسواس الصدر وشتات الأمر وفنقة القبر اللهم إني أعوذ بك من شر ما يلج في الليل وشر ما يلج في النهار وشر ما تهب به الريح وشر بوائق الدهر ، اللهم لك الحمد كالذي تقول وخيراً مما تقول ، اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي وإليك مابى ولك ربى ترأى ، اللهم إني أعوذ بك من كلامي وكلامي وتعلم سرى وعلايتي لا يخفى عليك شيء من أمري أنا البائس الفقير ، المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنوبه ، أسألك مسألة المستكين ، وأبتهل إليك إبتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضريب من خضعت لك رقبته وقاضيت لك عيناه ونل جسده ورغم انفه اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقياً وكن بي رؤوفاً رحيماً يا خير المسؤولين ويا خير المعطين .

وقد أقبل تاس من أهل نجد يسألونه عن الحج فقال الحج عرفه .

الإفاضة إلى المزدلفة

فإذا أفضتم من عرفات فانكروا الله عند المشعر الحرام) ..

يقف الحاج بعرفات إلى غروب الشمس يوم التاسع من ذي الحجة فإذا غربت أفاضوا إلى المزدلفة وهناك يصلون المغرب والعشاء مجموعتين جمع تأخير في وقت العشاء ، وذكر الله عند المشعر وفي (المسجد بمزدلفة) من أعظم القربات عند الله تعالى ويجمع الحاج الجمار من المزدلفة ولهم أن يبيتوا بمزدلفة حتى صلاة الصبح في وقتها ثم ينزلوا إلى منى ومعهم الجمرات التي جمعت من مزدلفة غالباً وفي صباح يوم العيد يرمون جمرة العقبة بسبع حصيات وعندئذ تقطع التلبية وتستبدل بالتكبير عند رمي كل حصاة ، ثم يشرع الحاج في التحلل متى رمى جمرة العقبة ثم يحلق أو يقصر ، بعد نحر الهدى ، وبعد رمي جمرة العقبة والذبح والحلق أو التقصير يباح للمحرم كل شيء إلا النساء ويسمى هذا التحلل الأول والذبح على من تمتع بالعمرة إلى الحج فيما استيسر من الهدى .

طواف الإفاضة

بعد رمي جمرة العقبة والذبح والحلق أو التقصير يلبس الحاج الملابس المعتادة ويتوجه إلى مكة المكرمة ليطوف طواف الإفاضة سبعة أشواط حول الكعبة ، وهي «طواف

[البقية ص ٨٢]

الحج مناسك وأسرار

فضيلة الشيخ موسى محمد علي

بسم الله الرحمن الرحيم :
الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف
المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى
يوم الدين .. وبعد :
فيقول الله تعالى :
(ولكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه)
ويقول صلوات الله وسلامه عليه :
(الحجاج والعمار وفد الله تعالى وزواره ، إن سألوه
أعطاهم ، وإن استغفروه غفر لهم ، وإن دعوه استجاب لهم ،
وإن شفّعوا شفّعوا) .
لكل واحد من الأديان السابقة متعبد معظم قدره عند أهله ،
فهم يوجبون قصده الحين بعد الحين ، ويرون سائر متعبداتهم
كالتابع له .
وإنا لا نجد لشيء من الأديان الأخرى نسكا اجمع لوجوه
البر ، ومكاسب الأجر من نسك المسلمين .
ذلك أن الإنسان متى لايس اقامته صويف في صورة عبد قد
أحسن بموجدة مولاه عليه ، فارتفض أبواب الملاهي ، وهجر
أسباب الزينة ، ولازم الشغف والتقصف ، لأثدا بفناء سيده ،
راغبا اليه في العفو له ، مطلقا لسانه في تعظيمه ..

طاعة الله تعالى فهي اقرب الاقطار التي أمنت في زمان
رسول الله ﷺ . وأخلصت ايمانها له .

والسر في الوقوف بعرفة أن اجتماع المسلمين في زمان
واحد ومكان واحد ، راغبين في رحمة الله تعالى ، داعين له
متضرعين اليه ، له تأثير عظيم في نزول البركات وانتشار
الروحانيات ، ولذلك كان الشيطان يومئذ أحر وأقصر
ما يكون فضلا عن أن في اجتماعهم ذلك تحقيقا لمعنى
العرض على الله تعالى يوم القيامة .

والسر في نزول منى ، أنها كانت سوقا عظيما من اسواق
الجاهلية ، مثل عكاظ والمجنة وذى المجاز ، وغيرها ،
واصطلحوا عليه لأن الحج يجمع اقواما كثيرة من اقطار
متباعدة ، ولا أحسن للتجارة ولا أرفق بها من أن يكون
موسما عند هذا الاجتماع ، خاصة وأن مكة تضيق عن تلك
الجنود المجتدة ، فلو لم يصطلح حاضرم وباديهم وخاملهم
ونبيهم على النزول في فضاء مثل منى لحرجوا .

ولما كان الاسلام في حاجة الى اجتماع مثله يظهر به
شوكة المسلمين وعدتهم ، ليظهر دين الله تعالى ، ويبعد
صيته وشهرته ، ابقاه النبي ﷺ ، وحث عليه وندب اليه .
والسر في المبيت بمنزلة أنه كان سنة قديمة فيهم ،
ولعلمهم اصطلحوا عليها لما راوا من أن للناس اجتماعا
لم يعهد مثله في غير هذا الموطن ، ومثل هذا مظنة أن

فالأبصار متى وقعت في ذلك المشهد العظيم على ما يوجد
المحرمون من هيئات التعبد والخشوع ، وما أشعروا به
نفوسهم من انكشاف الرأس ، وحفاء الرجل ، واحتمال
المشقة والصبر على البرن والشعث ، وهجر المذات المرغوب
فيها ، وما يلزمونه من السعى الى المكان المنسوب الى
مولاهم ، ليتوافوا كلهم من نواحي العمران ، واقاصي الممالك
في بقعة واحدة ، ويحضرهم ملك الأرض خليفة الله على
الخلق ، أو من يقوم مقامه من خواصه فيعلو منبرا قد أعد له
في ذلك الموسم الكبير ، وتتجرد المسامع كلها للأصغاء الى
خطابه وهو مقبل عليهم بالوعظ والزجر ، والتبشير
والانذار ، وأهل الأرض صموت مستشعرون فيه عظيم رهبة
الله تعالى ، حتى أيقنت أنها واقعة على منظر رفيع لا يجوز
أن يدانيه باب من ابواب التعبد .

وجوهر السر في المواقيت مثلا أنه لما كان الاتيان الى مكة
شعنا نفلا ، تاركا للغواء نفسه ، وكان في تكليف الإنسان أن
يحرم من بلده حرج ظاهر ، وجب أن يخص امكنة معلومة
مشهورة حول مكة يحرمون منها ، ولا يؤخرون الاحرام
بعدها .

واختار لأهل المدينة أبعد المواقيت لأنها مهبط
الوحي ، وماز الأيمان ، ودار الهجرة ، وأول قرية أمنت
بالله تعالى ، وصدقت برسوله ﷺ فاهلها احق بأن
يبالغوا في اعلاء كلمة الله تعالى ، وأن يخصوا بزيادة

يزاحم بعضهم بعضاً ، وانما براحهم بعد المغرب ، وكانوا طول النهار في تعب ياتون من كل فج عميق ، فلو تجشموا ان ياتوا منى ، والحال هذه لتعبوا .

وانما شرع الوقوف بالمشعر الحرام لأنه كان أهل الجاهلية يتفاخرون ، ويتراءون فأبدل من ذلك اكثار ذكر الله ليكون كابحاً عن عادتهم ، ويكون التنويه بالتوحيد في ذلك الوطن كالمنافسة .

والسر في رمى الجمار ما ورد في الحديث من انه جعل لاقامة ذكر الله عز وجل وتفضيله في أحسن انواع توقيت الذكر واكملها واجمعها لوجه التوقيت ، ويقام معه ما يكون حافظاً لعدده محققاً لوجوده على رموس الاشهاد حيث لا يخفى شيء .

والسر في الهدى التشبيه بفعل سيدنا ابراهيم عليه السلام فيما قصد من ذبح ولده في ذلك المكان طاعة لربه ، وتوجهها اليه ، والتذكر لنعمة الله به وبأبيهم اسماعيل عليه السلام ، وفعل مثل هذا الفعل في هذا الوقت والزمان ينبه النفس كذلك .

والسر في الحلق تعيين طريق الخروج من الاحرام بفعل لا ينافي الوقار فلو تركهم وانفسهم لذهب كل منهم مذهبا وفيه ايضا تحقيق انقضاء التشعب والتغبر بالوجه الآتم ، ومثله كمثل السلام من الصلاة .

وصفة الطواف ان يأتى الحجر ، فيستلمه ، ثم يمشى على يمينه سبعة أطوفة يقبل فيها الحجر الأسود ، أو يشير اليه بشيء في يده ، ويكبر ، ويستلم الركن اليماني ، وليكن في ذلك على طهارة وستر عورة ، ولا يتكلم الا بخير ، ثم يأتى مقام ابراهيم فيصلى ركعتين :

وطواف القدوم بمنزلة تحية المسجد شرعه الله تعالى تعظيماً للبيت ، ولا يصح الابطاء بالطواف ، لان الابطاء بالطواف في مكانه وزمانه عند تهيب أسبابه سوء أدب ، وأول طواف بالبيت فيه رمل واضطباع ، وبعده سعى بين الصفا والمروة ، وذلك لمعان كثيرة .

منها ما ذكره ابن عباس رضى الله عنهما من إضافة قلوب المشركين ، وإظهار صنولة المسلمين ، وكان أهل مكة يقولون : وهنتهم حمى يثرب ، فهو فعل من أفعال الجهاد وهذا السبب قد انقضى ومضى .

ومنها تصوير الرغبة في طاعة الله تعالى ، وانه لم يزد السفر الشاسع والتعب العظيم الا شوقاً ورغبة .

ولم يشرع الوقوف بعرفة في العمرة لأنها ليس لها وقت معين ليتحقق معنى الاجتماع فلا فائدة للوقوف بها ، ولو شرع لها وقت معين كانت حجا ، وفي الاجتماع مرتين في السنة ما لا يخفى من الحرج .

والعمدة في العمرة تعظيم بيت الله سبحانه وشكر نعمة الله تعالى .

والسر في السعى بين الصفا والمروة على ما ورد في الحديث أن هاجر أم اسماعيل عليهما السلام لما اشتد بها

الحال سعت بينهما سعى الانسان المجهود ، فكشف الله عنها الجهد بابداء زمزم ، وإلهام الرغبة في الناس أن يعمروا تلك البقعة .

ويقول سبحانه وتعالى :

(ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا)

فوجب شكر تلك النعمة على أولاده ومن تبعهم ، وتذكر تلك الآية الخارقة لتدلهم على الله تعالى ، ولا شيء في هذا مثل أن يعضد القلب بفعل ظاهر منضبط مخالف لما لو ف القوم فيه تنزل عند أول دخولهم مكة .

وبعد : فالحج على لسان الإشارة هو القصد ، فقصد الى بيت الحق فالأول حج العوام ، والثاني حج الخواص .

وكما أن الذى يحج بنفسه يحرم ويقف ثم يطوف بالبيت ويسعى ، ثم يحلق فكذلك من يحج بقلبه ، فأحرامه بعقد صحيح على قصد صريح ، ثم يتجرد عن لباس مخالفاته وشهواته ، ثم باشتماله بثوبى صبره ، وفقره ، وامساكه عن متابعة حظوظه من اتباع الهوى واطلاق خواطر المنى ، وما في هذا المعنى .

ثم الحاج أشعث أغبر تظهر عليه آثار الخشوع والخضوع ، ثم تلبية الاسراء باستجابة كل جزء منك .

وأفضل الحج الشج والعج ، الشج صب الدم والعج رفع الصوت بالتلبية فكذلك سفك دم النفس بسكاكين الخلاف ، ورفع اصوات السر بدوام الاستغاثة ، وحسن الاستجابة ، ثم الوقوف بساحات القرية باستكمال اوصاف الهيبة ، وموقف النفوس عرفات ، وموقف القلوب الاسامى والصفات لعز الذات عند المواصلات ثم طواف القلوب حول مشاهدة العز ، والسعى بالاسرار بين صفى كشف الجلال ولطف الجمال .

ثم التحلل بقطع اسباب الرغائب والاختيارات ، والمنى والمعارضات بكل وجه وطواف الحجاج حول البيت معلوم بلسان الشرع ، وطواف المعانى معلوم لأهل الحق ، فقلوب العارفين المعانى فيها طائفة ، وقلوب الموحدين الحقائق فيها عاكفة فهؤلاء اصحاب التلويح ، وهؤلاء ارباب التمكن .

وقلوب القاصدين بملازمة الخضوع على باب الجود ابدا واقفة .

وقلوب الموحدين على بساط الوصل ابدا راکعة .

وقلوب الواجدين على بساط القرب ابدا ساجدة .

ويقال : صواعد نوازع الطالبين بباب الكرم ابدا واقفة ، وسوامى قصود المريدين بمشهد الجود ابدا طائفة ، ووفود همم العارفين بحضرة العز ابدا عاكفة .

وكما ان للحج بالنفوس اشهرا معلومات لا ينعقد الاحرام به إلا فيها ، ولا يجوز فعل الحج في جميع السنة الا في وقت

مخصوص (من فاته ذلك الوقت فاته الحج) فكذلك حج القلوب به أوقات معلومة لا يصح إلا فيها، فمن لم تكن له إرادة في حال شبابه فليست له وصلة في حال مشيبه، وكذلك من فاته وقت قصده وحال إرادته، فلا يصلح إلا للعبادة التي آخرها الجنة، فاما الإرادة التي آخرها الوصلة فلا: (فمن فرض فيهن الحج فلا رقت ولا فسوق ولا جدال في الحج)

وكذلك الإشارة لمن سلك طريق الإرادة إلا يعرج على شيء في الطريق... ولا يمزج إرادته بشيء... فمن نازعه أو عارضه أو زاحمه... سلم الكل للكل، فلا لأجل الدنيا من أحد يخاصم، ولا لشيء من حظوظ النفس والجاه مع أحد يزاحم.

قال تعالى:
(واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما)
وأما بعد:

فحج البيت فرض على أصحاب الأموال، ورب البيت فرض حتم على الفقراء، فقد ينسد الطريق إلى البيت، ولكن لا يفسد الطريق إلى رب البيت ولا يمنع الفقير عن رب البيت.

فأرباب الأموال منافعهم أموالهم، وأرباب الأعمال منافعهم حلاوة طاعتهم وأصحاب الأحوال منافعهم صفاء أنفاسهم، وأهل التوحيد منافعهم رضاهم باختيار الحق ما يبدو من الغيب لهم.
(ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات)

« بقية مقال وأتمو الحج والعمرة لله »

ورمي الجمار الثلاث

يبدأ برمي الجمار الثلاث في الأيام التي تلي يوم النحر وهو يوم العيد الأكبر أو عيد الأضحي، أما الجمرة الأولى، فقرب مسجد الخيف، والثانية بينها وبين الأولى مسافة ١٥٥ متراً أما الثالثة، فهي جمرة العقبة وتسمى الكبرى، ويبدأ الحاج بالأولى ويختم بالثالثة في يومين إذا تعجل وفي ثلاثة أيام إذا تأخر بمنى وأراد البقاء، وفي كل مرة يرمى بسبع حصيات كل جمرة وفي الرمي انقياد وطاعة ومطاردة للشيطان وللهوى إن الشيطان للانسان عدو مبين.

يا أيها الحاج المؤمن: [أما بعد]

فإن الله قد شرفك بزيارة بيته الحرام، وغفر لك ذنبك وهو أعلم بمن اتقى، فعليك أن تلتزم بتقوى الله حيثما كنت، وتحرم على نفسك ما حرمه ربك عليك، فمن عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها، والله يعلم ما تكسب كل نفس، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون).

الفرض ويسمى «طواف الزيارة أيضاً» يبدأ باستلام الحجر الأسود ثم يتمه، ثم يصلي ركعتين في مقام إبراهيم، «ركعتي الطواف ويدعو بما شاء عند الملتزم ويشرب من ماء زمزم فإذا طاف طواف الإفاضة حل له كل شيء (إذا تحلل تماماً) ويسمى التحلل الأكبر أو الثاني ثم يرجع إلى منى، فيرمي بقية الجمرات: ومن الأفضل أن يرميها في أيام التشريق الثلاثة، وله أن يرميها في يومين لقوله عز وجل (وانكروا لله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى...).

ومن لم يكن قد سعى في طواف القدوم وجب عليه أن يسعى في طواف الإفاضة.

العودة إلى الحياة العادية

بعد إتمام طواف القدوم يعود الحاج إلى حياته العادية تماماً.

الحج تطهير وعبادة

الحج إلى البيت الحرام ركن من أركان الإسلام، وحق من حقوق الله تبارك وتعالى «و الله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا» وهو لذلك لقاء إسلامي كبير جامع يتكرر كل عام في مواسمه وأيامه المعلومات، حيث يتوارد عليه الناس، ورود الظمأى على المنهل العذب، أفواجا إثر أفواج، من مختلفي الأجناس والأوطان.

ومن هنا كانت عالمية الإسلام، وهي فيه أصل من أصوله، فالرسالة المحمدية موجهة إلى الناس جميعا، لقول الله جل علاه: «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا» و «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين». وحين استفاض نور الدعوة بالجزيرة العربية وأظل الإسلام جميع أهلها، بعث رسول الله ﷺ برسله وكتبه إلى ملوك ورؤساء الممالك والأمم الأخرى خارج حدود الجزيرة، يدعوهم إلى الإسلام، تحقيقا لعالميته التي بعثه الله لها..

الأستاذ احمد دقني

وفي غمرة اليأس، تفجر الماء غدقا سلسلا من الصخر تحت قدمي الصبي اسماعيل الذي كاد يقتله هو وأمه الظمأ، وعندئذ بدأت الحياة تتحرك مع ومضات الأمل وبشريات الرحمة.

وجاءهما ابراهيم بعد ذلك، فأقام هو ولده اسماعيل وحي من ربه قواعد البيت للصلاة وعبادة الله واحدا لا شريك له، «وعهدنا إلى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود» ثم رفع ابراهيم وجهه إلى السماء يسأل الله جل جلاله: «ربنا انى اسكنت من ثرىتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة، فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا» فياتيه امر الله: «وانن في الناس بالحق، ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق، ليشهوا منافع لهم وينكروا اسم الله في أيام معلومات».

وكانما وقع هذا النداء في كل مسمع من أهل الأرض شرقا وغربا، فاذا بهذه القلاة الموحشة القصية، تتزاحم عليها اقلام القادمين، راجلين وراكبين، ليعبوا الله في بيته

ولقد اقتضت مشيئة الله أن يقام بيته الأول المبارك في هذه البقعة من صحراء الحجاز المترامية الأطراف «ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين» وكانت مقفرة تكتنفها الجبال الرهيبة، ولا أثر للحياة فيها، فالبيت في موضعه ذاك بعيد نائي المزار، السبيل اليه عسير، والاقامة حوله اشد عسرا، فتعميره بالناس واجتذابهم اليه، أمر لا يتحقق الا بمعجزة، وقد حققها الله، القادر وحده على صنع المعجزات، وكان ذلك رحمة منه بعباده، بعد أن تراخى الزمن من نوح إلى ابراهيم عليهما السلام (الفي عام) فتساقط الناس هنا وهناك في مهاوى الشرك والضلال، وخطوا في عشواء الجهل والفساد.

أقيم البيت المحرم وسط هذا الليل الحالك، منارا هاديا إلى صراط الله المستقيم، وقد اختار الله لهذا الأمر العظيم، خليله وأبا أنبيائه: ابراهيم عليه السلام، فأمره في البداية أن يحمل إلى هذه القلاة الموحشة النائية، زوجته هاجر وولدهما اسماعيل، وأن يتركهما فيها وحيدين، فاطاع الشيخ الأب والزوج أمر ربه مؤمنا صابرا، واثقا بأن الله لا يريد به وبهما الا خيرا.

المعظم ، ثم يعود منهم من يعود إلى وطنه وأمله ، ويبقى منهم من يبقى إثارا للقامة في هذه الرحاب المقدسة .

وبين إبراهيم ومحمد عليهما صلوات الله وسلامه ، سبعة وعشرون قرنا ، كانت هذه الكعبة المشرفة ، خلالها قبلة الناس من شتى الأمم ، ومن مختلفى الديانات والعقائد ، فلم يكن كل من يأتونها للحج على دين إبراهيم ، دين التوحيد والحنيفية السمحة ، وإنما كان منهم كثيرون يتخونون من نون الله الهة أخرى يعبدونها كالنار والأنهار والكواكب والحيوانات ، وأغلب معبوداتهم كانوا يجسدونها بأيديهم أصناما وأوثانا ويخرون لها ساجدين ولا يتحولون عنها ، استمساكا بما قد شاع فيهم من الأساطير والخرافات وشعوذة الكهان ، . . وقد رأوا في الكعبة حرما دينيا فشبوا الرحال اليها ، يتعبدون فيها لألهتهم ، وهم يتوهمون أن لهذه الآلهة المزعومة ارتباطا بها ، فالهنود مثلا كانوا يعتقدون أن روح أحد الهتهم قد تقمصت في الحجر الأسود حين زيارته هو وزوجته بلاد الحجاز ، والمصريون القدماء كانوا يسمون بلاد الحجاز « البلاد المقدسة » تعظيما للكعبة وهم في تلك العصور كانوا على الوثنية يعبدون آمون وإيزيس وفتاح وغيرها من الآلهة التي صنعوا لها التماثيل ، ويقول المسعودي في مروج الذهب : « أن الصابئة كانوا يعتقدون أن الكعبة من البيوت السبعة المعظمة عندهم ، وأنها بيت لرحل باقية ببقائه على مر الدهور والعصور ، وكانت أغلب بلاد الشرق تدين بدين الصابئة وعلى الخصوص بلاد العجم والهند والكلدان التي منها إبراهيم عليه السلام » والصابئة كانوا يعبدون الكواكب والنجوم . .

وكانت هذه كلها ظواهر كفر وجاهلية تراكت ظلماتها في ذلك العالم القديم . وكان الله سبحانه وتعالى يرسل رسلا وأنبياء إلى أقوامهم يدعونهم إلى الخير والحق ، ويضيئون لهم الطريق إلى الله وحده الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما . فبئس ما فعلوا ففعلوا بالاعراض والأذى ، والقتل أحيانا ؟ . .

فلما ساد الظلام وفشا الجهل ، وفسدت حياة الناس ، شاعت رحمة الله بعباده . أن يصطفى خير خلقه وأطهرهم أخلاقا وأصلا ، محمدا بن عبد الله ويبعثه رسولا إلى الناس جميعا ، بشيرا ونذيرا ، وسراجا منيرا ، فنهض ﷺ بهذا الأمر الجليل محتملا فيه تكذيب المشركين وإذاهم وعدوانهم ، وعندما انتمروا به ليقتلوه أمره الله وصاحبه أبي بكر بالهجرة إلى المدينة ، ثم أعاده الله اليها في عشرة آلاف من المؤمنين ، فكان أول ما صنعه يوم هذا الفتح المبين أن أمر بتحطيم كل ما كان منصوبا من الأصنام على سطح الكعبة وحولها ، وكانت ثلاثمائة وستين صنما : يمثل كل واحد منها آلهة قبيلة بذاتها ، ولا أدل من ذلك دليلا على شيوع الوثنية في تلك البقاع الصحراوية التي هي أقل بطبيعتها عمرانا وتاسسا ، فإذا عرفنا أن الكثرة الكثيرة من

هذه القبائل كانت تعيش على العصبية والغارات وسيفك الدماء ، عرفنا إلى أي حد كانت وحدثهم ممزقة وعداوتهم مستحكمة . ومن هنا كان تعدد أصنامهم في الكعبة بهذه الكثرة مخاض تنافسهم القبلي أكثر منه اعتقادا في ألوهيتها .

وقد كانوا ، وهم في هذه الجاهلية المطبقة ، يحجون إلى أصنامهم بالكعبة آمنين ، فليس في ساحتها الجريمة قتال ولا عدوان . .

وعندما استقر أمر الاسلام فيها ، طهرها رسول الله ﷺ ، من كل ما شابها من هذه الوثنية ، وأعادها إلى ما ينبغي أن يكون عليه بيت الله الأول ، بيت التوحيد والتطهير ، والصلاة والذكر والشكر ، معيدا إلى الحج شعائره ومناسباته وطهارته وإدابه وأهدافه وعباداته الحق ، وقد حرم الله على المشركين الاقتراب من بيته المعظم ، فقال عز وجل : « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » وكان نزول هذا التحريم في السنة التاسعة من الهجرة أي بعد الفتح بعام ، ومن وقتئذ صار الحج اسلاميا محضا . .

وقد دخل هؤلاء المشركون في دين الله ، أفواجا ، فجمع الاسلام شتاتهم ، واستل الاحقاد والعداوات من قلوبهم ، وحولهم من ضعف التفرقة السوداء إلى قوة الوحدة البيضاء ، وكان من معجزات الاسلام ، أن يصيحوا وهم الضعاف المتناثرون على رمال الصحراء ، جند الله الانبساط ، ينشرون دينه وشريعته ، ويدافعون عنه الأعداء خائضين في سبيله أشد معارك الجهاد ، وهكذا يفعل الايمان بعد الكفر ، والحب بعد الحقد والوحدة بعد الشتات ؟

ومن فضل الله على المسلمين في عصرنا الحاضر أن رحلة الحج الأكبر ومثله الحج الأصغر صارت من السهولة واليسر والأمان بحيث لا تستغرق إلا أياما قليلة في البر والبحر والجو باستعمال ما استحدثته العقل البشري المتطور من وسائل النقل التي لم يكن لها وجود من قبل وهي القطار والسيارة والطائرة والسفينة البخارية ، وكانت هذه الرحلة قبل ذلك ، وإلى القرنين السابقين ، على ما كانت عليه في عصور ما قبل الاسلام تعتمد على الجمال والدواب وفي بعض المراحل كان لابد من ركوب السفن الشراعية الصغيرة المترنحة التي لا تثبت في وجه الأمواج وكثيرا ما كان يقع الزاهبون للحج أو العائدون منه سواء بالبر والبحر ، في متاعب وأخطار تجاوز احتمالهم ، ومنهم من كانوا يفقدون أرواحهم ومتاعبهم ، على نحو ما ذكره المؤرخون والرحالة كابن جبير وابن بطوطة . .

ولم تكن هذه المشقات والأحوال تخفى على أحد ممن يخرجون إلى الحج ، فقد كان الحديث عنها شائعا ومنتشرا ، ولكن صدق إيمانهم ، وصفاء أرواحهم ، وفيرط شوقهم ، كان يدفعهم إلى المخاطرة ، وهي غير مطلوبة ، فإن الله عز وجل قد فرض الحج على من يستطيعه ، ومن شروط الاستطاعة أمن الطريق وسلامة العينين . .

ان الله تبارك وتعالى يدعو الناس إلى بيته الحرام يظلهم الأمن والأيمان ولا يشق عليهم فيما لا يستطيعون وهو ارحم الراحمين، وهناك يحققون اللقاء الجامع الشامل الذي هو كله عبادة وأعمال صالحات .

هناك يجربون من كل مظاهر الترف والتميز الطبقى، يقفون بين يدي الله أنصاف عراة في زى واحد غير مخيط ابيض اللون شعار الطهارة والنقاء ..

الاجنياء والفقراء، والسادة والعبيد سواء أمام الله الذي خلقهم جميعا من نفس واحدة لا يفضل أحد على أحد إلا بالتقوى، وبهذه المساواة والأخوة المتراحمة، يطوفون ويسعون ويصلون ويدعون إلى آخر ما هو معروف من شعائر الحج وسنته وينتهون بالافاضة والتحلل والنحر بعد الاحتشاد العظيم في عرفة وقد شرفها الله بأن جعلها ملتقى جميع الحجاج الذين توافدوا في فترات ومراحل متعددة قبل ذلك، ليلتقوا جمعا واحدا في وقت واحد، وفي ساحة واحدة هي - في أكثر المواسم - اضيق من أن تتسع لهم؟

وانه لمشهد بالغ الجلال ينسى فيه الناس ما قد يكابون من عناء ذلك الاحتشاد أو المحشر الهائل العظيم، فقلوبهم وأرواحهم وحواسهم قد تعلقت بالله، في فيض من ايمان، يتضرعون إليه مخلصين ان يقلب حجهم ويمنحهم رحمته وغفرانه، ويبارك لهم في أرزاقهم وأولادهم الخ ...

وهذا هو الحج الأكبر، (الحج عرفة) ويومها من أفضل الأيام، ففيها نزل على رسول الله ﷺ وهو في حجة الأخره، قول الله سبحانه وتعالى:

(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الاسلام ديناً) ويقول الامام الغزالي (ان اهل الكتاب قالوا: لو نزلت هذه الآية علينا لجعلنا يومها عيداً، فقال عمر رضى الله عنه: اشهد، لقد انزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ، في يوم عيدين اثنين: يوم عرفة، ويوم الجمعة).

الا، وان للحج غير الطواف والسعى والوقوف في عرفة ومنى والمزلفة ورمى الجمار، وتقبيل الحجر وغير ذلك من شعائر الحج التعبية، ومناطها القلوب، ولا يعلم سرها غير علام الغيوب، نقول: ان للحج اهداف وغايات اخرى مشهودة تراء للدين والدينيا معا، منها - كما سلف الذكر - المساواة بين الخلائق وتعميق اخوتهم وتراحمهم، فعلى القارين اطعام المحرومين، والتسخي في اعانة الفقراء والمساكين، وهذا واجب تؤكد الآيات الكثيرة في كتاب الله الكريم، والسنة النبوية الشريفة، ومن ذلك قول الله تعالى فيما يقدمه الحجاج من (الضحايا) تقربا إلى الله: «والبدن جعلناها لكم من شعائر الله، لكم فيها خير، فانكروا اسم الله عليها، صواف، فاذا وجبت جنوبها، فكلوا

منها واطعموا القانع والمعتز، كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون، لن ينال الله لحومها ولا دماؤها، ولكن يناله التقوى منكم) ذلك لان الله جل شانه غنى عن عباده وعما في ايدي عباده، وهو رازقهم ومعطيهم .. وانما هو بامرهم أن يكرموا انسانيتهن بالمحبة والتكافل، ليكونوا مجتمعا صالحا وثيق العرى يشد بعضه بعضا .

وفي الحج يقول الله عز وجل: «ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله» فهذه المنافع تنتشر وتتعد بعدد الحاج أنفسهم، فما من أحد يخرج من داره قاصدا بيت الله الحرام صادق النية الا ويده ميسوطة للعطاء على امتداد الطرق واختلاف السبل والوسائل، وما أكثر من يلتبسون أرزاقهم في مواسم الحج .. لا صدقة وإحسانا، ولكن اجرا على ما يؤدونه من خدمات، ويقضونه من حاجات، مما لا معدى عنه ولا غناء .. ثم هناك التجارة واسواقها العامرة، ومنافعها عائدة على التجار وعمالهم، مثلما هي عائدة على الحجاج يتزودون منها بالجديد المسعد إلى اهلهم، يتنسّمون فيه عبير البركة من أرض البركات؟ .

فالحج خير كله: طهارة قلوب وأرواح، وصديق عبادة لله الواحد الأحد، وتراحما بين بنى الانسان، وارهافا للمشاعر الحب والمساواة فيهم، وانفاقا في سبيل الله وتطهرا من الذنوب والمعاصي ومنافع مشتركة بين الناس، وهو لقاء اسلامي عالمي شامل، لم يعد قاصرا على الشعوب الاسلامية ذات الاصاله والوجود المستقل وإنما هو ينتظم كذلك مسلمين باعداد تزداد عاما بعد عام من دول أجنبية كانت تعادى الاسلام من قبل تعصبا، أو كانت تستعمر أوطانها قهرا، فأصبح للاسلام فيها ومن نفس ابنائها ايضا، اتباع ومساجد ومعاهد علم لدراسة الدين وعلوم العصر باللغة العربية، ومرد الفضل في ذلك إلى الجهود المكثفة المخلصة التي يبذلها في نشاط دائب وحركة اعلامية مستمرة مؤسساتنا الاسلامية المتخصصة مدعمة بالكتب والدراسات الدينية الواسعة مترجمة إلى عدة لغات كتابية ونطقا، وقد ترعرعت هذه الغراس، وأخذت تؤتي ثمارها مبشرة بالكثير والمزيد ..

وفي إحصائية رسمية نشرت عن الحجاج من الدول غير الاسلامية في السنة الماضية نقرأ أسماء الولايات الأمريكية المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا، وهولندا، والبرتغال، واسبانيا، والصين وروسيا. الخ ... ومعنى هذا ان الاسلام قد اخذ في اكتساب عالميته غير المحسوبة او هو على طريقها بخطوات مسددة، وهذه هي رسالته اساسا، وليس في غيره سبيل إلى انقاذ هذا العالم الذي بات يتنافس تنافسا شديدا في صنع افك أسلحة القتل وآلات التدمير والتخريب، وتشتعل في مختلف انحاءه نيران الحروب والاحقاد والعنصريات، فكل أمة تخشى الأخرى وتترصد بها، وهيئة الأمم تصدر القرارات تلو القرارات داعية إلى السلام ولاسلام، وفي كل عام تحتفل عالميا باعلان حقوق الإنسان الذي البقية ص ١٠١

يوم عرفة

روى الامام مسلم في صحيحه حديثنا هارون بن سعيد الأبلبي وأحمد بن عيسى قالا حدثنا ابن وهب أخبرني مخرمة بن بكير عن أبيه قال سمعت يونس بن يوسف يقول عن ابن المسيب قال قالت عائشة رضي الله عنها ان رسول الله ﷺ قال (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة وأنه ليدنو ثم يباهي بهم ملائكته فيقول ما أراد هؤلاء في يوم العرفات وجموع الحجاج منطلقا إلى ربها ومليبة مكبرة بقلوب مملوءة ايمانا ونورا يكونون في قرب من الله والله قريب منهم ويباهي بهم الملائكة فيقول الله عز وجل لملائكته ما أراد هؤلاء؟ وهو يعلم سبحانه وتعالى ما أرادوا فقد خرجوا في سبيل رضاء الله لحج بيته الحرام وأداء المناسك كما أمرهم الله وطهروا قلوبهم بالتوبة وملأوها بالأمل في رحمة الله وأحرموا ولبسوا وتركوا الأهل والأوطان هجرة في سبيل الله لأداء نسكه بتأدية فريضة الحج (الحج عرفة) ركن له أهميته ، قال ابن قدامة (والوقوف ركن لا يتم الحج الا به اجماعا) وقد روى الثوري عن بكير بن عطاء الليثي عن عبد الرحمن بن نعيم الديلي قال : (أتيت رسول الله ﷺ بعرفة فجاءه نفر من أهل نجد فقالوا يا رسول الله كيف الحج ؟ قال : الحج عرفة فمن جاء قبل صلاة الفجر ليلة جمع فقد تم حجه) رواه أبو داود وابن ماجه .

الركن الحبيب لها اسم

له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير) وكان ابن عمر يقول : (الله أكبر الله أكبر والله الحمد الله أكبر الله أكبر اللهم اهني بالهدى وقني بالتقوى واغفر لي في الآخرة والأولى) وعرفة كلها موقف ، ويرفع عن بطن عرفة فانه لا يجزئه الوقوف فيه ، ويجب الوقوف الى غروب الشمس ليجمع بين الليل والنهار في الوقوف بعرفة فان النبي ﷺ وقف بعرفة حتى غابت الشمس ووقت الوقوف من طلوع فجر يوم عرفة الى طلوع الفجر من يوم النحر

ويكبر الحاج ويهلل ويجهل في الدعاء الى غروب الشمس ، يستحب الاكثار من ذكر الله تعالى ، والدعاء يوم عرفة فانه يوم ترجى فيه الاجابة ولذلك أحببنا له الفطر يومئذ ليتقوى على الدعاء مع أن صوم الصائم بعرفة يعبد سنتين ، ان يوم وقوف عرفة يوم يباهي الله فيه ملائكته ويستحب أن يدعو بالمأثور من الأدعية مثل ما روى عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أكثر دعاء الأنبياء قبلي ودعائي عشية عرفة لا اله الا الله وحده لا شريك له

عنهما أن تلبية رسول الله ﷺ (لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ، قال وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يزيد فيها (لبيك وسعديك والخير بيدك لبيك والرغبة إليك والعمل) وروى الامام مسلم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان المشركون يقولون (لبيك لا شريك لك قال فيقول رسول الله ﷺ قد قد فيقولون إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك) (يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت الاسلام دين التوحيد ، والحاج متوجه إلى ربه ملبيا له وحده تجرد من كل مخطط وتجرد من كل الأوزار بالتوبة النصوح قبل قمومه ، واتجه في ثيابه البيضاء الناصعة وقلبه الطاهر التنظيف متجها نحو بيت الله الحرام يطوف بالبيت وقلبه متعلق برب البيت وله في الرجاء يتضرع ويرجو طالبا القبول من ربه والصفح والرحمة وقد عزم على مواصلة الطاعات والبعد عن المحظورات داعيا ربه القريب المجيب أن يعفو عنه ويبارك له وأن يوفقه إلى طاعة ربه ورضوانه ، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : فإذا أحرم لبي تلبية رسول الله ﷺ : (لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك ، وإن زاد على ذلك (لبيك ذا المعارج أو لبيك وسعديك ونحو ذلك جاز كما كان الصحابة يزيدون ورسول الله ﷺ يسمعهم فلم ينههم ، وكان هو يداوم على تليته ويلى من حين يحرم سواء ركب دابته أو لم يركبها وإن أحرم بعد ذلك جاز ، والتلبية : هي إجابة دعوة الله لخلقه حين دعاهم إلى حج بيته على لسان خليله ابراهيم ﷺ . والمبى هو المستسلم المنقاد لغيره كما ينقاد الذي لبيب وأخذ بلبته والمعنى إنا مجيبون لدعوتك مستسلمون لحكمته مطيعون لأمره مرة بعد مرة لانزال على ذلك ، والتلبية : شعار الحج فأفضل الحج العج والثج ، فالعج : رفع الصوت بالتلبية ، والثج إراقة دماء الهدى ، ولهذا يستحب رفع الصوت بها للرجل بحيث لا يجهد نفسه والمرأة ترفع صوتها بحيث تسمع رفيقتها ، ويستحب الاكثار من التلبية عند اختلاف الأحوال مثل أدبار الصلاة ، ومثل ما إذا صعد مرتفعا أو هبط واديا أو سمع ملبيا أو أقبل الليل والنهار أو التقت الرفاق ، وقد روى أنه من لبي حتى تغرب الشمس أمسى مغفورا له وإن دعا عقب التلبية وصلى على النبي ﷺ وسأل الله رضوانه والجنة واستعاذ برحمته من سخطه والنار فحسن ، وقال العلماء في معنى التلبية : إتجاهي وقصدي إليك ومحيتي إليك وإخلاصي لك وأنا مقيم على طاعتك فيارب قربا منك وطاعة (إن الحمد والنعمة لك) فبعد أن أعلن الحاج أنه مجيب لأمر ربه ومطيع له وأمره بيده يعظم الله بالحمد له ، فالحمد مستقر لله وهو المستحق للحمد والشكر والثناء الحسن الجميل وكل ما تمتع به الانسان من نعم عظيمة في الحياة والصحة والأولاد والإيمان والتوفيق في الطاعة كلها نعم من عند الله ، والملك لك وحدك لا شريك لك يا صاحب الملك ، توخيد في العقيدة ، تنزيه لله سبحانه وتعالى عن الشريك واعتزاف له بالفضل ، وتلبية حقة تختلف عن تلبية المشركين الذين كانوا يقولون

فأخر الوقت طلوع فجر يوم النحر ، قال جابر (لا يفوت الحج حتى يطلع الفجر من ليلة جمع) قال ابو الزبير فقلت له أقال رسول الله ﷺ ذلك ، قال نعم ، وأما أوله فممن طلوع الفجر يوم عرفه فمن أدرك عرفة في شيء من هذا الوقت وهو بما قل فقد تم حجه ، وسميت البقعة عرفات لما رواه عبد الرزاق أخبرني ابن جريج قال قال ابن المسيب قال على بن أبي طالب بعث الله جبريل عليه السلام إلى ابراهيم ﷺ فحج به حتى إذا أتى عرفة قال عرفت وقد أتاهما مرة قبل ذلك فلذلك سميت عرفة ، ويقبول الله تعالى : (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضتكم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام وانكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم)

وفي فضل الوقوف بعرفة روى ابن حبان في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (ما من أيام عند الله أفضل من عشر ذي الحجة قال فقال رجل يا رسول الله هن أفضل أم من عدتهن جهادا في سبيل الله قال هن أفضل من عدتهن جهادا في سبيل الله ما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفه ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيقول : انظروا إلى عبادي جاءوني شعثا غبرا ضاحين بارزين غير مستترين من الشمس جاءوا من كل فج يرجون رحمتي ولم يروا عذابي فلم ير يوم أكثر عتقا من النار من يوم عرفه) رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحه واللفظ له وللبهقي ولفظه قال رسول الله ﷺ (إذا كان يوم عرفه فإن الله تبارك وتعالى يباهي بهم الملائكة فيقول انظروا إلى عبادي أتوني شعثا غبرا من كل فج عميق أشهدكم أنني قد غفرت لهم ، فتقول الملائكة : إن فيهم فلانا مرفقا (يرتكب المحارم) وفلاننا . قال يقول الله عز وجل : قد غفرت لهم وروى ابن حبان في صحيحه في حديث طويل : أقبل رسول الله ﷺ على الأنصاري فقال إن شئت أخبرتك عما جئت تسألني أخبرك فقال يا نبي الله أخبرني بما جئت أسألك قال : جئت تسألني عن الحاج ماله حين خرج من بيته وماله حين يقوم بعرفات وماله حين يرمى الجمار وماله حين يخلق رأسه وماله حين يقضى آخر طواف بالبيت فقال يا نبي الله والذي بعثك بالحق ما أخطأت مما كان في نفسي شيئا قال : فإن له حين يخرج من بيته أن راحلته لا تخطو خطوة الا كتب الله له بها حسنة أو حط عنه بها خطيئة فاذا وقف بعرفات فإن الله عز وجل ينزل إلى سماء الدنيا فيقول : انظروا إلى عبادي شعثا غبرا اشهدوا أنني قد غفرت لهم ذنوبهم وإن كانت عدد قطر السماء ورمى الجمار لا يدرى أحد ماله حتى يتوفاه الله يوم القيامة واذا قضى آخر طواف بالبيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، رواه البخاري وابن حبان في صحيحه واللفظ له .

لبيك اللهم لبيك

روى الامام مسلم بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله

شرح مسلم والأصح أنه لا يلبي في الطواف والسعي لأن لهما إنكاراً مخصصة، ويستحب أن يكرر التلبية كل مرة ثلاث مرات فأكثر ويواليها ولا يقطعها بكلام فإن سلم عليه رد السلام باللفظ ويكره السلام عليه في هذه الحالة، وإذا لبي صلى على رسول الله ﷺ وسال الله تعالى لنفسه ولمن أحب والمسلمين وأفضله سؤال الرضوان والجنة والاستعاذة من النار وإذا رأى شيئاً يعجبه قال: لبيك إن العيش عيش الأخرى، ولا تزال التلبية مستحبة للحاج حتى يشرع في رمي جمرة العقبة يوم النحر أو يطوف طواف الإفاضة إن قسمه عليها أو الحلق عند من يقول الحلق نسك وهو الصحيح، ويستحب للعمرة حتى يشرع في الطواف، ويستحب التلبية للمحرم مطلقاً سواء الرجل والمرأة والمحست والجنب والحائض لقول النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها: (اصنعى ما يصنع الحاج غير أن لا تطوي).

إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، وصحبها الإسلام بتلبية رسول الله ﷺ روى الإمام مسلم بسنده عن سالم ابن عبد الله بن عمر عن أبيه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يهل ملياً ويقول: (لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لا يزيد على هذه الكلمات وإن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يقول كان رسول الله ﷺ يركع بذي الحليفة ركعتين ثم إذا استوت به الناقة قائمة عند مسجد ذي الحليفة أهل بهذه الكلمات وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يهل بإهلال رسول الله ﷺ من هذه الكلمات فيقول لبيك اللهم لبيك وسعديك والخير في يديك لبيك والرغبات إليك والعمل، فالحمد لله والنعمة مستقرة لله ومعنى سعديك مساعدة لطاعتك بعد مساعدة يارب (الرغبات إليك والعمل: معناه: الطلب والمسألة إلى من بيده الخير وهو المقصود بالعمل المستحق للعبادة، قال النووي في

حكمة العيد

وعن حكمة العيد، نقول أن الأعياد عند غيرنا تسميها لغاتهم بما يقابل الطعام أو بالدعوة على طعام. وتلك تسمية بتراء تفقد العيد جوهره ورسالته - وقد سجل القرآن الكريم هذه الحقيقة بما نزل في سورة المائدة:

● قال عيسى بن مريم «اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا، وآية منك. وارزقنا وأنت خير الرازقين».

وهكذا بدأت الأعياد - قبل الإسلام - جسدية في خدمة الأبدان، ولما كرم الله الإنسانية بالاسلام أصبح العيد يوماً يرتبط بخلائق النفس وهيمنة الضمير ويقظة الروح وسيادة العقل..

فكلا العيدين في الاسلام - عيد الصيام ثم عيد الضحية - يوم يحتفي فيه المسلمون ويحتفلون بانتصارهم على الرغبات الدنياه والذنيوية، ثم يرتفعون بالتضحية إلى مرتبة الفداء، مؤثرين صبر العبادة على صبر البلاة وإيقار الغير على حب النفس. وإذا كان نفر من المسلمين يخرج في حياته وسلوكه عن الحكمة من هذين العيدين، فإن هذا الانحراف لا يضير الحكمة ولا يلغيها.. تماماً، مثل الطب - لا يلغيه إهمال المريض حين يركن إلى شفاء عن غير طريق الدواء!

فهنيئاً للمسلمين على عيدهم الأضحى..
وكل عام وانتم بخير.

في مهبط الرعى

كان بى شوق عظيم لزيارة بيت الله الحرام ، ومسجد الرسول والامكن التى سارت عليها خطى النبي ﷺ . كان الأمل يداعب خيالي .. وحقق الله لى هذا الأمل .. وعلى الأرض الطاهرة التى شاهدت مولد النبي ﷺ ومبعثه وجهاده العظيم إلى رحيله إلى الرفيق الأعلى .. كان خيالي يأخذني إلى هذه الفترة الخالدة من التاريخ .. حيث بدأت رسالة الاسلام تنير الطريق في مجاهل عالم متهرىء ظالم .. ويغير معالم الدنيا كلها .. لا في الجزيرة العربية وحدها .. بل في العالم كله .

الأستاذ مأمون غريب

وتمر بالانسان مشاهد التاريخ .. هنا قرر الرسول عليه السلام الهجرة إلى يثرب .. لقد استيقظ الذين يريدون قتله فوجدوا عجا .. لقد غشيهم النعاس جميعا ، ولم يشاهدوا أشرف مخلوق يخرج من بينهم ولا يشعرون به وينزل الوحي على رسول الله .

« وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين »
ويجن جنون قريش ، وتبعث في أثره من يقتفى أثره . ويدخل الرسول في غار حراء مع الصديق ، ويعيش العنكبوت على باب الغار ، وتأتي حمامة وتحط على باب الغار ، ويأتي أهل مكة بالقرب من الغار ، ويقول أبو بكر لصاحبه .

– لو نظر أحدهم تحته لرأنا :

ويرد الرسول عليه الصلاة والسلام

– ما بالك باثنين الله ثالثهما .

ويعبر القرآن الكريم عن هذه الحادثة بأسلوبه المعجز :
« لا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا »

وتمضى أيام رسول الله .. كلها جهاد وقتال في سبيل الدعوة .. ويعود إلى مكة فاتحا .. ويهدم أصنامها . ويحرقها .. وفي ذلك يقول الشاعر فضاله بن عمير .
أوما رأيت محمداً وجنوده بالفتح يوم تكسر الأصنام
ورأيت نور الله أصبح بيننا والشرك يغشى وجهه الاظلام
لقد أمر رسول الله ﷺ من ينادى في الناس يوم الفتح .
أيها الناس .. من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يترك في بيته صنما إلا كسره وأحرقه ، وأعلموا أن ثمنه حرام .

فلم تمض سوى سنوات قليلة في عمر الزمن .. وإذا بالدعاء الخالد « الله أكبر » ينتشر في كل أرجاء الدنيا .. فنهارت دولة الفرس .. وتدخل الجيوش الاسلامية عاصمة كسرى .. المدائن .. بعد انتصار المسلمين الساحق عليهم في معركة القادسية .. لقد دخل سعد عاصمة كسرى وهو يتلو قوله تعالى « كم تركوا من جنات وعيون .. وزروع ومقام كريم . ونعمة كانوا فيها فاكهين . كذلك وأورثناها قوما آخرين »

وحطمت الجيوش الاسلامية أحلام الرومان .. وطردتهم من مصر والشام ، وامتد الزحف الاسلامي إلى الشمال الافريقي كله .. وغير مضيق جبل طارق إلى أسبانيا .. وكان من أحلام قادة المسلمين في العصر العباسي التوغل داخل أوروبا والوصول الى عاصمة الخلافة الاسلامية في بغداد عن طريق الدردنيل .. وحتى تصبح كل هذه الأراضي الشاسعة تؤمن بدين التوحيد المصفي .. كل هذه الأمجاد تحققت بفضل معلم الانسانية الأعظم محمد ﷺ ما أكثر الذكريات التي تتداعى الى الذهن والانسان يطوف ببيت الله الحرام .

• • هنا .. بجانب هذا البيت العظيم الذي رفع القواعد منه إبراهيم واسماعيل .. كان ميلاد نبينا العظيم .. وحول الكعبة المشرفة كان يجلس النبي ﷺ في طفولته على حجر جده عبد المطلب .. ومن هذا المكان الذي كان يمتلئ بالأصنام .. ارتفعت كلمة الله وتحطمت هذه الأصنام .. وفي أم القرى .. تلك .. هاجر الرسول العظيم الى المدينة .. كنت أطوف بالبيت الحرام .. وخيالي يرجع إلى تلك الأيام العظيمة .. وأتذكر قول النبي ﷺ وهو ينظر إلى مكة ويقول كلماته البليغة الرائعة ..

« والله إنك لأحب أرض الله إلى . وإنك لأحب أرض الله إلى الله . ولولا أهلك – أخرجوني ما خرجت منك » .

وفي نفس هذا المكان الطاهر .. تذكرت حادثة من تلك الحوادث التي مرت برسول الله .. يوم أخذ بنشر الدعوة بعد نزول الآية الشريفة :

«وانظر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ، فإن عصوك فقل إني برئ مما تعملون»
يومها خرج الرسول إلى الصفا .. واجتمعت الناس وهي تستمع إليه .

- أرايتم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل .
أكنتم مصدقي

فيجيبوه بقولهم :

«ما جربنا عليك كذبا :

يقول النبي ﷺ

«فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد .»

ويرد أبو لهب :

- تبا لك .. لهذا جمعنا .

وينزل الوحي :

«تبت يدا أبي لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ،
سيصلى نارا ذات لهب ، وامراته حمالة الحطب ، في
جيدها حمل من مسد»

وما تكاد زوجة أبو لهب ، «أم جميل بنت حرب» تسمع هذه الآيات حتى يشتد غضبها ، وتأخذ بيدها حجرا تريد أن تلقيه على الرسول ﷺ .. إنها تعرف أنه في البيت الحرام .. وتتجه إلى الرسول عليه السلام .. ولكن الله يغشى بصرها فلا تراه .. وهو أمامها .. وتقول لأبي بكر الصديق :

- أين صاحبك ، لقد بلغني أنه يهجوني ، والله لو وجدته لضربت رأسه بهذا الفهر (الحجر) .. إنه إن يكن شاعرا يحسن القول . فأتانا أيضا شاعرة أحسن القول ، ويصمت الصديق . وتخرج تبحت عن الرسول عليه السلام وهو أمامها لا تراه ، وهي تقول

منمما عصينا

وأمره قلبنا

وبينه أبينا .

ويسأل أبو بكر الرسول :

- يارسول الله - أما تراها رأتك ؟

فيقول الرسول الكريم .

- مارأتني . لقد أخذ الله ببصرها عني

في هذه الأماكن المقدسة يتداعى إلى الذهن كل ما هو عظيم وجليل .. لقد نهبت إلى الطائف .. وصعدت العربية بنا طريقا وعرا صعبا . الجبال عالية وموحشة . ولونظرت إلى أسفل لهالك المنظر المتدرج .. وهالك قسوة الصخور الصماء .. وكان التساؤل الذي برز في ذهني .. كيف سار

الرسول الكريم عبر هذه الصخور الموحشة ليصل إلى الطائف ؟ ..

إنه ذهب إلى هناك لعله يجد النصير بعد أن قاومت مكة الدعوة بعنف . وفي ظل الظروف النفسية التي كان عليها

الرسول عليه السلام .. فقد ماتت زوجته الوفية خديجة .. ومات عمه أبو طالب .. وكان الرسول عليه السلام يسمى هذا العام عام الحزن .. ولكنه قوبل في الطائف بمقابلة غير كريمة .. بل سلب عليه ساداتها السفهاء ليرموه بالحجارة .. ويجلس الرسول الكريم بجانب بستان .. ويتجه بكيانه كله إلى السماء .. ويقول تلك الكلمات الرائعة البليغة

« اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس .. يا أرحم الراحمين . أنت رب المستضعفين وأنت ربي . إلى من تكلني ، إلى بعيد يتجهمني ؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي . ولكن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك . لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك »

• • • ويرى صاحب البستان ماحل بالنبي عليه السلام ، فيمس العطف شغاف قلبه ، ويأمر خادمه (عداس) أن يذهب بطبق من العنب للرسول ، ويتناوله النبي قائلا باسم الله ، ويدش عدا ، ويسأل الرسول :

- هذا الكلام لا يقوله أهل هذه البلاد ويسأله الرسول عليه السلام عن دينه وعن البلد القادم منه .

ويقول الغلام : أنا نصراني من نينوى ويرد الرسول : من بلد الرجل الصالح يونس ابن متى

- ومن عرفك بيونس ابن متى ؟

- إنه أخى . كان نبيا وأنا نبى مثله .

وينحنى عداس يقبل رأس الرسول عليه السلام ، ويديه وقدميه ويعلم إسلامه .. لقد خرج الرسول من هذه الرحلة الشاقة بإسلام رجل واحد .. وهو عداس .. وكان ذلك يعنى أن المستضعفين بإسلامهم يرفعهم الله درجات .. وأن بهم سينتصر دين الاسلام ليعم المشرق والمغرب .

لقد سرت في أماكن كثيرة من الأماكن المقدسة في مكة والمدينة والطائف .. وكانت بالخيال مشاعر لا يمكن أن يصفها القلم .. وكيف يمكن أن يصف القلم كل هذا الجلال والجمال الذي يستشرقه الإيمان .. لم يجد اللسان دعاء أجمل من ذلك الدعاء الذي يقال عند دخول المدينة المنورة .. وأنا في طريقى لزيارة قبر رسولنا العظيم .

« اللهم إن هذا هو الحزم الذي حرمته على لسان رسولك فحرم جسدى على النار ، وأمنى من عذابك يوم تبعث عبادك ، وارزقنى مارزقت أوليائك ، ووفقنى لحسن الأدب وفعل الخير بفضلك يا أرحم الراحمين .

اللهم إنى أسالك الثبات في الأمر وعزيمة الرأى وشكر النعمة .

وأسالك لسانا صائقا وقلبا سليما .

وأسالك من خير ما تعلم واستقر كما تعلم . إنك أنت علام الغيوب .

وفود الرحمن

فضيلة الشيخ عبد الصّاح أحمد عرطوف

في تلك الأيام المباركة المشرقة أخذت وفود الرحمن تتجه الى أعز مكان وأظهر بقعة من بقاع الأرض إلى مكة المكرمة استجابة لدعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام وحقا إنها دعوة كريمة لأداء فريضة من فرائض الاسلام وصلى الله تعالى «واذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود وإن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم» والحج هو الركن البدني المالي الروحي الاجتماعي الذي تتجلى فيه المظاهر الاسلامية ترى وفود الرحمن في صورة مشرقة تراهم إخوانا متحابين متعاونين حيث تربط بين قلوبهم روابط الاخاء والوئام .

وبعد الصلاة اشرب من ماء زمزم فقد ورد ماء زمزم لما شرب له ثم اخرج من باب الصفا واسع بين الصفا والمروة سبعا يقول الله تعالى «ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما»

ايها الحاج الكريم قف في اليوم التاسع من ذي الحجة بعرفة واكثر من الذكر والتوبة والاستغفار بقول النبي ﷺ «الحج عرفة» وقال خير الدعاء دعاء يوم عرفة وبعد الوقوف بعرفة انزل الى المزدلفة واكثر من ذكر الله عند المشعر الحرام قال تعالى «فإذا أفضت من عرفات فانكروا الله عند المشعر الحرام وانكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين»

ثم انزل بمنى يوم النحر واختم عملك برمي جمرة العقبة وبالطوق أو التقصير ونبح الهدى قال ابن عباس رضي الله عنهما «الشیطان فارجموه وملة ابيكم ابراهيم تتبعون» ثم ارجع الى مكة يوم النحر وطف حول الكعبة سبعا طواف الافاضة ثم ارجع الى منى لرمي بقية الجمار وانكر الله تعالى في الايام المعهودات قال تعالى «وانكروا الله في ايام معدودات فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون»

فإذا عزمتم الرجوع أو الذهاب لزيارة المصطفى ﷺ فاختم بطواف الوداع ويستحب للمودع ان يدعو بالمأثور عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو [اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك حملتني على ما سخرت من خلقك وسترتني في بلادك حتى بلغتنى بنعمتك إلى بيتك وأعنتني على أداء نسكي فإن كنت راضيت عني فإزدد عني رضا وإلا فمن الآن فارض عني قبل ان تنأي عن بيتك داري فهذا أو انصرافي إن أننت لي غير مستبيل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك اللهم فاصحبني العافية في بنى والصحة في جسمي والعصمة في ديني وأحسن منقلبي وارزقني طاعتك ما أبقيتني واجمع لي بين خيرى الدنيا والآخرة انك على كل شيء قدير .

جعلنا الله من وفد بيته الكريم وغفر الله لنا ولكم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكيف لا وهم في أظهر بقاع الأرض التي سطع في آفاقها نور الاسلام وهبط وحى السماء على صفوة الانام وتفجرت منها ينابيع العلوم ومبادئ العدالة والامانة والحرية والسلام

ترى وفود الرحمن ليسوا جميعا زيا واحدا وانتظمو انتظاما واحدا وقصدوا ربا واحدا وأنشدوا نشيدا واحدا «ليكن اللهم ليكن ليكن لا شريك لك ليكن ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»

ترى المساواة بينهم في أعظم صورها لا فوارق بينهم ولا مميزات تراهم تجردوا جميعا من ملابس الزينة واكتفوا بلباس التقوى والزهادة وهم مع تباعد أوطانهم واختلاف السننهم والوانهم في تلك البقاع الطاهرة قد تحقق فيهم قول الله عز وجل «يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير»

وترى صورة من آداب الاسلام ان تحرم المرأة بملابسها المعتادة فلا إزار ولا رداء محافظة على الستر وهذا تشريع عظيم من لدن حكيم عليم وعليك ايها الحاج الكريم ان تباشر الى البيت وتدخل من باب بنى شيبه باب السلام في خشوع وضراعة قائلا «اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم بسم الله اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وإذا وقع نظرك على البيت فارفع يديك الى السماء مرددا «اللهم زد هذا البيت تعظيما وتشريفا وتكريما ومهابة وزد من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفا وتكريما وتعظيما وبرأ

اللهم انت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام فإذا دخلت المسجد فطف سبعا حول الكعبة طواف القدوم فقد جاء في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ «ينزل الله كل يوم على حجاج بيته الحرام عشرين ومائة رحمة ستمين للطائفين وأربعين للمصلين وعشرين للناظرين

وعليك ايها الحاج بعد الطواف ان تصلى ركعتين عند مقام ابراهيم عملا بقول الله تعالى «واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى»

بيت الله الحرام في ضوء القرآن والسنة

في سؤال وذى القعدة وأوائل ذى الحجة من كل عام ، في هذه الأشهر المعلومات التي قال الله فيها « الحج أشهر معلومات » ، تهب على قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها نسمات بيت الله الندية العطرة ، فتبعث فيها كوامن الشوق والحنين إلى زيارة هذا البيت الحرام وشد الرجال إليه للنزول في أكرم رحاب .

هذا الشوق والحنين وهذه الاستجابة الفطرية والتلقائية إنما كانت استجابة من الله لدعوة إبراهيم الخليل يوم ذهب بولده إسماعيل وأمه هاجر إلى أرض مكة وتركهما قافلا إلى أرض الشام وهو يدعو ربه أن يجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم .

الدكتور عبد الغنى الراحمي

وسقاء من ماء فلما نفذ الماء عطشت هي وابنها ف ضرب جبريل موضع زمزم بعقبه أو بجناحه فخرج الماء فجعلت تشرب به فمكثوا كذلك حتى مرت بهم قبيلة من جرهم كانوا ذاهبين إلى الشام فعطشوا فرأوا الماء عندها فقالوا لها آتأذنين لنا أن ننزل عندك فقالت نعم فنزلوا وأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم .

فلما شب إسماعيل تعلم منهم العربية وكان أنبهم ، وأعجبهم فزوجوه بأمرأة منهم وماتت أمه بعد أن تزوج ، وكان أبوه دائم الزيارة له في حياة أمه وبعد موتها « فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أنني أنبحك فانظر ماذا ترى ؟ قال يا أبت أفعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ، فلما أسلما وتلاه للجبين و نادياه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين » ولما كبر إسماعيل أمر إبراهيم ربه أن يشركه معه في بناء هذا البيت

فان هاجر كانت جارية لسارة أهديت إليها من جبار مصر فوهبتها لإبراهيم فولدت منه إسماعيل ، فأخذتها الغيرة جبلة الأنثى وطبعها ، لأنها لم تكن ولدت قط وكانت عقيما فأنشده الله أن يبعدها عنها فأوحى الله تعالى إليه تنفيذا لقضاء محكم وإرادة يريد نفاذها ، أن ينقلهما إلى أرض مكة فهاجر الثلاثة من الشام إلى الحجاز فوضعهما في مكة عند البيت مكان زمزم وليس بمكة أحد ولا بناء ولا ماء فلما هم راجعا إلى الشام تعلق به هاجر قائلة أين تذهب وتتركني في هذا المكان الذي ليس به إنسي ولا شيء فلم يلتفت إليها . فقالت الله أمرك بهذا ؟ فقال نعم . فقالت إنن لا يضيعني فسكتت وانطلق إبراهيم يرفع يديه إلى السماء قائلا « رب إني أسكنت من تربتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا » وترك عند هاجر جرابا من تمر

الحرام فبنياه وكان قد اندثر من مكانه وذلك قوله تعالى في سورة البقرة « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن نريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » وقوله تعالى في سورة الحج « وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » يقول المفسرون أنه صعد على جبل أبي قبيس فخفضت الجبال من رؤوسها وأشرأت القرى بأعناقها فنادى يا أيها الناس إن ربكم بنى لنفسه بيتا وأوجب عليكم حجه فأجيبوا ربكم والتفت جنوبا وشمالا وشرقا وغربا فأجابه كل من كتب له أن يحج من أصلاب الرجال وأرحام الأمهات لبيك اللهم لبيك فليس حاج يحج من يومئذ إلى أن تقوم الساعة إلا من أجاب إبراهيم عليه السلام يومئذ فمن كان لبي مرة حج مرة ومن كان لبي أكثر حج أكثر ، وكان إبراهيم قد وضع الحجر الأسود في مكانه بإرشاد جبريل . وظل هذا البيت محجوجا معظما من العرب وغيرهم من أمم كثيرة قد علمت أنه بيت الله وإن زيارته زيارة لله ، إلا أن العرب في الجاهلية لما حرقوا الحنيفة الإبراهيمية وأشركوا مع الله غيره أصناما يضعونها حول الكعبة لتقربهم إلى الله زلفى حرقوا التلبية كذلك فكانوا يقولون في حجهم لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكا تملكه وماملك ، فلما جاء الإسلام أعاد الله وحدانيته وللبيت حرمة وللحج نظامه ونظافته ، فمحيت الأصنام وخلص الحج وخلصت التلبية لله الواحد القهار ، وحطم النبي ﷺ يوم فتح مكة الأصنام التي كانت حول الكعبة وهو يقول « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » ولما طاف مع أصحابه حول هذا البيت المحرم وهذه الكعبة المشرفة وقال لعمر بن الخطاب هذا حجر إسماعيل وهذا مقام إبراهيم ، قال عمر أفلا تتخذهم مصلى يارسول الله فما غربت شمس هذا اليوم حتى نزل قوله تعالى « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا

واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى » ولما تناقش المسلمون واليهود في أي المساجد بنى أولا فقال المسلمون المسجد الحرام بمكة وقال اليهود المسجد الأقصى بالقدس ، نزل قوله تعالى « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » . بيت هذا شأنه وتلك سيرته العطرة وتاريخه المجيد ونسبته إلى رب الأرباب خالق الأرض والسماء ليس بيت زيد أو عمرو أو ملك من ملوك الأرض ، ولكنه بيت الله والمسجد الأم لجميع المساجد على ظهر الأرض لا غرابة في أن أوجب الإسلام على القادرين من المسلمين حجه وزيارته والطواف به طلبا لرحمة الله ومغفرته ورضوانه فإذا كان الله يقول في حديثه القدسي في شأن المساجد عامة « طوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره » . فما بالناس بمن يزوره في هذا المسجد خاصة الذي جعله قبلة لسائر المساجد ولا تصح صلاة مسلم في أية بقعة من الأرض إلا إذا توجه إليه بوجهه وهو يصلى ، والله يقول لرسوله « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » ويقول « ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » « سورة البقرة » يخرج المسلم من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله شادا رحاله نحو هذا البيت مهمانأت الدار وشط المزار ، فلا بد من صنعا وإن طال السفر ، فما أن يصل إلى هذه الرحاب حتى يحس أنه خلق من جديد ، وأنه في سعادة غامرة ونشوة لا تعد لها نشوة ، يخلع ملابس ديناه ويلبس ملابس إحرامه كأنه يتجرد من الدنيا وعلائقها ضارعا لله قائما راکعا ساجدا عاكفا طائفا بالبيت ، قائلا لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والملك والنعمة لك ، فتحييه ملائكة السماء لبيك وسعديك والخير بين يديك حج مبرور وذنب مغفور . هذه الحشود التي تطوف بالبيت على اختلاف السننها وألوانها وشعوبها وأقطانها وقد ذابت بينهم الفوارق ، لا غنى ولا فقر ، ولا رفيع

ولا وضيع ، ولا عظيم ولا حقير ، ولا أبيض ولا أسود ، الجميع في ثياب موحدة وزحمة واحدة ومكان واحد وزمان واحد ، وحدت بينهم كلمة التوحيد وصهرتهم فأذابتهم في بوتقة واحدة ، طاعة الله ومرضاته وخشيته ، تراهم حافين بالكعبة كأنهم أرواح مجردة تهفو حولها ، فلا يسعك إلا أن تتذكر قول الله سبحانه « وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين » وقوله تعالى « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به .. الآية . يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات ... ثم ليقتضوا ثقتهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق . يقول المفسرون وصف بالعتيق لقدمه وأنه أول بيت وضع للناس في الأرض أو لأنه من دخله كان آمناً في الدنيا عتيقا من النار يوم القيامة ، أو لأنه عتيق نفيس كريم عزيز كما يقال عتاق الخيل والطير أي كرامها ونفائسها ، أو لأنه عتق من هدم أبرهة له لما أراد به جيش الفيل فأبانه الطير الأبابيل كما في قوله تعالى « ألم تركيف فعمل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول » ولما هاجم جيش الفيل هذا البيت فهب في طريقه إبلا لعبد المطلب فذهب عبد المطلب يطلب إبله فقال له قائد الجيش أطلب الأبل ولا تطلب رجوعي عن هدم البيت فقال له عبد المطلب أنا رب الأبل وأما البيت فله رب يحميه ثم ذهب فتعلق بأستار الكعبة يقول يارب لا أرجو لهم سواك يارب فامنع منهم حماكا .

**امنعهم أن يخربوا قراكا
إن عدو البيت من عاداكا
رباه إن المرء يمنعه رحله فامنع رحالك
انصر على آل الصليب ومعتديه اليوم ألك**

وقد ورد أن الرسول ﷺ في غزوة الحديبية أوشك أن يدخل مكة بجيش المسلمين عنوة وحربا ، فما كان من ناقتة التي يركبها إلا أن بركت في الطريق توقفا عن المسير بقوة خفية غير ظاهرة فقال أصحابه خلأت القصواء يعنون إنها مكرت

وتوقفت عن المسير عنادا فقال لهم ما خلأت القصواء وما ذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ، أي حبسها الله عن المسير لأنه سبحانه لا يريد للمسلمين أن يدخلوا مكة عنوة وحربا تعظيما لها من أجل بيته الحرام ، وهي حرام منذ خلقها الله لم تحل لأحد قبل الرسول أو بعده إلا ساعة من نهار ، وثبت أن الرسول في ليلة هجرته التفت إلى مكة وهو خارج منها يقول : والله إنك لأحب بلاد الله إلى قلبي ولولا أن قومي أخرجوني منك ما خرجت ، وروى الشافعي في مسنده عن ابن جريج أنه كان إذا رأى هذا البيت الحرام رفع يديه وقال « اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما وبرا » وروى أن عمر بن الخطاب كان ينظر إلى هذا البيت ويقول . اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام .

والطواف بهذا البيت ركن من أركان الحج وهو عبارة عن سبع دورات كاملات يدورها الحاج حول الكعبة مبتدئا ومنتهايا بالحجر الأسود جاغلا الكعبة عن يساره ومستلما للحجر الأسود في كل دورة بتقبيله إن أمكن أو لمسه أو الإشارة إليه عن بعد ، وقد قبله الرسول ﷺ ، وقبله بعده عمر وقال إنني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنني رأيت رسول الله يقبله ما قبلتك ، وقد ورد في بعض الأحاديث عن الرسول ﷺ أنه يمين الله في الأرض ، ولا شك أن استلام اليمين وتقبيلها علامة المحبة والصفاء والرضى ، ولا شك في أن ذلك كله كناية عن محبة الله وتعظيمه واستدرا رحمة ، أو تمثيل لعظمته وسعة فضله على الناس ورحمته بهم وتمكينهم من الحصول عليها والتوصل إليها من خلال هذه الأقوال والأفعال ، فلا تشبه في ذلك بأعمال الشرك والوثنية كما يقول بعض المفسرين الضالين الحاقدين ، الذين يحولهم دائما أبدا أن يشككوا في الاسلام وتعاليمه السمحة الحنيفة ، وللحاج أن يطوف بالبيت كلما شاء ومتى شاء ، والطواف كالصلاة لا يجوز لمحدث أو حائض أو عريان ، إلا أن الله أباح فيه الكلام ، لكن الركن المحتم منه الذي لا يتم أركان الحج إلا به هو طواف الأفاضة بعد الوقوف بعرفة والأفاضة منها إلى منى والمزلفة إلى البيت الحرام يوم النحر بعد الرمي والنحر والحلق . هذه الأفاضة التي تشير

إليها قول الله سبحانه « فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم » والمسنون بصورة مؤكدة طوافان آخران ، طواف القدوم عند أول مقدم الحاج مكة فإنه يسن له أن يقصد المسجد لفوره فيطوف طواف القدوم تحية وتعظيما للبيت وربه وطواف الوداع عند خروج الحاج من مكة قافلا إلى وطنه الذي أتى منه ، فإنه يسن له أن يطوف بالكعبة توديعا لها ليكون آخر عهده وخاتمة مطافه هو البيت وتعظيمه ، فيكون مسك الختام لأعماله ذكر الله حول بيته والله تعالى يقول « فإذا قضيتُم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آبائكم أو أشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب » . روى أحمد ومسلم عن ابن عباس قال كان الناس ينصرفون في كل وجه فقال رسول الله ﷺ لا ينفر أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت ، وروى البخاري ومسلم عن ابن عمر أن النبي ﷺ كان إذا قفل « رجع » من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ثم يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير أيون ، تائبون ، عابدون ، ساجدون ، لربنا حامدون ، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده .

هذا هو البيت الحرام وطوافه الركن اليماني في فريضة الحج وأدائها . نعم إن للحج أركاناً وواجبات أخرى كالنية والوقوف بعرفة ، والسعي بين الصفا والمروة ، والمبيت بمنى والمزدلفة ورمي الجمار ، واللق أو التقصير ، لكن الله تبارك وتعالى لما ذكر في كتابه فريضة الحج أضافه إلى البيت دون سواه حتى في مقام ذكر الأركان الأخرى فقال تعالى « إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » فقال سبحانه « والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » وكذلك فعل الرسول في قوله « بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأقام

الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا » ويعرف جمهور الفقهاء فريضة الحج بأنها قصد البيت الحرام للنسك في أشهر الحج وكذلك يعرفون العمرة بقولهم إنها قصد البيت الحرام للنسك لا في خصوص أشهر الحج . والحج واجب على المستطيع بالإجماع والكتاب والسنة ، وفي العمرة خلاف بين الوجوب والندب وفيهما يقول سبحانه « وأتموا الحج والعمرة لله » وفي وقت الحج يقول تعالى « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج » ويقول المفسرون الأشهر المعلومات شوال وذى القعدة وعشرة أيام من ذى الحجة . روى أحمد والنسائي عن ابن عباس أنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : يا أيها الناس كتب عليكم الحج فقام الأقرع بن حابس فقال أفي كل عام يا رسول الله فقال لو قلتها لوجبت ولو وجبت لم تعملوا بها ولم تستطيعوا أن تعملوا بها ، الحج مرة فمن زاد فهو تطوع وفي فضل الحج والعمرة لزيارة هذا البيت أحاديث كثيرة كمثل ما روى الشيخان عن أبي هريرة سئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل . قال إيمان بالله وبرسوله . قال ثم ماذا ؟ قال ثم الجهاد في سبيل الله ، قيل ثم ماذا ؟ قال حج مبرور .

وروى أبو داود عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة . » وروى عنه ﷺ أنه قال « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

وقد نقل تفسير الجمل على الجلالين في سورة البقرة عن القسطلاني على البخاري ما يفيد أن هذا البيت العتيق بنى عشر مرات . الأول بناء الملائكة له قبل أن توجد البشرية . الثاني بناء آدم . فقد روى أنه قيل له أنت أول الناس وهذا أول بيت وضع للناس . الثالث . بناء ولده شيث حتى زمن نوح والطوفان . الرابع بناء إبراهيم . وقيل في هذا المقام ليس في هذا العالم أشرف من هذا البناء ، فالأمر الملك الجليل ، والمبلغ المهندس جبريل ، والثاني الخليل ، والمعين اسماعيل . الخامس بناء العمالقة ، السادس بناء جرهم ، السابع بناء قصى خامس جد للرسول ، الثامن بناء قريش اشترك فيه

النبي وهو ابن خمس وثلاثين . والتاسع بناء عبد الله بن الزبير لما تصدعت الكعبة من حجارة الذي قذفها به الحجاج وقد رجع بها إلى قواعد ابراهيم وأدخل فيها ما كانت أخرجه قريش لما ضاقت بهم النفقة أخذاً من الحديث الذي قال فيه الرسول لعائشة لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لثبتت الكعبة على قواعد ابراهيم ، العاشر بناء الحجاج بعد مقتل الزبير مع تعديل في بناء ابن الزبير لتعود على ما تركها عليه الرسول .

وقد روى أن أبا جعفر المنصور أراد أن يعيد بناء الكعبة على ما كان فعله ابن الزبير أخذاً من حديث الرسول فناشده مالك في ذلك وقال أخشى أن تصير العوبة بين الملوك وقد جاء في بناء الكعبة وأطواره وعده شعر منظوم يقول :

بنى بيت رب العرش عشر فخذهم
ملائكة الله السكرام وأدم
فشيث فابراهيم ثم عمالق
قصي قريش قبل هذين جرهم
وعبدالله ابن الزبير بنى كذا
بناء لحجاج وهذا خاتم

هذا هو بيت الله وإن كان يطلق على المسجد كله بيت الله ، إلا أن هذه الكعبة بصورة أخص هي بيت الله ، وهي كعبة لأنها مكعبة قريبة من التربع طولاً وعرضاً وارتفاعاً .

وها هو ذا كتاب الله يقول في سورة المائدة «جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وإن الله بكل شيء عليم» سورة المائدة ٩٧ لقد كان هذا البيت الكريم ولا زال خيراً وبركة على العرب والمسلمين في الجاهلية والاسلام ، فكان في الجاهلية مجداً وعزاً وفخاراً يؤمه الناس من أطراف الجزيرة وتتطلع إليه أنظار كثير من أمم الأرض في هذا الزمان . وكان الكل يعلم أنه بيت الله من العرب وغيرهم ومن سائر أرباب الديانات والملل والنحل ، وكانت سمعته الدينية تغطي على سمعة سائر بيوت العبادة في الديانات الأخرى مما كان سبباً في حزن الفيل الذي كان سببها لماذا ينصرف التعظيم كله إلى هذا البيت دون غيره ، وكانت مكة بسببها مركزاً من أهم المراكز التجارية

في عالم ذلك اليوم ، تمر بها القوافل من الشرق في الحبشة وأفريقيا إلى الغرب في الهند وآسيا . ومن الشمال إلى الجنوب وبالعكس فيما بين اليمن والشام ، وكان العرب يشعرون بذلك فيزدادون تعلقاً به وتقديساً وإكراماً وكانوا يبدأون خطبهم بقولهم الحمد لله الذي جعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً . وكانوا يقولون في قسمهم ورب هذه البنية يقصدون الكعبة ، وكانت الوظائف المتعلقة به من أواخر مفاخر العرب كالسقاية والسدانة والرفادة ، وكان لهم مثابة وآمنة ومرتقاً . كما قال تعالى في سورة القصص «وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا . أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجيبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون» وما كان شركهم ونصبهم الاصنام حول البيت إلا عملية انحراف على فترة من الرسل ، فلما جاء الاسلام عدل انحرافهم وقوم اعوجاجهم وجعل منهم خير أمة أخرجت للناس وزاد من حرمة هذا البيت وتعظيمه فجعل زيارته وحجه ركناً من أركان الاسلام ، وجعل التوجه إليه في الصلاة أينما كانت ركناً من أركان الصلاة ، والصلاة عماد الدين وهو من هذه الوجهات يعتبر أكبر عملية تجميع وتوحيد بين المسلمين في اليوم والليلة خمس مرات وهم في أماكنهم أينما كانوا ومرة في كل عام بأشخاصهم وأعيانهم في شعائر الحج ومناسكه ، وترابط المشاعر وتكتيل القوى وتجميع الكلمة وتوحيد الصفوف والأهداف بين الأمم والجماعات وأفراد البشرية عامة للسير بها قدماً إلى الأمام ، في مدارج الرقى والخير والأمن والسلام ، كانت وما زالت ولن تزال ظاهرة لها دلالتها وفعاليتها في قضايا حاضر البشرية ومستقبلها ، وما المؤتمرات والهيئات والمجالس التي تعقد اليوم على الصعيد العالمى بين الدول والأمم ، إلا نماذج لهذه الظاهرة التي رسخ الاسلام وجودها ونمى في الانسانية دوافعها ، ووضع لها مخططات وتنسيقات من منذ أربعة عشر قرناً من الزمن ، فكان بحق دين الفطرة ودين الانسانية جمعاء ، تلف لفة وتدور حوله ولكنها لم تنفذ إليه في صراحة .

جمع الاسلام أحاسيس المسلمين ومشاعرهم على تقديس البيت وتعظيم مكة حتى نهاهم عن قتال المشركين عند المسجد الحرام فقال تعالى [البقية ص ١٠٥]

يوم الحج الكبير

الرَّسَّاءُ عَبدُ الحَكِيمِ النِّجَارِ

إذا كانت فريضة الصلاة .. قد جذبت كل مسلم الى الكعبة والبيت الحرام .. حينما اتجهوا اليها في اثناء اداء الصلاة .. فإن فريضة الحج قد ربطت الامم والشعوب الاسلامية على اختلاف اجناسها واللوانها ولغاتنا .. بهذا المكان الخالد في مكة المكرمة .. فيتوجهون بالتشرف بزيارته ومشاهدته والطواف بالبيت العتيق .. ويلتقي هذا الحشد الهائل في مظاهرة واحدة من التجرد عن الدنيا وزخارفها لا فرق بينهم .. متجهين الى واهب الحياة جلت قهرته وعظمت إرانيته بصفاء النفس والروح والعقل والقلب .. الذي اختار لهم الاسلام ديناً .. لاداء مناسك الحج .. فواجب المسلمين أن يفدوا ويدعموا هذه الوحدة الرائعة في المشاعر والمنهج والاتجاه .. حتى يحققوا ما يهدف اليه الاسلام في الاخاء والأمن والرخاء .. والبذل والعطاء بلا حدود هذه طبيعة الاسلام الذي جعل الحج واحداً من أركانه .. وبذلك يقول ربنا تبارك وتعالى :

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم)

الوحدة الاسلامية

ان الوحدة هدف واضح من اهداف الحج .. فيه يجتمع المسلمون من كل مكان في الأرض .. ليتشاوروا في شئونهم .. يتبادلون الرأي فيما يعود عليهم بالخير والعزة والاصلاح .. ويدعموا الوحدة فيما بينهم .. وقد قال ربنا تبارك وتعالى (وائن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق ليشبهوا منافع لهم) ..

فإنن ليس القصد من الحج مجرد الزيارات وتأدية المناسك والعبادات .. وانما القصد ترسيخ عوامل الوحدة وتثبيت الأخوة .. واظهار الشخصية الاسلامية .. والعمل على تنمية هذه المعاني الجليلة العظيمة الكريمة في وحدة رائعة وعمل كبير لتدعيم الدعوة الاسلامية الخالدة ..

وفد الله

ان حجاج بيت الله وفد الرحمن .. استجابوا لندائهم واخلصوا في دعائه .. وتجردوا لعبادته وتنزهوا في مناجاته .. لذلك كانت لهم عند الله منزلة المربين ، ودرجة الاختيار المصطفين .. فواجبهم أن يستجيبوا لله وللرسول عليه السلام في نشر الدعوة الاسلامية .. والإذعان لحكم الله في تشريعه والمبادرة كما يرضى الله والرسول عليه السلام والاهتمام بأمر المسلمين ..

وقد قال رسول الله ﷺ .. (الحجاج والعمار وفد الله .. ان دعوه أجابهم وان استغفروه غفر لهم) .. وقال أيضا .. وفد الله ثلاثة .. الحاج والمعتمر والفايز .. لذلك صنع الاسلام لكم تشريعاته مما يجعلكم أمة واحدة .. تصبر عن ستر واحد .. هو القرآن الكريم ..

المؤتمر الاسلامي الكبير

لعل المسلمين في مؤتمراتهم السنوى العام الذى دعاهم إليه ربهم يعملون على تحقيق الغاية التى تهدف اليها قريضة الحج وهى عبادة جامعة لاسرار كثيرة .. ان ربنا يوجهنا حين يجمعنا في الحج الاكبر بقوله (ليشهدوا منافع لهم . ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم .) واخيرا ..

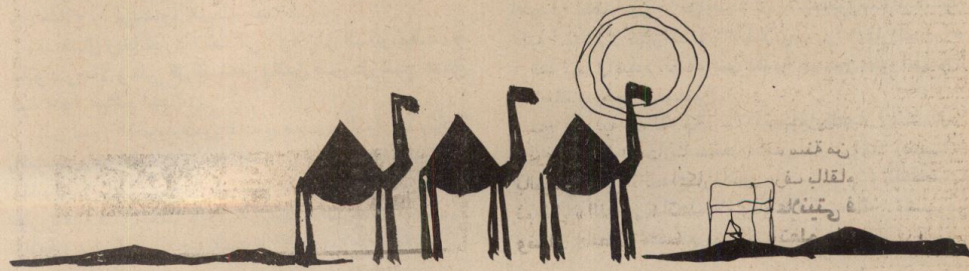
في الوقت الذى فيه يفيض الحاج من عرفات والمشعر الحرام .. وفي الساعات الاولى يوم العيد الاكبر حيث يهرعون الى جمره العقبة يرمون الشيطان ويحبطون كيده .. وفي الساحة الواسعة في وادى (منى) بين الجبال الشامخة حيث تسيل الدماء من الاضاحى والهدى

والفداء .. مشعرة بان المسلم قد ضحى ما وسعته التضحية في سبيل الفوز برضوان الله .. يعيد بذلك تلك الصورة التاريخية الاولى التى برهن بها ابراهيم الخليل وولده اسماعيل على ان الايمان بالله اذا تمكن من النفوس هان في سبيله كل شيء وان حب الله اذا تغلغل لا يزاحمه حب اى شيء في الوجود في تلك اللحظات السعيدة في هذه الاماكن المقدسة تشعر نفوس المؤمنين في مشارق الارض ومغاربها بالحنين الى شهور هذه المواقف الكريمة الغاية .. التى يتجلى فيها الايمان بمعناه الواضح وتظهر فيها العبودية الخالصة باقوى تعبير .. والحنين في العودة الى رحاب الله والوقوف امام مقام الجلال والكمال والجمال مقام سيننا رسول الله ﷺ وسلام على المرسلين .. والحمد لله رب العالمين .

وسنة الرسول العظيم ﷺ .. وتحجون جميعا الى مكان واحد .. تتشاورون في شئونكم وما اصاب جماعة المسلمين من ان لآخر .. وتشعرون بشعور واحد .. هو شعار الاخاء والوفاء والنقاء .. وبدعاء واحد من فوق عرفات الله .. فنضرع الى الله جل جلاله .. ان يوقظ وعى المسلمين فيعملوا على تحقيق الحكمة التى يريدونها من ادائهم هذه العبادة الجامعة .. ومن هذا التجمع السنوى للمخلصين من احبائه .. باجتماع كلمتهم وتوحيد ارادتهم وحسن تعاونهم .. وتكافلهم في شتى المجالات حتى يعيدوا كما اراد رب الناس .. خير امة اخرجت للناس .. حقق الله آمالنا وايماننا على تحرير أنفسنا واسترداد قلوبنا الاولى وأرضنا المغتصبة ..

امة واحدة

وقد كان المسلمون فعلا امة واحدة .. وكان المجتمع كله اسلاميا .. المال مال الله لليفاع عن الاسلام والحفاظ على مقدساته وأرضه فاذا اعتدى معتد على أية بقعة اسلامية تحركت الجماهير المؤمنة وتناثرت بشعار الاسلام .. الله اكبر الله اكبر .. كما تجاوبت اصداؤها في يوم الحج الاكبر .. لبيك اللهم لبيك .. والامة الاسلامية يحدها الأمل اليوم أن تنهض بشريعة الاسلام وأن تتحد تحت رايته حتى تعود إلى طريق الصواب والساد .. لتحقيق عزة العالم الاسلامى ووحدته وقوته .. وانتصاره على المتأمرين ..



إلى خالقنا رب العزة نتضرع ونبتهل إليه سبحانه
مخلصين له الدين ومخلصين له داعين أن يتقبل دعائنا
فيمن من فضله بالتوفيق والعزة علينا في دنيانا وفي
آخرتنا فإنه نعم المولى حسبنا ونعم الكريم القريب
المجيب .

وإن لربنا سبحانه لنفحات كريمة طيبة قد خص بها
الامة المحمدية ، وإن من اكرم تلكم النفحات الالهية
ما يفيض به العزيز الرحيم على عباده المخلصين حينئذ
يتأهبون لحصولها فيخلصون في عبادتهم وفي أعمالهم
فيقبل الحق عليهم بقوله سبحانه « وأن ليس للانسان
الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء
الاوفى وأن إلى ربك المنتهى » .

الا إن إسلامنا قد جعل فرائضه منظمة فهو حقاً الدين
القيم فالمسلم المؤمن الذي شهد بوحداية المعبود القادر
وأمن برسله جميعاً وأقام الصلاة وأتى الزكاة ما دام
قادر عليها وصام شهر رمضان ووفقه الحق إلى أداء
فريضة الحج إن هذا المسلم لهو الفائز بالسعادة حقاً في
الدنيا وفي الآخرة وكلنا أيها القراء الاعزة نتمنى أن
يجعلنا الرحمن مع هؤلاء الفائزين السعداء .

وإن بين أيدينا وسمعنا وأبصارنا ذلك الحدث العظيم
الفريد في تاريخ الانسانية منذ كانت على وجه الأرض ذلكم
هو أداء فريضة الحج . فقد ثبت أن الحج من المؤتمرات
الاسلامية القومية التي تتكرر كل عام على مدار التاريخ منذ
كان التاريخ ، فمن الواجب علينا بعد إذ شرح الله صبورنا
بهذا الفتح الجديد لأحياء الطاقات العربية الهائلة فصار
هذا الحشد الكبير لقوة الامة العربية ذا أثر فعال في تقدم
العرب والمسلمين فدخلنا معركة الحق لاعزاز الاوطان
وتحريرها بقوة الايمان والعتاد والسلاح من كل نوع .

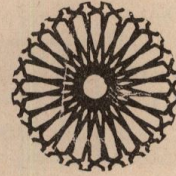
وقد صار لزاماً علينا نحن المسلمين أن نعالج قضايانا
وأن ندرس بعناية خططنا المختلفة لما ثبت لنا من قوة وعزة
وكرامة ، وإننا مقبلون على أعظم مؤتمر وأقدس جمع في
اكرم مكان وزمان هو يوم عرفة الذي أعظم قدره وأعلى
مكانته رب السموات والأرض وهو قمة فريضة الحج وقد
صدق رسول الاسلام حيث قال . « الحج عرفة »

ولقد جمع الحق بين مختلف الناس في هذا المؤتمر الكريم
ليخلصوا قلوبهم نحو دينهم وشئون دنياهم التي يريدون
إنجاحها وتخليصها من مشاكلها ولكن الحديث عن الحج
من حيث هو شكلاً وموضوعاً في واقع التاريخ له جنود
عميقة أصيلة في ضوء الوحي والتاريخ

فقد ثبت في ضوء الوحي والتاريخ أنه ما من نبي من
الانبياء إلا حج إلى بيت الله الذي عرف مكانه بالكعبة ولقد
حج آدم عليه السلام فقال له جبريل إن الملائكة كانوا
يطوفون بهذا البيت منذ سبعة الاف سنة من قبلك فطاف آدم
بالبيت وصلى خلف المكان الذي عرف بالمقام بعد ركعتين ،
ثم قال « اللهم إنك تعلم سرى وعلايتي فأقبل معنرتي
وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي وتعلم ما عندي فأغفر لي



في ضوء
الوحي
والتاريخ



الدكتور زكي مشعل

نخوي كلها فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، اللهم إني أسالك إيماناً يباشر قلبي ، وبقينا صادقاً حتى أعلم أنه لا يصيبني إلا ما كتبت لي ورضني بقضائك » فأوحى الله إليه يا أم أنك دعوتني بدعاء فاستجبت لك وما يدعوني به أحد من ذريتك إلا استجبت له وغفرت له ذنوبه وآتته الدنيا وهي راغمة وإن كان لا يريد لها . وظلت الأيام والأعوام تتري بعضها إثر بعض حتى جاء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام فأوحى إليه ربنا سبحانه أن يقيم القواعد لهذا البيت في مكانه الذي أمه النبيون والملائكة من قبل وقد عاونه ابنه اسماعيل في هذا البناء وقد سجل كتاب الوحي المجيد هذا فقال « واذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم »

وبعد إذ فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت المعظم أوحى ربه إليه أن يؤذن في الناس بالحج . فقال : يا رب ومن يبلغ صوتي ؟ فقال الله : « يا إبراهيم عليك الأذان وعلينا البلاغ » . فساعتلي إبراهيم المقام ونادى بأعلى صوته (يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا) . فسمعه من في السماء ومن في الأرض حتى من كان في الأضلاب والأرحام فمن أجاب مرة حج مرة ومن أجاب مرتين حج مرتين .

ويجب أن يعلم القراء أن الحج من حيث معناه العام فإنه يكون في زيارة أماكن مخصوصة تقريباً إلى الإله المعبود ، وهذا العمل صورة قديمة كانت من صور العبادات اتخذتها الشعوب والقبائل رمزاً لاجلال معبوداتها وتقديسها وكانت كل جماعة تتخذ في أداء حجها من الصور والأعمال ما تصور به تخيلها واعتقادها لعظمة معبودها وظل الحال كذلك دون أن ينزل وحى من السماء ويخطئ هذه العبادة أو يصوبها فكان تبعاً لهذا أن أشركوا بالله فعبدوا الأصنام معه ورفعوها على ظهر البيت وضربوا حوله نطاقاً منها وتوجهوا إليها واستعانوا بها واتخذوها شفعاء عند الله ونبحوا لها ونكروا اسم الأصنام على ما ينبحون .

وقد قص القرآن الحكيم هذا المواقع التاريخي لدى هؤلاء العرب فقال : « والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » وكذلك أحدث العرب كيفية الحج ومظاهرها فيه تقاليد معينة تبعاً لأهوائهم المختلفة فكانوا يطوفون بالبيت عرايا ، وحرموا على أنفسهم الدسم وقد ترفع فريق منهم عن الوقوف مع الناس بعرفة إعتقاداً منهم أنهم مميزون لسلطانهم أوجاههم أو كبرياء في أنفسهم فلا ينبغي أن ينزلوا عن مستواهم ويأخذوا أنفسهم بهذه القواعد الموروثة . حيث يقفون مع غيرهم من الناس في صعيد واحد ، ثم أراد الحق سبحانه إحياء ملة خليله إبراهيم عليه السلام فمن رب العزة على الخلق جميعاً بظهور سيد الوجوه رسول العالمين محمد صلوات الحق وملائكته عليه فكان من بداية شأنه أن اللهم أحكم الحاكمين إتباع ملة إبراهيم الملة الحنيفية التي تثبت حقاً

الها واحداً معبوداً لا شريك له ولقد اهتدى محمد الأمين قبل بعثته إلى هذه العبادة الخالصة بفيض الرحمن عليه حتى شاء سبحانه وتعالى أن يبعث هذا الرجل العربي القرشي المتبع ملة أبيه إبراهيم فكانت الدعوة الخاتمة المكملية للإسلام وكان رسول الله هو محمداً خاتم النبيين ، ولقد دعا صلوات الحق عليه قومه إلى نبذ الشرك كله وأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وبعد إن هاجر من مكة إلى المدينة أخذ رب العزة ينزل على رسوله سبلاً جديدة وطرائق معززة لانتشار الدعوة الإسلامية وانتصارها فغرض الجهاد في سبيل الله على المسلمين فاستجابوا الله ولرسول فنصرهم العزيز الحكيم على عهدهم حتى إذا جاءت السنة السادسة للهجرة في شهر ذي القعدة أذن النبي محمد عليه الصلاة والسلام في الناس بالحج فانتعشت نفوس المؤمنين وتحركت عواطفهم نحو مكة التي قد أوتوا فيها وأخرجوا منها فهم يذكرون أبداً بقلوبهم وعقولهم والسنتم المسجد الحرام في كل دعاء وفي كل صلاة .

ومهما يكن من شيء فقد خرج رسول الله ومن لبى دعوته حاجاً زائراً الكعبة لا غازياً ولا مصارياً فعملتم قریش هذا فوقفت دونه ومن معه يصدونهم عن المسجد الحرام فلما اشتد الأمر والحال بينهم جعلوا يتبادلون الرسل ثم إنتهى الجميع إلى كتابة معاهدة بينهم وقعت بين المسلمين وبين المشركين وقد عرفت هذه المعاهدة بصلح الحديبية وكان أهم وقائعها وقف القتال مدة معينة وأن يرجع المسلمون هذا العام على أن يعودوا إلى مكة في العام القادم .

وإذ ذاك أمر رسولنا صلوات ربنا عليه أصحابه بأن يرجعوا إلى المدينة وطلب إليهم أن يتحلوا من إحرامهم فشق الأمر على أنفسهم فتباطؤوا وتلكأوا في تنفيذ ما أمروا به وإذ ذاك غضب النبي الأمين سيدنا محمد لما حدث ووقع من هؤلاء المؤمنين

وياله من موقف عصيب بين قائد الدعوة وبين أصحابه المخلصين ، ولكن رسولنا الرؤوف الرحيم يدع هذا الموقف كله فيدخل على زوجه أم سلمة قائلاً (هلك المسلمون يا أم سلمة امرتهم فلم يمتثلوا) ثم في رواية وحزم قالت أم سلمة : (أعزهم يا رسول الله ، لقد حملت نفسك أمراً عظيماً في الصلح ، فرجع المسلمون دون فتح ودون حج فهم لذلك مكروبون والراي أن تخرج ولا تلوى على أحد فتبدا أنت بما تريد فإذا راوك فعلت تبعوك وعلموا أن الأمر حتم لاهوادة فيه وهم مؤمنون بك محبوبك مضمون فيك) .

فانشرح من النبي صدره واستقر قلبه فقام من فورهِ إلى هديه فنحده ودعا الحلاق فحلق رأسه فلم يكد المسلمون يرون نبيهم ينبح ويحلق حتى تواثبوا إلى الهدى فنحروا وإلى رؤوسهم فحلقوا ثم استجابوا فرجعوا إلى المدينة مذعنين لأمر ببيهم موفين بعهدهم مؤمنين بحكمة نبيهم فالتأم الغمل وعصمهم الله من الفرقة والخلاف وإن أصدق

السنة العاشرة هو ومن معه من المسلمين إلى حج بيت الله وفي هذه السنة علمهم مناسكهم وتوج رسالته بخطابه الجامع ثم أنزل الحكيم سبحانه على رسوله « اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً »

وقد سئل نبي البر والرحمة أى الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله قيل ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله قيل ثم ماذا؟ قال: حج ميروور. رواه البخارى ومسلم وقد روى ابن شماسه رضى الله عنه قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سباق الموت فبكى طويلاً وقال: فلما جعل الله الاسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله أبسط يمينك لا بايعك فبسط يده فقبضت يدي فقال: مالك يا عمرو؟ قال: أردت أن أشترط. قال النبي: تشترط ماذا؟ قال عمرو: أن يغفر لى فقال: أما علمت يا عمرو ان الاسلام يهدم ما كان قبله وان الهجرة تهدم ما كان قبلها وان الحج يهدم ما كان قبله « رواه ابن خزيمة في صحيحه ورواه مسلم وغيرهما أطول منه .

وإذا فعلينا أن نعلم جميعاً أنه ليس أعظم من توفيق رب العزة لعبده أن يدعوه إلى حج بيته الذى جعله مثابة وأماناً ومغفرة فطوبى لمن دعا فاستجاب قلبى مخلصاً فإنه بفضل الله ورحمته ينعم بالفوز العظيم في دنياه وآخره

فما أعظم هذه الفريضة وما أعذب وقعها على النفوس المؤمنة انها رحلة الحياة وطريق الفوز والسعادة والنجاة من عذاب الله ومن غضبه . وقد جاء جبريل إلى النبي عليه السلام فقال: إن الله غفر لأهل عرفات وأهل المشعر الحرام . فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله هذا لنا خاصة؟ فقال الرسول ﷺ: هذا لكم ولئن أتى بعدكم إلى يوم القيامة . فقال عمر: كثر خير الله وطاب وإننا نسال إلهنا خالقنا العزيز الوهاب أن يعزنا بتأييده ونصره وأن يهب لنا الاخلاص في طاعته وأن يحول بيننا وبين معصيته وأن يجعلنا أهلاً بفيضه ورحمته .

حسبنا الله ونعم ذو الجلال والاکرام .

القائلين جلّت حكمته قد ذكر هذا الواقع التاريخي كله فقال « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً ويصورك الله نصرًا عزيزاً هو الذى أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم » وقال جل شأنه: « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً .

فالآيات الأولى من أول السورة تشير إلى ما وقع في العام الذى لم يستطع المسلمون دخول مكة والآيات التى في آخر سورة الفتح تبين أن وعد الحق للمسلمين ورسولهم بدخول المسجد الحرام واقع إن شاء الله في العام الذى جاء بعد عامهم الذى رجعوا منه فاطمأنوا وقد تحقق وعد الحق كاملاً للمسلمين فجاءوا فعلاً إلى مكة وفعلوا مثل ما فعل نبيهم من أداء المناسك وعلى أى حال فإن الأمر ظل هكذا حتى جاءت السنة التاسعة للهجرة . ويومئذ اجتمع المسلمون والمشركون حول الكعبة يؤبون مناسك الحج كل حسب دينه وفي ذلك الحين نزل القرآن الحكيم بسورة التوبة وكان في أولها تحديد موقف المسلمين من المشركين ووضع الحد الفاصل من الفريقين فقال سبحانه: « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين » وما تلا هذه الآية من آيات إلى قوله: « إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين » .

في تلك السنة كان أبو بكر رضى الله عنه أميراً على الحج فدعا رسول الله عليه السلام على ابن عمه وقال له إنذهب إلى المسجد الحرام واقرأ هذا عليهم أجمعين فلما رآه أبو بكر قال له أمر أنت أم مأمور؟ قال: بل مأمور فأخذ على يتلو ما أمر به فقد قال النبي له: « اذهب بهذه القصة من سورة براءة وأنن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا في منى أنه لا يدخل الجنة كافر ولا يصح بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد « عند رسول الله فهو إلى مدته »

ولقد خرج الرسول الكريم عليه أذكى الصلاة والتسليم في

« بقية مقال تطهر وعبادة »

فالمسلمون دائماً في مواقف الدفاع عن أوطانهم ومقدساتهم، والنصر لهم آخر الأمر ما من ذلك بد، لأنهم على الحق، واعدائهم على الباطل، ويحق الله الحق ويمحق الباطل « والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون »

« وصديق الله العظيم »

أصبحت دستوراً منذ أكثر من ثلاثين عاماً ومع ذلك فحقوق الإنسان مضيعة وما هكذا يكون حال العالم المضرب لو أنه اهتدى إلى حقوق الإنسان كما أعلنها الاسلام من أربعة عشر قرناً وتلاقى عليها عملاً وسلوكاً، وهي عندنا كما قد رأينا مظهر من مظاهر الحج ومعنى من معانيه وعلى نهجها نحيا متحابين مسالمين عدولاً، يعتدى الآخرون علينا، ولا نعتدى على أحد

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم

جاء في حديث البخارى في قصة بناء الكعبة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال (ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبرى ذباله تحت دوحة قريباً من زمزم فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال يا اسماعيل إن الله أمرنى بأمر قال فاصنع ما أمرك ربك قال تعيننى .

قال وأعينك قال فان الله أمرنى أن أبني هاهنا بيتاً وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها قال فنعذ لك رفعا القواعد من البيت فجعل اسماعيل يأتى بالحجارة وأبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان . « ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم »

الأستاذ محمد عبدالفتاح الشرفي

مفردات الحديث

يبرى نبلا أى سهما - دوحة - هى الشجرة العظيمة التى أنزل إبراهيم اسماعيل وأمه تحتها أول قدمهما كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد أى من المعانقة والمصافحة ونحو ذلك - أكمة مرتفعة أى رابية فقلوه مرتفعة تفسير - القواعد جمع قاعده وهى الأساس ورفعها نقلها عن هيئة الانخفاض ، إلى هيئة الارتفاع (بهذا الحجر) أى حجر المقام

معنى الحديث

البيت الحرام بمكة هو الذى نتوجه إليه كل يوم فى صلاتنا خاشعين لله متذللين متضرعين وهو الذى تشفق القلوب لزيارته وتحسن الأرواح لمشاهدته تستنشق نسيم بركاته وأريج نفحاته وعبير ذكرياته هو أول بيت وضع لعبادة الله فى الأرض قال سبحانه فى سورة آل عمران (إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا

الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى) وقد وضع الله البيت الحرام ووضع فيه الخير والبركة والهداية والتوفيق والأمن والأمان والسلامة والأطمئنان وذلك لما ينال حجاجه وعماره من الخير والفضل العظيم فبمشاهدته يملأ الله قلوبهم إيماناً ويزيدهم إيماناً وتصديقاً وذلك لما يروونه من الآيات البينات الدالة على قدرة الله وصدق نبوة الخليل عليه السلام وذلك كالحجر الأسود ومقام إبراهيم قال سبحانه فى سورة آل عمران (فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً) وهم فى طوافهم معرضون لرحمة الله تعالى (روى البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال (ينزل الله تعالى كل يوم على حجاج بيته عشرين ومائة رحمة ستين للطائفين وأربعين للمصلين وعشرين للناظرين) وثواب أعمالهم مضاعف فيه (روى الامام أحمد وابن ماجه عن

وهدى للعالمين) روى الشيخان عن أبى نر رضى الله عنه قال قلت ليارسول الله أى المساجد وضع أولا (قال البيت الحرام قلت ثم أى قال المسجد الأقصى قلت كم بينهما قال أربعون قلت ثم أى قال ثم حيث أدركتك الصلاة فصل فكلها مسجد) وأول من بناه الخليل مع ولده اسماعيل عليهما السلام قال سبحانه فى سورة البقرة « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم » وهو دعامة الاسلام فى الأرض (روى ابن جرير عن جابر رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال (إن هذا البيت دعامة الاسلام فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضموناً على الله ان قبضه أن يدخله الجنة وإن رده رده بأجر وغنيمة) .

وهو أول المساجد التى تشد الرحال اليها روى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد

جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال صلاة في مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه .

ولما كان المسجد الحرام بهذه المنزلة أوجب الله علينا حجه حيث قال في نفس الآية السابقة (والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) وهو ركن من أركان الإسلام وهو واجب على المستطيع مرة واحدة في العمر (روى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال خطبنا رسول الله ﷺ فقال يا أيها الناس إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا ثم قال رسول الله ﷺ لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم) وفي رواية الامام أحمد (الحج مرة فمن زاد فهو تطوع) وقد شرع الله الحج لمنافع كثيرة فهو عبادة بدنية الهيئة روحية تقرب العبد الى الله وتملا القلوب بتقواه فالاحرام من الميقات والطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة والمبيت بمنى والوقوف بعرفة والمبيت بالمزلفة ورمى الجمار والحلق أو التقصير كلها من شعائر الله ومناسكه وفي الاتيان بها تعظيم لأمر الله وأمتلاء القلوب بتقواه قال سبحانه

في سورة الحج (ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب)

والحج بعد ذلك يغرس في النفس الشعور بالتواضع والمساواة والاستعداد للقاء الله حيث يقف الجميع بعرفة شعنا غبرا لافرق بين

أبيض وأسود ولا بين عربى وعجمى ولا بين سيد ومسود وإنما الكل سواء قال سبحانه في سورة الحجرات (إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير)

عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال إذا كان يوم عرفة فإن الله تعالى يباهى الملائكة فيقول انظروا إلى عبادى أتوني شعنا غبرا ضاحين من كل فج عميق أشهدكم أنى قد غفرت لهم) رواه البيهقى

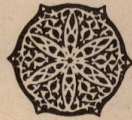
وهو مؤتمر أسلامى سنوى عام يجتمع فيه المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها فتزداد بهذا الاجتماع قلوبهم تعاطفا وتألفا وترامحا وحنانا ويعملون على حل مشاكلهم وأعلاء كلمة ربهم ويوالون الله ورسوله والمؤمنين قال جل شأنه في سورة المائدة (ومن يقول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) وإلى كل هذه المنافع يشير الحق بقوله في سورة الحج (وأنن في

الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق)

ولهذا كان الحج من أفضل الأعمال روى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سئل رسول الله ﷺ أى الأعمال أفضل (قال إيمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا قال ثم جهاد في سبيل الله قيل ثم ماذا قال حج مبرور) والحج المبرور هو الذى لا يخالطه أثم وقال الحسن أن يرجع صاحبه زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة وروى مرفوعا بسند حسن أن بره أطلعهم الطعام ولين الكلام وكان جزاؤه تكفير السيئات ورفع الدرجات ودخول الجنة .

روى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه)

نسأل الله أن يجعلنا من حجاج بيته وزوار قبر نبيه ﷺ وأن يزيينا من شرف بيته تشريفا وتكريما ومهابة وتعظيما إنه سميع الدعاء



ليشهدوا منافع لهم

فرض الله سبحانه وتعالى الحج على المسلمين في وقت معلوم - وبحشد مجموع بشكل مقرر وبنظام مقرر حيث يقول عز من قائل :

(الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج)
فاذا حان وقته وحل اوانه .. لبي الانسان دعوة الله اليه واتجه الى بيته راكبا او ماشيا وذلك تحقيقا لقوله جل شأنه :
(وانن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق)

وذلك استهدافا لمنافع الانسان في حياته الدنيا والاخرة .. للفرد والمجتمع - بل وللأمة الاسلامية جميعها وذلك طبقا لما تقرره الآية الكريمة :

(ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير)



الدكتور عبد الرزاق نوفل

السبيل اليه .. لو شققنا عن قلوبهم لوجئنا فيها اسفا وحزنا .. فهم يتمنون لو استطاعوا .. ويحلمون انهم حجوا .. وحتى يتحقق لهم الامل وتكتب لهم الامنية .. فهل يمكنهم تحقيق بعض النفع الذي اراده الله وفقه الى الحج ..

ان الانسان اذا وقف للصلاة فانه يتجه بوجهه الى الكعبة الشريفة الى بيت الله الحرام .. ايا كان مكانته .. وأيا كان بعده المكانى عنه .. فإنه يستطيع أن يتجه اليه بقلبه ووجدانه فان عجز بصره عن المشاهدة .. استطاعت بصيرته المعانية .

وليس كل مسلم بقادر على الحج .. والاسلام دين يسر وتخفيف ورحمة وشفقة فقد أوجب الحج على من تتحقق له القدرة الكاملة .. والاستطاعة التامة وذلك بنص الآية الشريفة

(وش على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا)
والسبيل يشمل القدرات البدنية - والطاقت الصحية .. والوفورات المالية .. والظروف والاعباء العائلية .. وغيرها ..

وهؤلاء الذين لا يستطيعون الحج .. ولا يجنون

وأن المتدبر لأمره وهو يقف يصلي ليعلم أنه يقف أمام البيت .. شأنه شأن المسلمين في أنحاء العالم وأن الإنسان لو رصد المكان من السماء لوجد دوائر المسلمين المصلين تلتف حول البيت تملا الكرة الأرضية وأنه لا يحول بين الدوائر وبين البيت الكريم حائل من بناء أو تلال .. أو أنهار أو جبال .. فليحاول إذا المصلي .. إذ أنه هذا الواجب عليه .. أن يستحضر في قلبه الحقيقة التي تؤكد له أنه أمام البيت الكريم بلا حائل أو قيود وبلا عقبات أو سود .. وإذا كان هذا هو الواجب في كل يوم وفي كل صلاة - فإن الأمر أكثر وجوباً واستلزماً في الصلاة أيام الحج لمن لا يقف أمام البيت الطاهر العتيق .. والصلاة الجامعة التي تؤدي يوم العيد .. إنما تشعير الإنسان بأنه مع جماعة المسلمين .. وإن قل عدد من هم في المسجد عن هم على عرفة وأقام البيت .. فلنحاول تحقيق الهدف من هذا الاجتماع .. فليست صلاة الجماعة إنما تكون قاصرة على جمع يجتمع للصلاة ثم ينفض .. فهذا لا يحقق هدف الاجتماع ... ولا يؤكد شأن الجمع .. فإذا كان الحجيج في الحج يجتمعون للتشاور والتدبر في شؤون المسلمين .. جماعاتهم .. ونولهم .. فلنقم لهذا الأمر بصورة تناسب الصلاة الجامعة في الحي يوم العيد .. إذ يسال الحاضر عن الغائب ويعاون القوى الضعيف - ويدير القادر مال

المستحق . ويكفل الرجل اليتيم .. ويساعد الإنسان الأرمل .. ثم كما يقدم الحاج الصنقات للمساكين والفقراء .. يقدم كل إنسان ما يستطيعه تشبهاً بمن يحج .. ثم لتكن هذه فرصة .. يثكر الإنسان ما كان منه من ذنوب - وما هو عليه من معاصي - وكما يتحلل الحاج من ذنوبه وخطايا .. ويلقى بها .. خارج نفسه .. ويجاهد الشيطان بأن يقنقه بالحجارة .. أعلننا لحربه له .. فعلى الإنسان أن يتوب وهو يصلي .. ويستغفر .. ويندم .. ويعاهد الله على الإيعود إلى نيب أو معصية ... وأن يستعيز كثيراً وطويلاً وعميقاً بأنه من الشيطان الرجيم وعلى الإنسان أن يعيش طوال أيام شعائر الحج .. متأملاً متدبراً دارساً .. كل ما يستهدف إليه كل شعيرة .. مستحضراً في قلبه ووجدانه . أعمال الحاج .. ومناسك الحج .. حتى تصفو روحه ويتحقق له .. بعض ما هيف إليه الحج من نفع في الدنيا والآخرة للفرد والمجتمع .. وحتى تتوفر له الاستطاعة .. فيؤدي ما فرضه الله عليه .. ويتحقق بذلك النفع كله لا يعضه .. أصله لا صورته .. وإذا لم تتوافر الاستطاعة فيكون ما قام به .. إحسان في عمله .. ويقول الله سبحانه وتعالى :

(إن رحمة الله قريب من المحسنين)

صدق الله العظيم

بقية بيت الله الحرام في ضوء القرآن والسنة

« ولا تقتلواهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين » وأوجب تأمين الذاهبين إليه وما يهدى ويقلد ويساق إليه من بهيمة الانعام ، لا يعتدى على شيء من ذلك ، فقال تعالى في سورة المائدة « يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً وإذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتبوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب » . وعلى المحرم بالحج لزيارته يحرم صيد البر ويحرم الطيب والنساء والزواج والخطبة ولبس المخيط والمحيط والجدال وسوء الخلق وما شاكل ذلك . فيقول تعالى « يا أيها الذين

آمنا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم .. الآية .. ويقول تعالى « فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج » وقال ابن عباس قال رسول الله يوم فتح مكة « إن هذا البلد حرام لا يعصده شوكه ولا يختل خلاه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا لمعرف . فقال العباس إلا الأنخر فإنه لا بد لهم منه فقال إلا الأنخر وروى البخاري عن ابن عمر أن رسول الله خرج معتمراً فقال كفار قريش بينه وبين البيت . فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل ولا يحمل سلاحاً عليهم إلا سيوفاً . ولا يقيم بها إلا ما أحبوا . فاعتمر من العام المقبل فدخلها كما كان صالحهم فلما أن أقام بها ثلاثة أيام أمره أن يخرج فخرج . والأحاديث والآثار في حرمة البيت وتعظيم مكة أكثر من أن تحصى وفيما ذكرناه ما يكفي ويشفي وبالله التوفيق .



مؤتمر المسلمين العام

يريد الاسلام للفرد وحدة اتجاهه في سيره وسلوكه ، بحيث يتجه نحو غاية واحدة ، ويمضي في طريقه نحو هدف مقصود ، وبذلك تكون حركته دائما متسقة مع طبيعة حياته ، والاتجاه الرئيسي لحياة الانسان هو ان يجعله الله ، فمنه المبدأ وإليه المنتهى ، وهو الذي يأخذ بيد عبده ، وهو يقطع رحلة الحياة ليليله على الطريق الصحيح الذي يصل به إلى عز الدنيا وسعادة يوم القيامة - وهذا الاتجاه أمرنا الله تعالى به ، وأن نجعله منهج حياتنا كلها ، قال تعالى :

قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له .

فضيلة الشيخ عبدالرحمن النجار

ولكى يحقق الاسلام هذا الهدف ، دعا إلى صلاة الجماعة ، وحث عليها ، وجعلها تفضل صلاة الفرد بخمس وعشرين أو سبع وعشرين درجة ، والجماعة في الصلوات الخمس اليومية تمثل حلقة أولى من حلقات التجمع ، فالجماعة اليومية يتجمع لها أهل الحى الواحد ، وتتسع الحلقة قليلا ، لنراها أكثر اتساعا ، وذلك في صلاة الجمعة ، حيث يتجمع الألوف من أهل المنطقة في المسجد الجامع ، والكل يسعى إليها مبكرا ، ليحظى بشرف الجماعة . فيتبادلون الرأي فيما بهم مصالحهم ، ويسأل الحاضر عن الغائب ، فإن كان مسافرا سأل عن بيته ، وإن كان مريضا عاده ، وإن كان في ضائقة واحتاج إلى مساعدة ، ويستحى أن يسأل الناس أعانه فيكون التجمع حينئذ فرصة لمعرفة حاله ، فيذهب إليه ، ويقدم إليه المعونة في الخفاء . محققا بذلك توجيه رسول الله ﷺ : «المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يظلمه . من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة» . . .

ثم تتسع الحلقة لنصل من هذا التجمع الأسبوعي إلى تجمع العيدين : عيد الفطر وعيد الأضحي ، وهما تجمعان اثنان في العام كله . يتجمع أهل الجهة الواحدة أو القرية الواحدة ، وفي مكان واحد يسع هذا الجمع الحاشد سواء أكان في الخلاء أم في المسجد ، فيتدارسون أحوالهم ، ويعرضون مشاكلهم ، ويحاولون أن يجنوا لها الحول ، وذلك بعد أن يتبادلوا التهاني كل عام وأنتم بخير . وتتسع الحلقة حتى تبلغ ذروتها في الموسم السنوي من كل عام ، ومن فوق جبل عرفات يحصل هذا التجمع الضخم ، إنه تجمع المسلمين في موسم الحج . في زمن معين وفي وقت معين ، قدموا من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ، ومن

وعلى نحو ما أراد الاسلام للفرد أراد للجماعة ، أراد لها نفس الغاية ونفس السبيل . أراد لها أن تكون أمة واحدة . وأن يكون سعيها لذات الهدف ، فوحدة الأمة لا تتوقف - فحسب - على الأسباب التي تحيط بأفرادها بحكم البيئة أو الوطن . بل لا بد في تحقيق وجود أية جماعة وجودا قويا ظاهرا من وحدة الغاية والهدف ، لأنهما هما المركز الذي يتجمع الأفراد حوله ، ويتكثرون من أجله ، وتشدد الروابط إلى أخوة في النفس والروح ، بعد التقاء على الفكرة والمبدأ . . . والاسلام يكره هؤلاء الانعزاليين . الذين أثروا أن يعيشوا وحدهم ، فلا يحسون إحساس إخوانهم ولا يشعرون شعورهم ، وشعار الواحد منهم : أنا ومن بعدى الطوفان ، فكانه يقول : أريد أن أشبع وإن جاع سائر الناس ، وأن أسعد وإن شقى الناس ، هذه الأثرة البغيضة يمجتها الاسلام ، وفي مقابلها يدعو إلى الإيثار ، وأن يحب المرء لأخيه ما يحبه لنفسه ، ويكره له ما يكرهه لنفسه ، وتجلي هذا عمليا حينما هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة ، ووصل المهاجرون قلوب إخوانهم الأنصار قبل أن ينزلوا عليه مهاجرا من مكة إلى المدينة يقاسمه ماله وكل ما عنده . وينزل صاحب البيت عن كل ذلك برضا وطيب خاطر ، ولقد مدح القرآن صنيع هذه الصفوة الممتازة من البشر ، ونزل جبريل بهذا الوحي الذي يتلى ما بقيت السموات والأرض ، قال تعالى : «والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم ، يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجنون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون» فالإيثار هو الأصل في أخلاق المسلمين ، وهو الخلق الذي ينفعهم يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم . .

شرق العالم وغربه ، وكل بلغاته التي لا يعرفها إلا هو ، واختلاف اللغات يدل على قدرة الواحد . قال تعالى « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم واللوانكم . إن في ذلك آيات للعالمين » واللوان المتعددة كذلك لا تشكل سببا من أسباب الطبقية ، باعتبار أن الملونين لهم وضع خاص بهم في تجمعاتهم ، يهبط بهم عن درجة الانسان كما يحدث في بعض المجتمعات ولكن في معيار الاسلام اللوان لا يقوم بها الانسان ، فمقياس التفاضل شيء واحد ، حددته الآية الكريمة في قوله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم ، إن الله عليم خبير » .

وحينما يذكر القرآن اللوان يذكرها كظواهر طبيعية تعرض للجماد والنبات والحيوان كما تعرض للانسان ، وكلها ائلة على وجود الله وقدرته ، قال الله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ، فأخرجنا به ثمرات مختلفا اللوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف اللوانها وغرايب سود ، ومن الناس والنواب والأنعام مختلف اللوانه كذلك ، إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور » . . . إن جوهر الانسانية واحد ، ولا قيمه لاختلاف اللوان في نظر الاسلام ، إن هذا العدد الضخم الذي يعد باللايين يتجمع في مكان واحد ، وفي زمان واحد ، وهو قمة المؤتمرات الاسلامية ، التي يبحث فيها ممثلو المسلمين من أنحاء العالم مشاكلهم ، وما يجب تقديمه من حلول لهذه المشاكل . ويخطط هذا المؤتمر لنشر الاسلام في ربوع الأرض في مواجهة تحديات التبشير والاستشراق ، من هذا أمرنا بشد الرجال إلى أماكن الوحي . ومهابط النور في مكة والمدينة ، أمرنا بذلك بقوله تعالى : « وإذن في الناس بالحج . يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم » ، وأى منافع أعظم من هذا التلاقى الكبير ، وتبادل الرأي وتقديم المشورة ، لما يخدم الاسلام والمسلمين ، يتجمع هذا العدد الكبير حول الكعبة المشرفة ، التي عاينوها ببصائرهم في كل صلاة ، وهامهم أولاء الآن يعاينونها بأبصارهم ، فيهتفون : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » وينتقل المؤتمر من حول الكعبة لتأدية مناسك الحج ، فيتجهون إلى منى ثم إلى عرفات ، وإنك لتشاهد أروع نماذج التنظيم التي تحتاجها مجتمعاتنا الاسلامية الآن ، إن الحجاج يصعدون إلى عرفات ، في الثامن من ذى الحجة وصبيحة التاسع منه حتى يمتلىء بهم

الجبل ويربو عددهم على المليونين من الناس ، ويقضون على عرفات التاسع من ذى الحجة ، فإذا ما غربت شمس يومه فاض بهم الطريق إلى المشعر الحرام - في المزلف - وقبل أن يدركهم الصباح يكونون جميعا في منى كيف تتحرك هذه الجموع الغفيرة على تعدد السننها وتباين شعوبها ، واختلاف قواها واحتمالها ، وتنوع وسائل المواصلات التي تنتقل عليها . وهذه التحركات ينتظمها توقيت دقيق ، من منى إلى عرفات في الثامن ومن عرفات إلى المزلفة بعد غروب شمس التاسع ، وفي فجر العاشر يكون المؤتمر قد انتقل إلى منى ، ثلاثة تحركات لجيش واحد تعداده أكثر من مليونى نفس تتم في أربع وعشرين ساعة . ما القيادة التي خطت ونظمت وأشرفت على التنفيذ ؟ إن القائد الذي يقود هذا المؤتمر المنظم هو الايمان بالله ، والايمان بالله هو وحده الكفيل بأن ينظم حياتنا ، ويوجه مجتمعاتنا إلى طريق الحق والخير ، ويشير إلى هذه التحركات القرآن الكريم في قوله تعالى « فإذا أفضت من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ، واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين » ثم يوجه القرآن خطابه لقريش . هذه التي كانت تعتز بنسبها فلا تقف مع الناس في عرفات ، ولا تنصرف مع الناس بعد الوقوف فضاظبهم ربنا بقوله : « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم » لقد كلف الاسلام جميع الحجاج أن يتجربوا في الحج من كل ما يميزهم من الثياب ، ليلتقوا في بيت الله إخوانا متساوين ، فلا يتجربوا من الثياب ، ليفتخروا بالأنساب ، دعوا عنكم عصبيية الجاهلية ، واعتزوا بالاسلام وحده إذا أربتم الاعتزاز ، وتحقق بذلك الكرامة الانسانية ، التي تتساقط دونها حواجز اللون والعنصرية والطبقية ، ولهذا نستمتع إلى صوت النبوة ، وهو يرتفع في حجة الوداع بهذا النداء : « أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لأدم ، وأدم من تراب ، أكرمكم عند الله اتقاكم ، وليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى ، ثم يشهد الله على قوله : « الأهل بلغيت ؟ اللهم فاشهد » فترد الجموع المؤمنة في موقف الحج الأكبر : « نعم » قال : « فليبلغ الشاهد الغائب » . . .

ما أحوجنا إلى هذه التوجيهات . في سائر مؤتمراتنا ، فنظهر الاسلام بوجهه الحضارى المشرق ، الذى يسعد به كل من يستظل بلوائه ، ويتحقق له قوله تعالى : « والله العزة ورسوله للمؤمنين »



أسرار الكعبة الشريفة

الأستاذ محمد حسن محمد

الكعبة بمثابة الخواة في النرة
مركز الارتكاز ونقطة التركيز
ظاهرة الطواف في السماء والأرض

أول بيت وضع للناس
يقول الله تعالى :

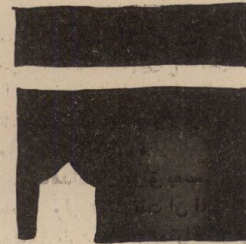
[ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه
آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً والله على الناس حج
البيت من استطاع اليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين]
٢ - وفي صحيح مسلم عن أبى ثرى الله عنه قال : سألت رسول الله
ﷺ عن أول مسجد وضع للناس في الأرض قال المسجد الحرام .
٣ - ولقد قال ﷺ ان البيت دعامة الاسلام ومن خرج يؤم هذا البيت
حاجاً أو معتمراً أو زائراً كان مضموناً على الله ان رده فقد رده بأجر
وغنيمة وان قبضه يدخله الجنة .

مكة مركز اليابسة

ولقد توصل العالم المصرى الدكتور حسين كمال رئيس قسم المساحة
التصويرية بجامعة الرياض ان يثبت عملياً وعلمياً ان مكة هي مركز
اليابسة في الكرة الأرضية وقد نشرت جريدة الاهرام بحثه القيم ولقد
أثار هذا الاكتشاف ريوذاً كثيرة وقد استعان العالم المصرى بالحاسب
الالكترونى وبمعادلات وعمليات رياضية معقدة أعد على أساسها
خريطة جديدة للكرة الأرضية .

والذى ينظر الى الكعبة يجدها في بقعة منخفضة عن أى جهة أخرى
وتحيطها الجبال من جميع النواحي . وعن ابن عباس انه قال خلق الله
الكعبة ووضعها على الماء قبل أن تخلق الدنيا بالف عام ثم بحيت
الأرض من تحت البيت فهي مركز الكرة الأرضية وهو المكان الجامع
للناس وهو يتوسط اليابسة .

ويقول القدماء المؤرخون ان هذا البيت كان موجوداً قبل آدم وكانت
الملائكة تطوف به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور . ولقد أسكن
الله آدم هذه البقعة وأمره ببناء البيت وصلى فيه وطاف به ولم يزل
كنك حتى بعث الله الطوفان .



ولقد أسكن إبراهيم زوجته هاجر وولده اسماعيل هذه البقعة بعد ذلك وكان واديا غير ذي نزع وكان موضع البيت ربوة حمراء أمر إبراهيم زوجته هاجر أن تتخذ عليها عريشا ليكون لها سكنا هي وابنها اسماعيل ثم انطلق وقد تركها لهذا الوادى ليس فيه إنس ولا جان .

ولما سألت الله أمرك بهذا قال نعم قالت انن فان الله سوف لا يضيعنا وهذا منتهى الثقة بالله .

ولقد وثقت بالله فهى فى عناية الله وجعلت أم اسماعيل ترضعه وتشرب من الماء الذى تركه لها وتاكل من الجراب الذى وضعه عندها وفيه تمرا حتى اذا نفذ كل هذا وعطشت وابنتها يلتوى من ألم العطش والجوع ومن يتحمل هذا كله ؟ وحدة موحشة مع طفل رضيع وحرارة الشمس المحرقة ولا شجر تستظل به وظلام حالك مخيف ولا أنيس الا الله ثم جوع قاتل وعطش مميت فلقد أطاعت زوجها وصبرت لحكم الله .

فكتبها الله من الخالدين وكان لها الجزاء فى الدنيا وثواب الآخرة وما أعظمه من ثواب . ولما نفذ الغذاء والماء ووجدت ولدها يتولى من الجوع والعطش قامت تبحث عن طعام أو ماء ينقذ ابنها من الألم وسعت بين الصفا والمروة سبع مرات ومع ثقته بالله بان ينقذها هى وابنها ثم سمعت صوتا حيث كان ابنها موجودا فاذا هى ترى الماء هناك وهى تسعى ثم شربت حتى ارتوت وقد هطلت بموع الشكر من عينيها بعد أن استجاب الله لضاعتها ثم سمعت هاتفا يقول : لاتخافى فان هذا البيت سيبنيه إبراهيم واسماعيل ان شاء الله وان الله لا يضيع أهله سكنت قبيلة جرهم فى هذا الوادى لوجود بئر زمزم وشاء الله أن تكون هذه البقعة المباركة هى مجتمع الأمة الإسلامية كل عام فى الأشهر الحرم وفى هذه المساحة .

بئر زمزم

ولقد بقيت زمزم تشرب منها الناس الى أن دفنتها السيول واستمرت مدفونة حين أمر عبد المطلب بحفرها وقد رأى وهو نائم ان قد أتاه أت وقال احفر طيبة فقال وما طيبة فذهب ثم جاء مرة أخرى وقال له احفر المصونة ثم جاءه مرة ثالثة احفر زمزم انها لا تنزف ابدا وتسقى الحبيب الاعظم ولما حفرها جاءت قبيلة قريش وقالوا له اشركنا معك فرفض وطلب أن يجعلوا بينه وبينهم حكما يفصل بينهم فقالوا نذهب الى كاهنة بنى سعد فخرجوا اليها فعطشوا فى الطريق حتى أيقنوا بالهلاك ودعا عبد المطلب أن يرزقهم ماء وارتحلوا وقاموا وقام عبد المطلب الى راحلته فركبها فلما انبعثت انفجرت تحتها عين ماء فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه وشربوا وقالوا قد قضى الله لك علينا الذى سقاك فوالله لا نخاصمك فيها ابدا فرجعوا وتركوا له زمزم وكفاه الله شرهم .

ولقد قال ﷺ ماء زمزم لما شرب له ان شربت شفاك الله وان شربته لقطع ظمئك قطع الله وهى هزمة جبريل وسقيا الله لاسماعيل .

وعن عباس رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ اخير ماء على الارض ماء زمزم فيه طعام طعم وشفاء سقم . ولقد كان

رسول الله ﷺ اذا اراد أن يتحف الرجل تحفة سقاه من بئر زمزم ورغم ذلك فان ماء زمزم لها سر عجيب وتؤثر فى شاربيها .

وقد ذكر فى جامع اللطيف فى فضل مكة أن قال : يروى انه فى بعض كتب الله المنزل أن زمزم لا تنزف ولا تزم ولا يعمد اليها أمرؤ فيقتلع منها ربا ابتغاء بركتها الا أخرجت منه ما شرب من الداء وأحدث له وقاء وما امتلأت جوف ابن آدم من ماء زمزم الا ملاء الله علما وبراً .

ولقد روى ابن عباس رضى الله عنهما قال كان أهل مكة لا يسابقهم احد الاسبقوه ولا يصارعهم احد الاصرعه حتى رغبوا من ماء زمزم ولم يشربوا منها .

وان جو مكة شديد الحرارة ولا يمكن للمؤمن أن يستريح ويطمئن قلبه الا فى ساحة الكعبة وقد جعلها الله آمنا وأمانا وفى هذه المساحة الربانية التى تتوسط الدنيا يجتمع المسلمون ويتوحد الاهداف كتلة واحدة متماسكة كالكبانيان المرصوص تجمعهم كلمة واحدة لا اله الا الله تحت ظل راية الاسلام رغم اختلاف أوطانهم وتعدد لغاتهم وتنوع ألوانهم يستمدون القوة من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى فطرة الله التى فطر الناس عليها وهو نظام يكفل للمخلوقين اذا اتبعوه حياة طيبة فى الدنيا والآخرة .

وعندما يجتمعون كل عام فى البقعة التى باركها الله يتعارفون وقد تساووا فى المظهر وقد خلعوا أريبتهم وطرحوا مظاهر النعمة فى اللبس والجاه ولبسوا شعار الاحرام وقد تلاشت الفوارق بينهم وتركوا الدنيا وما فيها من ديارهم رجاءوا الى هذه البقعة وعاشوا فى ظل عبودية الله فتتلاقى القلوب على محبة الله ولهجت الألسن بالدعاء وهم يناجون ربهم بالدعوات الطيبات ويتوسلون الى ربهم بما قدموه من أعمال صالحات فتتنزل رحمت ربهم وفى هذه البقعة المباركة تستجاب الدعوات ويذكرون ربهم ويدعون لأهاليهم وأخوانهم بروح الحب والايثار وهم يعلمون ان الله قريب منهم .

وفى أيام الحج يكثر عدد الحجاج فيكون عندهم ما يزيد عن اثنين مليون نسمة ويشربون جميعا من ماء زمزم تبركا وريا وهى لا تنزف ابدا .

ولقد مكث الصحابى أبوذر أربعة عشر يوما بلياليها وما له طعام ولا شراب إلا ماء زمزم حتى تكسرت عكن بطنه وقال وما أجد على كبدى سخفة الجوع (أى رقة الجوع وهزاله) .

الحجر الأسود

أما الحجر الأسود فهو الذى وضعه إبراهيم (عليه السلام) فى ركن الكعبة بأمر ربه عندما كان يرفع القواعد من البيت وهو رمز العهد الذى أخذه إبراهيم على نفسه وولده ليجعل هذا البيت مثابة للناس وأمنا وهو رمز لتوثيق العهد بين المسلمين واجماعهم على الوحدة .

ومن العادات عند توقيع المعاهدات أن توثق بمصافحة المتعاقدين ويقبل بعضهم بعضا . وان شئت قلت ان الملك اذا صافح رجلا قبل الرجل يده فكان الحجر هو بمنزلة اليمين

للملك حيث يستلمه ويلثمه .

وان شئت قلت كما قال الطبري ان كل ملك اذا اقدم عليه الوافد قبل يمينه فلما كان الحاج اول ما تقدم يسن له تقبيله نزل بمنزلة يمين الرجل للملك والله المثل الاعلى .
ولقد وضع الحجر في الكعبة مباركا لانه تابع لهذا البيت وهو جزء منه .

ولقد قال تعالى :

(وعهنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) والحجر من الكعبة وهو من آثار ابراهيم .

ولقد قال ﷺ الركن والمقام يا قسوتان من بواقيت الجنة والركن هو الحجر الاسود والمقام هو مقام ابراهيم . ومعنى ذلك ان الكعبة مباركة وهدي للعاكفين والطائفين والركع السجود . والكعبة طاهرة ولا يلمسها الاكل طاهر اى طاهر القلب والروح والجسم ولا يكون ذلك الا من كان له قلب سليم لقوله تعالى :

(يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم) .

ولقد بورك في هذا الحجر على يد جبريل وأنم وشيخ ابراهيم واسماعيل .

ولما قامت قریش ببناء الكعبة بعد أن تصدعت من فعل السبيل الحارقة التي تعرضت لها مكة ثم تم بناءها أرادوا أن يضعوا الحجر الاسود في مكانه فاختلفت بطون قریش وعائلاتهما فيمن يكون له الشرف الأكبر في إعادة الحجر الاسود الى مكانه وكاد أن ينشب قتالا ثم أرادوا أن يحكموا بينهم أول داخل بيت الله الحرام فكان أول الداخلين هو محمد رسول الله ﷺ وكان سنه أقل من أربعين عاما ولم يكن قد بعث للامة الاسلامية رسولا وكانوا يثقون به ويلقبونه بالأمين لوقاره وصدقه وبعده عن الآثام .

ولقد حكموه فيما تنازعوا فيه فأمرهم باستحضار ثوب ثم أخذ الحجر بيده الشريفة ووضع على الثوب ثم أمر كل قبيلة أن تأخذ بطرف الثوب ثم رفعوا الثوب جميعا الى ما يوازي موضع الحجر من البناء ثم قام رسول الله ﷺ فوضعه بيده الشريفة مكانه .

ولقد قال ﷺ ما من أحد يدعو عند هذا الركن الاسود الا استجاب الله له .

وجرت العادة بأن العهد يعقده الملك لمصافحة من يريد موالاته والاختصاص به ويخاطبهم على قدر عقولهم .

حجر اسماعيل

ان ام اسماعيل أطاعت زوجها ولم تخالفه واسلمت امرها لله وصبرت على الجوع والعطش والوحدة وحسرة الوادي الشديد فآكرمها الله وجعل سقيها بين الصفا والمروة منسكا من مناسك الحج يؤديه كل مؤمن حاجا أو معتمرا ليتعلم للصبر ولا ينسى صبر ام اسماعيل ولقد تحملت هذا البلاء بالترضا والصبر فجازها الله بشر زمزم في الدنيا ثم لما ماتت نقتت في حجر اسماعيل فانت تطوف حول الكعبة ثم

تصلى في حجر اسماعيل حيث دفن هو وأمه في الكعبة ذلك ان حجر اسماعيل في الواقع هو جزء من الكعبة ولو انه خارج عنها .

قال ﷺ يا عائشة ألم تر ان قومك قد قصرت بهم النفعة حين بنوا الكعبة فاقترضوا على قواعد ابراهيم ثم قال ﷺ لولا حداثة قومك بالجاهلية لهسمتها وجعلت لها خلفا والصقت بابها بالأرض وأدخلت الحجر فيها .

وعن عمر بن عبد العزيز قال لما شكا اسماعيل الى ربه عز وجل من حر مكة أوحى الله اليه انى سأفتح لك بابا في الجنة في الموضع الذى ستدفن فيه يجرى عليك ريحها الى يوم القيامة وروائح الجنة هى ذكر الله والتكبير والتهليل والتسبيح وانه يتمتع مع أمه بنور الله دعاء الحجاج والطائفين والعاكفين بالكعبة وان احسن الجزاء هو جزاء الصبر . ولقد قال تعالى (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) .

ولما ماتت هاجر تزوج اسماعيل وجاء ابراهيم والده يزوره فلم يجده فقابلته زوجة ابنه مقابلة جافه ولم تكرمه وشكت من سوء الحال فقال اذا عاد اسماعيل فقولى له ان اباك يقول لك غير عتبة دارك . فلما رجع اسماعيل وعلم بذلك طلق زوجته ثم تزوج أخرى ولما زاره أبوه المرة الثانية لم يجده واكرمه زوجته فدعا لها بالبركة وذكر هذا الحديث في صحيح البخارى يقول الله تعالى (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن نزيقنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت الخواب الرحيم) (سورة البقرة)

مقام ابراهيم

لقد أمر الله ابراهيم ان يبني البيت مع اسماعيل على أساس البيت الذى كان على عهد آدم وقد أصبح مكان البيت ربوة حمراء وتحتها كان الأساس فكان بينهما واسماعيل يناوله الحجارة ويحملها على كتفيه حتى ارتفع البناء وكان الحجر الذى يقف عليه ابراهيم يرتفع حتى تم البناء .
وانك عندما تذهب الى الكعبة بإن الله ستجد هذا الحجر موجودا وعليه آثار أقدام ابراهيم . ان ابراهيم بنى بيت الله وجاهد ووقف بقدميه حتى ارتفع البناء فرفع الله قبره وجعل أثر قدميه ظاهرة الى يوم القيامة ان هذه معجزة لابراهيم .

يقول الله تعالى

(واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) . ولقد روى

الترمذى عن جابر ان النبى ﷺ عندما قيم مكة طاف بالكعبة سبعا ثم قرأ « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » ثم تقدم الى مقام ابراهيم وصلى ركعتين فقرأ فيها « قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد فوجد الله » . ثم قال ﷺ « تبدأ بما بدأ به الله بالصفا وقال إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم » وتأمل قول الله

تعالى « ان الله شاكر عليم » . وشكر الله عظيم يجازيك ويعطيك ويرضيك ويرفعك وهل جزاء الاحسان الا الاحسان .

الكعبة

لقد قالوا ان الكعبة بيت كالببوت وحرم لا كائى حرم انه بيت من زاره بنفسه وجد الطافه ومن شهده بقلبه نال كشوفاته وقالوا ان الكعبة بيت الله الحرام بيت الله في أرضه ووجهه الله الى الله واينما تولى وجهك عند الكعبة فثم وجهه الله وملجأ لكل مستجير بالله يتعلق بأستار من يجب الله ويجد القادم الى الله عند الكعبة أمنا يصلح باله وايماننا يحل في قلبه يطوف بروحه برداً وشوقاً وسلاماً وان النظر الى الكعبة سنة بل هي متعة وثواب .

السر في النظر الى الكعبة

واذا أمت النظر اليها ثم قمت الى الصلاة تجد تركيزاً يحل في قلبك فلا تنسى وتتمتع في معنى ما تتلو من آيات ثم تسمع مناجاة الله يصل الى قلبك واينما تولى وجهك فثم وجه الله ثم تربط قلبك فلا تفكر الا فيه وتستغفر من ماضيك وتستقبل بحاضرك إسلاماً وايماناً .

الكعبة وجهة الى الله

ان الكعبة وجهة الى الله تعالى ونحن نستقبلها فرضاً في اليوم خمس مرات ويشاهدها المؤمن في قلبه اينما كان ولا يزال يتجه الى الله حتى يأنز الله بقاء قريب بل لا يزال يطرق باب الله حتى يلقاه في الطواف حول الكعبة وقد دعاه فلبى النداء فهو ضيف الله وضيف الله لا يضام . ويقول الله في حديث قسسى ان بيوتى في الأرض المساجد وان ضيوتى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارنى في بيئتي فحق على المزور ان يكرم زائره .

الكعبة مركز الطواف

وان الله جعل الكعبة مركزاً للطواف فيطوف المسلمون حول الكعبة على هيئة نوائر ويتجهون اليها يلقوبهم ويطوفون بها بأجسامهم في صفوف متراسة وهم منجذبون اليها كالمغناطيس الذى يجذب برادة الحديد على هيئة نوائر فتتولد عن ذلك روحانية تعم القلوب . ولقد دعا ابراهيم عليه السلام فقال :

« فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » وتمتد هذه الدوائر من الكعبة التى هي مركز الدوائر الى خارج بيت الله الحرام حيث تتكون هذه الدوائر من المصلين وتزداد اتساعاً كلما اقيمت الصلاة في البلاد حيث ينتشر المسلمون وحيث يقفون وهم يؤنون الصلاة ومن حكمة الله تعالى اختلاف الأوقات ليعبد المسافات فتستمر الصلاة والاتجاه الى الكعبة مع خطوط العرض الواحدة حيث يتجه المسلمون الى الكعبة في القاهرة في الوقت المحدد لصلاة الظهر وجميع البلاد التى تقع على خط عرض واحد ثم يعقبها صلاة الظهر في البلاد التى تلى خط عرض آخر وهكذا يتجه المسلمون الى الكعبة

وباستمرار طول اليوم دون انقطاع في دوائر مختلفة يتجه الى الكعبة ولا يحيد عنها .

ظاهرة الطواف في الأرض والسماء

وقول الله تعالى (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى الا هو العزيز الغفار) .

ومعنى هذا ان ظاهرة الطواف موجودة في السماء ومعلوم ان الأرض تدور حول الشمس ولقد جعل الله الشمس سراجاً لتضيء الأرض في طوافها ويدور القمر حول الأرض

الكعبة بمثابة النواة في الذرة

وان الكعبة بمثابة النواة في الذرة يطوف حولها المسلمون كالاكترونات وان النواة موجبة والاكترونات سالبة تنجذب اليها كذلك الكعبة وقد جعل الله شحنة الكعبة موجبة والمسلمون شحنتهم سالبة ينجذبون اليها فتتكافأ الشحنة وينتقى في قلب المؤمن نور الايمان .

ولقد أراد الله ان لا تلتحم النواة مع الكترونات بل يحدث بينهما فقط ومعنى ذلك ان ظاهرة الطواف موجودة في ملكوت السموات والأرض وان ذلك من فطرة الله التى فطر الناس عليها أى ان الحركة مستمرة مادامت السموات والأرض وان المؤمن يعود الى بلاده وقد زاده ايماناً وتأثر بجاذبية الكعبة وقد تناثرت ذنوبه وأصبح طاهراً سليم القلب والنفس وقد أنس بالله وقد كان ضيقاً عند الله . فنحن هناك في بيت الله الحرام ضيوفاً على رحمته ومن نخله كان آمناً وهذا البيت يستقبل ضيوفاً ثم يطوف بالبيت ويتعلق بأستار الكعبة يدعو الله فتتناثر ذنوبه ليعود الى بلده طاهراً صافياً .

الوفاء بعهد الله

وعندما نستلم الحجر الأسود ونقبله فهو يمين الله في أرضه فأنت تتابع الله عز وجل على طاعته وتصمم العزم على الوفاء ببيعتك فحانر أن تخلف بوعده وقد عاهدت الله ذلك لأن الحاج يقول عندما يبدأ الطواف وبعد أن يقبل الحجر « اللهم ايماناً بك ووفاء بعهدك واتباعاً بسنة نبيك وتصديقاً بكتابك ثم يطوف » .

الصلاة حول الكعبة

وفي الكعبة يقفون صفوفاً متراسة على هيئة دوائر منتظمة حول الكعبة يؤدون الصلاة ويعيونهم مركزة الى الكعبة كاتجاه وقبة للصلاة من جميع النواحي يركعون في وقت واحد ويسجدون في وقت واحد ويسلمون في وقت واحد ويؤمنهم امام واحد

اسرار الحجر الأسود

ومن استلم الحجر الأسود فإنه يجد العسل على الاستقامة وهو كعلم الدولة لأنه يمثل سلطان الدولة فانهم يحنون رموسهم وسيوفهم له احتراماً وخصوصاً وأن علم

الدولة عبارة عن قطعة قمماش مرفوعة على قطعة من الخشب فهو رمز لسلطان الله وهيته لينكرهم بقوة الله وقدرته ويجمع المسلمون عنده وهو مبدأ الطواف من عنده بعد استلامه وتقيله ولقد قبله رسول الله ﷺ عندما طاف أول مرة وهو حجر مصقول أبيض به بقع حمراء وتعاريج صفراء ولقد كان موضع احترام إبراهيم واسماعيل كما أنه مقدس عند المسلمين جميعا لآذاته ولكنه رمز وشعار الربوبية والقوة . ان له سر روحى عجيب وله عناية ربانية مودعة فيه وعندما يقبله المؤمن يشعر بنشوة روحية تأخذ بمجامع القلوب ينعم بها الفم ويود لاثمه ان لا يفارقه وينقلب هذا الشعور الى بكاء مع حب وشوق لله رب العالمين وانى أقول المؤمن لأنه ليس عنده شك أو ريب بل تصديق وإيمان .

عمر والحجر الأسود

ومن يتمكن من تقبيله في السبع أشواط لابد ان يأخذه الشوق كما قلنا حبا في الله ثم يأخذه في البكاء حنيناً وشوقاً ولقد وقع هذا لأمر المؤمنين عمر بن الخطاب فقد وقف عند هذا الحجر وكان يرافقه الإمام على بن أبى طالب ثم قال والله لولا انى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك فإناك حجر لا تنفع ولا تضر طاف سبعة أشواط وكان يقبله في كل شوط ثم اذا به يجلس ويبكى وعلا نسيجه ثم التفت للإمام على وقال هنا تسكب العبرات وتستجاب الدعوات فقال على كرم الله وجهه يا أمير المؤمنين انه حجر ينفع ولا يضر وان الله تعالى لما أخذ الميثاق على نرية آدم في قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) وكتب الله عليهم كتاباً القمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود وذلك معنى قول الحجاج عند استلام الحجر أو تقبيله اللهم إيماناً بك وتصديقاً بعهديك واتباعاً لسنة نبيك وحبيبك محمد ﷺ ثم يبتدىء في الطواف فقال عمر لا أبقانى الله في بلد لا تكون فيها يا أبا الحسن تلك هى الرواية الصحيحة ومع الأسف فإن الناس يبترون كلام عمر ويقصرونه على انه حجر لا ينفع ولا يضر فإذا كان هذا صحيحاً فلماذا قبله رسول الله ﷺ بل كان يقبله كثيراً ويسجد عليه أحياناً وكان يطوف على الراحلة ويضع الحجر أو العصا عليه ثم يقبل طرف الحجر وان تقبيله لا يدل على الشرك والذين يقولون انه حجر لا يضر ولا ينفع أخذوه نقلاً وسمعه قولاً ولم يختبروه فعلاً ولم يجربوه أصلاً ونحن

لا نعبد أحجاراً أو أصناماً وان التقبيل لا يدل على العبادة أبداً والعبادة نظامها معروف ولها شعائرها وليس من العبادة التقبيل وهناك في مكة أحجاراً تقبل وأحجاراً ترجم ولقد قال ﷺ يأتى ركن يوم القيامة من جبل أبى قيس له لسان وشفتان يشهد لمن استلمه بحق وهو يمين الله تعالى في الأرض يضافح به خلقه ولقد قال الإمام الخطابى رضى الله عنه معنى أنه يمين الله أن من يضافحه أى صافح الحجر كان له عند الله عهد .

غار حراء والكعبة

ولقد ذكر بعض العارفين ان السر في كونه ﷺ لازم التعبد في غار حراء دون غيره من الجبال في أول أمره لأنه كان يشاهد بيت ربه أى الكعبة وهو في مكانه في غار حراء وأن هذا الغار يستقبل الكعبة من غير انحراف . وان الكعبة نقطة الارتكاز وقد اجتمعت القلوب حولها حيث تنزل رحمة الله فتعم الوجود رحمة من الله وفضلاً . ولو تصورت ان المسلمين يقفون وهم متجهون الى الكعبة على هيئة خطوط مستقيمة الواحد خلف الآخر لرأيت أسهما تشير الى الكعبة هذه الأسهم تتمركز في الكعبة حيث انها نقطة الارتكاز ولبلى على ان الله يريد منا أن نكون مركزين عقولنا في الصلاة وان نفهم معنى ما نقرأ فتخرج معانى الآيات ظاهرة واضحة فيصل المؤمن الى عمق الحقيقة ظاهرة واضحة في هذه المعانى الكريمة ويتولد في القلوب نور الايمان يضيء القلوب فتتقلب المعانى الى صور واضحة تلتبسها القلوب وتتعرف عليها الأرواح وتتزاحم المعانى لتتلقفها العقول على هيئة الهام تتقبلها وتطمئن اليها .

ويقول الله في حديث قنسى ما وسعتنى سمائى ولا ارضى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن . فعندما يطوف المؤمن فيجعل الكعبة على يساره وقلب المؤمن بيت الله وان الكعبة هى بيت الله الحرام فتعم المؤمن رحمة الله التى تنزل على عباده عند الطواف ولذلك جعل الله مسار الطواف يسار الطائف . ويبدأ الطواف يمين الله في أرضه وهو الحجر الأسود ولقد قال ﷺ عن الحجر الأسود انه يمين الله في أرضه يضافح بها خلقه ويصافح الرجل أخاه .

علاقة الكعبة بالانسان

وان الكعبة حجر من تراب وان جسم الانسان من تراب فاذا تعلق المؤمن بالكعبة يطمئن قلبه ويشعر براحة في جسده وكهربائية تعمه ثم يبكى شوقاً وحياً وقد أنس بالله فيدعو ربه فيستجاب له . وان الدعاء عند الكعبة مستجاب . والله ولى التوفيق .



فريضة الحج

والدروس المستفادة

« لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك ، أن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » يريدنا حشد هائل من خلق الله تنوعت أشكالهم واختلفت ألوانهم وتباينت لغاتهم لا تعرف غنيهم من فقيرهم الكل قد جاء من انحاء المعمورة طاعة لأمر الله تعالى « والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » وإذا كانت فريضة الحج هي خامسة الأركان فإنها تجمعهم في ميقات زمانى ومكانى محدد ففيها الصلاة وكم يكون اجرها وفيها الزكاة وفيها الصوم لمن وجب عليه الفداء .. وهى بعد هذا مسك الختام .. يمحو بها الله الذنوب والخطايا ويقلل بها من العسرات وفي هذا يقول الرسول الاعظم والنبي الأكرم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام « ان الحاج حين يخرج من بيته لم يخط خطوة إلا كتب الله لها بها حسنة وحط عنه بها خطيئة ، فإذا وقف الحجاج بعرفات بأمر الله تعالى بهم ملائكته يقول « انظروا الى عبادى اتونى شعنا غبرا أشهركم انى غفرت ذنوبهم وان كانت عدد قطر السماء ورمال عالج » . ولئن كانت فريضة الحج هي هجرة لله وزيارة لمشرق النور المحمدي فكم في الحج من دروس وعظات وحكم بالغات يؤيدها المكان ولا ينسيها الزمان تذكرها مناسك الحج وأركانه ..

الأستاذ أحمد خيرى

تغير بئر ماء جديد هو بئر « زمزم » وكثرة من السكان ولقد استقبل هؤلاء القوم - على عادة العرب - سيدنا ابراهيم بالكرم والحفاوة وحسن الضيافة وفى اليوم التالى لمقمة أخذته سنة من النوم فرأى رؤيا وكأن هاتفا يقرع اذنيه يأمره ببيع ابنه اسماعيل قريبا وفداء فهب من نومه مذعورا .. كان ذلك فى اليوم الثامن لذي الحجة .. وفى اليوم التالى تكرر المشهد ذاته والصوت نفسه فاستعاذ بالله من الشيطان الرجيم وفى اليوم الثالث على التوالى تكرر الأمر فأيقن بأنه أمر الله ولا شك لتكرارها ثلاثا .. ولم يسع الخليل ابراهيم الا أن يذعن للأمر ويقوم بالتنفيذ فصحب ولده وقلدة كبده وسار به نحو الصحراء ..

وتتداعى امام ناظرى الكثير من اللقطات والعديد من المشاهد .. والحجيج يؤتون مناسك الحج فى أرض الطهر والرسالة .. وعيد الاضحى قد ظهر هلال شهره ارى أن أعرض لصورة من أعظم صور البذل والفداء فى تاريخ البشرية قاطبة وموقف اختبار للنوايا وعمق الايمان .. إنها قصة أبى الانبياء وأول المسلمين سيدنا ابراهيم مع ابنه اسماعيل .. انها قصة الفداء التى صارت فيما بعد أحد مناسك الحج . وصل الشيخ الكبير يدفعه حنان الأبوة لرؤية ابنه اسماعيل وزوجته هاجر فى ذلك المكان القصى فى قلب الجزيرة العربية - بقعة الحرم الشريف - فوجد المكان وقد

وفي أثناء السير صارح سيدنا ابراهيم ولده اسماعيل بحقيقة الرؤيا : يا بنى انى ارى في المنام انى انبجك فانظر ماذا ترى ؟ .

بصبر وشجاعة وبإيمان وتسليم بقضاء الله : يا أبت افعل ما تؤمر

وواصل سيرهما ابراهيم الخليل عليه السلام ولده اسماعيل من خلفه يحمل سكيناً ووثاق وكانهما في نزلة ويقول إسماعيل يا أبت

ليكن الذبح في مكان بعيد عن واليتى هاجر لتشجذ السكين حتى لا تتعثر في الذبح لأن الموت اليم يا ابتاه

لتشجذ الوثاق حتى لا انتفض فيتناثر الدم على ثيابك فاكون ابنا عاقا

ان القى على وجهى عندما تهتم بالذبح حتى لا تاخذك شفقة وتعصى بذلك امر الواحد القهار

انظروا يا أمة محمد أدب الابن وإيمانه . تفحصوا يا أمة خير الله صبر الأب وجلده ورباطة جأشه رياه واعجابه

وفي الطريق الى حيث تنفيذ امر الله اذا بابليس اللعين ينادى الغلام همسا بأن يعصى امر والده ان اباك سيذبحك

فيشعر به سيدنا ابراهيم فقال لابنه ارجمه يا بنى لانه مطرود من رحمة الله وفي هذا المكان تقع جمرة العقبة الكبرى وعلى مسافة غير بعيدة من سابقتها يتمثل له ابليس

ثانية محرضا لعصيان الامر فيرجمه وفي هذا المكان تقع الجمرة الوسط ثم تكرر الامر ثالثا حيث توجد الجمرة الصغرى فيرجمه ويلقبه . . وهذه الاماكن الثلاثة في « منى »

هى التي شرع الرجم فيها في أثناء تأدية فريضة الحج وأصبح رمى الجمرات الثلاث من واجبات الحج .

لقد كان هذا امر سيدنا ابراهيم ولده اسماعيل فماذا

كان من أمر السيدة هاجر لقد دخل عليها ابليس في هيئة اعرابي وأبلغها النبأ فما ضعفت وما وهنت واجابته بثقة المؤمن مادام الامر من الله فكلنا فداء الامر الربانى وما اظنك إلا شيطاناً رجيماً عليك اللعنة الى يوم يبعثون . . اسرة مؤمنة انها بيوت الانبياء .

وعلى يسارك ايها الحاج الكريم وأنت متجه الى الجمرة الصغرى وفي بطن الجبل شرع سيدنا ابراهيم في شد وثاق ولده وكبه على وجهه وشجذ السكين وكبر وأخذ بامرار السكين . . وهنا ضجت الملائكة وحمة العرش والمقربون رياه رياه ارحم برحمتك هذا الشيخ الكبير وافدت هذا الغلام الصغير « وإذا بالسكين على رقبة الغلام المؤمن ناعمة الملمس . . هادئة الطبع . . فقد خاضعة الذبح وسمع الخليل ابراهيم قول الله تعالى « وفديناه ان يا ابراهيم قد صنقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم » .

وهنا نزل جبريل عليه السلام بكبش امرا ابراهيم ان يذبحه فداء لولده اسماعيل فكان تشريفاً لاسماعيل وتعظيماً لسيدنا ابراهيم ثم كانت الاضحية بعد ذلك سنة من سنن الاسلام .

هذا بعض ما جال بخاطري اجتزت فيه فصلاً موجزاً لصورة خالدة من تاريخ اباك وأجدانك سيدى يا رسول الله . .

ويشئني الحنين الى ان أقول مع القائلين « لبيك اللهم لبيك . . لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك »

اللهم اكتبها لنا مرارا وتكرارا وامنحها لمن يصدع لأمرك ويمشى على دربك . . إنك سميع مجيب .

كلمة :

■ من رفع نفسه فوق قدرها . . .
صارت نفسه محجوبة عن نيل كمالها . !

الفارابي

مع الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع

الأستاذ حسين أبوهاشم

وكيف يمكن لبشر عادي أن يدرك ذلك، حتى في زمننا هذا الذي بلغت فيه علوم الفلك مدى بعيدا، فما بالنا بعهد قديم، كان منذ أربعة عشر قرنا وما بالنا بأمة تعيش في الصحراء لا تقرأ ولا تكتب ولا علم لها؟

وما بالنا برجل منها أمي فقير نشأ يتيما وشب بعيدا عن أي موطن من موطن العلم في ذلك العهد الذي لم يكن قد تكشف فيه ما تكشف اليوم من أجرام الشمس والكواكب والمجرات تدور في هذا الفضاء اللانهائي، في نظام محكم، يحكم علاقة هذه الأجرام الكونية بعضها ببعض ويحدد لها في أفلاكها مواقعها وحركاتها وهيئاتها، والأمد الزمنية التي تتم فيها دوراتها في أفلاكها الخاصة، ودوراتها في الأفلاك العامة من حولها

لقد اكتشف العلم الآن من أجرام النجوم السابحة في هذا الفضاء الكوني وجود مائة ألف مليون من المجرات، واكتشف أن في كل مجرة منها مائة ألف مليون من الشمس وأن بعض هذه الشمس أكبر من شمسنا هذه التي نراها من كوكبنا الأرضي الذي نعيش عليه، وأن لكل شمس مجموعة تتبعها من الكواكب ولكل كوكب توابعه من الأقمار يختلف عددها مع كل كوكب، كما يختلف عدد الكواكب التابعة للشمس في مجموعات الشمس المختلفة وبين الشمس ومجموعاتها من الكواكب والأقمار تختلف الأبعاد، وتختلف النظم، وبين المجرات وما فيها من مجموعات الشمسية تختلف الأبعاد، وتختلف النظم.

والأبعاد بين هذه وتلك شاسعة شاسعة، بحيث لا يرى الرائي منها - لبعدها بيننا - الأمثل هذا العدد القليل الذي نراه ونحسبه كثيرا من النجوم أو الكواكب تتراءى لنا نقاطا بيضاء لامعة في صفحة السماء، وهي منا على مسافات تبلغ الآلاف من السنين الضوئية، وأما ما لا نراه منها فكثير كثير، لم تره حتى الآن أكبر المراصد الفلكية وأنما كان ثبوت وجوده بدلائل أخرى ولا علم لنا من وراء ذلك بما لم يكتشفه العلم بعد من الكائنات السماوية

« إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق الله السموات والأرض منها أربعة حرم ثلاث متواليات وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب الذي بين جمادى وشعبان ».

هذا التعبير المشرق المبارك، ورد في خطبة الوداع.. تلكم الخطبة العظيمة الجامعة المانعة.. التي ضمنها سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه آداب الدين الإسلامي الحنيف، ورسم فيها حدوده، وبين معالمه.

وعند هذا التعبير النبوي الكريم لا ينقضى عجبنا ولا يكاد، وتتجلى لنا دلالة من أعظم الدلالات على أن هذا الكلام لا يمكن أن يقوله بشر عادي، ولا يمكن إلا أن يكون وحيا من عند الله عز وجل.. فكيف لبشر عادي أن يتحدث عن الزمان بأن له هيئة، ولا يخطر ببال إنسان أن تكون للزمان هيئة..! فالهيئة إنما تكون في المنظورات المادية التي لها هيئات وأشكال، وليس كذلك هو الشأن مع الزمان.

لكنها البصيرة النبوية، ولكنه العلم النبوي الذي يفرضه الله تعالى في قلب نبيه، وهو الذي اصطفاه، وهو الذي علمه، وهو الذي أراه من آياته الكبرى:

« سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا أنه هو السميع البصير »

« ولقد رأى من آيات ربه الكبرى »

عن هذه البصيرة النبوية وعن هذا العلم النبوي يجيء ذكر الزمان موصوفا بأن له هيئة يتحول، الزمان عنها، ويستدير إليها فيقول النبي الكريم عليه الصلاة والسلام

« وأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » فما هي هذه الهيئة؟

هذه الكواكب والشموس ، وهذه المجرات التي تعد بمئات الألوف من الملايين تدور كلها في الفضاء الكوني تبعاً لنظام يحكمها ، ويضبط أمرها بحيث لا تتقابل ، ولا تتصادم ، ولا يختل نظامها .

ومن اختلاف مواقعها واختلاف المسافات بينها ، واختلاف دوراتها في أفلاكها ، تختلف سنواتها الزمنية ، وتختلف الأنساب بين مواضعها ، فتختلف فيها الهيئة التي تجمع شكلها حيناً بعد حين ، فلا تعود إلى هيئتها في لحظة من اللحظات إلا بعد زمن مقدور ، لا يعلمه إلا الله .

هذه هي هيئة الزمان ، ومن هنا كان هذا التعبير النبوي الكريم عن هيئة الزمان ، واستدارته في زمانه صلوات الله وسلامه عليه ، وفي السنة التي أدى فيها عليه الصلاة والسلام حجة الوداع ، إلى هيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وفيما يتصل بكوكبنا الأرضي ، وعلاقته بالشمس التي يتبعها ، والقمر الذي يرتبط معها بمواقيت ، كانت عدة الشهور عند الله اثني عشر شهراً .

والى ذلك يشير سيدنا رسول الله ﷺ فيقول في خطبة الوداع : « وأن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق الله السموات والأرض منها أربعة حرم »

وكانه ﷺ في ذلك العام .. عاشر أعوام الهجرة النبوية الشريفة ، وانتصار الإسلام ، وانتشاره على الأرض ، يعود بالحياة إلى صحتها ، ويصحح لها من هيئتها مع عودة الزمان إلى هيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وينبئ إلى صحة هذا التقسيم الزمني للحياة فوق الأرض مرتبطاً بالشمس ودورتها ، والقمر ودورته منذ خلق الله هذه الأرض ، وحدد لها علاقتها مع شمسها وقمرها ، والكائنات السماوية من حولها ، فهي محكومة زمنياً باثني عشر شهراً ، هي عدة الشهور في السنة .

ثم يجيء من التنظيم الإلهي لحياة الناس تحريم أربعة أشهر من هذه الشهور ، تحرم فيها الحرب ، ويحرم فيها اعتداء الناس على الناس حرمة زمنية فوق حرمتها الإنسانية في كل زمان ومكان .

فإذا كانت هذه الحرمات حراماً على الناس في كل أيامهم العادية . فهي في هذه الأشهر الأربعة أشد حرمة ، وحرمتها مرتبطة هنا بالزمان وهي في هذا شبيهة بحرمة الطعام والشراب والملذات في نهار رمضان ، حرمتها مرتبطة بالزمان .

وإنما كانت الأشهر الحرم أشهراً معلوماً ، ذكرها سيدنا رسول الله ﷺ في هذه الخطبة بقوله : « ثلاث متواليات وواحد فرد » فاما الثلاثة المتواليات فهي كما قال عليه الصلاة والسلام : « شهر ربيع الأول ، شهر ربيع الثاني ، شهر جمادى الأولى »

نو القعدة وتو الحجة والمحرم .

وأما الواحد الفرد فهو كما قال :

ورجب الذي بين جمادى وشعبان .

فاما الثلاث المتواليات : فلأنها يقع فيها موسم الحج ، وسفر الناس إليه ، فالحج يقع من ذي الحجة في الأيام الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر ، وقبل ذلك يكون سبعة وثلاثون يوماً يقبل الناس فيها إلى بيت الله الحرام استعداداً للحج ، وبعد ذلك سبعة وأربعون يوماً ينصرف فيها الناس إلى ديارهم ، بعد أداء فريضة الحج ، فلذلك حرم فيها القتال والعُدوان ذلك التحريم الزمني فوق التحريم الانساني :

وإنما كان تحريم رجب من الناحية الزمنية ، لأنه يكون فيه أقبال الناس على الاعتماد إلى بيت الله الحرام في غير موسم الحج .

يقول سيدنا رسول الله ﷺ هذا ، وهو يؤكد على المؤمنين حرمة هذه الأيام ، وحرمة هذا البلد وحرمة اليوم الذي يقف فيه يخطب الناس بعرفة :

وليس يخفى ما في تحريم هذه الأشهر متفرقة هكذا في العام كل عام ، من تعويد الناس على حياة السلم بين فترات الحروب والمشاحنات ليقارنوا بأنفسهم عن علم ومشاهدة وممارسة بين حياة السلم وأمنها ورخائها وبين حياة الحرب وبفزعها وشدتها وفسادها فلعلهم يركنون فيما بينهم إلى حياة السلام .

وكاننا برسول الله ﷺ قد تحرى هذا العام ليحج فيه انتظارا لتمام استدارة الزمان فيه كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ليصحح فيه للناس مواقبتهم ويؤكد لهم حرمتهم وليضع الفواصل الزمنية بين جاهلية موضوعة يعاندها الفاسدة وعاداتها الضارة وبين حياة أثار الله أفاقها بنور الإسلام في القلوب والنفوس والأرواح ، فيها تتأكد للإنسان حقوقه ، وترعى فيها حرماته .

لقد كان هذا العام الذي حج فيه سيدنا رسول الله ﷺ هو عاشر أعوام الهجرة وقد اختاره ﷺ ليحج فيه حجة الوحيدة هذه ، وهو يعلم بوحي من الله سبحانه وتعالى وبصيرة أنه سينتقل من هذه الحياة إلى جوار الله بعد ثلاثة أشهر من وقفته هذه بعرفة ، يبين للناس ويقول لهم :

« اسمعوا مني أبين لكم ... ! فإنني لا أدرى على لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً »

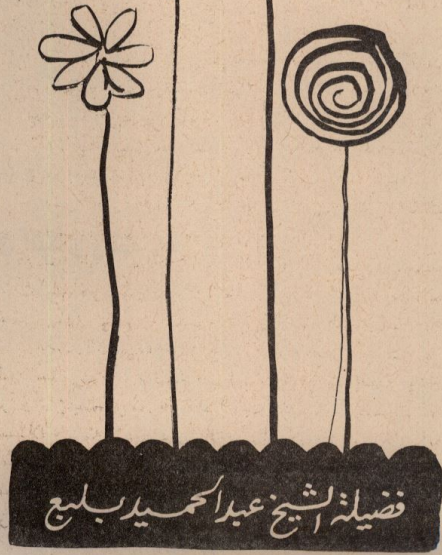
وقد كان يمكن لسيدنا رسول الله ﷺ أن يحج في العام الثامن للهجرة الذي فيه فتح مكة في شهر رمضان ، ولكنه لم يفعل ، وكان يمكن أن يؤدي الحج في السنة التاسعة للهجرة وهي السنة التالية لعام الفتح ، ولكنه لم يفعل وبعث بأبي بكر الصديق رضي الله عنه أميراً على الحج ذلك العام ، وأثر هو ﷺ أن ينتظر بالحج العام العاشر تحريماً منه صلوات الله وسلامه عليه لاستدارة الزمان كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض كما سبق القول تحقيقاً لحكمة الله تعالى ومشيبته في خلقه وتهيئة الزمان للإسلام على استقامة في الزمان .



وأثرها في حياة الأمم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله - وبعد -
فإن يوم العيد له بين الأيام منزلة ، وله في المجتمعات العامة مظاهر
محببة وأن كلمة عيد تحمل في طيها معنى السرور والبهجة ، وتبعث في
أفانق الإنسان معنى الانطلاق والجمال والفرحة ، وسمى العيد عيداً
لعوده في أحياء تكريات المناسبات التي اتخذ عيداً من أجلها ، لأن العيد
أنما يكون لمناسبة تأتي بخير أو تبشر ببفع ضير وضر فيكون العيد في
أعقاب أسداء نعمة للأمة ، أو كشف غمة عن هذه الأمة والأعياد على
المستوى العالمي تكون في الأمم لمناسبات قومية في كل أمة بما يناسبها
أو لمناسبات وطنية في كل وطن بما يعود عليه من خير وبما يدفع من شر ،
أو تكون لمناسبات دينية ، والأعياد الإسلامية تنحصر في عيدين - عيد
الفطر - وعيد الأضحى .

فعيد الفطر جاء عقب الانتهاء من صوم رمضان ، لأن
الصائم يشعر بفرح عند فطره لذا يقول الرسول ﷺ
« للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه »
ويدهى أن الرسول لم يقصد من فرحة الصائم بالفطر تناوله
الطعام والشراب عند الغروب ، وأنما يقصد غرضاً أسمى
وأجمل ، هو توفيق الله المؤمن لاداء صوم رمضان ولا شك أن
هذا التوفيق نعمة تبعث الفرح في نفس المؤمن - أما عيد
الأضحى فقد جاء عقب أسداء نعم عظيمة للمؤمنين وأحياء
تكريات خالداً في تاريخ المسلمين ، ومن أبرك هذه النعم
أثراً ما أحق الله به على المسلمين بقوله « اليوم يئس الذين
كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم
دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً »
نزلت هذه الآية يوم عرفة في حجة الوداع تعلن ما أنعم الله به
على المؤمنين في هذا اليوم - ذلك أنها أولاً تطمئن المسلمين
أن الدعوة الإسلامية قد أرست قواعدها وأصبحت ذات قوة
وبأس حتى أياست العدو من أن ينال منها فتتزعزل اليوم
يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون .



شعور الولد عن شعور الوالد - استسلام وصبر ورضا بالقضاء والقدر في الذبح ولم يكثر إبراهيم بما كان يختلجه من دوافع تثبطه عن ذبح الوليد فهناك حنان الأبوة المتعطشة، وهناك الحادث الفاجع الذي يهز المشاعر - أب رحيم ينحر فلذة كبده بيده ، وطفل برىء يستسلم للذبح على براءته - ولكن لا عجب - فإنه الايمان وصنع العقيدة

«ونابيناها أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم» وهكذا يكون جزاء من انتصر من نفسه لربه ، وأثر استجابة موله على استجابة هواه وعطفه - من كل هذه المعاني السامية اختير يوم الفطر ويوم الأضحى ليكونا عيدين للمسلمين - ولهذين العيدين أحكام عامة لهما معا ولكل واحد منهما أحكام خاصة به - ونذكر من هذا وذاك ما يسمح به المقام - فمن العام مايتأتى : (١) استحباب الغسل والتطيب ولبس أجمل الثياب عنده فقد روى الشافعى أن النبي ﷺ كان يلبس برد حبرة في كل عيد - وبرد حبرة نوع من حرائر اليمن . (٢) التكبير في صلاة العيدين وهى ركعتان يسن فيهما أن يكبر المصلى قبل القراءة في الركعة الأولى سبع تكبيرات بعد تكبيرة الاحرام وفي الركعة الثانية خمس تكبيرات غير تكبيرة القيام (٣) الخطبة بعد صلاة العيد سنة والاستماع اليها سنة كذلك (٤) اللعب المباح واللهو البرىء والغناء الحسن ذلك من شعائر الدين التى شرعها في يوم العيد رياضـة للبدن

وترويحاً للنفس قالت عائشة رضى الله عنها « كان يوم عيد يلعب السودان بالدرق - يعنى التروس والحراب - فلما سألت النبي ﷺ - قال « تشتهين تنظيرين » فقلت نعم فأقامنى وراءه خده على خدى وهو يقول « دونكم يابنى أوفدة » حتى أنا ملكت - قال « حسبك قلت نعم - قال « فاذهبى » (٥) التكبير في كل من العيدين سنة ووقته في عيد الفطر من وقت الخروج من البيت لصلاة العيد الى القيام لصلاته وفي عيد الأضحى بعد كل صلاة فرض من خمسة عشر فريضة وقتية من ظهر يوم النحر الى صبح اليوم الرابع ليوم النحر - لا بعد صلاة نافلة ولا صلاة مقضية فيها ولو فاتته منها .

ومن الأحكام الخاصة بكل منهما حكم الاكل قبل الخروج من البيت لصلاة العيد - وهو سنة في عيد الفطر يسن أكل تمرات وترأ قبل الخروج لصلاة العيد - ويسن تأخير الاكل في عيد الأضحى حتى يرجع من المصلى فيأكل من كبده اضحيته أن كان له اضحية قال انس : كان النبي ﷺ لا يغزو يوم الفطر حتى يأكل ولا يأكل يوم الأضحى حتى يرجع » رواه الترمذى وغيره وغير ذلك من الأحكام والاداب كثير - نرجو الله التوفيق لادائها كاملة وأن يعيد أيام الاعياد على المسلمين في كل بقعة من بقاع الأرض في خير ويمن وبركة وعلى امتنا وقد تحررت أرضها وأخذت حقوقها كاملة لتعيد تاريخ أباؤها الأولين وما نلك على الله بعزيز فهو نعم المولى ونعم النصير وهو ولى التوفيق .

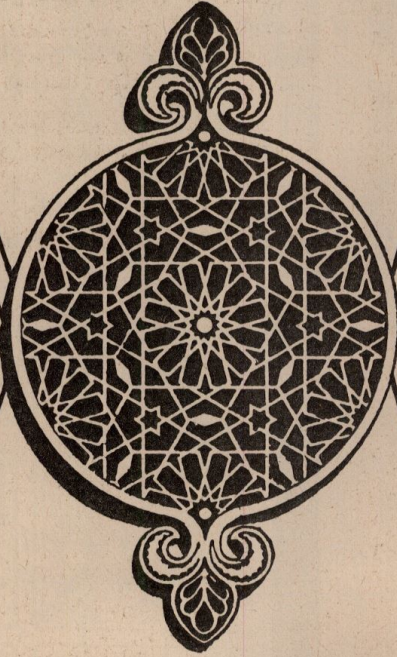
كلمة :

■ في الشك حيرة . .

وفي اليقين راحة . .

الامام محمد عبده

الدعوة والدعاة



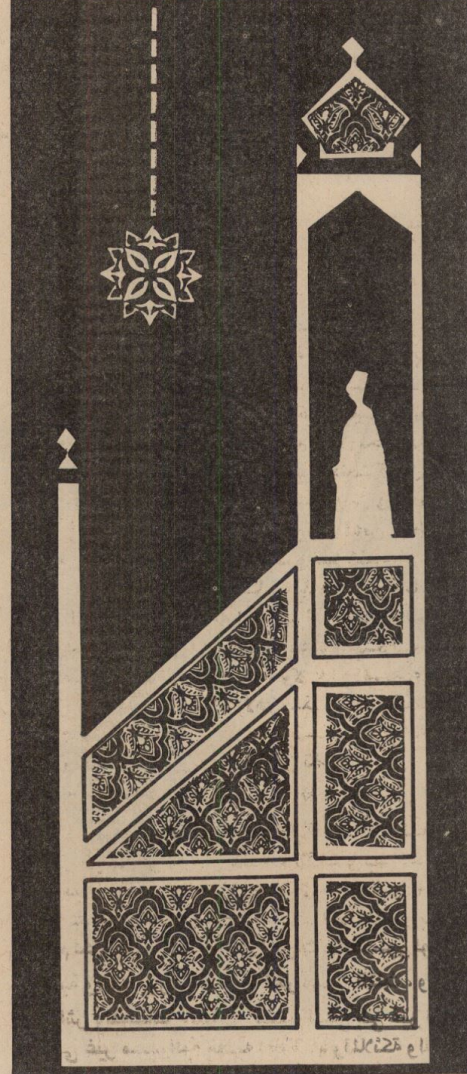
يشرف على تحرير هذا الباب

منصور الرفاعي عبيد

فؤاد هيبه

عائى عيسى

حدث الحالة



أخي الداعية ، هل علينا هلال شهر ذي الحجة وبخلنا في العشر الأوائل وهي أيام مباركة وليال خيرة أقسم الله بها في قرآنه فقال سبحانه ، والفجر وليال عشر ، والشفع والوتر : قالوا الفجر هو فجر أول المحرم ، لأن منه تتفجر أيام العام ، وليال عشر هي هذه الأيام العظيمة التي يقول فيها الرسول ﷺ ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام ، يعني العشر الأوائل من ذي الحجة ، قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء ، والشفع هو يوم العيد لأنه هو يوم العاشر ، والوتر هو يوم عرفه لأنه خير يوم طلعت فيه الشمس من صامه غفرت له سنة ماضية وسنة مقبلة كما جاء الحديث عن الصادق الأمين - لقد أتم الله دينه في يوم عرفه حيث نزل قوله سبحانه « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » .



السموات والأرض منها أربعة حرم ثلاثة متواليات وواحدة فرد : ذو القعدة ، ذو الحجة ، والمحرم ورجب بين جمادى وشعبان أهل اللهم فاشهد ، أيها الناس :- إن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق لكم عليهن الأيوطن فرشكم غيركم ، ولا يدخلن أحد تركزه بيوتهن ، إلا بئنه ولا ياتين بفاحشة فإن فعلن فإن الله قد أنن لكم أن تعضلوهن وتهجرهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح فإن انتهين واطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وإنما النساء عندكم عوان ، لا يملكن لأنفسهن شيئاً أخنتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بالنساء خيراً ألا هل بلغت اللهم فاشهد ، أيها الناس ، إنما المؤمنون أخوة ولا يحل لأمريء مال أخيه إلا عن طيب نفس منه الأهل بلغت اللهم فاشهد ، فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإنني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي ، كتاب الله وسنتي الأهل بلغت اللهم فاشهد .

أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وأدم من تراب وإن أكرمكم عند الله اتقاكم وليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى . الأهل بلغت اللهم فاشهد ثم قال فليبلغ الشاهد منكم الغائب - أيها الناس إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لوارث وصية ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث ، والولد للفراس وللغاهر الحجر من ادعى إلى غير ابنه ، أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس [البقية ص ١٢٠]

في هذا اليوم الأغر سجل التاريخ وروى الزمن أن النبي ﷺ أعلن على الإنسانية بأسرها وثيقة حقوق الإنسانية حيث قال في البيان الذي القاه على المسلمين الحمد لله حمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحذركم على طاعته واستفتح بالذي هو خير :- أما بعد - أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم فإني لا أرى لعلي لا القاكم بعد عامي هذا في موقفى هذا ، أيها الناس إن دماءكم وأموالكم ، حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها وإن ربا الجاهلية موضوع وإن أول ربا أبداً به ربا عمى العباس بن عبد المطلب وإن دماء الجاهلية موضوعة وإن أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة ابن الحارث بن عبد المطلب وإن مائر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية والعمد قود وشبه العمدة ما قبل بالنص والحجر وفيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية : أيها الناس : إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ولكن قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمال :

أيها الناس : إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله

البيت الحرام

الحمد لله أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا . وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ...
اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم .

أما بعد ،

ففي هذا الوقت الذي نخرج فيه ليوم الجمع الأكبر في هذا الوقت المبارك الذي تهفو فيه القلوب الى بيت الله الحرام وإلى الأماكن الطاهرة التي جعلها الله رحمة وبركة ومغفرة لعباده . من هذه الأماكن التي فضلها الله سبحانه وتعالى وجعل الخير فيها بغير حساب وجعل الطاعة فيها مضاعفة والأجر فيها لا ينتهي . مكة المكرمة التي أقسم الله بشرفها وبهيبتها وبفضلها على سائر البقاع وجعلها موطنًا للوفادة إلى أن يأتي نبيه وإلى أن نقدم على ضيافته فأقسم الله سبحانه وتعالى بل جاء بسورة من سور القرآن وأسمائها بها وهي سورة البلد والبلد هي مكة : « لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد » وأقسم بها في موطن آخر فقال سبحانه « والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين » .

فضيلة الشيخ اسماعيل صادق العروى

وجبنا البيت المعمور وهو فوق الكعبة تماما وقد رآه الحبيب ﷺ في ليلة الاسراء والمعراج ورأى أن سبعين ألفا من الملائكة يطوفون حوله في كل يوم ما يعبرون إلا يوم القيامة هذا البيت المعمور ... والطور وكتاب مسطور في رقي منشور والبيت المعمور ... هذا البيت المعمور تطوف حوله الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون لا تنب ولا جزيرة ولا شيء أبدا إلا أن الله قد جبلهم على طاعته وعلى رضاه والبشر الذين سولت أنفسهم لهم الكفر والمعاصي نظر الله إليهم نظرة العطف ونظرة إكرام أمام البيت المعمور في السماء السابعة اقتضت رحمته أن يستضيف خلقه في الأرض لأنهم يتقلبون كفرا وإيمانا

مكة بلد الله الأمين .. مكة بلد الله العظيم .. مكة بلد الله المباركة وهي البلدة التي نسبت إليه فاشه سبحانه وتعالى اختارها كما أثبت العلماء .. اختارها في وسط اليابس وفي وسط أرض العيش في الدنيا وأثبت علماء الجغرافيا وعلماء الجيولوجيا أن مكة في البقعة الوسط وأن اليابس من حولها كالدائرة تماما هي النقطة الوسطى وهي المحور ويور الماء من حول هذه النقطة فسبحان من اختارها وسبحان من هياها ليلطف بعباده ...
إذا ضعتنا إلى السموات العلى إلى السماء السابعة

وطاعة ومعصية وقربا وبعدا والشيطان حولهم والنفس الأمارة فيهم فهم في خطر دائم فأقام الله البيت في هذا المكان رحمة بعباده جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس فأمر الله الملائكة أن تبني هذا البيت فأقيم في الأرض وبعد ذلك جاء آدم عليه السلام وطاف حول هذا البيت . . وبعد زمن بعوامل الطوفان أندثر هذا المكان وبقيت معالمه وأراد الله سبحانه وتعالى أن يقوم مرة أخرى وذلك استعدادا لخير للناس لا ينتهي إلى يوم القيامة فأمر الله سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام أن يذهب بابنه إيزانا باستئذان الخير وإيزانا باستئذان الرحمة فترك ولده فقالت له السيدة هاجر رضى الله عنها أتتركتنا وحدنا يا إبراهيم ولا زاد ولا ماء ولا ناس فقال هكذا أمرني الله تعالى فقالت يا إبراهيم إنني لن يضيعنا الله أبدا . . فتوجه إبراهيم عليه السلام إلى مكان قد أوحى إليه أنه البيت وتوجه إلى ربه بهذا الدعاء العظيم . . .

« ربنا إني أسكنت من تربتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » . . والاعجاز هنا في هذه الآية فما من مسلم إلا يسبق قلبه إلى هذا المكان قبل عقله وجسمه يسبق وجدانه قبل أي شيء « فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

شيء جميل أعده الله سبحانه وتعالى نخرا لهذه الدنيا ورحمة لها بعد بناء البيت . . يأتي ذكر الحبيب المصطفى ﷺ ويطلب سيدنا إبراهيم عليه السلام يطلب أن يكون في هذا المكان النبي الذي وعد العالمين جميعا : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » . واستجاب الله سبحانه وتعالى وكان سيدنا محمد ﷺ من هذا المكان الطاهر وهذه البقعة الكريمة . . ويمر الزمن . . ويتبدل الناس ويتغير المكان ويملا البيت بالأوثان إيزانا بالتطهر وإيزانا برفع كلمة التوحيد على يد أسعد الخلق ﷺ وعند الحمل به ﷺ حصل شيء للبيت وجاء ملك طاغية ليهدم البيت جاء أبرهة ووقف على أطراف مكة بأقواله وجنوده الرسول قد حمل به ﷺ فلا بد من فعل شيء للعالم أجمع كيف كان رحمة للناس وكيف كان بركة على العالمين وجاء أبرهة وجاء عبد المطلب ليطلب شيئا عجيبا فقال : أيها الملك بعد أن أكبره لقد ساق الناس الأبل إليك وقد جئت موفدا منهم فأعطينا ما أخذت فقال عجب لك أيها الشيخ لقد انتظرت منك أن تبعدني عن مكة وأن تبعدني عن البيت وقد طلبت طلبا ما كنت أتصوره . . فقال : أيها الملك أما الأبل فهي لى وأما البيت فله رب يحميه وكان الله بجنوده فبرغم ضخامة الفيل وبرغم الجبروت أنزل الله خلقا صغيرا في حجمه قويا في فعله لأنه جند الله تعالى فهلك الناس وبعثوا عن البيت وحفظ البيت والله سبحانه وتعالى يذكر حبيبه بهذه الحادثة : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » هذا كله من أجل قريش التي أنت منها فقد حافظ الله تعالى على

قريش من أهلك وحافظ على البيت من أهلك . . « لا يلاف قريش إلا لفهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » ويمر الزمن وقد ولد الحبيب ﷺ ووصل سنه إلى خمسة وثلاثين عاما وفكرت قريش في هدم الكعبة وتجديد مكانها وقد فعلوا ذلك ولكنهم تحيروا في أمر يشغلهم تحيروا فيمن يضع الحجر الأسود وأي قبيلة تنال هذا الشرف وإذا كان ذلك في قبيلة من القبائل ارتفعت على سائر القبائل بهذا الشرف العظيم فأرادت كل قبيلة أن تتسابق إلى هذا الأمر الخطير ولكنهم اختلفوا لأن الله حول قلوبهم حتى يعد ذلك لحبيبه ﷺ فقال واحد منهم يقترح اقتراحا : ننظر أول قادم علينا نحكمه . . وانتظر الجميع وإذا بالنور ﷺ يهل عليهم فكان أول داخل فقالوا ها هو محمد وقد عرف بيننا بالصدق والأمانة وما جربنا عليه كذبا أبدا : يا محمد ها نحن ننتظر رأيك من يضع الحجر في مكانه ؟ فقال أيها الناس أقترح أن أضع هذا الرداء وكان رداه ﷺ واختار الله الرداء الطاهر الذي لم يكن على جسم كافر عابد وثن أكراما للبيت وإشارة إلى الطهارة الكاملة إلى يوم القيامة فوضع رداءه وقال ضعوا الحجر في وسطه فوضعوا الحجر ثم قال كل قبيلة تختار واحدا منها وكل منكم يأخذ بطرف من الثوب حتى نصل إلى البيت ففعلوا ذلك فلما وصلوا إلى البيت أخذوا الحجر بيده الشريفة ووضعوه في مكانه ﷺ ارتباط عجيب بين البيت وبين الحبيب ﷺ .

ويمر الزمن وتخرج الآيات الأولى من مكة . . وتخرج الآيات الأولى من موضع النور ومن جبل النور والرسول يتعبد في مكة في جبل حراء فيأتي الوحي لتكون مكة هي أول ما ينشر إلى الدنيا خير الإسلام خير ، الرحمة ورحمة الخير . « اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم . ولهذا كانت مكة هي أشرف بلاد الدنيا بالبيت وبالقرآن وبالرسول وبما أودع الله فيها من رحمة إلى يوم القيامة ويبعث ﷺ كافة للناس ويبعث رحمة للعالمين .

ويمر الزمن ويأتي الوقت الذي يجبر الرسول عليه الصلاة والسلام على الخروج منها فيخرج بعد أن هاجر المسلمون ويقف على أطراف مكة وهو يبكي وقال : يا مكة والله إنك لأحب بلاد الله إلى ولولا أن قومك أخرجنى ما خرجت ويذهب إلى المدينة . . ثم بعد ذلك يتوجه إلى الكعبة في صلاته ثم يتحول إلى بيت المقدس ولم يؤمن اليهود بل أزدانوا عنادا « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » .

واشتاق الرسول ﷺ بعد حوالي سبعة عشر شهرا اشتاق أن يعود إلى القبلة الأولى ولكنه استحى فقال يا أخى يا جبريل إسأل الله أن يحول القبلة إلى الكعبة فقال يا محمد أنت أحب الناس إلى الله أنت أكرمهم عليه ولا تخف أكرم عليه إلا أنت فاطلب من الله ما شئت . . فإزداد حياء ولكن قلبه يتوجه إلى السماء وعيناه تتوجهان إلى السماء طلبا في

القبول وطلبا في التحويل مخاطبة الله مخاطبة الخواطر « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون » .

أيها المسلمون والزمن يمر وهو في المدينة ويشتاقي إلى مكة إلى الطواف ولكنه رأى رؤيا وهي رؤيا حق رأى أنه يطوف بالبيت وأنه يؤدي المناسك ففرح وأخبر الناس بما رأى فتهيا للعمرة وليس ملابس الاحرام وساق الهدى وذهب إلى مكة ولكنه منع منها فقال له القوم : لا تدخل .. أنا محمد .. وأنا رسول الله .. ليكن ذلك .. لقد أمرت بهذا ليكن هذا لا تدخل ثم حدثت مفاوضات أن يرجع هذا العام ولا يدخل أبدا إلا في العام القادم .. أمر عجيب كيف يمنع وكيف رأى !! وتكلم الصحابة ما هذا ؟ ! ولكن الله سبحانه وتعالى جعل ذلك سببا للفتح الأكبر وجعل ذلك سببا للطهر الأشمل فانزل الله قوله : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق » .

ومضى عام ومضى عام وجاء عام الفتح وبذل النبي ﷺ مكة بخل مكة فاتحا « إنا فتحنا لك فتحا مبينا .. » إلى قوله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا « فدخل مكة وبذل الحرم ووقف أمام الكعبة ومن حولها الأصنام فقال أيها الناس : أزيلوا هذه الأصنام وكسروها فكان ينظر إلى الصنم فيقع هاويا وكسرت الأصنام جميعها فأمر عليه السلام بلالا أن يؤذن للصلاة فوق الكعبة :

« الله أكبر ... الله أكبر ... أشهد إلا إله إلا الله أشهد إلا إله إلا الله » .

« وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » « ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا » . أيها المسلمون لقد تطهر البيت وأصبح موضعا طاهرا كريما يستقبل الطائفين والقائمين والركع السجود .. يستقبل طالبى المغفرة طالبى الرحمة طالبى الرضا هذا هو الحج .. « وأن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق ليشبهوا منافع لهم وينكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم .. أيها

المسلمون : ذهب سيدنا عمر رضى الله عنه مستأذنا النبي ﷺ لاداء العمرة فقال يا عمر يا أخى لا تنسنا من دعائك فقال أنت يا رسول الله : فقال أما تعلم أن الله يقبل دعاء من كان في هذا المكان ودعاء من دعا له ..

أيها المسلمون .. وعدنا الله وإياكم بحج بيته الكريم وبزيارة حبيب المصطفى ﷺ ...

اقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم ولنتب إلى الله جميعا :

أما بعد ،

فهذا هو تاريخ البيت وهذا هو شأن الله فيه الذى هياه للمسلمين وجعله موطنًا مباركًا يذهب إليه المسلم بنو به وخطاياه وبما على نفسه وبما فى دنياه يذهب إلى البيت مليا .

ليبك اللهم ليبك . ليبك لاشريك لك ليبك إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك

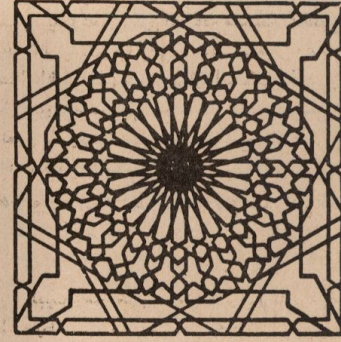
يذهب إلى البيت وقد تجرد من دنياه وهذا هو المراد .. أى دنيا بجوار المغفرة وأى دنيا بجوار الرحمة . وأى دنيا بجوار إقبال الله عليك شيء لا يساويه شيء فى الدنيا أبدا ... يذهب الذاهب ثم يقف أمام الحجر ويبيكى لأنه يستقبل الله فى هذا المكان والله يقبل عليه ووقف الحبيب صلوات الله وسلامه عليه وقف أمام الحجر الأسود ويكى بكاء شديدا حتى سمع صوته وكان أبو بكر رضى الله عنه خلفه فقال يا أبا بكر هنا تسكب العبرات - ثلاث مرات -

والنبي ﷺ يتكلم عن الحجر الأسود فيقول : الحجر الأسود يمين الله فى الأرض يصافح الله به الخلائق : ويقول : والله إنى لأعرف حجرا فى مكة كان يسلم على قبل أن أبعث ويقول : والله إنى لأعرف حجرا فى مكة يحبنا ونحبه هو الحجر الأسود أيها المسلمون : هذا هو موطن من المواطنين وهو خير موطن والنبي ﷺ يقول فى هذا الأمر : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » ويقول « الحج المبرور لا جزاء له إلا الجنة » .

أيها المسلمون : عيشوا بقلوبكم حول البيت واشغلوا أنفسكم بطلب الرحمة حتى يحقق الله لكم مغفرة وحبا يعطيكم من فضله سبحانه الواسع وسبحانه المعطى العظيم .



كان المصلح القائد السيد جمال الدين الأفغانى يقول : إن على امتداد العالم الاسلامى ثلثمائة مائة تحتها ثلثمائة منبر اذا اعتلاها هذا العدد من علماء المسلمين فى ساعة واحدة ، وتوجهوا الى الأمة الاسلامية بكلمة حق واحدة لزلزلوا الأرض تحت اقدام الاستعمار ، ولعادت الأمة الاسلامية أمة القوة والعزة كما كانت فى أزهى عصورها من التاريخ .. وكان الأفغانى يقول إن العلماء بحق الواجب الذى يفرضه عليهم دينهم هم المسئولون اولاً عن القيام بحقوق الدعوة وتبصير أمتهم جماعات وأفراداً للعمل على حماية أمتهم وتطهير دولتهم من رجس الاستعمار .. وهذه هى الفريضة الأولى التى يفرضها عليهم العلم ..



واجب مقروض على علماء المسلمين

الأستاذ محمد زكى عبد اللطيف

العمل على تفويض مبادئ الاسلام .. والانتكاس بدعوته الانسانية العملية . وتاريخ السبئية وما تفرع عنها وما تلاها من حركات يهودية تصطنع الأساليب الباطنية وغير الباطنية لهدم الاسلام تاريخ معروف ، وقد استقاقت الكتابة فيه حتى أصبح تاريخاً مفضوح الأسرار للجميع .. الذى يعنينا هنا أن نقوله هو أن التاريخ القائم على العداوة اليهودية الشرسة ضد الاسلام والتأمر عليه ديناً وعقيدة وحكماً وأرضاً وشعوباً هو التاريخ الذى تبنته الصهيونية وجعلته المبدأ الأساسى لكل مبادئها فى عداوة الأديان على أن هذا المبدأ قد حولته الصهيونية الى خطة مرسومة لها أهدافها .. ولها وسائلها وأدواتها المنفذة .. وعندما أقامت الصهيونية إسرائيل كانت القاعدة الأولى فى أقامتها وضمان وجودها أن تكون أداة منفذة للعمل ضد الاسلام وتحطيم الروح الاسلامية بكل وسيلة تملكها وبكل أسلوب تقدر عليه ..

والسبب فى هذه العداوة للاسلام سبب طبيعى من جانب الصهيونية فى وضعها ومآربها والفكرة القائمة عليها .. فإن الاسلام دين عالمى ودعوة انسانية شاملة يسع الجميع بمبادئ السمحة ، لا عنصرية ولا عصبية ، ولا فرق بين عربى وأعجمى .. ولا بين أبيض وأسود .. ولا استثناء بخيرات الدنيا ولا مواهب الذهن والعقل والفكر .. وعلى الجانب الآخر من كل هذا تقف الصهيونية عصبية ممقوته .. وعنصرية متجمدة ..

ولقد شهدت القاهرة فى الأيام الأخيرة مؤتمراً اسلامياً ضم زهاء ثلثمائة عالم من علماء المسلمين فى مختلف الأقطار والديار .. وقد ناقش العلماء فى مؤتمريهم الأمور التى تهم الاسلام والمسلمين فى دينهم ودنياهم .. وأصدروا عدداً من القرارات والتوصيات .. يهمننا منها فى هذا المقال ما جاء فى هذه التوصيات والقرارات خاصة بإسرائيل .. والحق أن علماء المسلمين لم يقرؤا فى هذا شيئاً جديداً .. ولكنهم أكدوا ما سبق أن أعلنوه فى مؤتمراتهم السابقة من ضرورة تحرير الأرض العربية التى احتلتها إسرائيل . والدعوة الى الجهاد من أجل تحرير هذه الأراضى وإعادة القدس الى السيادة العربية الاسلامية ..

هذا هو ما قرره علماء المسلمين فى مؤتمراتهم السابقة .. ثم جاءوا فى هذا المؤتمر وزادوه تأكيداً وتأييداً .. وهذا التأكيد أو التأييد ليس هو كل الواجب على علماء المسلمين .. فإن موقف العداوة التى تقفه إسرائيل من الاسلام بالذات يفرض على هؤلاء العلماء أن يكونوا رسل دعوة الى أمتهم .. وأن يحاولوا هذه التوصيات والقرارات الى عقيدة تملأ نفوس المسلمين بالعمل والجهاد لدينهم .. وأن يقدر علماء الاسلام فى جميع الأقطار .. أن التصدى لمآرب إسرائيل والصهيونية ضد الاسلام لا يكفى فيه « ضعف الايمان » بل لابد فى هذا التصدى من قوة الايمان ..

إن عداوة إسرائيل للاسلام لها تاريخ طويل .. يرجع الى الصدر الأول .. منذ قام عبد الله بن سبا بحركته الخبيثة

وانانية تستأثر بكل خير في هذا الوجود .. وهذا هو سر
العداوة التي تحملها الصهيونية في كيانها في الكيد
للإسلام .. وهي العداوة التي تتحرك بها إسرائيل رغبة
الصهيونية حربا على الإسلام عقيدة وتاريخا وتراثا ..
ومناهضة شرسة لكل ما هو إسلامي أو تتمثل فيه روح
الإسلام ..

فعداوة إسرائيل للإسلام عداوة قائمة على طبيعة الوجود
الإسرائيلي في عنصريته المتحجرة والعصبية التي لا تطيق
ولا تحتمل أن ترى غيرها على طريق الحياة .. فهي حين
تعلن الحرب على الإسلام إنما تدافع عن وجودها القائم
على العنصرية والعصبية ، وما دام الأمر أمر وجودها ، إذن
فهي لن تتخلى عن هذه الحرب ، ولن تتهاون فيها لحظة ، بل
إنها ترتكب في هذا السبيل كل الحماقات .. وتصطنع كل
الشفاعات التي لا تعرف خلقا ولا ديناً .. ولا عرفا محترما
في قانون الأمم والشعوب .. ولا حقا ترعاه الدنيا من حقوق
الملكية والوطن والتاريخ ..

حرب إسرائيل على الإسلام قائمة على قدم وساق في ذلك
العمل الاجرامي الذي تقوم به جبهة وتحت سماع العالم
وبصره لازالة المقدسات الاسلامية من القدس ومن كل
فلسطين .. وقد بلغت هذه الحرب ذروتها يوم أن أشعلت
الحريق في المسجد الأقصى . وفي ذلك العمل الذي ما زالت
تمارسه بحجة التنقيب على الآثار وما قصدتها في الحقيقة
إلا هدم المسجد الأقصى وإزالة كل ما في القدس من مقدسات
وتراث ديني وتاريخي يربط المسلمين كما يربط جميع
الاديان بذلك المكان ..

وحرب إسرائيل على الإسلام واضحة لكل ذي عينين
في ذلك العمل الذي تقوم به إسرائيل في افريقيا .. لقد
عمدت إسرائيل منذ قيامها الى إعلان الحرب على
الإسلام في قلب افريقيا .. عملت على تحريف القرآن
الكريم ، وإقامت إذاعة في افريقية تنذع على الأفريقي
مبادئ التلمود على أنها مبادئ الإسلام .. وتواطأت
مع العنصرية على ضرب كل حركة تحريرية اسلامية
ترفع صوتها في افريقيا ..

واليوم تمارس إسرائيل حربا عنصرية شرسة ضد
الإسلام والمسلمين في افريقيا .. فهي ترسل بخبرائها
وجنودها وعتادها وأسلحتها لمساعدة مجنون أثيوبيا
ما نجستو في تلك الحرب العنصرية التعصبية التي يخوض
غمارها ضد المسلمين في ارتيريا والصومال يهدد بامتدادها

الى السودان والى جيبوتي والى كل مكان في افريقيا تتجمع
فيه قوة اسلامية ..

هذه هي الحقيقة التي يجب ان يدركها المسلمون
جميعا ، يجب ان يعرفوا ان هذه الحرب التي يؤجج
ضرامها مانجستو .. وتقف فيها إسرائيل الى جانبه ..
إنما هي حرب العصبية البغيضة ضد الإسلام
والمسلمين ، لا في هذه البقعة من الأرض فحسب ، بل ضد
العالم الإسلامي والمسلمين في سائر بلادهم وأقطارهم ،
وإذا كانت هذه الحرب محصورة اليوم في تلك البقعة من
افريقيا فإنها خطوة تتبعها خطوات مقدره في تخطيط
الصهيونية وحليفتها الشيوعية ، وما إسرائيل الا الأداة
المنفذة لهذه الخطة ..

ان على امتداد الأرض في قلب المعمورة أكثر من أربعين
دولة اسلامية تربطهم استراتيجية الموقع ورابطة الدين ،
ووحدة الشعور والتراث والتاريخ ، ومن الواجب ان تكون
هذه الدول في نقطة لنفسها .. وأن تدعى الى واجب الملة
والدين في التصدي لهذه الحرب التي ، تخوض إسرائيل
غمارها بكل الوسائل والأساليب ضد الإسلام .. ليس مما
يكفي ان تحتج هذه الدول على احراق إسرائيل للمسجد
الأقصى ، وأن يكون كل ما عندها عاصفة كلامية لا تلبث ان
تخمد وليس مما يكفي ان تقف هذه الدول موقف الاستنكار
بالبينات والتصريحات من كل تحرك إسرائيل ضد الإسلام
ومناهضة الإسلام . وإنما أدنى الواجب ان تكون لهذه
الدول خطة عملية تتحرك بها في عمل حازم تقطع به الطريق
على الصهيونية وعلى إسرائيل في كل ما تدبره من حرب على
الإسلام والمسلمين ..

والحق ان الدول الإسلامية إذا كانت تتراخى في النهوض
بهذا الواجب نهوضا عمليا حازما تتمثل فيه روح الوحدة
الإسلامية وقوتها .. فإننا نؤكد في صراحة ان علينا جانبا
كبيرا من هذه التبعة .. وجانب التبعة هذا يقع على علماء
المسلمين الذين يمثلون في نظر جميع الشعوب الإسلامية
القدوة في أداء الواجب والوفاء بحق الدين ..

فإذا كان علماء المسلمين قد قرروا الجهاد لاعادة
القدس عربية اسلامية .. وانقاذ المقدسات من عدوان
إسرائيل .. وإذا كانوا قد عانوا فأكبوا هذا القرار .. فإن
هذا ليس مما يكفي وإنما الواجب عليهم ان يحملوا هذه
الدعوة الى شعوبهم .. وأن يبتوها في صفوفهم .. وهم
لو فعلوا ذلك لزلزلوا الأرض تحت أقدام إسرائيل
والصهيونية كما يقول الأفغاني ...



زيارة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه

قال سائلي :- نعلم أن الحج ركن من أركان الاسلام فرضه الله عز وجل بقوله : (والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) وكذلك حديث الرسول ﷺ : بني الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان . وحج البيت من استطاع إليه سبيلا فهل زيارة الرسول ﷺ فرض أم سنة - وما الدليل قلت لسائلي :- أحسن الله إليك لأن في الحج جئت بالأدلة القطعية التي لا تقبل الشك :
أما زيارة الرسول ﷺ فهي ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح من الأمة - والقياس :
أما الكتاب فهو قول الحق سبحانه « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا »

فضيلة الشيخ منصور الرفاعي عيسى

ثم رجع الرجل وهو يبكي وذهب فأخذتني سنة من النوم فرأيت النبي ﷺ وهو يقول لي . يا عتبي إلحق بالأعرابي وبشره بأن الله قد غفر له ذنبه .
وأما مشروعية الزيارة من السنة المطهرة فقد روى ابن خزيمة رضى الله عنه .
عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال من زار قبري وجبت له شفاعتي وفي رواية أخرى عن الدار قطنى من زار قبري حلت له شفاعتي يوم القيامة كما روى ابن عدى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي وروى الطبراني من جاءني زائراً لا تعدمه حاجة إلا زيارتي كان حقاً على أن أكون له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة وورد مرفوعاً عن ابن عمر عن النبي ﷺ من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي وتؤخذ من هذه الأحاديث أن زيارة النبي ﷺ من أحسن الأعمال وأفضل القربات التي يتقرب بها الإنسان إلى الله بعد الفرائض لأن منزلة الرسول ﷺ لا تعادلها منزلة أى بشر فهو سيد الأولين والآخرين وإمام النبيين وخاتم المرسلين وأحب خلق الله إلى الله شرح الله صدره وأعلى له ذكره . وقال له في محكم التنزيل ولسوف يعطيك ربك فترضى هذا النبي العظيم الذى كرمه المولى جل وعلا ونبه المسلمين على أن يجلو قدرة ويوقروه ويعظموه فقال في محكم التنزيل .

ومن المعلوم أن النبي ﷺ حى في قبره حياة برزخية فهو يسمع صوت من يسلم عليه فيرد عليه سلامه : ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام « أبوداود » قال القاضى عياض أن روح النبي ﷺ متعلقة بالحضرة الالهية فإذا بلغه سلام أحد رد الله روحه من تلك الحالة فرد على من سلم عليه « ومما ذكره ابن كثير في تفسيره عن محمد بن عبد الله العتبي قال زرت قبر النبي ﷺ فجلست وإذا أعرابى واقف على القبر الشريف وهو يبكي ثم قال يا سيد الرسل قد أنزل الله عليك .
ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا .
وإني جئتكم يا رسول الله مستغفرا الله من ذنبي مستشفعا بك إلى ربى . اللهم شفعه في : ثم قال :
ياخير من نفتت بالقاع اعظمه
فطاب من طيبهن القاع والاكم

روحى الفداء لقبر أنت ساكنة
فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت النبي الذى ترجى شفاعته
عند الصراط إذا مازلت القدم
وصاحبك فلا أنساهما أبدا
منى السلام عليكم ماجرى القلم

[إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا]
وأرشد الله المسلمين الا يخاطبوه كما يخاطب بعضهم بعضا لأنهم إن فعلوا ذلك ضاع أجرهم وحبط عملهم قال الله سبحانه [لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا] وعلى المسلم أن يتأدب في حضرته ولا يرفع صوته في مواجهته - فقال الله [يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم] .
وإظهارا من الله لقدر هذا النبي العظيم رفع العذاب عن أمته إكراما له ﷺ . فقال [وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ] وجعل الله إيمان العبد لا يتم ولا يكمل إلا بالتسليم له ﷺ والرضا بحكمه والنزول على رأيه وعدم مخالفة أمره - فقال الله « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » - وقال الله « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » - وقال الله « والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين » - وقد أخبرنا ربنا جل وعلا أن طاعة الرسول هداية وأن عصيانه ضلال « وإن تطيعوه تهتدوا » والقرب من الله ، والوصول إليه لن يكون إلا بإتباع طريقة النبي والسير على نهجه يقول الله [قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم] .

هذا النبي العظيم الذي قال الله له [وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض] من منا لا تراوده نفسه على زيارته حيا - وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ليشهد منازل الأظهر الأبرار وتنزل الأنوار من علياء السماء وأماكن التجليات والهواء المعبق بالإيمان :

لقد احتفلت السماء بهذا النبي الخاتم في ليلة تشرف فيها الوجود بمسراة وجمعت له الأنبياء فصلى بهم إماما - أمرنا الله بالصلاة والسلام عليه حيث أخبرنا جل جلاله أنه هو والملائكة الأظهر يصلون عليه في عالم الطهر والنقاء . فقال الله سبحانه [إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما] بعثه الله خاتما للنبيين . ومع ذلك ذكره في مقدمتهم إكراما لحضرته - فقال الله [إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده] نادى الله الأنبياء بأسمائهم - أما هو صلوات الله وسلامه عليه فقد أضفى عليه من القاب التكريم والتوقير ما يوحى بجلال قدره فقال الله يخاطب الأنبياء [يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك] .

[يا إبراهيم اعرض عن هذا] ، [يا يحيى خذ الكتاب بقوة] .
أما في مخاطبة النبي الخاتم محمد ﷺ فإنه خاطبه بقوله

يا أيها الرسول ، يا أيها النبي ، يا أيها المزمّل ، يا أيها المنذر ، ويتبين من هذا قدر النبي وماله من مكانة عالية عند الله روى الحاكم في المستدرک عن جابر بن عبد الله صعد رسول الله ﷺ على المنبر فحمد وأثنى عليه ثم قال من أنا ؟ قلنا رسول الله ، قال نعم : ولكن من أنا ؟ قلنا محمد بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف - قال أنا سيد ولد آدم ولا فخر .

وقد بعثه الله ليتمم مكارم الأخلاق . وفي هذا يقول ﷺ .
إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق . لينشر الرحمة بين العالمين . لأنه بعثه رحمة للمخلوقات جميعا ، وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين . ويقول هو عن نفسه ﷺ .

إنما أنا رحمة مهداة ، ويرشد الانسانية إلى تلك الرحمة الشاملة فيقول : الراحمون يرحمهم الرحمن : - إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء : لقد أقامه الله مقامه في بيعة الرضوان وأخبر أن من يبايعون الحبيب المصطفى إنما يبايعون الذات العلية . فقال الله [إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله] . [وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى] ، إنه روح الوجود وحياة القلوب ، وصدر الاشرار فإذا كانت الشمس تبدد ظلام الكون الظاهري فإن الرسول ﷺ هو شمس الحقيقة التي تنير القلب وتهدي النفس وتسمو بالروح إلى الملا الأعلى وتضيء جوانح الانسان قال الله [قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم] .

أما الاجماع - فقد اتفقت كلمة الأمة على مشروعية الزيارة - فقد جاء في كتب السيرة أن سيدنا بلالا رضي الله عنه لما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ترك المدينة حزنا على فقد رسول الله . واتخذ بيت المقدس وطنا له فلما كان في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى النبي ﷺ في المنام يدعو إلى زيارته ويعاتبه في هذه الجفوة فسافر فوراً إلى المدينة - فقابلته الحسن والحسين وطلبا منه الأذان في المكان الذي يؤذن فيه أيام النبي ﷺ . فامتثل أمرهما وما كاد يرفع صوته يقول أشهد أن محمداً رسول الله ، حتى غلبه البكاء وارتجت المدينة بأهلها من كثرة البكاء لأنهم تنكروا الحبيب المصطفى وأيامه النيرة وتنزل القرآن نديا جليا : ورب قائل يقول هذه رؤيا منامية فلا تنهض بليلاً ، ولكننا نقول : جاء في الأثر أن النبي ﷺ قال من رأى في المنام فقد رأى حقا فان الشيطان لا يتمثل بي .
وأما القياس : فمن المعلوم أن النبي ﷺ كان يزور البقيع

وشهداء أحد وقد ورد في الحديث الذي رواه الامام مسلم : كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزورها - والنبي ﷺ حتى في روضته فيجدر بكل مسلم أن ينوي في نفسه عند الزيارة أن ينفعه الله بها لأنها من أحسن الأعمال بعد الفرائض وأكبر المستحبات في عمل الانسان وعلى الساعي لهذه الزيارة أن يغتسل وأن يتوضأ وأن يطهر قلبه ، وأن يستشعر هيبة

الحبيب المخاطب من السماء فإذا دخل الإنسان إلى المدينة المنورة وقد وطأت قدماه هذه البقعة المباركة - ورأى أشجار المدينة عليه أن يكثر من الصلاة والتسليم على النبي ﷺ فإذا دخل الحرم النبوي - قال باسم الله، رب أدخلني مدخل صدق، وأخرجني مخرج صدق، واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا، اللهم افتح لي أبواب رحمتك وارزقني من زيارة رسولك ﷺ ما رزقت أوليائك وأهل طاعتك واغفر لي وارحمني يا خير مسئول - اللهم إني أسالك خير هذه البلدة، وخير أهلها، وخير ما فيها وأعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها، ثم عليه أن يكون متواضعا خاشعا مستحضرا أنه في البلد الأمين، اختارها الله دار هجرة نبيه ﷺ ومهبط للوحى، ومنبعها لأحكام الشريعة: - فإذا أراد دخول المسجد النبوي، دخل برجله اليمنى وهو يقول باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك: - فإذا ما صلى تحية المسجد عليه أن يتوجه إلى الروضة الشريفة ويستدير القبلة ويستقبل الروضة بوجهه ثم يقف في خشوع كأنه في حضرة الحبيب المصطفى متحليا بطهارة القلب وحسن المظهر وإخلاص النية لله. ويقول بصوت منخفض السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام عليك يا خير خلق الله السلام عليك يا سيد المرسلين، السلام عليك يا إمام المتقين إني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنت عبده ورسوله، قد بلغت الرسالة وأنت الأمانة ونصحت الأمة، فجزاك الله عنا أفضل ما جزى نبيا عن أمته اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد.. اللهم إنك قلت ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجيوا الله توابا رحيمًا وقد أتيتك يا رسول الله مستشفعا بك إلى ربى مستغفرا من ذنوبي فأسالك يا رب أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حياته. اللهم اجعله أول الشافعين وأبعثه اللهم المقام المحمود الذى وعدته وأورثنا حوضه واسقنا من يده الشريفة شربة لا نظمها بعدها أبدا يا أرحم الراحمين ثم يدعو لوالديه والمسلمين ويبلغ سلام من أوصاه تبليغ سلامة لحضرة الحبيب المصطفى فيقول السلام عليك يا رسول الله من فلان ابن فلان، هذا ثم يتأخر عن يمينه قبر نزار ليسلم على الخليفة الأول أبى بكر الصديق فيقول: السلام عليك يا صاحب رسول الله ﷺ في الغار، السلام عليك يا أمينة على الأسرار جزاك الله عن أمة محمد ﷺ خيرا، ثم يتأخر عن يمينه قدر نزار ليسلم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه. فيقول السلام عليك يا من أعز الله بك الاسلام، السلام عليك يا ناصر المسلمين. جزاك الله عن أمة سيدنا محمد ﷺ خيرا، ويبلغ سلام من أوصاه ويدعو لهم بالخير في هذا المكان العظيم الذى تحفه الرحمة بل هو روضة من رياض الجنة، فالرسول ﷺ يقول فيما رواه الشيخان

ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوض: وبیت النبى هو الذى دفن فيه فليكثر الإنسان من الصلاة في هذه الروضة لأن الصلاة في مسجد رسول ﷺ أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه ولينو الإنسان الاعتكاف كلما دخل المسجد النبوي ويكثر من الصلاة والتسليم على صاحب الروضة الشريفة:

يتبين بعد هذا العرض أن زيارة النبي ﷺ سنة بين المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغ فيها بل قال بعض المالكية إنها واجبة لحديث من حج ولم يزرنى فقد جفانى: والجفاء للنبي ﷺ محرم وورد في الحديث أنه لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى، والمسجد النبوي، فهي من أفضل القرب إلى الله، وأحسن الأعمال.

هذا وما أنشده بعض المحبين:-

قطعنا الفياض لخير الورى
بحب وشوق ودمع جرى
ومن كان يهوى نبي الهدى
يسير إليه يحث الثرى
نبي كريم له هيبته
ونور يفوق كبر سرى
وجبه رحيم له روضة
تشرف منها جميع الثرى
فيا ليت قومي يروا نوره
وعيني لروضة خلد ترى
ومما قاله الآخر - يخاطب الرسول ﷺ:

إن قيل زرتكم بما رجعتم؟؟
يا أكرم الخلق ماذا نقول؟؟
قولوا رجعنا بكل خير
واجتمع الفرع مع الأصول
برد السلام علينا جهارا
يا سعد من خاطبه الرسول
وقال أهلا بوفد ربى
تلتهم المحبة والقبول
ومما قاله أمير الشعراء شوقي:

إذا زرت بعد البيت قبر محمد
وقبلت مثوى الأعظم العطرات
ففاضت من الدمع العيون مهابة
لاحمد بين الستر والحجرات
فقل لرسول الله يا خير مبعث
أبتك ماتدى من الحسرات
بلادك في شرق البلاد وغربها
كاصحاب كهف في عميق سبات
بإيمانهم نوران ذكر وسنة
فما بالهم في حالك الظلمات
وختاماً: إن زيارة الحبيب المحبوب صلوات الله وسلامه

المصطفى ﷺ حالا وترحالا يقظة ومناماً واحشربنا في نمرته وتحت لوائه وشفعه فينا واجعلنا من الواردين على حوضه الشاربيين من يده شربة لا نظما بعدها أبداً ، اللهم اعطه الوسيلة والفضيلة وابعهه اللهم المقام المحمود الذي وعده ، واكتبنا من أحببه ومحبيه وزوار روضته الطاهرة الطيبة وأمتنا في حرمه المبارك الطاهر . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

عليه تشناق إليها النفوس الكريمة وتحن لها الأرواح الطيبة ويتطلع إليها من كتب الله له السعادة في الدنيا والفوز في الآخرة وإنا لتتوجه إلى ساحة الحبيب رافعين أكفنا في ضراعة وخشوع قائلين : اللهم إنا نسالك بحقه عنك وجأهه لديك أن تكتب لنا السلامة في ديننا ودنيانا ، وإن ترزقنا العافية واستر علينا دنيا وأخرى - اللهم واجمعنا على الحبيب

» بقية حديث إلى الأئمة

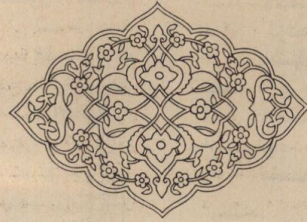
التوتر والصدام ، الذي يقع بين الحين والحين بل كم سلبت من حقوق ، وسفكت من دماء واغتصبت أوطان ، وبات العالم مههداً والمؤتمرات الدولية لا تستطيع أن تفعل شيئاً أما الحج هذا المؤتمر العالى المتميز بخصائصه الحية ووسائله النظيفة وغايته الكريمة ، يقام في منطقة ، محرمة يحرم فيها الفسوق والجدال يحرم فيها التعرض لأى مخلوق بأذى ، أو إثم أو قطيعة منطقة يجد فيها الطالب مأمنه وسلامة الانسانية برها وأخائها مؤتمر شرعه الحكيم العليم ، فتكون طريق قرب إلى الله ، وبر بالانسانية ، لا تفرض مبادئه بقوة سلاح ولا بإغراء مال ، وإنما ينبع من ضمير الفرد ، وهذا أضمن طريق ، لايجاد رقابة صادرة من ذات الفرد على نفسه فلنذكر أنفسنا وغيرنا بهذه المعاني الخالدة الباقية ما بقيت السماء : كل عام وأنتم بخير - مع التذكر بقصة الفداء إسماعيل ووالده الخليل إبراهيم ، كيف امتثل هذا ، وصبر ذاك .

ونذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين . والله الموفق والمستعان

أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

هذا هو كلام المرشد العظيم في المؤتمر العام على أظهر بقعة وفي يوم عظيم هذا النبي الذي لم يتعلم عند معلم ولم يذهب الى عراف ، ولم يجلس إلى كاهن ، ولم يكن من رواة الشعر ولا قائلين ، بين في بيانه العظيم ما يجب على الانسان وما يجب له ، وواجب الفرد تجاه أمته وتجاه الأمة نحو الفرد قال هذا قبل أن ترتفع صرخات بعض الناس ، تعلن حقوق الانسان ، وتدعى فخرا انها تنتمى إلى هيئة الأمم المتحدة ثم ترى من يقولون هذا ويدبرون في الظلام الاعتداءات على الأمم الضعيفة .

إذا كان العصر الحديث قد لجأته ظروف التوتر المتتابة لاقامة هيئة الأمم ومجلس الأمن ، أو ما يقام من مؤتمرات وتتخذ في هذا أواك قرارات . الصوت في كل هذا للقوى ، لأن له استعمال حق - الغيتو ، وفي الاجتماعات دائماً تسمع التنازع بالألقاب والتفاخر وتساق الدول الصغيرة وراء الدول الكبيرة سعياً وراء مصلحة أو مطلباً وكل هذا لا يمنع



الإسلام وقدرته على مواجهة التحديات وحل مشاكل العالم

لا بد لمن يريد التعريف بالإسلام على أنه الحل الذي لا خيار فيه لحل مشاكل العالم ، أن يجيد عرض مبادئه ، وبسط حقائقه بالطريقة التي تلزم خصومه بالعجز عن الجدل والممازاة .
وقد أثرنا أن نبدأ بمنهج العقيدة في الإسلام ، وأثر ذلك في حل المشاكل التي عجزت عنها قوانين البشر ، ومناهج الاجتماعيين والفلاسفة ، وقد انتهى مقالنا السابق عند مفهوم العقيدة في الإسلام ، من كلمة التوحيد أو كلمة « لا إله إلا الله » نعني أفراد الله سبحانه بالالهوية بجميع خصائصها ، وتخصيص كل من عداه وما سواه بالعبودية ، وقد سقنا من الشواهد القرآنية ، ما تحدث به الله سبحانه عن عموم خلقه من الملائكة والجن والانس بما يشمل الأنبياء والرسل .

فضيلة الشيخ حسين عرابي عطوة

ربكم ، هذه ناقة الله لكم آية فنروها تاكل في أرض الله ، ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم » (الأعراف)
ويتحدث عن أخ مدين فيقول « والى مدين أخاهم شعيبا قال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها فلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين » (الأعراف)
ويعبر القرآن الكريم التاريخ ، فيلتقي بإبراهيم ، ويصور الوضع إذ حضر يعقوب الموت ، وهو يوصي بنيه بأعظم وصية وأهدى نصيحة فيقول « ومن يرغب عن ملة إبراهيم ، إلا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين ، إذ قال له ربه أسلم : قال أسلمت لرب العالمين ، ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت ، إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي : قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق الها واحدا ونحن له مسلمون » البقرة

والآن في حديثنا ، نأخذ من رياض القرآن ، ما كان يرشد الله به أنبياءه ورسله في دعوتهم لأقوامهم ، وبيان الحقيقة الأولى التي قام عليها كل دين وثيق الصلة بالله سبحانه ، والتي تقوم على عبودية الخلق للخالق ، وتوحيدهم له . وهذا المفهوم ، هو الأساس في كل رسالة ، والقاعدة في كل دين جاء به من لدن الله رسول .

والقرآن الكريم يقرر هذه الحقيقة في قصص الأنبياء والرسول أفراداً مع قصة كل رسول ، واجمالاً في معرض التحدث عنهم أجمعين .

فيتحدث عن نوح عليه السلام ومقالته الى قومه « لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم » (الأعراف)
وفي مثل هذا المعنى يتحدث عن هود عليه السلام فيقول « والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون » (الأعراف) وكذلك يتحدث عن صالح عليه السلام « والى ثمود أخاهم صالحا ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، قد جاءتكم بينة من

ثم يتحدث عن أول لقاء مثير لموسى مع ربه ، ويعلن الله سبحانه فيه عن وحدانيته والوهيته المطلقة وعبودية موسى عليه السلام ، هو ومن عداه وما سواه فيقول :

« وهل أتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لأهله أمكنوا انى أنست نارا ، لعلى أتكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ، فلما أتاهها نودى : يا موسى انى أنا ربك فأخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى ، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ، اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعببنى وأقم الصلاة لذكرى » الآيات من سورة طه .

ونجد القرآن يتحدث عن يوسف عليه السلام « انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ، وأتبعته ملة أبيائى إبراهيم واسحق ويعقوب ، ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ نك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ، يا صاحبى السجن الأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ، ما تعبىون من دونه الا أسماء سميتوهما انتم وأباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، ان الحكم الا الله امر أن لا تعبدوا الا اياه تلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » الآيات من سورة يوسف وفى معرض التحدث عن سيدنا عيسى عليه السلام يقول « واذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمى الهين من دون الله ، قال سبحانه ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، ان كنت قلت فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم الا ما أمرتنى به ، أن أعبدوا الله ربى وربكم . وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شئ شهيد ، ان تعذبهم فأنهم عبداك وان تغفر لهم فإناك أنت العزيز الحكيم » الآيات من سورة المائدة .

ونرى القرآن يتحدث عن الأنبياء والرسل على سبيل الاجمال مخاطبا نبيه محمدا ﷺ « وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون » الآيات من سورة الأنبياء .

والعبادة فى اطار العقيدة الاسلامية اخلاص لا يجعل لغير الله سبحانه مكانا فى الضمير أو نجوى فى النفوس ، وذلك هو نص قول الله عز وجل « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » سورة البينة .

ولا يصح بحال أن يهتز ذلك الاخلاص فيشرك مع الله غيره من خلقه فى العبادة والخشية والرجاء ، وذلك هو صريح قول الله سبحانه « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » الآية من سورة الكهف .

ومما هو اصل فى التوحيد فى العقيدة الاسلامية أن كلمة « لا اله الا الله » تستوعب المعنى الهام فى حياة البشر ، وهو أنه لا حاكم الا الله ، ولا منظم لحياة الناس سياسيا وأجتماعيا وعلميا وتربويا الا الله ، ولذلك نفى القرآن الكريم الايمان عن كل من لا يقبل الحكم بكتاب الله ، بل نفاه أيضا عن قبل الحكم وفى نفسه حرج أو مرض ، فقال سبحانه

١٣٢

مقسما بذاته المقدسة تأكيدا لما يقول « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » من سورة النساء وذلك هو قانون الله عز وجل مع جميع الأنبياء والرسل ، فما كان يبلغهم قانونا للمسجد ، ويترك لهم وضع قانون من عند أنفسهم يتحاكمون اليه ، وأما كان وحيا ينظم شئون دينهم وديناهم فى سائر أنواع التعامل ، وبهذا كانت التوراة المنزلة على موسى عليه السلام ، كما قرر القرآن الكريم ذلك فقال « أنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ، فلا تخشوا الناس واخشون ، ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » الآية من سورة المائدة .

وبهذا أيضا كان الانجيل المنزل على عيسى « وليحكم اهل الانجيل بما أنزل الله فيه ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » الآية من سورة المائدة .

ومن المعلوم أن عقيدة التوحيد فيما قبل الاسلام شأبها الشرك ، وخالطتها وثنيات وأساطير ، ولم تبق عقيدة التوحيد محفوظة المصدر الا فى الاسلام ، ومالجا الغرب الى الحكم بقوانين البشر ، الا لاعتقادهم بعدم ربانية تشريعهم ، وللعداء الخطير ، من علماء الغرب ورجال اللاهوت ، والذي ترتب عليه انصراف دول الغرب عن الرجوع الى الدين فى الحكم ونظام المجتمع ، وان جاز ذلك على ضيق النظرة ،

فلا يجوز فى بلاد الاسلام ، بل ان ارادة انقاذ العالم ان صدقت فيها النية ، فلن نجد مرجعا ربانيا مأمونا سوى الاسلام ، وقد أشار الى ذلك برناردشو الفيلسوف الانجليزى فقال « لو رزق العالم مصلحا مثل محمد لحل مشاكل العالم فى وقت أقل من الوقت الذى نختس فيه فنجانا من القهوة » فما الذى يمنع العالم من التفكير فى الاسلام وامتحان صلاحيته لانقاذ العالم مما سقط فيه أما وإن فلاسفة العالم من رجال التشريع والحكم ، تنادوا وتعاللت صيحاتهم بما سنسطره فى أحاديثنا القادمة مسجلا بمراجعته عجز القوانين الوضعية على مستوى العالم عن حماية الأموال والأعراض والدماء ، وعن اقامة الضمير الذى يحاذر تحريف القانون ، والجنوح به الى الظلم ، لأنه لو كان قانوننا ربانيا لخاف مخالفته الحاكم والمحكوم على حد سواء ، وليس يخاف ما يترتب على ذلك ، من القضاء على المشاكل جميعها ، وخلق المجتمع الانسانى المتحاب المتأزر المتعاون الذى لا مكان فيه لافتراس أو اغتصاب أو ظلم أو جور ، أو خراب ودمار ، أو قلق وحيرة أو فسوق وأنحلال وهبوط وأنحدار ، ولا سبيل للانقاذ الا باسناد الحاكمية الى الله والرجوع الى الدين فى حل مشاكل العالم وأما العقيدة فى دائرة الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت ، وما يتبع ذلك فى توفية منهج العقيدة فى الاسلام فالى حديث قادم ، هذا وبالله سبحانه العون والتوفيق .

حول فداء اسماعيل عليه السلام

إن الايمان بالله يصنع المعجزات . ويولد في الانسان طاقة عظمية تجعله لا ييأس في حياته مهما قابلته المصاعب والمحن والاحن . فهاهو سيدنا ابراهيم عليه السلام كان يدعو الناس الى عبادة الله وحده قال تعالى « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين »

لكنه كان يرى جبروت الكفر والعناد والاصرار على محاربة دعونه . وخاصة عندما . حطم سيدنا ابراهيم الاصنام ووضع الفأس التي استعملها في رقبة كبير الاصنام . واقبل الناس على اصنامهم فوجدوها محطمة .

عند ذلك توعدوا من قام بهذا الفعل بالاعدام فقال لهم ابراهيم . سلوا هذه الالهة لتخبركم إن كانت تنطق فأجمعوا على قتله . وأوقدوا نارا كبيرة ورموه في النار . . ولكن قبل أن يرمى في النار تمثل له جبريل عليه السلام وقال له . ألك حاجة . فقال سيدنا ابراهيم عليه السلام أما إليك فلا فقال له جبريل سل الله من فضله . فقال سيدنا ابراهيم علمه بحالي يغنيه عن سؤالي . فأمر الله تعالى النار أن تكون بردا وسلاما على ابراهيم . فلو كانت برداً فقط لمات من البرد الشديد لكن الله تعالى سلب منها خاصية الاحراق والبرودة الشديدة وجعلها عليه بردا وسلاما . .



وضيعة الشيخ عبد المؤمن حسن مجاهد

الأحجار والرمال . وتقول « زم زم » أي تجمع أيها الماء ولا تسر وسمى بئر زمزم ثم دفع حنان الأب سيدنا ابراهيم إلى رؤية ولده وزوجته هاجر فرأى أن المكان الصحراوي أهلا بالسكان . ورأى كأن هاتفا من قبل الله تعالى يأمره ببيع إسماعيل . فقام من النوم مذعورا وفي اليوم التالي رأى هذه الرؤيا نفسها فاستعاذ بالله من الشيطان الرجيم .

ولكنه رأى الرؤيا مرة ثالثة فأمن بأنها من الرحمن وليست من الشيطان وعرف سيدنا ابراهيم أن هذا امتحان صعب لا يعاذه امتحان آخر وأنه لا مفر من تنفيذ أمر الله . وهنا صارع ابنه اسماعيل بهذه الرؤيا الصارقة . فما كان من الابن البار بوالده المطيع له إلا أن قال له :

« ياأبت أفعل ما تؤمر سستجدي إن شاء الله من الصابرين » فما أشد هذا الهول وما أقبح هذا الأمر . وإن

وكان سيدنا ابراهيم متزوجا من السيدة سارة وأصبح شيخا كبيرا ولم ينجب ولدا فأشارت عليه زوجته أن يتزوج هاجر جاريتها عساها تنجب ولدا فتزوج منها وأنجبت اسماعيل . فأوحى الله إلى خليله بأن يأخذ هاجر ووليدها إلى مكة فأخذهما سيدنا ابراهيم إلى مكان من مكة هو مكان البيت الحرام وتركهما وكل أمرهما لله سبحانه وعاد إلى زوجته سارة . . ولقد انتهى الزاد والماء اللذان كانا معهما فعطشت هاجر ونظرت إلى جهة الصفا . فرأت كأن هناك ماء فقامت تهول تاركة وليدها الصغير لكنها لم تجد ماء فنظرت إلى جهة المروة وظنت أن هناك ماء فوجدته سرايا . . !

وهكذا إلى أن امتت سبعة أشواط وفي تمامها ضرب جبريل عليه السلام بريشة من جناحه الأرض من تحت قدم اسماعيل فتفجرت عين فقامت إليها هاجر مسرعة تجمع

التاريخ لم يشهد مثل هذا الموقف إلا مرة واحدة وذلك في قصة عبد المطلب جد المصطفى ﷺ مع ابنه عبد الله فلقد كان عبد المطلب عديم الولد مستضعفا في قريش فنذر لئن ولد له عشرة أولاد ثم بلغوا معه حتى يمنعوه من أعدائه لينحرن أحدهم عند الكعبة ولما أصبح بنوه عشرة واعتز بهم وتكاثر أراد أن يفي بنذره فجمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء به فأطاعوه . ثم اقترح عليهم بالقصداح ليتعين الذبيح من بينهم على ما هو مقرر عندهم فيما يعتزمون من أمر فخرج السهم على عبد الله . فذهب عبد المطلب إلى الأصنام لينذره وفاء بنذره فحال أخوال عبد الله من بني مخزوم وأخواته وينوزهر وقالوا له : « والله لا نذبحه أبدا . فإن كان فدأؤه بأموالنا فديناه .. »

وكذلك تعرضت قريش لهذا الأمر خشية أن يصير ذلك سنة في بنيتها وأشعاروا عليه أن ينطلق إلى عرافة بالدينة ليعرض عليها الأمر وذهب إليها وقص عليها الخبر فقالت له : كم الدية قال عشرة من الإبل . وظلوا يضربون القصداح حتى وصلت إلى مائة ناقة وخرج السهم عليها .

ليس من العجب أن يمتحن الرسل . فحياتهم كلها امتحانات : امتحنوا في دعوتهم فاتهموهم بالسخرية واتهموهم بالجنون والسحر واختلال العقل . ولكن كانت عناية الله ترعاهم . حتى مضوا إلى غاياتهم وإلى ما انتدبوا إليه ..

وسينابنا إبراهيم من بين الرسل نخل أقصى امتحان عرفه التاريخ امتحان بنوح ولده الوحيد ..

فصبر وتصدى لهذا الامتحان . وإن الإنسان منا عندما يمر على قصة إبراهيم وإسماعيل ويتفكر في أمرهما . يتعجب أشد العجب من إيمانهما القوي .

فقد يمتحن الإنسان في تجارته فتبور أو تكسد فتنقبض نفسه بالآلم والحزن وقد يمتحن في رزقه فيفتقر عليه فيه أما إذا كان الامتحان بنوح ابنه الوحيد فتلك هي الطامة الكبرى التي تذهل العقول ولا يقدر على ذلك إلا أولو العزم من الرسل .

ففي قصة الفداء العظمت والعبر والأسوة والقبوة . وما أجمل ذكرها على مر الأزمان في القرآن الكريم . قال تعالى في سورة الصافات .

« رب هب لي من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعي . قال يا بني إني أرى في المنام أرى أنيحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت أفعل ما تؤمر ستجني إن شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين وفسيناه بنوح عظيم وتركنا عليه في الآخرين سلام على إبراهيم كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين » . وبيان ذلك أن إبراهيم عليه السلام لما بلغ ابنه إسماعيل الحد الذي يقدر فيه على السعي رأى في منامه أنه سيذبحه . وأن الذي سيذبحه بلغ من الحلم والرشد مبلغا عظيما يرجى أن يكون من الصفوة الأخيار .

قال ابن عباس في ذلك . لما كانت ليلة التروية ونام إبراهيم رأى في المنام من يقول : يا إبراهيم أوف بنذرك . فلما أصبح أخذ يتروى . ويفكر أهو من الله أم من الشيطان . فلذلك سمي يوم التروية فلما أمسى رأى ثانيا في المنام فلما أصبح

عرف أنه من الله ولذلك سمي ذلك اليوم يومه عرفه . ثم رأى في الليلة الثالثة مثله فهم بنحره ولذا سمي يوم النحر فلما أراد أن يذهب بإسماعيل عليه السلام إلى النحر . قال إبراهيم عليه السلام لهاجر ومي أم إسماعيل البسي ولك إسماعيل أحسن ثيابه فأبى فإني ذاهب به إلى ضيافة فإلبسته أمه ودهنته ورجلت شعر رأسه فحمل إبراهيم حبلا وسكينا وذهب معه إلى جانب منى وكان إسماعيل يسرع أمام أبيه فرحا مسرورا ولكن الشيطان تربص لهذه الأسرة المؤمنة فجاء إلى أبيه ويقول له ألا ترى اعتدال قامة ابنك وحسن صورته ولطافة سيرته فلم يسأل عنه إبراهيم بل كان يقول في نفسه أمرت بذلك .

ولما أبى الشيطان من إبراهيم توجه إلى أم إسماعيل فقال لها كيف تجلسين هنا وذهب إبراهيم بابنك لينذحه قالت له لا تكذب على هل رأيت أبا يذبح ابنه فقال لها لقد أخذ معه الحبل والسكين لينذحه ويزعم أن الله أمره بذلك فقالت : النبي لا يؤمر بالباطل وعند يأسه منها توجه إلى إسماعيل وقال له . إنك تقرح وتلب فإن أباك معه سكين وحبل يريد ذبحك ويزعم أنه أمر الله . فقال له : سمعنا وأطعنا لأمر ربى .

بل إن إسماعيل عليه السلام أوصى أباه بعدة وصايا وقال : يا أبت أوصيك بأشياء قبل نبحي وذلك بأن تربط يدي كيلا أضطرب فأونيك . وأن تجعل وجهي على الأرض كيلا تنظر إلى وجهي فترحمني واكفف عني ثيابك كيلا يتلمخ عليها شيء من دمي فينقص أجرى وتراه أمي فتحنن واشد السكين وأسرع إمرارها على حلقى ليكون أهون فإن الموت شديد . وأن تذهب بقميصي إلى أمي تذكرة لها مني وأقرئها مني السلام وقيل لها اصبري على أمر الله . فقال إبراهيم عليه السلام نعم العون أنت يا ولدي على أمر الله . وأخذ يشد السكين ويمررها على رقبة إسماعيل وهنا ضجت ملائكة السماء متضرعة إلى الله بالدعاء يارب العالمين أرحم هذا الشيخ الكبير بحق رحمتك يا أرحم الراحمين . وهنا كانت عناية الله . فسلب بقرته العظيمة خاصية الذبح من السكين وصارت ناعمة الملمس . ونزل جبريل بكبش من الجنة وهو يقول الله أكبر الله أكبر . وطلب من إبراهيم أن يذبحه فداء لولده إسماعيل عند ذلك قال إبراهيم عليه السلام [لا إله إلا الله والله أكبر] فقال إسماعيل [الله أكبر والله الحمد] .

لهذا أوجب الله علينا هذه الكلمات في أيام النحر اقتداء بإبراهيم عليه السلام وصارت الأضحية سنة من سنن الإسلام .

ولهذه القصة آداب سامية يجب التحلي بها .

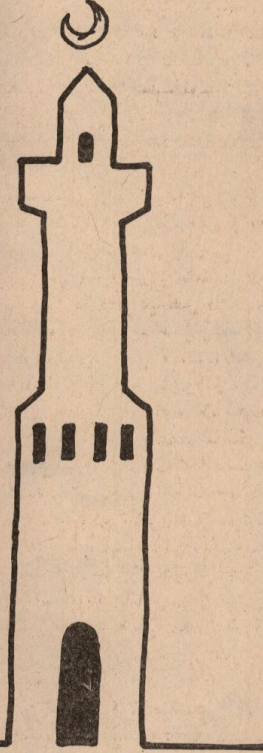
أولا : أن الأنبياء والمرسلين والمؤمنين لابد وأن يمتحنوا بالآوان من البلاء وعليهم أن يتحملوا ويصبروا ولا يجزعوا ولا يياسوا حتى تتجح دعوتهم وصدق الله سبحانه إن يقول : « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » ..

ثانيا : أن المخلص في دعوته لابد وأن يتحمل في سبيل إخلاصه أشد أنواع البلاء وأقسى التجارب فقد قبل إبراهيم أن يذبح ولده فصبر على ذلك حتى أرضاه الله تعالى .

[البقية ص ١٤٢]

المجتمع لعزني قبل الإسلام

لكي تنجح الدعوة الإعلامية لأبد لها من تربة صالحة وغرس سليم حتى تجد الصدى والنتاج ، ولابد أن تكون بلغة يفهمها القوم وتتفق مع طبيعتهم وبيئتهم ، وهذه الصفات تنطبق على الدعوة الإسلامية ، كإعلام ، لغتها هي لغة العرب الذين نزلت بينهم ولهم ، ومضمونها يتفق مع مفاهيم البيئة وأوضاعها ، ونجح الرسول ﷺ في تبليغ رسالته ، ووجد نبتة وقد نما وانتشر ، وبخل الناس في دين الله أفواجا نزل الإسلام في بيئة عربية بدأت بالجزيرة العربية ، ثم انتشر شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، أما السكان فكانوا ينقسمون قسمين : حضر يسمون العرب ، وبدو يسمون الأعراب ، وأصلهم جميعا سام بن نوح الذي قطن الجزيرة العربية ، أما العرب فكانوا نوعين ، عرب بائدة وهم العرب القدماء ومنهم عاد وثمود وأميم وعييل وطسم وتهامة وغيرها ، وعرب باقية وهم قسمان أيضا . عرب عاربة وهم اليمن وقد تفرقوا وانتهوا ، وعرب مستعربة وهم عرب الحجاز من أبناء سينا اسماعيل عليه السلام . . . وكانت اللغة العربية هي لغتهم جميعا ، أما نظام حياتهم فكان قبليا ، لكل قبيلة نظام اجتماعي تعتبر فيه أسرة كبيرة ، يعتقد كل أفرادها إنهم من أب واحد وأم واحدة وتسمى باسم الأب أو الأم أو مكان الإقامة ، وكان لكل قبيلة رئيس أو سيد يرجع إليه أبنائها في المنازعات والرأي ، وله الاحترام والاحلال .



الأستاذ محمد كمال الدين

الطبعة الثانية ومن تحقيق أحمد زكي في سلسلة أحياء الآداب العربية - « وكان الذي سلخ بالعرب إلى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة ثم سلخ ذلك بهم إلى أن عبنوا ما استحبووا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم ، ومن أوثانهم ما ذكر الله تعالى في كتابه الكريم « قال نوح رب أنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا ،

وكان العرب - ونحن نتحدث عنهم في فترة ما قبل الإسلام - على اتصال بغيرهم من بلاد أفريقيا وآسيا ومصر ، وبامارتى الحيرة الفارسية وبنى غسان الرومية ، وتبادلوا معهم التجارة ومظاهر الحضارة ، ولعل هذه العلاقات كانت من أسباب انتشار الإسلام في بلادهم فيما بعد . .

ونصل من ذلك إلى عقائد العرب قبل الإسلام لنعرف أنهم كانوا يعبدون الكواكب مثل الشمس والقمر والنجوم والأصنام والأوثان وفي هذا يقول هشام بن محمد الكلبى في كتابة « الأصنام » - طبع دار الكتب المصرية ١٩٢٤ ص ٦ من

ومكروا مكرا كبيرا ، وقالوا لاثنين الهكهم ولاثنين ودا
ولاورد الظالمين الاضلالا (نوح) ، ومنها ايضا مائة
والعزى واللات وهيل وغيرها .

هذا من حيث العقيدة ، اما من حيث العادات والتقاليد
الاجتماعية ، فقد اتصف العرب بالكرم والحمية والنخوة
والشجاعة والنفاع عن العرض والدار ، وكان ذلك يوقع
بينهم حروبا كثيرة لاسبط الاسباب ، والى جانب هذه
العادات الطيبة بعض العادات السيئة مثل اداء البنات
تخلصا من الاتفاق وخوفا من العار ، ومثل شرب الخمر
ولعب الميسر وانتهاك الحرمات بلاوازع من قانون أو ضمير
أو خلق . (انظر كتاب نافذه على الايمان للشيخ مصطفى
الطير - سلسلة البحوث الاسلامية العدد ٦٧ سبتمبر
١٩٧٣ ص ١٢٨ - ١٣٠)

في مثل هذه البيئة ، وفي ظل ظروفها الاجتماعية كان لابد
من ثورة اخلاقية عاتية تنتشل العرب من وهدة الخطأ
والخطيئة الى صواب العقل والحكمة وكان لابد من رسالة
تنبه الى القيم كما ينبغي أن تكون فقدعو الى نبذ السي منه ،
واحلل القيم الانسانية الراشدة مكانها مثل الخير والعسل

والاخوة والكرامة والمساواة والحرية ، وكان لابد لهذه القيم
الجديدة من قائد يقودها ويدعو اليها ، وذلك في كل اطار
اجتماعي جديد يجب ما قبله وكان القائد هو الرسول الكريم
سيدا محمد ﷺ أما الاطار فكان هو الدين الاسلامي
الحنيف بشريته الغراء ودعوته السمحة الرشيدة ، ومن
حسن الحظ أن الرسول محمداً كان في سلوكه - قبل
البعثة - مثال الداعية الاخلاقي ، وقد اكتسب بفضل هذا
السلوك محبة الجميع واحترامهم ، وهذا يدل على ما في
منزج البشر من حب للخير ، وما في فطرتهم من ميل واضح
للحق كان لابد أن يطفو على السطح بفضل هذا الداعية
والمقيم بينهم المعروف لديهم ، المتنبأ بفضل وحكمته ،
المشهور له بالاستقامة وحسن الخلق ، ولذلك وجدت دعوته

صداما في قومه « هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله ، التوبة ، يا ايها النبي انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله بانته
وسراجا مضيئا (الاحزاب) وهكذا كان الاسلام دعوة
واعلاما نزل في مجتمع وجد منه الرغبة والصدى فدخله
مؤمننا به ، ثم مدافعا عنه وناشرا له .

بمناسبة

عيد الأضحى

يسرنا أن نشارك العالم الإسلامي والعربي فرحته بهذه
المناسبة الكريمة سائلين الله سبحانه وتعالى أن يعز
الإسلام وينصر المسلمين ويؤيد بنصره رئيسنا المؤمن

محمد أنور السيد

العاملون

بالشركة الشرقية "إيسرن كومباني"

سبعة الذين يظلمهم الله بظلمه

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ،
سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين - أما بعد :
فقد روى البخارى في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : سبعة يظلمهم الله
بظلمه يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل وشاب نشأ في طاعة الله ، ورجل قلبه
معلق بالمساجد ورجلان تحابا في الله ، اجتمعا عليه وتفرقا عليه . ورجل
تصدق فأخفى صدقته حتى لا تعلم شماله ما انفقت يمينه ورجل دعه إلى
نفسها امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل نكر الله
خاليا ، ففاضت عيناه .

وفيه شرح الشيخ حسن شيبانہ الرب

إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف
عندى حتى أخذ منه الحق إن شاء
الله ، ثم قال أطيعوني ما أطعت الله
فيكم . فإن عصيت الله فلا طاعة لي
عليكم . وهذا أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب رضى الله عنه يأتى يهودى
فيرفع قضية ضد سيدنا على كرم الله
وجهه .

فيقول أمير المؤمنين لسيدنا على .
قم يا أبا الحسن فقف إلى جانب
خصمك مع كون خصمه يهوديا .
وسيدنا على من أصحاب المنازل
الأولى في الاسلام ولكنه العدل لا بد أن
يقام . وقد لاحظ أمير المؤمنين على
سيدنا على تغيرا عندما قال له ذلك .
فقال يا أبا الحسن الأغضبك أنى
أمرتك بالوقوف إلى جانب خصمك قال
لا وإنما دعوتنى بالكف واليس في هذا
مساواة بينى وبين خصمى فكان
اللازم أن تدعونى باسمى المجرد حتى
لا يكون هناك امتياز لى على خصمى
وهكذا كان يجرى بينهم العدل : يقول
الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا
كونوا قوامين لله شهداء بالقسط »
ويقول : ولا تجرمكم شئان قوم
على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب
للتقوى أى لا تحملكم عداوة قوم
على ترك العدل فيهم بل العدل واجب
بالنسبة للعدو وللصديق والامام العادل
وهو الحاكم العام رئيس الدولة ، إذا
أقام العدل بين الناس فإن له عند الله
منزلة هي أعظم منزلة حيث يرضى الله
عنه ويتقبل دعاءه فدعوة الامام العادل
مقبولة ، عند الله والعدل مطلوب ، من
كل إنسان بيده سلطة أيا كانت هذه
السلطة كبيرة أم صغيرة فقد قال ﷺ :
أهل الجنة ثلاثة ، ذو سلطان .
مقسط عادل ورجل رحيم رقيق
القلب على كل ذى قربنى ومسلم .
وعفيف متعفف ذو عيال .

ومن السبعة الذين يظلمهم الله بظله
يوم الحشر حيث يجمع الناس في
صعيد واحد تصهرهم الشمس
ويلجمهم العرق فيكون هؤلاء في ظل
ظليل في مأمن من الفزع الأكبر فمنهم
شباب نشأ في طاعة الله ، فكان إنسانا
مهذبا مستقيما يتخلق بالاخلاق
الجميلة ، ويتصف بالصفات النبيلة
لا ينحرف مع المنحرفين ولا يضل مع
الضالين فهو تقى حسن السير جميل
السلوك يؤدى فرائض ربه ، ومترفع

حق حقه .
وهذا هو الخليفة الأول أبو بكر
الصديق رضى الله عنه يقول عندما
ولى الخلافة ، أيها الناس قد وليت
عليكم ولست بخيركم فإن استقمتم
فأعينونى وإلا فقومونى ، الضعيف
فيكم قوى عندى ، حتى أخذ له الحق

فهذا الحديث الشريف يذكر أول
ما يذكر من السبعة المحبين إلى الله
الامام العادل وهو الحاكم الذى يقيم
في رعيته حكما عادلا يراعى كل الناس
على السواء ويسلك بهذا مسلك الخلفاء
الراشدين الذين كانوا يضربون أحسن
الأمثال في إقامة العدل وإعطاء كل ذى

عن كل خصلة تخدش الكرامة وتمس الشرف فهو مطيع لربه ، عاكف على استذكار دروسه ومراجعة ما يتقن عقله ، ويبين ذهنه ، ويقوم أخلاقه ، وهو في نفس الوقت بر بآبائه وأنه عامل بقول الله تعالى « وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » والشباب المهنذ المستقيم يعامل رفاقة معاملة حسنة ، تجعله محبا إليهم مقربا لديهم . وخير الشباب أولئك الصفوة الذين تمتلئ نفوسهم حبا للدين وإقبالا على العلم ، وغيره على الشرف ، وحرصا على مكاتم الأخلاق فأمثال هؤلاء هم عدة الأمة ، وعتادها وقوتها التي تعمل في جميع الميادين صادقة مخلصه ولقد كان الذين بادروا إلى الدخول في الإسلام والاستجابة بدعوة الرسول ﷺ كان أكثرهم من الشباب وقد آزره الرسول وجاهدوا معه وأحرزوا الفتح المبين والنصر المؤزر . والتاريخ يسجل أسماء على بن أبي طالب وحمنة بن عبد المطلب ، وأسامة بن زيد ، وجعفر ابن أبي طالب ، وغيرهم ممن تمت على أيديهم أعمال بطولية نفعت الأمة ورفعتها وجعلتها بحق خير أمة أخرجت للناس ، وتدل أحاديث الرسول ﷺ على أن الله يباهي الملائكة في السماء بالشباب الاتقياء المستقيمين غير المخرفين فقد ورد أن الله عز وجل يقول أيها الشباب الناشئ في طاعتي التارك شهوته من أجل ، البازل شجاعه لي أنت عندى كيعض ملائكتي ، ومن الذين يظلمهم الله بظلمه يوم القيامة رجل قلبه معلق بالمساجد فهو يتردد عليها ، ويكثر من دخولها والصلاة فيها ، ما استطاع إلى ذلك سبيلا فهو يفضل أن يقصد بيوت الله ويحظى منها بما يزيد إيمانه ويقينه فتهاوا نفسه ، وتتفر من أماكن اللهو ودور الفسوق والفجور ، فهو يذكر قول الله تعالى : في بيوت أن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغلو والأصوال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما

١٣٨

تتقلب فيه القلوب والابصار . وقد جاء في أحاديث المعراج أن الرسول ﷺ رأى إنسانا مغيبا في أنوار العرش . فسأل من هذا أهو نبي أم صديق أم شهيد فقل له ليس هذا بنبي ولا صديق ولا شهيد ، وإنما هو رجل كان في الدنيا قلبه معلق بالمساجد ولسانه رطب بذكر الله ، ولم يتسبب لوالديه بسب قط ، وأفضل المساجد التي تتعلق القلوب بها ، وتفويض شوقا إليها هي التي قال عنها الرسول ﷺ « لا تشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد ، مسجدي هذا والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » ومن السبعة رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه ، وتفرقا عليه ، أى أنها لا يجتمعان إلا على محبة الله والاشتغال بذكره والمواظبة على طاعته ، يعاون بعضهم بعضا ويشجع كل منها صاحبه على أعمال البر والخير التي يحبها الله ويرضاها ، وإذا افترقا لسبب من الأسباب كالسعى في طلب العيش أو طلب العلم أو أداء فريضة الحج أوصى كل منهما صاحبه بتقوى الله ، والاستقامة على الهدى ، فقد قال ﷺ : إن من الناس ناسا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم يوم القيامة الأنبياء والشهداء قالوا ومن هم يا رسول الله ، : قال هم الذين تحابوا بروح الله ، على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها والذى نفس بيده إن وجوههم لنور ، وإنهم يوم القيامة لعلى منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ قول الله تعالى إلا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا ، وكانوا يتقون ، لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

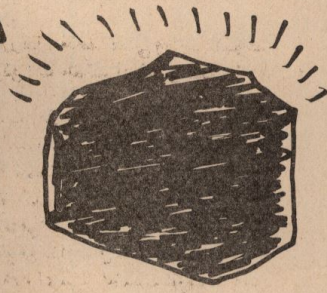
ومن السبعة الذين يظلمهم الله تحت ظل عرشه يوم القيامة رجل تصدق فأخفى صدقته حتى لا تعلم شماله ، ما أنفقت يمينه فهو ينفق سرا على الفقراء وذوى الحاجات بحيث لا يشعر به أقرب الناس إليه ، وبذلك ينال أعلى رتبة في ثواب الصدقة . مع العلم بأن الصدقة جهرا لا بأس بها : فقد قال الله تعالى « إن تبذوا الصدقات ، أى

تظهروها » فنعماء هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ،

والسبب في افضلية صدقة السر أن صاحبها يكون بعيدا عن الرياء ثم إن فيها حفظا للكرامة ، من يتصدق عليه فربما كان من الذين قال الرسول فيهم « ارحموا عزيز قوم ذل ، وغنى يوم افتقر لهذا قال النبي ﷺ الصدقة الخفية تطفىء غضب الرب ، ومن السبعة الذين يظلمهم الله رجل دعتة إلى نفسها امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ، فهو لم يفتته الجمال ولم يخفه المنصب لأنه لا يخاف إلا الله ، ولا يجب الأرض الله . فهو بهذه المخافة ، وهذا الحب لله يعصمه الله من الوقوع في المعصية ، والتردى في الخطيئة ، فيجعله الله بذلك من أصحاب الدرجات العلا ، قال تعالى « ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير » وسابع السبعة الذين يظلمهم الله بظلمه يوم لا ظل إلا ظله رجل نكر الله خالبا ففاضت عيناه وما نكرت الدموع من عينه الإهية من الله وخشية له ، وحياء منه حين ينكر اسم الله وحين يستحضر بقلبه عند الذكر عظمة مولاه ، فإن الذكر يرقق القلوب ويجلو ما فيها من صدا ويطردها ما فيها من غفلة ، لذلك قال الله تعالى « وإنك ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغلو والأصوال كذلك يقول الله » وبشر المختبين . الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم ، والمقيمي الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون »

فهي أيها الأخوة والأخوات إلى هذه المائدة الربانية التي أقامها الله لكل من يقصدها ، ويغذى نفسه وعقله وقلبه بغذاء العلم وغذاء الهداية وغذاء التقوى ، والباب مفتوح لكل من يريد أن ينال المنازل الرفيعة والدرجات العالية . والله تعالى يقول : وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين » صدق الله العظيم . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الحجر الأسود



●● في هذه الايام المباركة يتسابق القاريون من المؤمنين من كل فج وصوب الى بيت الله الحرام لاداء فريضة الحج الذي جعله الله سبحانه وتعالى خامس اركان الاسلام

●● وليست هذه الصفحات في بيان او توضيح شروط الحج او اركانه او سنته فتلك المواضع كثرت فيها الكتابات وتناولتها الاقلام بالشرح والايضاح كلما هلت علينا هذه الايام من كل عام... وإنما الذي ارمى اليه - وارجو التوفيق من الله فيه - أن أبين افتراء بعض الباحثين الغربيين والمستشرقين الذين افتاتوا على الاسلام والصقوا به تهما واباطيل حول شعيره من شعائر الحج او منسكا من نسكه وهي تقبيل المسلمين للحجر الأسود او استلامهم له واحترامهم إياه في اثناء طوافهم بالكعبة الشريفة

تاريخه ومنزله ورد الشبهات حوله

معهُ ، فجعل ابراهيم يبني واسماعيل يناوله الحجارة ، ثم قال ابراهيم لاسماعيل : إئتني بحجر حسن أضعه على الركن فيكون للناس علما فاتاه بحجر من جبل أبي قبيس فأخذه ابراهيم ووضعهُ في موضعه ، ولما ارتفع البناء كان ابراهيم يقف على حجر واسماعيل يناوله ، وهذا الحجر الذي كان ابراهيم يقف عليه اثناء البناء هو «مقام ابراهيم» وهكذا تعاون ابراهيم واسماعيل عليهما السلام حتى رفعوا قواعد البيت وأتموا بناءه... يقول الله تعالى «وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم» «ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن نريتنا امة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك

قال عنه هؤلاء المفرضون : إن الحجر الأسود أثر من آثار المشركين ، وتقبيل المسلمين له واستلامهم إياه يعد وثنية ورجوعا الى عبادة الأحجار والأصنام .

●● ولابد لنا ونحن بإزاء تنفيذ هذه التهمة وبحضها - أن نقلب صفحات التاريخ لنستبين منه حقيقة الحجر الأسود ، ولماذا كان احترامه من قديم الزمان الى يومنا هذا ، والى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

●● ذكر ابن الأثير في تاريخه ، أن ابراهيم عليه السلام حينما أمره الله ببناء البيت الحرام قال لولده اسماعيل : إن الله أمرني أن أبني له بيتا ، قال اسماعيل : فأطع ربك ، قال ابراهيم : وقد أمرك الله أن تعينني على بنائه ، قال اسماعيل : إذن أعمل ، فقام

●● ولاشك أن هؤلاء قد أعماهم التعصب البغيض وساروا في طرق ملتوية بعيدة عن عدالة الباحث ونزاهة الفكر... تقودهم غايات دينية ومقاصد مضللة ومناقع مادية .

وقد خصص الأستاذ زكريا هاشم زكريا فصلا كاملا عن «الحجر الأسود» في كتابه «المستشرقون والاسلام» الذي أصدره المجلس الأعلى للشنون الإسلامية ، فند فيه الشبهات الزائفة والأقاويل المغرضة لأعداء الاسلام حول الحجر الأسود ، مستعينا بآراء وبحوث مفكرى الاسلام في بحضها وإثبات زيفها ، وهانحن اليوم نقدم لك عزيزي القارئ تلخيصا لهذا الفصل من الكتاب المذكور... ولكن ماذا قالوا عن الحجر الأسود؟

عن أبيهم إبراهيم عليه السلام فيزداد حبهم لهذا الحجر المبارك ، ثم انتقل ذلك الحب من شعب إلى شعب ومن جيل إلى جيل .

● ومن المعروف أن الكعبة قد جدد بناؤها مرات كثيرة قبل الإسلام وكان الحرص كل الحرص على هذا الحجر ووضعه في مكانه كلما أقيمت أو جدد البناء

● وقيل البعثة المحمدية والنبي ﷺ في صباه هدمت الكعبة وشرعت قريش في تجديد بنائها وما أن وصلوا إلى مكان وضع الحجر الأسود حتى اختلفوا في أيهم يكون له شرف وضع هذا الحجر في مكانه وكاد هذا الخلاف أن يجر عليهم الويلات ويدفعهم إلى حرب طاحنة لولا رأي صائب أبداه لهم (المخزومي) الذي كان أسن القوم مطاعا فيهم شريفا بينهم ، وكان رأيه أن يجعلوا الحكم لأول داخل عليهم فرفضوا لرأيه وأطمأنوا إليه ، وتعلقت أبصارهم بالباب ليرى من هو أول داخل عليهم ، ومن هذا الذي سيرتضون حكمه فكان محمد الأمين ﷺ فقالوا هذا الأمين رضيينا بحكمه ، وقصوا عليه قصتهم وسمع قولهم ورأى الشرر يتطاير من عيونهم ، ففكر قليلا ، ثم خلع رداءه الشريف ووضع الحجر فوقه ثم قال : لياخذ رئيس كل قبيلة بطرف من أطراف هذا الثوب فحملوه جميعا وساروا به إلى ما يوازي موضع الحجر من البناء ثم تناوله الرسول ﷺ بيده الشريفة ووضع في مكانه وبذلك انحسم الخلاف واخذوا في اتمام البناء

● فالحجر الأسود - إذا - من آثار أبي الانبياء إبراهيم عليه السلام لآمن آثار المشركين ... وإبراهيم كان حنيفا مسلما ولم يك من المشركين

وقد روى أئمة الحديث في كتبهم أن النبي ﷺ قبل الحجر الأسود في حجة الوداع وقال « خذوا عني مناسككم » - إذا - فهذا من المناسك التي قدوتنا فيها رسول الله ﷺ ، والمشهور عن عمر بن الخطاب رضي

● ولما آذن إبراهيم في الناس بالحج استجابة لأمر الله تعالى ، وآتوا إليه من كل فج عميق جعل الحجر الأسود موضع بدء الطواف ونهايته .

● وبعد عصر إبراهيم كان الطائفون يبدأون باستلامه وكانهم يسجلون أنفسهم في هذا السجل الخالد ، ويقترن ذلك في نفوسهم بأجل الذكريات

أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم »

ويقول سبحانه : « وإذ بآبائنا لإبراهيم مكان البيت ألا نشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود » .



مزايا اوراق بنكية جديدة

بنك مصر

لعموم التوفير والجوائز

جائزة أولى ٥٠٠٠ جنيه جائزة ثانية ١٠٠٠ جنيه + ١٤٤ جائزة مالية أخرى + فائزة ٥ % سنوية + مربة السحب والإيداع	السحب ١٥ يولية ١٥ سبتمبر ١٥ نوفمبر
موات ١٥ يناير ١٥ مارس ١٥ مايو	مستويا

٣١ أكتوبر ١٩٦٠م - يوم اوراق العالمى - جوائز خاصة

كل ١٠ ميزات = تذكرة بانصاف ترفعت لسحب

١٧٥ فرعا منتشرة في الجمهورية - في خدمتكم

بقائيد وخيرة العمل المصرفى على ارفع مستوى

الله عنه أنه نفى هذه الشبهة من قديم حينما قبل الحجر الأسود وقال قولته «إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك»

●● ولعل الحكمة في تقبيل الحجر الأسود أو استلامه ، أنه يذكرنا بالنشأة الأولى للإسلام والتوحيد فأبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء والأنبياء عليهم السلام هم هداة الناس إلى الإيمان بالله وتوحيده وقد ثبت أن أباهم إبراهيم ... عليه السلام قد وضع هذا الحجر بيده وأن اسماعيل عليه السلام قد ناوله إياه وأن نبينا محمدا ﷺ قد حملة ووضع به الشريفية حين بنت قریش الكعبة .. وحينئذ فنحن نقبل مكان أيدي إبراهيم واسماعيل ومحمد ﷺ وعليهم أجمعين ، وليس في هذا أي شيء يتعلق بالوثنية أو العبادة ، على أن الانسيان إذا قبل يد والده أو أستاذه فليس معناه أنه يعبدها بل هو من باب الاجلال والاحترام ، كما أنه لا يوجد مسلم واحد يقول إن الحجر الأسود يعبد أو يعتقد فيه النفع والضرر ، بل إن عرب الجاهلية أنفسهم لم يسمع عنهم أنهم عبدوا هذا الحجر فيما عبدوا من الأحجار والأصنام مع اجلالهم واحترامهم له ... هذا وقد جاء في الحديث الشريف «الحجر الأسود يمين الله في الأرض يصافح الله به عباده» فكان الذي يصافحه أو يقبله

يعطى عهداً لله على نفسه بلزوم طاعته سبحانه والمداومة على توحيده وعبادته هذا من جهة ... ومن جهة أخرى فإنه لا يمكن أبداً للمسلمين على تفرق بلادهم وكثرة عددهم أن يجتمعوا في صعيد واحد ويضع كل منهم يده في يد أخيه المسلم ليعاهده على دفع العدوان ومحاربة الفساد والظلم ومن صد عن سبيل الله .. فهذا أمر في غاية التعذر والمشقة ، لذلك كان الحجر الأسود في الكعبة بمثابة هذه المعاهدة بين العبد وربيه وبين المؤمن وأخيه المؤمن ...

فقول أعداء الإسلام إن تقبيل الحجر الأسود أو استلامه من الوثنية لا يقوم على أساس ولا ينهض به دليل .. بل إن قصدهم من ذلك هو توهين شأن الإسلام والمسلمين .. وقد خابت ظنونهم وباعت بالفشل مساعيهم أمام صيحات الحق التي تنبعت من حصون الإسلام ومن رجاله المخلصين

●● ولا يخفى على أحد أن أهل الديانات الأخرى لهم أحجار مقدسة يجولونها ويحترمونها ولم نزمهم نحن المسلمين بأنهم يعبدونها .. وهي معروفة موجودة بأماكنهم المقدسة .

●● وقد تداولت على السنة البسطة والعامية بعض الخرافات التي لا تمت للإسلام بصلة في تعظيم الحجر

الأسود ... وهذه الخرافات ليست مقبولة عقلاً أو شرعاً عند أولى العلم من المسلمين .

●● وقد أهاب المؤلف بعلمائنا الأجلاء بتتقية تراثنا الإسلامي وتصفيته من تلك الأكدار التي أحاطت به ليبقى ناصعاً خالياً من الشوائب

●● وبعد .. فإن بعض المسلمين قد تغير تفكيرهم فأصبحوا يغالون في تعظيم الحجر الأسود متأثرين بمثل هذه المأثورات التي يبرأ منها الإسلام ، حتى لقد خيل إليهم أن الحج لا يصح إلا بتقبيل الحجر الأسود

ووضع الجباه عليه ، وسلكوا من أجل الوصول إليه سبلاً لا تليق بالمسلمين قد تفتت المجال أمام أعداء الإسلام بالنقد والطعن والافتراءات التي يبرأ منها الدين الحنيف .

●● والحقيقة أن تقبيل الحجر الأسود ما هو إلا سنة مأثورة عن النبي ﷺ ، وليس شرطاً في صحة الطواف أو صحة الحج والعمرة .. وقد قال الفقهاء : إن مجرد الإشارة إليه تكفي للاتيان بالسنة .

وهذا شاعر عربي مسلم مبعه الزحام من تقبيل الحجر الأسود فاكتمى بالإشارة إليه ثم أنشد :

أقول وقد زوحت عن لثم أسود من البيت إن تحجب فما السر يحجب فانك منى بالمكان الذي به محل سواد العين أو انت أقرب على عيسى





دعاء

اللهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي بصري نوراً ، وفي لساني نوراً ، وعن يميني نوراً ، وعن يساري نوراً ، ومن فوقني نوراً ، ومن خلفي نوراً ، وأجعل في نفسي نوراً ، وعظم لي نوراً .

رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري ، اللهم اني أسالك الهدى والتقى والعفاف والغنى ، وهب لنا انابة المخلصين وخشوع المختبين ، وأعمال الصالحين ويقين الصانقين ، وسعادة المتقين ودرجات الفائزين ، يا أفضّل من قصد ، وأكرم من سئل ، وأحلم من أعطى .

دعاء

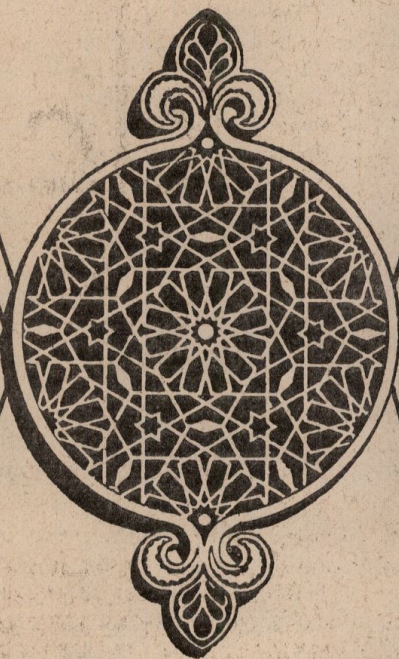
« بقية مقال حول فداء اسماعيل عليه السلام »

القرآن الكريم « من يطع الرسول فقد اطاع الله » . وقال تعالى « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » ومعنى ذلك أن من أراد القرب من الله سبحانه فعليه باتّباع أوامره واجتناب نواهيه فسيدينا ابراهيم اتخذه الله خليلاً . لماذا ؟ لأنه كان يحب الله حبا لا يعادله شيء آخر وكان يطيع أمر ربه ولو على نبح ابنه وروى في الأثر أنه لما اتخذ الله ابراهيم خليلاً قالت الملائكة يارب . إن له مالا وولدا وامراة فكيف يكون خليلا مع هذه الشواغل فقال الله تعالى : « لا تنظروا الى صورة عبدي ولا الى ماله بل الى قلبه وأعماله . وليس في قلب خليلي محبة إلى غيري » . فما أحوج المجتمع الإسلامي إلى هذه العظمت الباهرة ففيها حلاوة الايمان .

ثالثا : وأجمل ما في القصة الحوار الذي دار بين ابراهيم وابنه فإنه يمثل القصة في الطاعة وتلبية الابن أمر أبيه . فما أروع ما يقول ابراهيم لابنه « يا بني إنني أرى في المنام اني انبحك فانظر ماذا ترى ؟ وما أحسن أن يجيب الولد أباه ؟ » يا أبت أفلعل ما تؤمر ستتجدي إن شاء الله من الصابرين فهذا يعتبر من خوارق العادات وعلينا أن نتأسي بذلك حتى يعيش المجتمع تسوده المحبة بين أبنائه وآبائه . لذا أمرنا الله تعالى بأن نحسن إلى الوالدين قال تعالى « وبالوالدين احسانا » وصدق رسول الله ﷺ (بروا آباءكم تبركم أبناؤكم) .

رابعا : محبة الله وطاعته أمر مفروض علينا قال تعالى في

التصوف
والفلسفه
الإسلامية



دار السلام

الاستاذ حسن كامل المطاوع

سلموا من الحرقه فحصلوا على لذة عطائه ، وسلموا من الفرقة فوصلوا إلى عزيز لقائه .

ويقال : لا يصل إلى دار السلام إلا من سلمت نفسه من السجود للصنم ، وسلم قلبه عن الشرك والظلم .

ويقال : تلك الدار درجات ، والذي سلم قلبه من محبة الأغيار درجته أعلى من درجة من سلمت نفسه من الذنوب والأضرار .

ويقال : قوم سلمت صدورهم من الغل والحقد والحسد ، وسلم الخلق منهم ، فليس بينهم وبين أحد محاسبة ، وليس لهم على أحد شيء ، فالسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمحسن من سلم الخلق بأجمعهم من قلبه .

والصراط المستقيم طريق المسلمين ، فهذا للعوام بشرط علم اليقين ، ثم طريق المؤمنين ، وهو طريق الخواص بشرط عين اليقين ، ثم طريق المحسنين ، وهو طريق خواص الخواص بشرط حق اليقين ، وهم الذين قال ﷺ فيهم : الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه .

وعند قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) يقول سيدي الامام القشيري رضي الله عنه :

أحسنوا : أى عملوا وأحسنوا

ويقال : أحسنوا أى لم يقصروا في الواجبات ، ولم يخلوا بالندوبات ويقال : أحسنوا أى لم يبق عليهم حق إلا قاموا به ، إن كان حق الحق فمن غير تقصير ، وإن كان من حق الخلق فداء من غير تأخير .

ويقال : أحسنوا في المال كما أحسنوا في الحال ، فاستداموا بما فيه واستقاموا ، والحسنى التي هي لهم هي الجنة وما فيها من صنوف النعم .

(وزيادة) : فعلى موجب الخبر واجماع السلف النظر إلى الله ، ويحتمل أن تكون الحسنى الرؤية والزيادة دوامها ،

دار السلام هي الجنة التي وعد الله تعالى بها المتقين من عباده . وقد دعا سبحانه الكل إليها وبين لهم أن طريق الظفر بها إنما يكون بالإيمان بالله ورسله واليوم الآخر ثم فعل الطاعات المشروعة وترك المخالفات المنهى عنها في صدق وإخلاص وصفاء ، فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ففي الجنة خالدون فيها ، وأما الذين شققوا بالكفر والمعاصي فمأواهم جهنم وساءت مصيرا .

وهذه الدعوة جاءت في قوله تعالى في سورة يونس (والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) والأكثرون من المفسرين على أن « السلام » هو اسم الله الكريم الوارد في الأسماء الحسنى ، وسمى سبحانه السلام لأنه لما كان واجب الوجود لذاته سلم من الفناء والتغير ، وسلم في ذاته من الافتقار إلى الغير وهذه الصفة ليست لإله وحده سبحانه ، أما القول الآخر فجاء فيه أن السلام معناه السلامة من الآفات فهو وصف للجنة . ويعقب سيدي الامام القشيري على تلك الآية الكريمة فيقول رضي الله عنه في لطائف الاشارات :

دعاهم إلى دار السلام ، وفي الحقيقة دعاهم إلى ما يوجب لهم الوصول إلى دار السلام - وهو اعتناق أوامره والانتهاض عن زواجه ، والدعاء من حيث التكليف ، وتخصيص الهداية لأهلها من حيث التشريف .

ويقال : الدعاء تكليف والهداية تعريف ، فالتكليف على العموم والتعريف على الخصوص .

ويقال : التكليف بحق سلطانه ، والتعريف بحكم إحسانه .

ويقال : الدعاء قوله والهداية طوله ، دخل الكل تحت قوله ، وانفرد الأولياء بتخصيص طوله ، دار السلام دار الله لأن السلام اسم من أسمائه .

ويكون السلام بمعنى السلامة فهي دار السلام أى أهلها سالمون فيها ، سالمون من الحرقه ، وسالمون من الفرقة ،

ويحتمل أن تكون الحسنى اللقاء والزيادة البقاع في حال اللقاء .

ويقال : الحسنى عنهم لا مقطوعة ولا ممنوعة ، والزيادة لهم ليست عنهم محجوبة ولا مسلوية .

وعند قوله تعالى (ولا يرهق وجوههم قتر ولا نلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) يقول سيدي القشيري رضى الله عنه : لا يقع عليهم غبار الحجاب ، وبكسبه حديث الكفار حيث قال (ووجوه يومئذ عليها غبرة)

أقول : ورؤية الله سبحانه في الجنة هي التي وعد الله بها عباده المتقين في قوله الكريم (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) ويقول سيدي الامام القشيري رضى الله عنه : ناضرة أي مشرقة حسنة ، وهي مشرقة لأنها إلى ربها ناظرة أي رائية لله ، فالله تعالى يخلق الرؤية في وجوههم في الجنة على قلب العادة فالوجوه ناظرة إلى الله تعالى .

ويقال : العين من جملة الوجه فاسم الوجه يتناوله ويقال الوجه لا ينظر ولكن العين التي في الوجه هي التي تنظر ، كما أن النهر لا يجري ولكن الماء في النهر هو الذي يجري ، قال تعالى (جنات تجري من تحتها الأنهار)

ويقال : في قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة) دليل على أنهم بصفة الصحو ، ولا تتداخلهم حيرة ولا دهم ، فالنضرة من أمارات البسط لأن البقاء في حال اللقاء أتم من اللقاء .

وعند قوله تعالى في سورة الواقعة (وكنتم أزواجاً ثلاثة ، فأصحاب الميمين ما أصحاب الميمين ، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ، والسابقون السابقون ، أولئك المقربون) يقول سيدي الامام القشيري رضى الله عنه :

(ما أصحاب الميمين) على جهة التفضيم لشأنهم والتعظيم لقدرهم ، وهم أصحاب اليمين والبركة والثواب .

(ما أصحاب المشأمة) على جهة المبالغة في ذمهم ، وهم أصحاب الشؤم على أنفسهم ، ويقال : أصحاب الميمين هم الذين كانوا في جانب اليمين من آدم عليه السلام يوم النحر ، وأصحاب الشمال هم الذين كانوا على شماله (المقصود بيوم النحر يوم الميثاق الذي جمع الله تعالى فيه أزواج جميع الخلق في شكل النر - وهو الهباء - وخاصيتهم بقوله الكريم : (ألسنت بربكم ؟ قالوا بلى) فأقروا جميعاً بربوبيته تعالى ووحدانيته ، ولذلك كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما جاء في الحديث الشريف) .

ويقال : الذين يعطون الكتاب بأيمانهم والذين يعطون الكتاب بشمائلهم

ويقال : هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة ، والذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار .

(والسابقون السابقون) وهم الصف الثالث ، وهم السابقون إلى الخصال الحميدة .

ويقال : السابقون إلى الهجرة ، ويقال إلى الاسلام ، ويقال إلى الصلوات الخمس .

ويقال : السابقون بصدق القدم ، ويقال السابقون بعلو الهمة ، ويقال السابقون إلى كل خير ، ويقال السابقون المتسارعون إلى التوبة من الذنوب ، فيتسارعون إلى النعم إن لم يتسارعوا بصدق القدم .

ويقال الذين سبقت لهم من الله الحسنى فسبقوا إلى ما سبق إليه (أولئك المقربون) ولم يقل المتقربون بل قال (أولئك المقربون) فعلم الكافة أنهم بتقريب ربهم سبقوا لا بتقريبهم .

(في جنات النعيم) محال أن يكونوا في الجنة ثم يقربون من الجنة ، وإنما يقربون إلى غير الجنة ، يقربون من بساتين الجنة ، مقربون ولكن من حيث الكرامة لا من حيث المسافة ، مقربة نفوسهم من الجنة وقلوبهم إلى الحق .

مقربة قلوبهم من بساتين المعرفة ، وأرواحهم من ساحات الشهود ، فالحق سبحانه عزيز ، لا قرب ولا بعد ، ولا فصل ولا وصل .

(ثلثة من الأولين ، وقليل من الآخرين) الثلثة الجماعة ، ثلثة من الأولين الذين شاهدوا أنبياءهم ، وقليل من الآخرين الذين شاهدوا نبينا ﷺ ويقال : ثلثة من الأولين من السلف وقليل من المتأخرين من الأمة .

(على سرر موضونة) أي منسوجة نسيج الدرع من الذهب .

(متكئين عليها متقابلين) أي لا يرى بعضهم قفا بعض ، وصفهم بصفاء المودة والأخلاق الحميدة .

وفضل الله يجري على عبادته في دنياهم وأخراهم ، فهم الفقراء إليه على النوام وهو الغنى عنهم على النوام ، وصنق سبحانه إذ يقول (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد ، إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ، وما ذلك على الله بعزيز)

ومما عقب به سيدي الامام القشيري على الآيات السابقة قوله رضى الله عنه : الفقر على أقسام ، فقر إلى الله ، وفقر إلى شيء وهو من الله ، ومن افتقر إلى شيء استغنى بوجود ذلك الشيء ، فالفقر إلى الله هو الغنى بالله ، فالافتقر إلى الله مستغن بالله ، والمستغن بالله مفتقر إلى الله .

وقد سئل سيدي الامام الجنيد عن الافتقار إلى الله فقيل له : أهو أتم أم الاستغناء بالله ؟ وأجاب رضى الله عنه : إذا صح الافتقار إلى الله فقد صح الاستغناء بالله ، وإذا صح الاستغناء بالله كمل الغنى به ، فلا يقال : أيهما أتم ، لأنهما حالتان لا تتم إحداهما إلا بالآخرى .

ويستلزم سيدي الامام القشيري فيقول رضى الله عنه : ومن شرف الفقر اقترانه بالتواضع والخضوع ، ومن آفات الغنى امتزاجه بالتكبر ، وشرف العبد في فقره ، وكذلك ناله في توهمه أنه غنى ،

وإذا تنزلت الرقاب تقرباً . . منا إليك فعزها في نلها ويقال : الفقير الصانع الذي لا يملكه شيء

ويقال : لا يقول لنا (أنتم الفقراء) للزبداء بنا ، فإن كرمه بتقدس عن ذلك ، وإنما المقصود أنه إذا قال (والله الغنى وأنتم الفقراء) أنه وجود علينا . ويقال : إذا لم ما هو صفته - من استحقاق الغنى - أولئك ما يغنيك وأعطاك فوق ما يكفيك .

أما قوله سبحانه (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد . وما ذلك على الله بعزيز) فقد عرفك به أنه غنى عنك ، وأشهدك موضع فقرك إليه ، وأنه لا بد لك منه ، فما القصد من ذلك إلا إرادته لا كرامك وإيوائك في كنف إنعامه ،

ويقول جل جلاله (إنما يخشى الله من عباده العلماء) ويعقب سيدي الامام القشيري على هذا القول الكريم فيقول رضى الله عنه :

من فقد العلم بالله فلا خشية له من الله ، والخوف قضية الايمان ، قال تعالى (وخافون إن كنتم مؤمنين)

ويقال : خشية العلماء من تقصيرهم في أداء حقه ، ويقال من استحيائهم من اطلاع الحق ويقال حذر من أن يحصل لهم سوء أدب وترك احترام .

وفي قوله تعالى (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور) يقول سيدي الامام رضى الله عنه : الذين يستغرق جميع أوقاتهم قيامهم بذكر الله وبحقه ، وإتيانهم بأنواع العبادات وصنوف القربات فلهم القدر الأجل من التقريب ، والنصيب الأوفر من الترحيب . وأما الذين أحوالهم بالصد فمناهم على العكس ، أولئك هم الأولياء الأعز ، وهؤلاء هم الأعداء الأذلة .

أقول : وقد كشفت سورة الرحمن عن النعيم الذي أعده سبحانه لأهل الخوف في الآخرة فقال تعالى (ولن خاف مقام ربه جنتان ، فبأى آلاء ربكما تكتبان ، نواتا أفنان ، فبأى آلاء ربكما تكتبان ، فيهما عينان تجريان ، فبأى آلاء ربكما تكتبان ، متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان ، فبأى آلاء ربكما تكتبان ، فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ، فبأى آلاء ربكما تكتبان ، كأنهن الياقوت والمرجان ، فبأى آلاء ربكما تكتبان ، هل جزاء الإحسان إلا الإحسان .. (إلى آخر السورة)

وقد ورد في تعقيب سيدي الامام القشيري على الآيات الكريمة السابقة قوله رضى الله عنه :

(ولن خاف مقام ربه جنتان) يقال : لمن خاف قرب ربه منه وإطلاعه عليه .

ويقال : لمن خاف وقوفه غدا بين يدي الله جنتان . وقيل : بل جنتان ، معجلة في الدنيا من حلاوة الطاعة ، ومؤجلة في الآخرة وهي جنة الثواب ، ثم هم مختلفون في الدنيا على مقادير أحوالهم كما يختلفون في الآخرة على

حسب درجاتهم .

(نواتا أفنان) دل على أن الجنتين في الآخرة ، والأفنان هي الأغصان وهي جمع فنن .

(فيهما عينان تجريان) أحدهما التسليم والآخرى السلسيل .

ويقال : عينان تجريان غدا لمن كان له اليوم عينان تجريان بالدموع .

(فيهما من كل فاكهة زوجان) أى صنفان كالرطب واليابس .

(متكئين على فرش بطائنها من استبرق) بطائنها من استبرق فكيف بظواهرها ، والاستبرق الحرير الغليظ ، وإنما خاطبهم على قدر فهمهم إذ يقال إنه ليس في الجنة شيء مما يشبه ما في الدنيا وإنما الخطاب مع الناس على قدر أفهامهم .

(وجنى الجنتين دان) أى ما يجتنى من ثمرها إذا أرادوه دنا إلى أفهامهم فتناولوه من غير مشقة تنالهم .

(فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم)

(ولا جان) أى في الجنان حور قصرن عيونهن عن غير أزواجهن . وفي الخبر : أشتاقت الجنة لثلاثة وهو رضى الله عنه يشير بذلك إلى الحديث : الذي رواه الامام الترمذي عن انس رضى الله عنهما (إن الجنة تشبثاق إلى ثلاثة : على وعمار وسلمان) ، وكأنما أراد الامام القشيري أن يبين لنا فضل الخواص فبين بالحديث الشريف أن الجنة تشبثاق إليهم وترحب بهم . لتتشبه بمسلكهم ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ، رضى الله عنهم وأرضاهم .

(كأنهن الياقوت والمرجان) أى في صفاء الياقوت ولون المرجان

(هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) يقال : الإحسان الأول من الله والثاني من العبد ، أى هل جزاء من أحسنا إليه بالنصرة إلا أن يحسن لنا بالخدمة ، وهل جزاء من أحسنا إليه بالولاء إلا أن يحسن لنا بالوفاء .

ويصح أن يكون الإحسان الأول من العبد والثاني من الله ، أى هل جزاء من أحسن من حيث الطاعة إلا أن يحسن إليه الله من حيث القبول والثواب .

وهل جزاء من أحسن من حيث الخدمة إلا أن يحسن الله اليه من حيث النعمة ، ويصح أن يكون الإحسانان من الله ، أى هل جزاء من أحسنا إليه في الابتداء إلا أن نحسن إليه في الانتهاء ، وهل جزاء من فاتحناه باللطف إلا أن نزيده من الفضل والعطف .

ويقال : هل جزاء من بعد عن نفسه إلا أن نقره منا

ويقال : هل جزاء من فنى عن نفسه إلا أن يبقى بنا

ويقال : هل جزاء من رفع لنا خطوة إلا بأن نكافئه بكل خطوة ألف خطوة .

ويرى سيدي وشيخي الشيخ على عقل أن درجات

من أجل توفير "الكساء" للجماهير ..
كانت لهذه التجربة العربية الناجحة - لسد الاحتياجات
المحلية وإنتاج أصناف جديدة من أقمشة الأقمشة
الصوفية طبقاً لأحدث المواصفات الانجليزية العالمية ..
وغزت أسواق العالم العربي بمنجارتها وحققته سمعة
مصرية وعربية مرموقة .

١١٨	صوف ١٠٠ % .
١٢٢	دوبليس جديد .
١٢١	شفيوت .
٢٠١	كثان من خامات إنجليزية مستوردة .

إنها
وولتاكس

WOOLTEX

فخر الصناعة العربية



الشركة المصرية لفزل ونسيج الصوف "وولتاكس"

المعارض: ٢١ شارع طلعت حرب ب ٤٧٣٠٣ - ٧٣ شارع شبرا ب ٩٤٦٦٩٨
المعرض الجديد بالحيزة ٣٠٤٢٩ سوق الحيزة التجاري



المؤمنين تتفاوت بتفاوت تقواهم ومحبتهم لله تعالى فيقول فيما نقلناه عنه من إلهامه الفوري رضي الله عنه :

احفظ لسانك عن سواء وشرف
لا يلهيك موقف عن موقف
واصبر فان الصبر عنوان الوفا
لا يدرك التقوى سوى القلب الوفي
والنار تطفئها المياه وإنما
نار المحبة جنوة لا تنطفئ
ليس التصوف بالكلام وإنما

صديق الفعال قراره المتصوف
كم ظاهر لكنه لا يذهي
ولكم ترى التقوى مع الألب الخفي
فاذا أردت بان توازن بينهم
فزن الرجال بحسب ركب واصطف
إن الهدى حلو لزاهد عيشه
لكنه مر بقلب المترف
من كانت الدنيا المراد لقلبه
لم يرق دار الأكرمين ولم يف
يا أيها الساري لخلق السما
وفقت جامد في قوئك واختف
وإذا اقتنيت فبالكتاب لك الهدى
حافظ على آياته يتلهف
وانهض بروحك نهضة قدسية
ولسنة المختار في السير اقتف
واحب ما في هذه الدنيا التقى
من حاد عنه ليس بالمتعفف
إن المحب إذا صفت أخلاقه
مع ربه لمفامه لم يالف
لا تذكر الباري بقصد ولاية
أو أن تكون على السما لا تنطفئ
انكر لوجه الله جل جلاله

من رام غير جنبه لم يشرف
والسادة الصوفية يرون أن العقبات التي يجب على
المؤمن اجتيازها حتى يصل إلى صحبة ربه هي : وسوسة
الشيطان والنفس الأمارة بالسوء والشهوات البشرية ،
وزينة الحياة الدنيا ، وقد جمعها بعضهم في قوله :

إنى بليت بأربع يرموننى
بالقوس من سهم له توتير
إبليس والنيا ونفسى والهوى
يارب أنت على الخلاص قدير

وقد حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ولابد أن
يتحمل المؤمن المكاره بنفس رضية حتى يصل إلى الثمرة
المرضية ، ويلقى ربه يوم القيامة أبيض الوجه ، كما لابد أن
يقاوم شهواته الظاهرة وأقواته الباطنة لأنه تعالى نهانا عن
الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

ويعلق السادة الصوفية أهمية كبيرة على صحبة المريد
لشيخ عارف بالله يعاونه في السلوك الصحيح إلى الله على

طريقة الخواص من السابقين المقربين ، ويقول سيدي
الامام أبو على الثقفى رضى الله عنه في ذلك : لو أن رجلا
جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ
الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤيد أو ناصح ،
ومن لم يأخذ أبيه من أمر له ونهه يريه عيوب أعماله
ورعونات نفسه ، لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات .
ومن فضل الله تعالى على هذه الأمة أن جعل في كل جيل
من أجيالها الصادقين من الدعاة بالقول والفعل والحال ،
وصدق سبحانه إذ يقول (ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه
يعدلون) . ويقول سيدي وشيخي على عقل ، طيب الله ثراه ،
في ضرورة المربي الصادق فيما نقلناه عنه من إلهامه
الفوري :

وعندى أن الأمر ليس كما ترى
فلا بد من سوق القلوب لمن يدرى
إذا لم يكن للنفس شيخ له هدى
يؤدبها بالروح زاعت عن السير
ولا يعبر البحر الخضم ونواه
سوى ماهر يدرى الملاحة في البحر
ولولا اتصال الكهرياء بأصلها
على موجة التيار مانورها يسرى
ولا يفوتنا أن الله تعالى حين وصف عباد الرحمن في سورة

الفرقان كان فيما وصفهم به (والذين يقولون ربنا هب لنا
من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما) وقد
أبرزوا بدعائهم هذا حاجة أهل التقوى لإمام يقتدون به ،
كما أبرزوا الشرف الذي يناله داعي الخلق إلى الحق خدمة
للاسلام والمسلمين وحسبة الله رب العالمين .

وقد قامت لدى فكرة في شبابي لاعتزال الناس إلا بالقدر
الذي توجبه الضرورة من صلة رحم أو عيادة مريض
أو تشييع جنازة ، فاستشرت سيدي وشيخي الشيخ
عبد السلام الحلواني نور الله مرقده ، فسألني عن منشأ
الفكرة وسببها ، فقلت إني قرأت في كتب السنة أن سيدنا
عقبة بن عامر رضى الله عنه سأل مولانا رسول الله ﷺ
فقال : يا رسول الله ، ما النجاة فقال ﷺ أمسك عليك لسانك
وليسعك بيتك وأبك على خطيئتك ، فتأثرت بهذا الحديث
وفكرت أن أعمل به ، فقال لى سيدي الشيخ رضى الله عنه :
لئن قال مولانا رسول الله ﷺ ذلك لسيدنا عقبة بن عامر ،
فقد قال لإمامنا على بن أبى طالب : يا على لأن يهدي الله بك
رجلا واحدا خير لك من حمر النعم ، وفي رواية أخرى : خير
لك من الدنيا وما فيها ، ثم أضاف سيدي الشيخ بعد أن رد
السنة بالسنة : أنا غير موافق على فكرتك ، مثلك يجب
عليه الاختلاط بالناس ، فأنعنت لأمر سيدي الشيخ ، وقد
صحبنى في الطريقة الخليلية (وإمامها الأكبر سيدي الحاج
محمد أبو خليل ساكن ضريحة المشرق المحقق بمسجده
الكبير بالقازيق قدس الله سره) جم غفير من شباب الجيل
وأكثرهم من خريجي الجامعة ، وأرجو أن ينفعنى الله
بصحبتهم وينفعهم بصحبتى وقد قال سبحانه (وتعاونوا
على البر والتقوى) رزقنا الله من فضله تقواه وحلانا
بهدهاء أجمعين ، فانه تعالى رب العالمين وأكرم الأكرمين
أمين



لنا رسالة

نحن أصحاب عقيدة فلنا رسالة ، عقيدة في الله ثابتة تعتبر مركزا لتجمع المسلمين ينطلقون منها ويعودون اليها ، عقيدة تتسع لكل ما في الوجود ومن في الوجود ، لأنها منهج الهى كامل للدين والدنيا ، ورتب أحكامها من واهب الوجود من خارج النطاق الأرضي ومن خارج المحيط البشرى لتستريح البشرية في ظلها برد اليقين وحلاوة الايمان ، دون أن تضل السعى في الطريق أو تشتبه عليها معالم الجهات . ونحن أصحاب عقيدة فلنا رسالة أخلاقية فاضلة ثابتة تسيطر على السلوك والتصرفات وتتناول الفرد والأسرة والدولة والمجتمع . ونحن أصحاب عقيدة فلنا رسالة تفرض علينا الابداع المادى بمختلف صورته وأشكاله تعميرا للأرض واعترافا بنعم الله علينا ليجرى الانسان شوطه المقدر له في هذه الحياة لا يجوع فيها ولا يعرى ولا يظلم فيها ولا يضحى . نحن أصحاب عقيدة ، فنحن مسئولون عن هداية البشرية وانتشالها من الوهدة التي تربت فيها ، لأن رسالتنا للضمير الانساني وللنفس البشرية في كل مكان ، فهي ليست لشعب من الشعوب ولا لجنس من الاجناس ، ولا للون من الالوان ، كما أنها ليست لمكان دون مكان أو لزمان دون آخر ، فمكانها الأرض بأسرها ، وزمانها للأجيال كلها الى أن تقوم الساعة وان كانت لنا رسالة اليوم وغدا ، فان البشرية كلها أحوج ما تكون الى المسلمين اليوم ، في وقت سقطت فيه القيم ، واختلت الموازين ، وتوارت المثل العليا من حياة البشر ، ليقف الانسان حائرا تائها في بيداء المهالك والضلالات لا يعرف له وجهة ولا يعلم له هدف وهذا منتهى الضياع ، ضياع لاخلاص منه الابقيام المسلمين بالتعامل مباشرة مع البشرية كلها بأنظمتها المختلفة يعرضون عليها الاسلام بعقائده الفذة ، وعباداته المشرقة ، وتشريعاته السامية ، وأخلاقه الفاضلة ، وعلاقاته الانسانية ، ليعيدوا البشرية الى رشدها ، ويستردوا لها ماضع من عافيتها . لقد دفعنى الى هذا الحديث مقال قرأته لأستاذ من أساتذة الفكر « الدكتور زكى نجيب محمود » تحت عنوان لنا رسالة فاخترت هذا العنوان ليكون عنوانا لمقالى هذا فقد جاء بمقاله ما يلى :

الأستاذ
عبد العظيم منصور

صادفتني احصائية عن الكتب العربية التي ترجمت الى لغات أخرى خلال العشرين عاما الممتدة من سنة ١٩٤٨ الى ١٩٦٨ ، فعلمت منها أن عدد الكتب التي ترجمت من العربية الى غيرها خلال تلك المدة قد أوشك على ألفين ، ألف منها في الأدب ، ونصف ألف في الدين ، ونصف الألف الباقية في شتى الفروع الأخرى من علوم وفلسفة وقانون وتاريخ ، ومما يلفت النظر أن اللغات الأخرى التي ترجمت اليها كتبنا العربية ، تشمل كل بقاع الأرض تقريبا ، فضلا عن اللغات الأوروبية الرئيسية كلها ، تجد عددا كبيرا من اللغات الآسيوية والأفريقية .



بالحياة الجنسية - سوية أو منحرفة - وكتبها أو قصصا تدور كلها حول الرعب والاختطاف والاعتقال والدمار ، وقال صاحب التقرير عن المانيا الغربية أنها لم تنتج خلال العام شيئا ذا بال ، اللهم الا كتابا يقص فيها مؤلفوها ذكرياتهم الخاصة أو شيئا من التاريخ بصفة عامة ، وأما الاتحاد السوفيتي فقد اكتفى صاحب التقرير بذكر قصتين قال عنهما أنهما كانتا اشيع الكتب وكتاهما تدور حول التكافل الاجتماعي ، وختم الكاتب تقريره بكلمة عن الصين قائلا أن أهم ما صدر عندهم كتاب موجه الى الشباب يرشددهم الى طريق الصحة في حياتهم إبان تلك الفترة من العمر .

فلو لخصنا الحصاد الأدبي في العالم خلال سنة ١٩٧٥ - بناء على هذا التقرير الصحفي الموجز الذي اشرت اليه - لقلنا أنه كان حصادا مداره محوران هما الجنس والعنف . وأما ماعدا ذلك من نوازع الانسان فلم يظفر عندهم باهتمام ، ولكي نتصور كيف أصبح الناس في حضارة السرعة الملهوفة يتجاهل بعضهم بعضا ، ننقل صورة رواها مسافر من استراليا نقلا عن الصحف ، وهي أن شيئا تقدمت به السن رثي جالسا على مقعد في جانب الطريق ، رأسه ينحني على صدره ، وذراعه ملتفة حول ظهر المقعد ، وشاعرت المصانفة أن يقف امامه أحد المارة ، وربت على كتفه ، راجيا اياه أن يشعل له سيجارته ، فاذا بجسم الرجل يسقط مكوما ... كان ميتا على مقعده ليومين كاملين ، لم يابه به أحد من المارة في الطريق المزبوح .

الذي ينقص حضارة العصر هو التراحم بين الناس ، وليس من شأنه الحياة الصناعية أن تخلق هذا التراحم المطلوب ، أفلا نجعله نحن محورا لرسالة ثقافية نؤديها ؟ حقا ان لنا رسالة ، مضمونها ما أورثته في صدر مقالتي وأضيف الى ما سبقت الاشارة اليه أنه رغم امكانيات المسلمين المادية الهائلة فان ملاحقه التقدم العلمي للانظمة الوضعية الذي شمل كل نواحي الحياة لن يتيسر للمسلمين في الزمن القصير لأن تلك الانظمة قد حققت تفوقا خارقا في

اذن فالكتاب العربي مقروء في أرجاء العالم ، حتى وأن يكن مقروءا على نطاق ضيق ، أضيق جدا مما كان ينبغي ، لكن الامر الهام الذي سرعان ما يشغل الذهن هو هذا : ترى هل كانت تلك المادة التي نقلت عنا الى الآخرين مما يمكن في مجموعته أن يحمل وجهة نظر خاصة بنا ، بحيث تُعرف بنا وتُعرف بها ؟ وأن هذا السؤال نفسه لينقلنا الى سؤال أسبق منه ، هو ماذا عساه أن تكون رسالتنا الى الدنيا المعاصرة لو كانت لنا رسالة .

رسالتنا الثقافية الى عالم اليوم ، انما يوحى بها ما ينقص هذا العالم برغم تقدمه العلمي الواثق خطوات الجبابرة ، بل أنه نقص بسبب ذلك التقدم العلمي وما أنتجه في علاقات الناس بعضهم ببعض من نتائج رهيبة ، فهي رسالة انسانية قبل أي شيء آخر ، وأنها لرسالة - فوق كونها تسد نقصا في حضارة العصر - فهي هي الرسالة التي يملينا علينا تراثنا بكل جوانبه .

لقد كانت ساعة من أنفع الساعات التي قضيتها قارئاً ، وأعني بها الساعة التي طالعت خلالها تقريراً موجزاً مكثفا عما أنتجه الأدياء والمفكرون في أرجاء العالم خلال العام الماضي - عام ١٩٧٥ - فاذا به نتائج تثير الفزع ، ففي ايطاليا كان من أبرز الحوادث في دنيا الألب والفكر ، أن كاتباً اخذ يطارد بمقالاته وقصصه نزعة العنف الفظيع الذي ساد الشباب ، فقتله الشباب . وهنا لم يفت كاتب التقرير أن يقول أن فوز الشاعر الإيطالي مونتالي بجائزة نوبل قد أحدث شيئا من التوازن في حياة ايطاليا الثقافية ، وفي فرنسا قدم لنا كاتب التقرير صورة عجيبة من فقدان الثقة فقدانا تاما بين جيل الشباب من الأبناء وجيل الشيوخ ، حتى لقد اضطرت سلطات الامن أن تحيط المكان الذي اجتمعت فيه لجنة المحكمين في جائزة جوناكور بقوة ضخمة من رجال الشرطة لحراستهم من جموع الشباب الغاضب وفي الولايات المتحدة كان أهم ما أنتجه الأدياء والباحثون فيما يخص حياة الناس الجارية ، كتباً خاصة

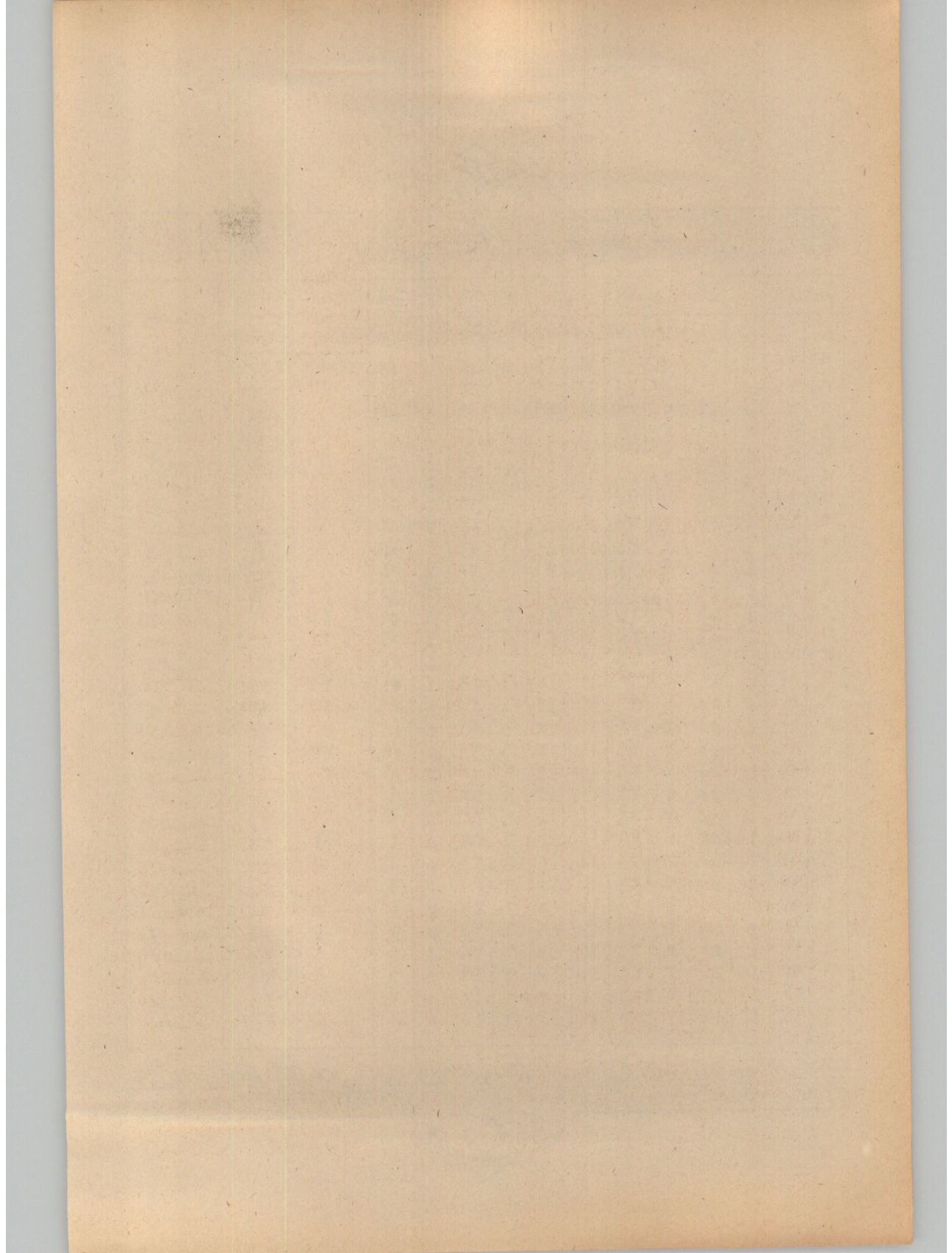
الابداع المادى ، جعل الفرق بينهما وبين المسلمين شاسعا بعيد المدى . . ومع هذا الابداع - المادى الذى أحرزته البشرية ، من نجاح مادى واتساع عمرانى ، وتقدم علمى ، أو كما يقال عاشت المدنيات المعاصرة وازدهرت فى الجص والأجر ، وفى الورق والقماش ، وفى الحديد والرصاص وفى الأرض والجو ، وأخصبت فى ميادين الحروب ، ومساحات القتال ، وأوساط المحاكم ومجالس اللهو ومجامع الفجور ، ولكنها ماتت وأجدبت فى القلوب والأرواح وفى علاقة المرأة بزوجها ، والولد بوالده والوالد بولده ، والأخ بأخيه والرجل بصديقه ، كما أصبحت هذه المدنيات لا تؤمن فى الحياة الشخصية إلا بالبلذّة والمنفعة المادية وفى الحياة السياسية الأبالقوة والغلبة ، وفى الحياة الاجتماعية الأبالوطنية المعتدية والجنسية العاشمة ، وثارّت على الطبيعة الإنسانية ، والمبادئ الخلقية ، وشغلت بالآلات ، واستهانّت بالغايات ونسيت مقاصد الحياة ، وبجهادها المتواصل فى سبيل الحياة وبسعيها الدائب فى الاكتشاف والاختيار مع استهانتها المستمرة بالتربية الخلقية وتفنية الروح وجودها بما جاءت به الرسل وبإمعانها فى المادية وبقوتها الهائلة مع فقدان الوازع الدينى والحاجز الخلقى أصبحت فيلا هائجا ، ييوس الضعيف ويهلك الحرث والنسل ، حتى أصبحت ديانة تلك المدنيات التى بنتها الانظمة الوضعية هى عبودية المادة بكل ما تتسع له تلك الكلمة من معنى . فهى المال والمصانع الضخمة ودور السينما وأماكن اللهو والفجور ودور الرقص والخلاعة ، الامر الذى أدى الى صياغة النظريات ووضع الاحكام والفلسفات والكتابات بما يخدم تلك الاغراض الرخيصة وظهر ذلك واضحا فى التشريعات والسلوك والمعاملات اليومية وعلاقة الافراد ببعضهم والامم ببعضها فظهر انسان جديد على وجه الارض ينبذ الفضيلة ويرى الخير فى الرذيلة ، يرى السعادة فى المادة وما توفره من إباحيات ويرى الشقاء فى الاخلاق

وما تفرضه من قيود تمنع الانطلاقات نحو الغرائز البهيمية التى تنفر منها السوائم والعجماوات ، حتى غدا كل ما فى الحياة فى غير محله ومكانه الصحيح ، أعود فأقول أنه مع هذا الابداع المادى الذى سخرته تلك المدنيات بعناصرها البشرية من شياطين الانس ، تمتعن به كرامة الانسان ، وتفتك به بالمثل العليا ، ويعود الانسان مع كل هذا الابداع المادى الى حياة الغاية ولكن أصبحت معها تلك المدنيات كجسم ضخم متورم يملأ العين مهابة وروء ، ولكنه يشكو فى قلبه الآما وأوجاعا ، وفى صحته انحرافا واضطرابا . وهكذا انتكست الإنسانية ، وحلّقثها البهيمية . فإذا كان الامر كذلك فإن الاسلام مع التسليم بعدم امكانه فى الزمن القصير ملاحقه تلك المدنيات فى نجاسها المادى فانه يستطيع أن يقدم للبشرية المعنوية وهى لا تترى ، القيم الروحية والاخلاقية العالية فتعذب من ديانة البشرية المادية وتردها عن الاسترسال فى الاندفاع وراء الغرائز الحيوانية ايا كانت اشكالها والوانها ، وتشعرها بمعانى الإنسانية التى يجب أن تسود العلاقات بين البشر ، وتتخلّى بها عن طبائع القهر والاستبداد التى أصبحت السمة البارزة والعلاقة المميزة فى التعامل بين الامم والشعوب وفى العلاقات بين القوى المتصارعة على مستوى الافراد وعلى مستوى الطبقات وعلى مستوى الحكومات وعلى مستوى الانظمة المتصارعة والمتطاحنة فإذا استطاع المسلمون تقديم وعرض تلك القيم الاخلاقية والروحية على الامم والشعوب على أن يعرفوا طبيعة دورهم وحقيقة وظيفتهم وصلب غايتهم ونقطة البدء فى الرحلة الطويلة على أن يبدأوا بانفسهم أولا لتحقيق القوة فيهم وقوة الجنب لاسلامهم فانه مما لا شك فيه أن عملية البعث هذه فى المجتمعات الاسلامية ابتداء سيتلوها خطوات أخرى على الطريق الى الله ، تعيد استنقاذ البشرية من رحلتها السريعة الى حيث الهلاك والدمار والفناء .



مواقيت الصلاة

الأيام		١٣٩٧ هـ	١٩٧٧ م	الفجر		الشروق		الظهر		العصر		المغرب		العشاء	
س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق
السبت	١٢	١٢	١٢	٤٧	٤٧	١٧	١٧	٣٩	١١	٤٠	٢	١	٥	٢٢	٦
الأحد	٢	١٣	١٣	٤٨	٤٨	١٨	١٨	٣٩	١١	٤٠	٢	٠٠	٥	٢١	٦
الاثنين	٣	١٤	١٤	٤٩	٤٩	١٩	١٩	٣٩	١١	٣٩	٢	٠٠	٥	٢١	٦
الثلاثاء	٤	١٥	١٥	٥٠	٥٠	٢٠	٢٠	٤٠	١١	٣٩	٢	٠٠	٥	٢٠	٦
الأربعاء	٥	١٦	١٦	٥٠	٥٠	٢١	٢١	٤٠	١١	٣٨	٢	٠٠	٥	٢٠	٦
الخميس	٦	١٧	١٧	٥١	٥١	٢١	٢١	٤٠	١١	٣٨	٢	٠٠	٥	١٩	٦
الجمعة	٧	١٨	١٨	٥١	٥١	٢٢	٢٢	٤٠	١١	٣٨	٢	٠٠	٥	١٩	٦
السبت	٨	١٩	١٩	٥٢	٥٢	٢٣	٢٣	٤٠	١١	٣٨	٢	٠٠	٥	١٨	٦
الأحد	٩	٢٠	٢٠	٥٣	٥٣	٢٤	٢٤	٤٠	١١	٣٧	٢	٠٠	٥	١٨	٦
الاثنين	١٠	٢١	٢١	٥٤	٥٤	٢٥	٢٥	٤١	١١	٣٧	٢	٠٠	٥	١٨	٦
الثلاثاء	١١	٢٢	٢٢	٥٥	٥٥	٢٦	٢٦	٤١	١١	٣٧	٢	٠٠	٥	١٨	٦
الأربعاء	١٢	٢٣	٢٣	٥٦	٥٦	٢٧	٢٧	٤١	١١	٣٧	٢	٠٠	٥	١٧	٦
الخميس	١٣	٢٤	٢٤	٥٦	٥٦	٢٧	٢٧	٤١	١١	٣٦	٢	٠٠	٥	١٧	٦
الجمعة	١٤	٢٥	٢٥	٥٧	٥٧	٢٨	٢٨	٤٢	١١	٣٦	٢	٠٠	٥	١٧	٦
السبت	١٥	٢٦	٢٦	٥٧	٥٧	٢٩	٢٩	٤٣	١١	٣٦	٢	٠٠	٥	١٧	٦
الأحد	١٦	٢٧	٢٧	٥٨	٥٨	٣٠	٣٠	٤٣	١١	٣٦	٢	٠٠	٥	١٧	٦
الاثنين	١٧	٢٨	٢٨	٥٨	٥٨	٣١	٣١	٤٣	١١	٣٦	٢	٠٠	٥	١٧	٦
الثلاثاء	١٨	٢٩	٢٩	٥٩	٥٩	٣١	٣١	٤٣	١١	٣٦	٢	٠٠	٥	١٧	٦
الأربعاء	١٩	٣٠	٣٠	٥٠	٥٠	٣٢	٣٢	٤٤	١١	٣٦	٢	٠٠	٥	١٧	٦
الخميس	٢٠	٣٠	٣٠	٥٠	٥٠	٣٢	٣٢	٤٤	١١	٣٦	٢	٠٠	٥	١٧	٦
الجمعة	٢١	٣	٣	٥٠	٥٠	٣٢	٣٢	٤٤	١١	٣٦	٢	٠٠	٥	١٧	٦
السبت	٢٢	٣	٣	٥٠	٥٠	٣٢	٣٢	٤٤	١١	٣٦	٢	٠٠	٥	١٧	٦
الأحد	٢٣	٤	٤	٥٠	٥٠	٣٢	٣٢	٤٤	١١	٣٦	٢	٠٠	٥	١٧	٦
الاثنين	٢٤	٥	٥	٥٠	٥٠	٣٢	٣٢	٤٤	١١	٣٦	٢	٠٠	٥	١٧	٦
الثلاثاء	٢٥	٦	٦	٥٠	٥٠	٣٢	٣٢	٤٤	١١	٣٦	٢	٠٠	٥	١٧	٦
الأربعاء	٢٦	٧	٧	٥٠	٥٠	٣٢	٣٢	٤٤	١١	٣٦	٢	٠٠	٥	١٧	٦
الخميس	٢٧	٨	٨	٥٠	٥٠	٣٢	٣٢	٤٤	١١	٣٦	٢	٠٠	٥	١٧	٦
الجمعة	٢٨	٩	٩	٥٠	٥٠	٣٢	٣٢	٤٤	١١	٣٦	٢	٠٠	٥	١٧	٦
السبت	٢٩	١٠	١٠	٥٠	٥٠	٣٢	٣٢	٤٤	١١	٣٦	٢	٠٠	٥	١٨	٦
الأحد	٣٠	١١	١١	٥٠	٥٠	٣٢	٣٢	٤٤	١١	٣٦	٢	٠٠	٥	١٩	٦



من ملامح وأخلاق مجتمع العلم والإيمان

شاء الله تبارك وتعالى لنا أن نتحدث حديثاً طويلاً متتابع
الحلقات موصول الأجزاء ، عن بعض ملامح وأخلاق مجتمع
العلم والإيمان ، أملاً ورجاء : في أن تكون هذه الملامح والأخلاق
عند التذكير بها وحسن عرضها : أن تكون لمجتمعنا
المعاصرة نوراً على الطريق ، وأملاً تحاول أن نقبض به ، وأن
تجد فيه المثل الذي تحاول أن تجتنبه ، وأن تسير على دبره ،
وكان من أوفر هذه الملامح والأخلاق حظاً من هذا الحديث
(خلق الوفاء) بكل ما يتسع له من معنى ، وبكل ما يعنيه من
كلمة ، وما يبرز تحته من أقسام وأنواع وأنماط ، وكان أروع
هذه الأقسام والأنماط على الإطلاق : وفاء أفراد مجتمع
الإيمان على عهد الرسول ﷺ وسلف هذه الأمة الصالح للحق
الذي به آمنوا ، وعليه علقوا مستقبلهم وبه ربطوا مصائرهم ،
ومن أجله استعذبوا التضحية والاستشهاد في سبيله ، ثم وفاء
أفراد هذا المجتمع المبارك للقيادة التي كانت تقود مجتمعهم ،
وتسد خطاهم على الطريق إلى ربهم ، وتبارك مسعاهم فيه ،
وذلك ما سوف نجعل هذا الجزء من الحديث وقفاً عليه اليوم :

فضيلة الشيخ مصطفى عبد الحليم الجبوري

الراشد إنما كان يصدر عن محبة خالصة للحاكم الذي
وجدوا فيه رحمة الإيمان ولين الإسلام ، وإحسان الرعاية
والقيام بحقوق الأمانة ، ولذلك فقد كان الوفاء للدولة
وللحاكم القائم على أمرها خالصاً من الزيف مبرأ من
العوج والرياء ، ذلك لأن الحاكم كان يحتل مكان القلب
والروح من الجماعة الإسلامية ، فأسلمت له الجماهير
المؤمنة القياد يسوسها في أمور دينها ودنياها ، وأنصرف
المسلمون إلى البناء والتعمير والفتوحات وهم آمنون
مطمئنون على دمائهم ، وأعراضهم ، وأموالهم ، فأحس
الإنسان المؤمن في ظلال هذه المجتمعات المؤمنة الراشدة
بأهميته ، وظهر العمل المبدع الخلاق الذي تباهى به هذه
المجتمعات الموصولة بالله أمم الأرض وأخذ هذا الإنسان
المؤمن المحظوظ في ظلال مجتمع الإيمان ينمو ويتربع في
جو من الحرية هي ثمرة هذا الإيمان نفسه : يسهر عليها
ويدافع عنها رأى عام يقظ من شعوب مؤمنة موصولة بالله

غير أننا بادئ ذي بدء نود أن نلفت نظر القارئ الكريم
إلى هذه الحقيقة : وهي أن هذا الوفاء النادر والعجيب من
هذه الجماهير المؤمنة ليس هو أكثر ما يستثير العجب
ويستدعي الدهشة ، ولكن الذي هو أكثر استثارة للعجب
والدهشة ، وأعظم منه روعة : هو هذا الذكاء الفطري
العظيم ، وذلك الإدراك العميق الخارق ، بالإضافة إلى هذا
الوعى الكامل لأبعاد حقيقة استلهمها الناس وتعلموها من
وحى الواقع التاريخي ، وعبرة الأيام ، وحكمة الأزمان :
وهي أنهم بوفائهم لقيادتهم هذا الوفاء الخالص الذي لم
يشهد الناس له مثيلاً أو يروا له نظيراً إنما يدركون مدى
أهمية القائم على الحكم في صنع حياة الشعوب : في قوتها
من بعد ضعف ، وفي منعها من بعد ضيم ، وفي سيادتها من
بعد مذلة ، وفي الصعود بها إلى حيث تشرف على رؤوس
الأمم ، وإلى حيث تتحمل مسؤولية هداية البشر . .
وما من شك في أن السر وراء هذا الفهم الكامل ، والوعى

تعالى محفوفة برحمته ورعايته : تتذكر دائما الرسالة العليا التي شرفها ربها بتحمل أمانتها ، وإبلاغ كلمتها ، ومن حاكم مؤمن بالله قائم على أمره ، يدرك تماما مدى ثقل التبعة ، وجسامة المسؤولية التي يحملها أمام الله وأمام الناس : قد عبر عنها واحد من هذا الرعيل الطيب المبارك من الحكام المباركين فقال لست بخير منكم ولكنني واحد من الناس قد جعله الله تعالى أكثرهم حملا !!

لقد كان أعظم ما تجلى على الوجود من خلق الوفاء للقيادة والحاكم : وفاء أصحاب النبي ﷺ لنبيهم وفاء بلغ أقصى مداه ، وأعظم ما يتصور منه ، وما أبلغ ما قاله أحد مبعوثي قريش إلى النبي ﷺ (لن بعثوه) يصور لهم ما راه من وفاء المسلمين لنبيهم ﷺ يا معشر قريش إنني قد جئت كسرى في ملكه وقصر في ملكه والنجاشي في ملكه وأنى والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه ، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبداً فروا رأيكم (ص ٣٢٨ ج ٢ من سيرة ابن هشام).

لقد تجلى وفاء أهل الإيمان لقيادتهم السياسية والدينية بصورة شامخة لا تتناول إليها البتة الأعناق : إذ كانت حاجة الجماهير المؤمنة إلى تلك القيادة أهم من حاجتهم إلى الطعام والشراب بل لقد كانت طاعتهم لها أوجب من طاعة الأبناء والأمهات ..

ولقد كانت غزوة أحد وحدها مرجع الأمثلة المتلاحقة والنماذج الرفيعة والأنماط الرائعة لهذا الوفاء النادر لقيادة المسلمين الدينية والسياسية ، حيث تجاوز الواقع فيها خواطر الأفكار وسوانح الأحلام ، ومن هذا الواقع نجتزئ بصور من هذا الوفاء كما ورد في السيرة النبوية لابن هشام : وفي غيرها من المصادر : التي عنيت بذكر هذه الملامح الدقيقة لهذا المجتمع المبارك الرشيد منها : أنه لما انكشف المسلمون يوم أحد كسرت رباعية النبي ﷺ وشج في وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه ، ووقع في حفرة من الحفر فأخذ (علي بن أبي طالب) بيد رسول الله ﷺ ورفع طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً ، (وفي طلحة بن عبيد الله) قال الرسول ﷺ من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فليتنظر إلى طلحة بن عبيد الله ..

ومص (مالك بن سنان) الدم عن وجه رسول الله ﷺ وضم به عن أن يمج به بل ما كان منه إلا أن ازدره حبا وتبركا .. وإخلاصا ووفاء.

وقام رجال من المسلمين فقاتلوا بون رسول الله ﷺ رجلاً ثم رجلاً يقاتلون بونه وترس بون رسول الله ﷺ (أبو لجانة) بنفسه حتى ليقع النبل في ظهره وهو منحني عليه ، حتى كثر فيه النبل ..

وتجلى في سماء معركة أحد هذا الوفاء من امرأة مؤمنة هي أم عمارة نسيبة بنت كعب الأنصارية) ولندعها هي بنفسها تتحدث عما كان منها : قالت : خرجت في أول النهار أنظر الناس ومعى سقاء فيه ماء فانتبهت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والنولة والريح للمسلمين فلما انهزم

المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ فقممت أباشر القتال وأتب عنه بالسيف وأرمي بالقوس حتى خلصت الجراح إلى « يائه .. أما أعظم هذا الحب والوفاء لقد أخذت نسيبة في هذه الساعات العنسية دور الرجل في القتال حياً ووفاء للنبي ﷺ فأخذت تدافع عنه بصديق وإخلاص وتضحية ، كما أخذت تقاتل بونه أشد ما يكون القتال ، وهي لا تبالي ما يصيبها ، وكان النبي ﷺ في موقفه هذا ينظر أمامه فيراها ، وينظر إلى يمينه فيراها وينظر إلى شماله فيراها .. فحيثما التفت رآها وفي يدها سيف تضرب به الكفار أو سهم ترميهم به .. وضاق بها الكفار فأتجها إليها .. فأصابتها ضربة سيف في كتفها سقطت من شدتها على الأرض ومهما الزكي ينزف .. ورأى الرسول ﷺ الدماء تسيل منها فنأى ابنها قائلاً : « يابن أم عمارة : أمك ، أمك .. أعصب جرحها .. بارك الله عليكم من أهل بيت ، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان » ..

وما أن أنقش غبار المعركة وبدأ المسلمون يتفقدون القتلى والجرحى ، إلا ورأوا (نسيبة) ملقاة على الأرض وبمها ينزف وفيها رفق من الحياة .. هتف بها هاتف من المسلمين : (نسيبة) كيف أنت ؟ وما أصابك ؟ ..

وهنا ورغم ما كانت فيه من إعياء : بسبب الإحراج يتجلى حبها ، وفؤاها للقيادة التي أسلمت لها مصيرها في أولها وفي آخرها ، لقد قالت نسيبة : حدثوني أولاً عن محمد ﷺ : هل رد الله عنه كيد العدو ؟

قالوا : رد الله عنه كيد العدو ونجا ..

قالت : ساعدوني ، اذهب إليه لأراه بعيني ..

قالوا : هلا سألنا عن زوجك زيد ، وعن وليك : حبيب ، وعيد الله ؟ ..

قالت في إصرار : لاتحدثوني عن غير محمد .. وهكذا تضرب (نسيبة) المثل في الوفاء والحب .. ولقد برئ جرح نسيبة بنت كعب الأنصارية ، ولكن أثره ظل غائراً في كتفها طول حياتها شاهداً وبرهاناً عظيماً على هذا الوفاء : تكشف عنه لكل من تسالها من نساء المسلمين عما فعلت يوم أحد . (ينظر شخصيات خالدة : للأستاذ عبد المقصود حبيب : العدد [١٤٥] من سلسلة دراسات في الإسلام)

وتجلى الوفاء للقيادة الدينية والسياسية التي أسلمت الجماهير المؤمنة لها قيادتها وربطت بها مصائرها ومستقبلها كأعظم ما يكون في موقف باهر ورائع لامرأة أخرى من بني دينار تدعى أم خلاد : أصيب زوجها ، وأخوها وأبوها : مع رسول الله ﷺ - بأحد - فلما نغوا إليها : قالت : فما فعل رسول الله ﷺ قالوا خيراً يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين : قالت : أرونيه حتى أنظر إليه ؟ فأشير لها إليه حتى إذ رآته قالت : كل مصيبة بعدك جلل . أي : هينة وصغيرة .

وثمة مثل آخر هو أشد روعة : ذلك قد كان عند ما فرغ الناس لقتالهم طلب النبي ﷺ أن يقف على ما فعل الله بسعد بن الربيع فقام رجل من الأنصار ينظر : ما فعل الله بسعد فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رفق ، وقال

الانصارى لسعد : ان رسول الله ﷺ أمرنى أن أنظر في الأحياء أنت أم في الأموات ؟ قال : أنا في الأموات فأبلغ رسول الله ﷺ عن السلام ، وقل له : ان سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته ، وأبلغ قومك عنى السلام ، وقل لهم : ان سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص الى نبيكم ﷺ ومنكم عين تطرف .. وهكذا يعطى : سعد بن الربيع هذا المثل الرائع في الحب والوفاء - ولم تنجل تلك الروائع عن قلوب المسلمين طيلة حيا الرسول ﷺ ، ولم يتراجع أبداً ذلك الوفاء الكامل للإسلام ونبيه وذلك الحب النادر لله ورسوله بل أن ذلك الوفاء والحب قد استمر بتمكن في قلوب المسلمين خاصتهم وعامتهم ، ويمكن للدولة الإسلامية في الأرض تهدي بالحق وبه تعدل .. لا بد أن نورد فيه نماذج أخرى لعلها تكون لمجتمعاتنا المعاصرة قدوة وأسوة .. ونورا يضيء أمامها الطريق ففي يوم حنين : يبلغ الوفاء للنبي ﷺ القمة عندما وزع غنائم حنين في قريش وفي قبائل العرب ، ولم يعط الأنصار منها شيئاً ، وكان من الممكن أن يترك هذا الحرمان في نفوس الأنصار كثيراً من الأسى والألم ، وقد شاركوا في القتال ، وساهموا في المعركة ، ولكنهم وقد صدرت القالة والكلام من بعضهم عادوا فندموا على فعلتهم بعد اجتماعهم برسول الله ﷺ .

والقصة كما يرووها ابن هشام في السيرة .. ان النبي ﷺ لما سمع بما في نفوس الأنصار من شبهة عدم الرضا بما صنع طلب إلى سعد بن عبادة ان يجمعهم وأتاهم النبي ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : يا معشر الأنصار ، ما قاله بلغتنى عنكم ؟ وجدة وجبتوها على في أنفسكم ؟ (والجدة العتاب) ألم أتكم ضاللاً فهداكم الله ، وعالة فاعناكم الله ، وأعداء فالف الله بين قلوبكم . قالوا بلى ، الله ورسوله آمن وأفضل . ثم قال : ألا تجيبونى يا معشر الأنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ورسوله المن والفضل . قال ﷺ أما والله لو شئتم لقلتم ولصدقتكم : أتيتنا مذبذباً فصدقناك ، ومخنولاً فنصرناك ، وطريداً فأويناك ، وعائلاً فأسيناك ، أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تالفت بها قوماً ليسلموا ، ووكلتهم الى إسلامكم الا ترضون يا معشر الأنصار ان يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله الى رجالكم ؟ فوالذي

نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار .. فبكى القوم حتى اخضلوا لحاهم - بلوها بدموعهم - وقالوا رضينا برسول الله ﷺ قسماً وحظاً ..

ومن قصص الوفاء للقيادة السياسية والدينية والتي تجسدت في شخص النبي ﷺ ما كان من أبى خيثمة في غزوة تبوك .. لقد رجع إلى أهله في يوم حار بعد أن سار مع رسول الله ﷺ أياماً فوجد امرأته كلتيهما قد اعتدتا له الطعام الشهى والماء البارد الروى ، ووجد مسكنه مبلاً رطباً ، وسط بستانه الذى أخذ بسره الأحمر ينضج ويسود ، فاستيقظ ضمير الرجل ، وقال : رسول الله في الشمس والريح والحر ، وأبو خيثمة في ظل بارد ؟ وطعام مهياً وامرأة حسناء ، وفي ماله مقيم ؟ والله ما هذا بالنصف .. ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكم حتى الحق برسول الله ، فهبت لى زادا ، ففعلنا ، ثم قدم ناضجة فارتجله .

وأسرع الرجل المؤمن يطلب رسول الله ، حتى أدركه حين نزل تبوك حياً له ، وتعلقاً به ، ووفاء له .

وبلغ الوفاء بأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب حدا بعيدا حين يروى ابن هشام في سيرته هذه القصة التي تستحق أن يقف الناس عندها طويلاً : فلقد قدم أبو سفيان بن حرب على رسول الله ﷺ بالمدينة للصلح .. بعد إذ توقعت قريش أن رسول الله ﷺ وسلم ليجهز جيشاً لحربها بعد إذ نقضت عهد الحديبية بعدوانها على حلفائه من خزاعة وقد كانت مع المسلمين في حلف واحد .. لقد دخل يومها على ابنته (أم حبيبة بنت أبى سفيان) فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه ، فقال يا بنى ما ادري : أرغبت بى عن هذا الفراش ؟ أم رغبت به عنى ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس ، فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ فقال أبو سفيان وهو في دهشة وعجب : والله يا بنى لقد أصابك بعدى شر .. ولم ير أبو سفيان : انه الوفاء للزوج والقائد : الذى أسلمت له قيادها ، وألقت اليه بكل أمرها وربطت به كل ما يتعلق بأولادها وأفرادها ! ..

إملاء القرآن دار سلم إلى ص ٢٩٣ يصلك الكتيب التفصيلي دون مسؤولية أو ارتباط

الإسم	_____
العنوان	_____
المهنة	_____
تليفون	_____

ما تفتي الأمة الواحدة

الأستاذ محمد حسن عبد العزيز

أعطى الاسلام للأمة مفهوماً بديعاً ، وفكرة غير مسبوقة كما يقول الأستاذ مونتجومري ، فهي لم تنزل الى زمننا هذا ينبوعاً لكل فيض من فيوض الإيمان يدفع بالمسلمين الى الوحدة ، ويحثهم الى التعاون في بوتقة تختفي فيها حواجز الجنس واللغة والعصبيات ، وحدة فريدة تفرد بها حيث اشتملت أمته على أقوام من العرب والفرس والهنود والصينيون والمغول والبربر والسود والبيض على تباعد الأقطار وتفاوت المصالح واختلاف اللغات والثقافات . كل ذلك في اطار القاعدة القرآنية .

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » .

والمسلمون أمة واحدة ولا بد أن يعرف أبناء الأمة الواحدة بعضهم بعضاً ، فلا صلاح لأمة لا يتعارف دانيها وقاصيها ، فالتعارف يولد التآلف وينتج التعاون والتآزر .

ومن خصائص الأمة الواحدة أن تكون ذات دين وأن يكون دينها دين دعوة لأن الأديان المغلقة أو المقفلة المحصورة في بيئة خاصة لشعب معين وثقافة لا تتقبل الغرباء كاليهودية والهندوكية والشفيتية أما دين الدعوة فيسرى الايمان به الى كل الأقطار لا تحدها مواضع جغرافية ولا تمنعها روابط عنصرية لأنها تتجه الى الضمير ، وهو مستعد بفطرته الى الايمان بالتوحيد ولا يتأتى أن ينتشر دين دعوة يعم الناس جميعاً إلا بالاهتداء بامام واحد أو امامة واحدة ، وان يستقيم على قبلة واحدة يتساوى أمامها الصالحون العاملون ، قبلة تمثل الخير والتقوى ، وامام يعلم الناس ان الدين هداية يتقبلها كل من له عقل يعي وضمير يميز بين الخير والشر ، ويفرق بين الصالح والطالح بمعزل عن أية حدود أو فواصل .



والدين الذي يتجه الى الضمير الانساني هو بالضرورة عقيدة انسانية عامة لا يرتبط بفريضة سياسية تملئها سلطة حاكمة ، والله في الاسلام يخضع له الرعايا المحكومين مثلما يخضع له السادة الحاكمين لأنه رب العالمين الذي يتساوى أمامه الناس أجمعين . ولا يتفاضلون إلا بالعلم والعمل كما يقول استاذنا العقاد رحمه الله .

والاسلام من قمة رأسه الى أخمص قدميه يتجه الى الجماعة وإن كانت التكاليف شخصية ذاتية فلا تزر وأزره وزر أخرى ، ومع ذلك فهذا التكليف الشخصي يصب في النهاية في وعاء الجماعة ليشكل اطارا عاما للسلوك الاسلامي والنظام الانساني في كل مجالات الحياة . ولهذا نجد العبادات في الاسلام تؤصل الصفة الجماعية الواجبة بين المؤمنين ، فالصلاة مثلا تحمل معنى الصلة ، والصلة لا تكون الا في جماعة ، وهي في حد ذاتها اجتماع مصغر ومؤتمر اسبوعي يتحول في الحج الى مؤتمر سنوي عام للمسلمين جميعا . ثبت في العصر الحديث فعاليته حيث ظهرت الحاجة الى عقد المزيد من المؤتمرات ببذل الجهد فيها لكي تضم أكبر عدد من الدول ليجاد الحلول لمشاكل لا يمكن حلها بالطريق الفردي . . والعبادات لا تطلب لذاتها ، لأن الله سبحانه وتعالى غنى عنا وعن عبادتنا .

وانما شرعت بهدف اظهار الطاعة الواجبة لأوامر الدين فضلا عن تأثيرها المباشر في تكوين الشخصية المسلمة من الناحيتين المادية والروحية ، فهي تطلب صلاحا واصلاحا للخلق وتربية للنفس وتقوية للارادة . فيسوس الانسان غرائزه ويقهرها ، ويتحكم في شهواته فيقود نفسه ويستعلى بارادته الى حيث يريد ، والى حيث يريد ربه له .

والحج احد العلامات البارزة على طريق جماعية الدعوة الاسلامية ولا نعرف دينامن الأديان قد عرف نظام الحج كما عرفه الاسلام ، خلوها من الشمول والعموم ولارتباطها بالعصبيات وعدم قبول من يسمونه بالغرباء ، وأن عرفوا نظام الحج فلا يعبس أن يكون زيارة لأماكن مقدسة في مواعيد محددة .

فالبراهمة يشدون الرحال الى مدينة بنارس الواقعة على نهر الكنج المقدس وهم جماعة يؤمنون يتناسخ الأرواح ، وحجهم من أجل الاغتسال في الماء المقدس بغرض التطهر من الذنوب والآثام ، فإذا مات الواحد منهم انتقلت روحه الى الجسد الجديد طاهرة نقية لأن الروح عندهم لا تنتقل وهي مذنبه وانما تظل حبيسة ، والموت عندهم انتهاء مرحلة وبدء مرحلة أخرى في جسد جديد .

يقول ول ديورانت في كتابه قصة الحضارة ترجمة د . زكي

جيب محمود (كان ملايين الناس في أيام الرحالة يوان شوانج يستحمون في نهر الكنج كل صباح ، ومنذ ذلك الحين الى يومنا هذا لم تشهد تلك الأمواه شروقا للشمس دون أن تسمع صلوات المستحمين الذين جاءوا سعيا وراء الطهر والخلاص يرفعون أذرعهم نحو السماء المقدسة ويصيحون في نغمة الصابرين « أوم أوم أوم » وأصبحت بنارس هي المدينة المقدسة للهند إذ باتت كعبة ملايين الحجاج يؤمها

الشيوخ من الرجال والعجائز من النساء من كل أرجاء البلاد . . للاستحمام في النهر استعدادا للموت بعد الطهر ، وأن الانسان ليأخذه الخشوع بل يأخذه الفزع حين يتذكر أن امثال هؤلاء الناس قد حجوا الى بنارس على مدى الفى عام وغسلوا انفسهم في مياهها وهم يرتعشون من لدغة البرد في الشتاء وشموا بنفس متقززة لحم الموتى وهو يحتق .

أما بنوا اسرائيل ، فإن حجهم لم يكن بسبب تفرقهم وتشتتهم ، وانما الهدف الاساسى منه تثبيت سلطان الهيكل وسلطان الكهنة ، ويرتبط الحج عندهم بالزراعة ومواسم الحصاد كما يقول استاذنا العقاد رحمه الله ، والذي يطالع الكتاب المقدس يجد في سفر الخروج ١٤/٢٣ - ١٩ (ثلاث مرات تعبر لى في السنة تحفظ عيد الفطير تاكل فطيرا سبعة أيام كما أمرتك في شهر أبيب لأنه فيه خرجت من مصر ولا يظهر أمامى فارغين وعيد الحصاد ايكار غلاته التى تزرع في الحقل وعيد الجمع في نهاية السنة عندما تجمع غلاته من الحقل ثلاث مرات في السنة يظهر جميع نكورك أمام السيد الرب أول ايكار ارضك تحضره الى الرب الهك) ١٨/٢٤ - ٢٣ (تحفظ عيد الفطير سبعة أيام تاكل فطيرا كما أمرتك في وقت شهر أبيب لأنك في شهر أبيب خرجت من مصر ولا يظهر أمامى فارغين وتصنع لنفسك عيد الاسابيع ايكار حصاد الحنطة وعيد الجمع في آخر السنة ثلاث مرات في السنة يظهر جميع نكورك أمام السيد الرب اله اسرائيل . أما في سفر التثنية ١٦/١٦ - ١٧ (ثلاث مرات في السنة يحضر جميع نكورك أمام الرب الهك في المكان الذى يختاره في عيد الفطير وعيد الاسابيع وعيد المظال ولا يحضروا أمام الرب فارغين كل واحد حسبما تعطى يده) هذا الحضور أو الظهور أمام الله ثلاث مرات في السنة هو حج الاسرائيليين ، ويبدو من قراءة النصوص أنه قاصر على النكور فقط دون الأناث .

أما المسيحية - فلا تعرف ما يسمى بالحج . وفي الاسلام أعيد للبيت العتيق مكانته في نفوس الناس منذ زمن سحيق باعتباره بيتا مقدسا عند العرب مع أنهم عرفوا بيوتا كثيرا تحاكى بيت ابراهيم لكنهم مع تفرق الأديان والأزباب كانوا يحجون اليه مع حجهم لبيوت معبوداتهم .

والبيت المعظم ارتبط بمولد النبى الخاتم ﷺ في حادثة هزت أرجاء الجزيرة واستحقت لجلالها أن تكون مبدأ للتاريخ عندهم فترة من الزمان وعيدا يفاخرون به أقرانهم . ففي عام مولده عليه الصلاة والسلام جاء ابرهة على رأس جيش جرار يتقدمه فيل ضخم قاصدا كعبة العرب عازما على هدمها ، وقد غاظه أن تفشل كل محاولات صرفهم عن كعبتهم وتحويلهم الى غيرها ، مع أنه ابتنى بصنعاء كنيسة القليس أنفق على بنائها وتزيينها مبالغ طائلة لكن الناس ظلوا على كعبة جدهم ابراهيم لا يتحولون عنها ولا يريدون بدिला وكان للبيت رب يحميه . وينوذ عنه أصحاب الكيد ، ويقص علينا القرآن الكريم القصة في قوله تعالى (ألم تر

[البقية ص ١٦٠]

الاسلام

والارادة

المضاربة

«... إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم...»

(الرعد)

في عصر التقدم العلمي والتكنولوجي الذي يعيشه الناس في عالمنا المعاصر، يحلو للبعض أن يعزو هذا التقدم إلى (التحرر) من الدين، والثورة على الأفكار والمعتقدات الدينية.

وأولئك الذين يفكرون هذا التفكير يبنون وجهة نظرهم على ما رأوه من تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، حيث كان العداء شديداً بين رجال الدين ورجال العلم، وقد وصل هذا العداء حد (الحرب) التي أعلنت على بعض العلماء، من أمثال كوبر نيكس وجاليليو، ممن وصل بهم العلم إلى حد اكتشاف نظريات جديدة، أثبتت الأيام صحتها، ولكنها لم يكن لها سند من عقيدة، فكان هذا الكشف في حد ذاته - لذلك - خروجاً على العقيدة، ودليلاً على الكفر، يستحق عليه القائل به الموت.

ولم يكن الخطأ هنا خطأ رجال الدين وحدهم، بل كان للعلماء نصيبهم من هذا الخطأ، فلقد رأوا رجال الدين (يتعصبون) للدين ومعتقداته، وينكرون العلم ونظرياته، فتعصبواهم للعلم، وتنكروا للدين، فوقعوا - وهم لا يعلمون - في نفس الخطأ الذي وقع فيه رجال الدين.

الركتور عبد القتيبي عبود

ويطهرها من أدانها، ومن ثم لم تقدم الطقوس، ولم تدفع عنهم - كما كانت في عهود الاسلام الأولى - كيد كائد، ولا مؤامرات متآمر.

والحضارات العشرية التي شهدتها الانسان، منذ أقدم العصور وحتى اليوم، لم تكن أبداً تلك المنجزات أو المخترعات المادية، التي نراها في حضارة القرن العشرين الراهنة، تبهر العقول والألباب، ببقائها وإحكامها، وبسرعة تطورها وتغيرها، وإنما تلك المنجزات المادية هي ثمرة تلك الحضارة فقط، أما حقيقة الحضارة فهي أعمق من ذلك بكثير.

إن الحضارة هي (الرغبة) في التطور والتغيير، ورفض الأمر الواقع، و (الأصرار) على أن يكون (الإنسان) - الذي كرمه ربه - سيد الأحداث، لا أن يكون مجرد (شيء) تسيره تلك الأحداث. وتلك الرغبة في

ومنذ ذلك اليوم، والصراع قائم بين رجال الدين ورجال العلم في أوروبا، ونتيجة هذا الصراع أن الدين لم يعد قادراً على أن (يحل) مشكلات المجتمع الأوربي، التي تتعقد بتعقد حضارته، التي تزداد تعقيداً يوماً بعد يوم، نتيجة لسرعة التطور العلمي والتكنولوجي في عالمنا المعاصر، والتي تبلغ ذروتها في بلاد الغرب. وإذا كان للعداء بين الدين والعلم في أوروبا ما يبرره، حيث لم تستطع أوروبا أن تنطلق في مجال الحضارة والتقدم إلا بعد ثورة الإصلاح الديني بها سنة ١٥١٥، فإن تاريخ الشرق الاسلامي يؤكد عكس ذلك تماماً، فالشرق الاسلامي لم يتقدم وينهض إلا في ظل الاسلام، وهو لم يتقهقر ويتخلف حضارياً إلا عندما ضعف الوازع الديني عند أبنائه، فصاروا يأخذون بشكليات الدين الاسلامي دون لبابه، وصار الاسلام في نظرهم مجموعة من (الطقوس) الشكلية، التي لا تستطيع أن تصل إلى القلب فتشع فيه نورا، يبدد ظلمات النفس،

التغيير، وذلك الاصرار على أن يكون (الانسان) سيد الأحداث، لا بد أن تدفع بالانسان إلى أن يتعب ويكد، ويقرأ ويطلع، ويتعاون مع غيره، حتى يحقق أملة، ويصل إلى هدفه.

ولم يوجد دين من الأديان السماوية جعل تلك الرغبة في التغيير، وذلك الاصرار على أن يكون الانسان سيد الأحداث، جزءاً لا يتجزأ من العقيدة، كما فعل الاسلام، ومن ثم كانت إمكانيات التقدم الحضارى في ظله كثيرة، فقد ظلت الحضارة الانسانية ستة قرون كاملة، من القرن السادس الميلادى (الأول الهجرى)، وحتى القرن الثانى عشر الميلادى (السادس الهجرى)، لا تجد لها بلاذاً، ولا يجد العلماء المجددون والمخترعون لأنفسهم أمناً، إلا في ظله.

وفي الوقت الذى كانت أوروبا تحرق فيه من يقول بكروية الأرض مثلاً، كان الخليفة المأمون العباسى مثلاً يستأجر من يقيس له محيط الكرة الأرضية، وكان - هو وغيره من الخلفاء - يفتحون قصورهم ومجالس علمهم وقلوبهم لكل فكر جديد، حتى ولو كان يخالف العقيدة الاسلامية ذاتها، وكان علماء الدين - في هذه المجالس - يتصنون لمثل هذه الآراء ولأصحابها، فيردون الحجة بالحجة، والرأى بالرأى، وتكون النتيجة أن تقوى العقيدة في نفوس المسلمين، من حيث أريد لها أن تخفت وتضعف:

«... كذلك يضرب الله الحق والباطل، فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، كذلك يضرب الله الأمثال» (الرعد).

لقد نعى الاسلام منذ بداية الدعوة على أولئك الذين يتشبثون بالقديم مجرد أنه قديم، توارثوه عن الآباء والأجداد، وأمر بالتفكير والتدبر، غريزة لهذا القديم مما علق به من شوائب، ومما لم يعد يناسب (العصر)، أو يتفق مع العقل والمنطق:

«وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا: ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم، وقالوا: ما هذا إلا إفك مفترى، وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم: إن هذا إلا سحر مبين» (سبأ)

وهو يصف هؤلاء الذين يلغون عقولهم على هذا النحو، باسم العرف والتقاليد، بأنهم صم وبكم وعمى، لأن ما يسمعون وما يبصرونه لا يفيدهم كادميين، فلا يدفعهم إلى تفكير أو تأمل فيما - يسمعون أو يبصرون:

«وإذا قيل لهم: اتبعوا ما أنزل الله، قالوا: بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً، صم بكم عمى فهم لا يعقلون»

وفي الوقت ذاته يأمر الاسلام أتباعه والمؤمنين به وبمبادئه بأن يتفكروا ويتدبروا، فيما حولهم من أرض وسما وخلق

كثير، ليكون إيمانهم عن (إقتناع) ويقين، لا مجرد تقليد أعمى لآخرين، مهما كان هؤلاء الآخرون:

«إن في خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، آيات لأولى الألباب. الذين ينكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، ويتفكرون في خلق السموات والأرض: ربنا ما خلقت هذا باطلاً، سبحانه، ففنا عذاب النار» (آل عمران).

«هو الذى أنزل من السماء ماء، لكم منه شراب، ومنه شجر فيه تسيمون. ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون. وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون...» (النحل).

ومتلماً يأمر الاسلام أتباعه والمؤمنين به بأن يتفكروا فيما حولهم ويتأملوه، يأمرهم بأن يتأملوا في عالم آخر غير بعيد عنهم، وهو عالم النفس الانسانية الغريب المعقد، الذى تبدو فيه - بكل ما به من أجهزة أحكم صنعها الجبار المتعال سبحانه - معجزة المعجزات حقاً:

«وفي الأرض آيات للموقنين. وفي أنفسكم، أفلا تبصرون؟»

وهو أمر يأتى - كما يبدو من سياق الآيتين السابقتين - غير مباشر، في كلمات محدودة مختصرات، ولكنها بلاغياً أقوى من الأمر المباشر، بذلك الاستفهام الانكارى في (أفلا تبصرون؟)، الذى ينكر (عقلانية) الانسان إذا هو لم يتدبر في النفس وخارجها معجزات الله التى لا يدركها حصر، ويعتبر - بالتالى - التفكير والتدبر هما المخلجان الوحيدين لكل إيمان صحيح.

والاسلام حين يدعو إلى التفكير والتدبر، ويأمر بهما، وينهى عن التقليد الأعمى للآخرين، ويحذر من نتائجها، إنما (يزرع) في نفوس أتباعه، (الرغبة) الأكيدة في التطور والتغيير، ويجعل هذه الرغبة جزءاً لا يتجزأ من العقيدة الاسلامية، لا ينحرف عنه مؤمن بالاسلام، صحيح الايمان.

والرغبة الأكيدة في التطور والتغيير، تستدعى - ليكون التطور والتغيير إلى أحسن - علماً ومعرفة، وبحثاً (علمياً) صادقاً، يتعاون فيه كل القادرين عليه، في كل مجال من مجالات المعرفة، التى يحتاج إليها المجتمع في تطوره. وقد كان القرآن الكريم بليغاً بليغاً حين عبر عن هذه الحاجة إلى العلم والمعرفة والبحث العلمى الحقيقى، في أولى آيات القرآن التى تنزلت على قلب الرسول ﷺ، معلنة بدء الوحي وبدء الرسالة السمحاء - خاتم رسالات السماء:

«اقرأ باسم ربك الذى خلق. خلق الانسان من علق. اقرأ وربك الاكرم. الذى علم بالقلم. علم الانسان ما لم يعلم» (العلق).

وكانما أرادت حكمة الله أن تجعل (القراءة) هى عنوان الاسلام ، وشعار الأمة المسلمة . والقراءة كلمة تعنى أكبر من ذلك المعنى المحدود الضيق ، الذى يتبادر إلى ذهن عند سماعها . إنها تعنى العلم والمعرفة ، فالقراءة هى بابهما الوحيد ، وهى تعنى (طلب العلم من المهد إلى اللحد) ، على حد تعبير الرسول الكريم ، وهى تعنى الرحلة والسياسة ، كما تعنى الاتصالات المستمرة مع الآخرين من العلماء ، فى داخل الوطن وخارجه . و (لو فى الصين) ، على حد تعبير الرسول الكريم . فالقراءة قراءة فى كتاب ، وقراءة فى النفس ، تبد ظلماتها ، وترفع من شأنها ، وتعلو من قدرها ، حتى تكون قادرة على حمل الرسالة التى عرضها الله سبحانه على السموات والأرض ، فأشفقن منها ، وحملها الإنسان :

« إننا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها وحملها الإنسان ، إنه كان ظلوما جهولا » (الأحزاب) .

وكل ذلك يتطلب جهدا وعرقا ومشقة ، ولكنها مقابل متواضع لذلك التكريم الذى كرم به الله سبحانه الإنسان يوم كرمه واستخلفه وحمله الأمانة ، ومقابل أكثر تواضعا لتلك الجنة ، التى عرضها السموات والأرض ، والتى أعدت للمتقين .

هذا هو موقف الاسلام - كما أفهمه - من الدنيا ، موقف كله إيجابية ، فمن خلالها يسلك المسلم سبيله إلى الآخرة ، وهذا هو موقفه - كما أفهمه - من الحضارة ، موقف كله قابلية ، ففى ظله تجد الحضارة أرضها الخصبة ، لأن الحضارة فيه ليست مجرد وسيلة لمزيد من الطعام أو الشراب أو المسكن الأفضل ، أو الحياة الأكثر راحة وأمنا ، وإنما هى - بجانب ذلك - سبيل الإنسان ليكون - كما أراده الاسلام - سيد الأحداث ، لا مجرد شئ تسيره الأحداث ، وتتقاذفه أمواجه . وإذا كان هذا هو موقف الاسلام من الدنيا ومن الحضارة ، فهل هذا هو موقف المسلمين منها ، كما يدل على ذلك واقعهم اليوم ؟

تلك هى القضية الخطيرة التى يجب أن تكون شغل المسلمين اليوم - أفرادا وجماعات ، فكل مسلم مسئول أمام ربه يوم القيامة عما قدمه لهذه الأمة الاسلامية ، وعما فرط فيه من حقوقها ، حتى تكون كما أرادها الله سبحانه : أمة وسطا ، وخير أمة أخرجت للناس :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تاملون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ، ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم ، منهم المؤمنون ، وأكثرهم الفاسقون » (آل عمران) .

« بقية مقال ملتقى الأمة الواحدة »

احياء لذكرى البيت العظيم وذكروا أبى الأنبياء عليه السلام .

وفى وصية جامعة من فوق عرفات حدد محمد عليه الصلاة والسلام معالم الإنسانية كما أرادها الله الى أن تقوم الساعة ويقام الميزان .

وهكذا تميز حج الاسلام بين انواع الحج الأخرى . بأنه واف بالشريعة العامة المفروضة بحكم الدين لأن فيها مقاصد التوبة والندم وانفاق المال ونبذ الهدى والتطهر من الذنوب والآثام ، فلا عجب أن يعود الحاج كما ولدته أمه .

وهكذا استمر الحج الى البيت مع ان الانسان يتجه اليه خمس مرات كل يوم ومع أنه يعلم أنه أينما كان فثم وجه الله ولكن الحج فريضة جامعة تجمعت فيها حكمة الفرائض كلها وانفرد بذلك الملتقى الهائل وكأنه يوم الحشر . يعود منه المرء وقد تطهر من كل الذنوب والآثام كيوم ولدته أمه .

كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم فى تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول) صدق الله العظيم وهكذا نحر الله كيد الكائدين وأعز بيته ولعل فى ذلك علامة من علامات ولادة النبى الخاتم الذى سيعيد للبيت كرامته وهيبته ويعيد للدين صراطه المستقيم ، والمتأمل للآية الكريمة يجد الخطاب للنبى عليه الصلاة والسلام ، ألم تر وكأنه قد رأى وشاهد .

ومن أجل أن يبقى نكره فى الاسلام حيا فى القلوب ويظل مركز المجد تلالا منه نور الحق وهاجا ساطعا أبد الأبد . فقد تطهر البيت وتطهرت أرض المبعث وبلاد العرب من رجس الوثنية على يد اليتيم الأمل وسقطت الأصنام خاسئة تتوارى من سوء المنقلب كما سقطت معها أقنعة المنافقين ودخل الناس افواجا فى دين الله ولم يبق بعد من رسالة المصطفى ، الا أن يعلم جماعة المؤمنين الركن الأخير من اركان الاسلام الذى هو ملتقى الأمة الواحدة خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

لأعنايب الإله

من رحمة الله بعباده أن كرامة الأديان تهدى الإنسان إلى الغاية من وجوده وتكشف له عن حقيقته ومكانته في هذه الحياة الدنيا ثم تحدد له مكانه وتبلور له رسالته ، فلا يحتويه فراغ ولا تستبد به حيرة ولا يعرّيه فراغ من داخل نفسه أو من الخارج المتربص به والزاحف عليه . يؤكد ذلك ، أن الذين هجروا الآداب الدينية وجردوا حياتهم من جلالها وجمالها - نراهم الآن رغم ما يدعون من علم وما يمارسون من حرية وما يرجون من فكر - يفتقرون نوّماً إلى وسيلة شريفة يعرفون بها شأنهم في هذه الحياة أو يتعرفون بها على أسرار الوجود .

الأستاذ على عبدالهادي

لا جدوى منه فيما نعرض له الآن من دفاع عن الجوهر والحقيقة ومن كشف للصدأ والزيف . إنما جسيبنا وحسب الإنسانية كلها أننا نعيش الآن عصرًا نرى فيه أفضل وأكرم ما في الإنسان ونبصر فيه أيضًا أحط وأبنا ما في الإنسان . ثم إن هذا العصر الأهوج يكشف لنا عن وجهين متناقضين لهذا الإنسان « العجيب » : أولهما في سمت السماء والثاني في قاع السعير . الأول في السميت حيث شرف الملائكة والثاني في القاع حيث خسة الشيطان . !

فالصورة المثلى للإنسان كما وردت في القرآن الشريف تقدر :

- لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم .
- خلق الإنسان علمه البيان .
- وعلم آدم الأسماء كلها .
- بينما الصورة الدنيا لهذا الإنسان « العجيب » يقرها القرآن الكريم على النحو التالي :
- إن الإنسان لربه لكنود .
- إن الإنسان لكفور مبين .
- إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى .
- إن الإنسان خلق هلوعاً ، إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً .
- أيجسب أن لن يقدر عليه أحد ؟ !
- أيجسب أن لم يره أحد ؟ !
- أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً ، وأنكم إلينا لا ترجعون ؟ !

ومن إعجاز الإيمان الديني أنه يزاوج بين الروح المثالي والفكر العملي ، على غير المعهود عند بعض المفكرين العاملين من غير المتدينين ، أولدى غير المؤمنين إيمان اليقين - فهؤلاء جميعاً يخطئون الوفاق بين الروح والفكر ، فلا يلتقيان ولا يتقاربان عند هؤلاء الذين يخاصمون الروح ويسلبون من الفكر الصادق إشراقته وأنواره وأشواقه . . . ذلك ، أن القيم الأخلاقية العليا والأريحية المثالية خيال يزاور أحلام المصلحين والرواد لعله يتحقق في قريب عاجل أو خلال قريب أجل . ورغم أن تحقيق تلك القيم العليا وتلك الأريحية لا يزال خيالاً لم يستقر - بعد - فوق الأرض المضطربة ، فهو واقع مقدر وحقيقة لا بد منها لأنهما مقترنان معا بوجود الإله السرمدى الكامل في كل ومضة من ومضات الأزل . فإن الله تبارك وتعالى هو الحقيقة ، ولابد للكون من حقيقة تعصمه من عردة الفكر وشطحات العقل . ولا يجوز إطلاقاً أن يثور أو يثار حول هذه الحقيقة خلاف ، إنما يثور الخلاف حولها أو يثار حين يناقش الإنسان الحائر والضائع ما يهيمه أو يعنيه من وجود الله . بينما الإنسان المؤمن المستنير يناقش في الله ويبحث عنه لأنه يستشف نقصاً في الوجود لا يكمله غير الله ، أو يهزه من الأعماق تقدير للوجود لا يستحقه غير الله .

ونحن لا نريد أن نرتل ونرديد من زامير الثناء على ومضات الجنس البشري بدعوى أنه والملائكة سواء . كما أننا لا نريد أن نستعيد ونكرر بعض اللغات التي قيلت في أبناء هذه الدنيا بدعوى أنهم شياطين تحملهم على الأرض أقدام - أبداً ، لا هذا ولا ذاك نريد . فكلاهما

عجيب - والله - أمن هذا الانسان . وماذا نقول فيه ونقدر عنه غير أنه مخلوقان متناقضان يسكنان جسداً واحداً يحركه عقل لعوب وجهول وجحود ، وتحركه نفس تندفع مع التيار بغير عصمة فيها أو عزمة لها أو همة منها ثم ترتفع إلى أعلى محمولة بقوة الريح في يوم عاصف فلا تلبث هذه النفس أن تهبط إلى الدغام بعد أن يتوقف التيار وتسكت الريح !

وفي رأينا ، أنه إفراط في الرجاء أن نرجو هذا الانسان أن يسترد اعتباره فينتفض بكل قواه على المؤثرات الخارجية التي غررت به وأبعدته عن كتاب الله ويستور السماء وشريعة الرحمن . فحسبنا فيه قول القرآن الشريف عنه :

● بل الانسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى معاذيره .
ليس معنى هذا ، أننا هنا - من فوق منبر الاسلام - ننفض أيدينا من جهادنا المقدس في سبيل الاسلام ثم نستسلم للتيارات الفكرية والأخلاقية العنيفة المدمرة والتي يواجها أهل الكتاب جميعاً الآن - أبداً والله ، فهيئات لتيارات الغزو الفكرى الزاحفة علينا هنا من الشرق أو من الغرب أن يستقر لها قدم في مصر مادام في مصر « أزهر » . ومادام في أم القرى « بيت الله حرام » . ومادام شعاع المؤمنين والموحدين :

● لا غالب إلا الله ..
نعم ، لا غالب إلا الله - فالشرق موطن الانبياء والهداة والرواد أئمة المصلحين . ونحن بهذا نزهو ونتيه . ومنه كذلك ، نستمد الثقة واليقين والايامن بأن الاسلام شرف وتكريم وعصمة لنا ، وثناء . وقوة دفع لكل مؤمن وموحد أن يذخر من همته وأن يقتصد في عزمته من أجل « السلام » جل جلاله ومن أجل الاسلام الذي شرفت به الانسانية ومن أجل بني الاسلام الذي تصدر مراتب الانبياء جميعاً بصيرة وحسن بلائه في الواجب الذي أضير بادائه وكان ممكناً أن ينتفع بتركه . !

نعم ، لا غالب إلا الله - فالزمن ماضٍ في طريقه . والاصلاح يمضي مع الزمن ، هوناً حيناً وعلى سرعة وشدة أحياناً . وإرادتنا نحن المؤمنين في حين ، وعلى غير إرادتنا في أحيان ، لكن الاصلاح ماضٍ مع الزمن ولا خلاف على ذلك ، ولا بد أن يتم وأن يؤتى ثماره مادامت الرحلة مباركة لأنها أولاً وأخراً بالله الذي لا يغلبه شيء . ولن يشكو الأقوياء من الواجب الكبير ، لأنهم بطبعهم وطبيعتهم أقوياء . فذلك شاعر العربية الكبير « أبو الطيب المتنبي » قد سبقنا بأسلوبه الشامخ الجزل حين قال :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها . .
وتصغر في عين العظيم العظائم . !

● ● ●

نعم ، لا غالب إلا الله - فإن الازمات التي تعيشها الآن بعض الامم الاسلامية في عالم ما بعد الحرب ، ليست في

جملتها غير زوبعة في فئجان ، قد بدأت حسمها بالعلاج الصحيح . ولن تكون هذه الازمات باباً لخصوم الاسلام يدخلون منه علينا وعليه يفرغون العقل من قسراته ومقوماته وإيمانه ويملاؤن المعدة بما يحسبونه بسكت صراخها . وكان أرضنا الطاهرة - أرض الانبياء والهداة والأئمة - مسرح يعتليه يجالون يضللون باسم الدين أو باسم السياسة أو بدعوى البر والاحسان !

أبداً ، ليس في الشرق ولا في مصر ، مؤمن واحد يبيع دينه بوجبة طعام . ويقبل تفريغ العقل وغسيل المخ مقابل امتلاء المعدة بفضلات مصيرها الى نفايات !

المؤمنون يعرفون طريقهم ويعرفون مصيرهم ويفرقون بين غاية الايمان وسياسة الاتجار بالايامن . ولا يسقطون الاسلام من حسابهم لأن العقيدة منه واليقين به هما العلاج الذي يزيل عن النفوس حيرتها ، فإن تقاليد العقيدة الاسلامية ليست غير ذخيرة من الشعور الصادق والحس الكريم . . يعمر بها الضمير ويستعين بها ويقوى على مدار الحياة ويستلهم منها كل مكارم الاخلاق . والمسلمون - بحمد الله - أغنياء بهذه الذخيرة الروحية التي تسابير الحياة العصرية ولا تتعارض البتة مع حقائق العلم . . وقد اعتصمنا - بتلك الذخيرة السخية - من مذاهب المايين التي تهدم أسس الآداب العامة باسم العلم !

إن طريقتنا في النظرة الى الغد أن نسال الماضي عن معناه ثم نلتزم هذا المعنى فيما سيكون وفيما سوف يكون - قياساً على ما كان . . وسيراً على هذا النهج ،

هنا نحن اولاء ، نجمع اربعة عشر قرناً - هي عمر الاسلام حتى الآن - في كلمة وليس في صحائف ، إنها الكرامة أو قل إنها النظافة . كرامة العقل فلا ينقله سفيه ولا مخبول ، ونظافة النوع الانساني فلا يمتهنه غريب عنه أو يضل عليه من ستماسة الرق العقلي والنفسى والروحي في القرن العشرين . . على مدى ألف وأربعمائة عام ، ظل الاسلام - كما بدأ - رحلة مباركة الأنوار الى النور .

تسكنه كل عين معصوبة أو مغمضة لتتكشف لها حقيقة الكائب وحقيقة الكون وحقيقة الخالق البديع الذي أحسن كل شيء خلقه وشرع له منهج الأمن النفسى والأمان الجماعى فلا يضل ولا يتوه خلال مساره من الشاطئ الأبنى الى الشاطئ الأقصى . ! هذا هو ماضى الاسلام ، وكذلك هو حاضره ، وكذلك هو غده : دعوة للتوحيد . وشرعية لا يضيق بها زمان ولا مكان . وكتاب لم يتبدل . ورب لا نعبد سواه تمثل جلاله وتمثلت وجدانيته في أسمائه الحسنى ، لأننا قد اهتدينا اليه سبحانه وتعالى باعيننا واذاننا ، ولم نهتد إليه بعيون غيرنا وأذانه وأبواقه . نغاصر الايمان في جملتها ، هي تأثير نفسانى حصين . وعقيدة كريمة راسخة لا تناقض المحسوسات ، لأنها لم ترتكز على بضاعة الايهام والجل الدينى الذى أفرغ وتكاثر في هذه الأيام المعاصرة !

[البقية ص ١٦٤]

عِمامة

إنه ليعام الحزن الذي فقد فيه رسول الله ﷺ عمه «أبا طالب» عضيده وناصره، والذائد عنه، فعجزت بذلك «قريش» أن تنال منه .
وبعد أيام حرم شريكة حياته التي مدت إليه يدها أول ما نزل عليه الوحي مؤمنة به، وقاسمته السراء والضراء، ووقفت وزيرة إلى جانب جهاده، وهي أم أولاده، بل هي أم المؤمنين قاطبة.

لقد أعلن الأعداء بعدهما على الرسول وأصحابه حرباً شعواء، إذا قوهم فيها من ألوان الظلم ما أذاقوهم، ونيقوا صلة الرحم وراءهم ظهرياً، وكشفوا عن وجوه الفجور، واستبدوا بهم، وكتبوا بينهم صحيفة ظالمة تُحرم صلة البيع والشراء، وسائر المعاملات فيما بينهم، والرسول وصيخه صابرون، متمسكون بدينهم الجديد، ومبازلوا كذلك حتى عطف الله عليهم قلوب أعدائهم، فنقضوا ما كان، ورأوا الصحيفة قد ذهبت بكلماتها وحروفها الأرض، إلا ما كان فيها اسم الله، وما كفوا عن إساءتهم بعد، وما أحسنوا .
ولقد ضرب محمد رسول الله ﷺ أروع المثل في حبه للنجاح ودعوته، فلم يثنه الأذى الشديد عنها :-

«ما أنزلنا عليك القرآن لتشقي، إلا تنكرة لمن يخشى» - «إنما أنت مذكر، لست عليهم بمسيطر»

وإننا لنرى «القرآن الكريم» يجعل العظمة الخلقية للداعية سبباً لنجاح الدعوة، واجتماع القوم عليها، والتفاهم حول الداعي العظيم :-

«فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم، واستغفر لهم، وشاورهم في الأمر»

يقول الأستاذ «محمد محيي الدين» : «إن المتنوع لسير الدعوة الإسلامية يرى أن النبي ﷺ قد اتخذ أساليب مختلفة لتوصيل الدعوة إلى أكبر عدد من الناس، فهو يذهب إلى الأسواق، ويقابل الحجاج الوافدين إلى «مكة»، ويستقبل الوفود، ويذهب إلى المناطق المجاورة، وفي كل مرة يشرح، ويقنع، ويناقش، ويستنتج بأسلوبه السيد المنطقي، إلى الأسئلة الكثيرة بضر رحب، يمضي عليه الصلاة والسلام في تلك الليل والنهار، ويستمع الزائرين «القرآن الكريم» تلك المعجزة الخالدة التي أبقاها الله على الأزمان .

في سبيل الدعوة المحمدية

الأستاذ
عبدالمعطي اسماعيل عياد

ذكريات



عشنا الأيام الماضية مع ذكريات النصر القريب .. ونعيش دائماً نتطلع إلى أيام نصر الله المرتقبة .. حيث نعيد الأرض .. ويسعدنا ربنا سبحانه وتعالى بالصلاة في المسجد الأقصى .. وتصبح كلمة الله هي العليا .. و .. أشياء كثيرة من فضل الله ..

ووسط هذه الآمال .. تظهر معالم البطولة .. وصور الرجال .. الذين سبقونا .. فكتبوا معالم التاريخ الإسلامي .. والبطولات الإسلامية .. وكيف أصبحوا أبطالاً .. لأنهم آمنوا بالله ورسوله .. واتبعوا الطريق الحق ..

ثم أنهم بفضل الله وبحكمته لا نعرفها .. صنعوا من حياتهم نماذج يتعرف عليها كل من أتى من بعدهم يسير على نهجهم .. ويحاول أن يكون مثلهم .. وأكثر ..

وأينما تولى وجهك نحو التاريخ في المشرق .. والمغرب .. فسوف تجد أعداداً لا تحصى من هذه النماذج المشرقة والمشرقة ..

فمن الشرق .. بحثنا التاريخ أن مسلمة بن عبد الملك كان قائد الجيش الإسلامي الذي انبطح به فتح القسطنطينية .. ورفع الرايات المحمية عليها ..

وأنه أخذ كل الأسباب لهذا العمل المجيد .. وتحرك برجال منتقين يحبون الموت على الحياة .. ويتمنون لقاء الله بعد أن يفتح عليهم أرض أعداء أشداء لدينه .. اتخذوا من القسطنطينية مركز توجيه وتجمع ..

وتوقف مسلمة وجيشه أمام الحصون المحيطة بالقسطنطينية طويلاً .. وكان يستولي على كل

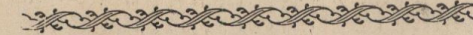
ويقول الدكتور « محمد حسين هيكال » في كتابه « حياة محمد » « وهذه الطريقة العلمية هي اسمى ما وصلت إليه الإنسانية في سبيل تحرير الفكر ، وهما هي ذى مع ذلك طريقة « محمد » ، وأساس دعوته ، وعلى هذا الأساس استطاع الرسول الأمين أن يقنع الذين اتبعوه ، فقد نزهوا من نفوسهم كل عقيدة سابقة ، وبدعوا يفكرون فيما أمامهم .

ويقول : « كان محمد » عظيماً في نفسه ، تحمل المحنة التي أصابته بصبر وجلد ، وتحمل المتاعب والآلام التي أصابته بسبب هذه المحنة بشجاعة كانت مثلاً يحتذى ودرساً يجب أن تعياه الأجيال جيلاً بعد جيل ، وأن يذاكره ويستوعبه ، فقد عرضوا عليه الجاه والمكانة العالية ، وعرضوا عليه الملك والسلطان ، ولكنه أعرض عن ذلك كله ، فلم يكن راغباً في شيء ، أو طالبا عرضاً من أعراض الدنيا كلها « وما عند الله خير وأبقى » .

لقد أرادوا فتنته عن دعوته بهذه الأعراض ، ولكنه أصم أذنيه عن سماع ما يعرضون ، وأغلق عينيه عن رؤيتها : « وإن كانوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك ، لتفترى علينا غيره ، وإذا لا تخذوك خليلاً ، ولو لا أن ثبتناك لقد كنت تركن إليهم شيئاً قليلاً ، إذاً لأنفكنا ضعف الحياة وضعف الممات ، ثم لا تجد لك علينا نصيراً » .

ثم شاء المولى جلّت قدرته ، وسمت عظمته أن يذهب عنه محنته ، وينزل عليه سكينة ، ويستجيب دعوته ، ويحقق أمنيته في زمن قصير آدمش العالم كله .

« اليوم أكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً » .



« بقية مقال لا غالب الا الله »

وبعد :

فلا حاجة بالشرف الإسلامي الى ثورة واردة عليه من الظلام البعيد أو القريب تستهدف القضاء على عقائده الصالحة والتي جاء الإسلام بها نظيفة وخالصة من شوائب الإلحاد والجمود . فإن التجرد من هذه العقائد ليس بخير للعالم الإسلامي من الحفاظ عليها والتبصر فيها ، لأنه لن يستغنى عنها بأية حال وعلى أي نحو وفي أية صورة - ذلك ، لأنه لن يخلقها من جديد أو يخلق بديلاً عنها ولها إذا هو استغنى عنها بآرائه أو على غير آرائه خلال نزوة عارضة وعابرة من نزوات الضلال والغى والجموح واسترخاء الضمير !

إن العقيدة البينية في الإسلام قد ينفرد بها شعب واحد أو أمة واحدة ، بينما الخير الذي تثمره هذه العقيدة في الإسلام ليست وقفاً على شعب بعينه أو على أمة بذاتها - إنما هذا الخير ملك للإنسانية جمعاء .

وهنا تبرز عظمة الإسلام .

ومن هنا يزكو شعار الإسلام : لا غالب إلا الله ..

جُرَاسِيَّةٌ وَقِرْوَانٌ عَسْكَرِيَّةٌ

حصن بصعوبة بالغة ..

إلى أن توقف تماماً .. أمام أحد الحصون .. وفكر مسلمة في نقب الحصن ..

ولكن الشهداء .. كانوا يتساقطون أمام كثرة الخصوم وحسن استعدادهم ..

وفي لحظة اليأس ..

إذا بأحد الفرسان المسلمين يندفع نحو الحصن .. في إيمان الأول - وتحوطه السهام من كل ناحية

وتنهال عليه الحجارة من كل مكان .. ولكنه بفضل الله يتقدم .. ويعمل الحفر في الحصن حتى يحدث فتحة كبيرة .. يندفع لها أبناء الإسلام ورجال الجهاد .. ويدخلون الحصن .. ويستولون عليه .. وتصبح القسطنطينية بعد ذلك .. أمرا ميسورا في قبضة المسلمين ..

وتنتهي المعركة ..

ولا أحد يعرف من هو البطل صاحب النقب .. ولا هو يتقدم مباهيا بما فعل ..

ويزداد شوق القائد لمعرفته .. ويبحث عنه .. ولا يتعرف عليه .. حتى اضطر إلى تكليف مناديا بالنداء في أطراف معسكر الجند (اني أمرت بأبخال صاحب النقب ساعة حضوره فعزمت عليه بحق الله وحقوق القيادة الإجماع) ..

وجلس القائد مسلمة في خيمته .. وانتظر .. وإذا بعد فترة يأتي رجل ويطلب من الحارس أن يستأذن له على القائد .. فقال له الحارس أنت صاحب النقب .. فقال .. بل أنلكم عليه

ودخل الرجل على مسلمة .. وقال بعد السلام (ان صاحب النقب يأخذ عليكم عهدا ألا تسربوا اسمه في

صحيفة .. وألا تأمروا له بشيء وألا تسأله عن من هو فإنه قد فعل ما فعل الله .. لا للناس) ..

قال .. مسلمة .. فذاك ..

فقال الرجل .. أنا هو .. وانصرف .. وهو مقتنع لا يعرف إلا عيناه

هذا هو بطل من المشرق ..

ومن المغرب آخر .. احبث نقبا وراء البحار .. وفتح الله على يديه الاندلس .. هو وتلميذه طارق بن زياد -

فقد اختار عبد العزيز بن مروان موسى بن نصير للقضاء على الفتن في المغرب .. ونشر الاسلام بأرض لم تصله .. وقال له في كلمات وداع (اني أريد أن يرفع الله بك من شأن الاسلام والمسلمين في الأوطان التي أوفدك إليها وأن تقضى على فتنة البربر هناك)

وحقق الله على يدى موسى بن نصير الكثير ..

استتب الأمر للمسلمين في بلاد المغرب ..

وقضى على فتنة البربر .. ودخلوا في دين الله ..

وصاروا من جند الاسلام ..

وعلى البحر العظيم .. ومن خلال الأمواج العاتية .. القاتلة .. نظر موسى عبر البحر .. يسأل عما هناك - فعلم من أمر بلاد الاندلس الكثير .. وأن من بها من ملوك .. هم أشد خصوم الاسلام .. والعاملين على

بذور الفتنة بين مسلمي المغرب .. عندئذ .. قرر موسى .. أن يفتح الله على يديه جديدا .. ويقضى على جنود الفتن .. واعد جيشا قوامه ٧ آلاف رجل وولى على قيادته طارق بن زياد عام ٩٢ هـ ..

وبعد أن وصلت مؤخرة الجيش

الاسلامى ..

وقف الجميع يصلون لله على أرض الاندلس .. ويرفعون نداء الله أكبر ..

ثم أمر طارق .. فتم أحراق السفن .. وانقطع بذلك كل اتصال - مؤقت .. بالمسلمين في المغرب .. وبعدها وقف ليعلن في كلمات مشرقة ومما قاله ..

(العدو أمامكم .. والبحر وراءكم وليس لكم والله إلا الصديق والصبر ..

واعلموا والله انكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مائة اللئام .. وقد استقبلكم عدوكم بجيشه واسلحته .. واقواته موفورة .. وانتم لا وزر لكم الاسيوفكم ولا اقوات لكم الا ما تستخلصونه من

أيدي عدوكم وان امتدت لكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ذهب ربحكم وتقوضت القلوب من رعبها منكم والجرأة عليكم ..

فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذه الطاغية فقد القت به اليكم مدينته الحصينة وان انتهز الفرصة فيه لممكن أن سمحتم لانفسكم بالموت واننى لم أحذركم بامر أنا عنه بنجوة ، ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس ، وأنا أبدا بنفسى .. واعلموا انكم ان صبرتم على الأشق قليلا استحققتم بالألفة الألد طويلا .

فلا ترغبوا انفسكم عن نفسى . فما حظكم فيه بأوفى من حظى (..

وانتفع جيش الله ..

وكان نصر الله لعباده في الاندلس .. وسيظل نصر الله .. مع عباده ماداموا .. على التقوى .. وماظلوا .. جندا من جنود الله ..



الإسلام والسلام



هاجرت مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه فئة ممن لبوا نداء الإسلام واستجابوا لدعوة الرسول الكريم، من «مكة» إلى «المدينة»، فأغلقت بسبب ذلك بيوت عديدة في «مكة»، وحزن الكثير من أهلها حزناً شديداً، وذهبت نفوسهم حسرات على إغلاقها، واتهموا المصطفى ﷺ بأنه فرق بين الناس.

وكان عدد المهاجرين قليلاً، وكانوا مطرودين مشردين، أخرجهم المشركون من ديارهم، واستولوا على أموالهم وصابروا ممتلكاتهم.

لقد هاجروا والحنين يملأ نفوسهم، والشوق يشدهم إلى بلدتهم الحبيب، والألم يعصر قلوبهم لفراق عشيرتهم ونوحيهم الذين تركوهم بمكة، فلم يستقبلوا حياتهم الجديدة في «المدينة» أو لم تستقبلهم حياتهم الجديدة بالترحاب، فهم قد ألفوا جو «مكة» مع شدة حرارته، ومع أن «المدينة» تتمتع بالظلال والماء فإن الفرق الكبير بين جوها وجو «مكة» كان ذا أثر كبير في إصابة المهاجرين بنوع من الحمى لم يعرفوه من قبل، ولا عهد لهم به، وكان من بين المصابين بها أبو بكر الصديق، وعامر بن فهيرة، وبلال بن رباح، رضوان الله عليهم أجمعين.

وتوجه الرسول ﷺ إلى ربه بالدعاء ليذهب عنهم المرض، فقال: «اللهم طيب لنا المدينة كما طيبت لنا مكة، وبارك في مدها وصاعها».

الأستاذ محمد جبار عنتي

ولقد كان ذلك النظام في إطاره العام دينياً يعتمد على الأحكام الشرعية وتعاليم السماء، ولكنه في تفاصيله وتطبيقاته أحكامه شورية.

وقد أقرت الدولة الإسلامية مبادئاً على جانب كبير من الأهمية:

الأول: حرية العقيدة: وتكفل الدولة لأصحاب العقائد المختلفة الحياة والاستقرار والطمأنينة والأمن، وتتكفل بحمايتهم ورعايتهم ما داموا مسلمين، لا يصدون فتنة، ولا يتآمرون على سلامة الدولة ومصالحها.

الثاني: أن جميع الرعايا في الدولة متساوون في الحقوق والواجبات، بلا أدنى فرق بين طائفة وطائفة أخرى.

وقد برزت عبقرية الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وتجلت مقدرته

لحساب الزمن والوقائع والأحداث عند المسلمين.

وأخذ المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ينشئ دولة إسلامية تجمع بين الناس، بغض النظر عن الأجناس والديانات، وبذلك بدأت تدخل الدعوة الإسلامية في دورها السياسي، وبدأ المظهر السياسي يبدو في شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام إلى جانب المظهر الديني، وكان نظام الدولة التي أنشأها الرسول صلوات الله وسلامه عليه من نوع جديد، يختلف اختلافاً كلياً عن كل النظم، فقد كان نظاماً شورياً، يقول المولى سبحانه عز وجل: «وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله»، فهذه الآية الكريمة دليل على الجمع بين الشورى وبين الحكم المطلق.

وعاش المهاجرون في «المدينة» في شدة وضيق، مع أن الأنصار كانوا يكرمونه ويؤثرونهم على أنفسهم، وقد دعا لهم الرسول عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام في غزوة «بدر» فقال: «اللهم انهم حفاة فاجملهم، وعراة فاكسهم، وجباة فاثبيعهم، وعالة فاغنهم من فضلك. اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ما جعلت بمكة من البركة».

ونظراً لهذه الضيق الذي لاقاه المهاجرون في معيشتهم فضللهم المولى تبارك وتعالى على غيرهم، وضاعف الأجر، وجعل هجرتهم مثلاً يحتذى لكل منسلم يغار على الإسلام، ويأبى على نفسه الفتنة، ويتحمل في سبيلها الأم التضحية والفداء، ولقد جعلها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد ذلك

العظيمة في تدبير شئون الدولة والاستعداد للمستقبل، فلم تكن مهمته قاصرة على تبليغ رسالة السماء التي نزلت عليه، بل كانت أكثر من ذلك، فشملت تنظيم الحياة في «المدينة» فقد أصبح ﷺ زعيماً لجماعة سياسية. وكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يقدر هذه المسؤولية من أول الأمر وقبل أن يهاجر إلى «المدينة»، فأخذ يدير الأمور وينظمها على هذا الأساس، «فالأوس» و«الخزرج» هم سكان «المدينة» الأصليين، وكانت تحت بينهما مشاحنات كثيرة، وكان اليهود يجاورونهم، والبعض منهم يحالف «الأوس» والبعض الآخر يحالف «الخزرج»، فصارت هاتان القبيلتان في أمس الحاجة إلى من يوفق بينهما ويوحد صفوفهما، كي يتمكن الفريقان من الحياة والعيش في انسجام ووفاق، وقد انضم إليهم المهاجرون، ومع أنهم قد استقبلوا استقبالا حسنا من أخوانهم في «المدينة» فقد رأى الرسول عليه الصلاة والسلام أن يحتاج إقامتهم في «المدينة».

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فالرسول صلوات الله وسلامه عليه قد ترك من خلفه «قريشا» وهي من الد أعدائه، ويعلم مدى قدرتها على الاعتداء على المسلمين، فلا بد من الوقوف على أهبة الاستعداد، وتقوية الجبهة الداخلية والعمل على تماسكها، لمجابهة خطر العدوان الخارجي المتوقع في أي وقت من «قريش».

وقد واجه المصطفى ﷺ هذا الموقف منذ البداية لمواجهة تدل على سعة تفكيره وقوة إدراكه للأمور، وأبدى من بعد النظر ودقة التنظيم ما جعل سكان «المدينة» يعيشون في استقرار وترابط قوى، وقدره على النمو، وجعلهم يواجهون احتمالات الغزو الخارجي بجدارة أكسبتهم النجاح واستطاعوا أن يقيموا الدولة الإسلامية العظيمة.

تكوين الدولة

إن أول ما فكر فيه الرسول ﷺ بعد أن استقر به المقام في «المدينة» هو ضمان معيشة المهاجرين فقد كانوا أهل تجارة تركوا أموالهم في «مكة» ولا يراودهم أدنى أمل في الرجوع

إليها، وقد كان عليه الصلاة والسلام واثقا من حسن نية المسلمين من أهل «المدينة»، الذين أبدوا شعورا نبيلاً إزاء أخوانهم المهاجرين، فاشركوهم معهم في أموالهم، وسمحوا لهم بالتجارة، كما اشتغل بعض المهاجرين بالزراعة في مزارع الأنصار، فتمكنوا من تنظيم شئون معيشتهم ولو إلى حد بسيط.

ثم اتجه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بتفكيره من أول الأمر إلى اتخاذ مكان يكون بمثابة ناد عام للمسلمين، تقام فيه شعائر الإسلام وتناقش فيه الأمور العامة، فبنى مسجده في «المدينة» بعد فترة قليلة من استقراره بها، فصار هذا المسجد هو مركز القيادة، وثبت فيه الأمور وهو مقر الاتصال بين الجماعة الإسلامية، وفيه يتم تبادل الآراء وتتخذ القرارات من سلم أو حرب أو استقبال وفود. وكانت حجرات الرسول عليه الصلاة والسلام بجوار المسجد، وقد جعلها متصلة به حتى يمكنه الخروج من بيته إلى المسجد رأساً، وأصبح فيما بعد من السنة بناء المساجد بجوار دواوين الولاية ومنازلهم.

ثم توجهت عناية الرسول ﷺ إلى تحقيق الاستقرار بين المسلمين في «المدينة»، فوحد بين «الأوس» و«الخزرج» بعد أن محال ما كان بينهما من منازعات ومشاكل، وجمعهما تحت اسم واحد هو «الأنصار»، ففقد بذلك على رابطة القبيلة الضيقة وأحل محلها رابطة إسلامية إنسانية واسعة.

ثم عمد إلى التآليف بين المهاجرين والأنصار، وفي هذا التجأ إلى المؤاخاة، فجعل كل مهاجر يؤاخى أنصارياً، فيصير الرجلان أخوين، بينهما من الروابط ما بين الأخوين من قرابة الدم، وقد أنزل الرسول ﷺ هذه القرابة منزلة الأخوة الطبيعية، بأن جعل المتأخين يرث كل منهما الآخر في المتاع والمال، وظل نظام التوارث هذا معمولاً به حتى نسخ بعد موقعة «بدر»، بقوله عز وجل: «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين»، ففقد التوارث على صلة الدم والقربى فقط، لأن المقصود بالمؤاخاة هو ذهاب

وحشة الغربة، وضيق مفارقة الأهل والعشيرة، وشد أزr بعضهم بعضاً. ولئن انتهى التوارث بين المتأخين لزوال أسبابه الاقتصادية، فإن الهدف الأسمى منه وهو شعور كلا من الأخوين بشعور الآخر لم يزل ولم ينته.

وهذا النمط من حياة الرسول صلوات الله وسلامه عليه لم يسبقه إليه نبي أو رسول، فقد كان الأنبياء من قبله يقفون عند حد دعوتهم الدينية، يبلغونها للناس إما عن طريق المعجزة أو عن طريق الجدال والمناقشة، ثم يتركون لمن بعدهم مهمة نشر دعوتهم وتعاليمهم عن طريق السلم أو عن طريق الجهاد، لقد كان هذا التطبيق العملي لنظام الإسلام من أروع التطبيقات في الحكم والحاكمة.

الدستور

وضع الرسول الكريم دستوراً ينظم شئون الحياة في «المدينة»، ويحدد العلاقات بينها وبين ما جاورها من البلاد، وهذا الدستور دليل على مقدرة عظيمة في التشريع، وعلى خبرة واسعة بأحوال الناس ومعرفة ظروفهم، وقد عرف هذا الدستور باسم (الصيغة).

وقد قسمت «الصيغة» سكان «المدينة» إلى ثلاث أطراف، هم: المهاجرون والأنصار، واليهود المقيمون «بالمدينة»، وتعتبر هذه «الصيغة» ذات أهمية كبيرة لأنها حددت شكل الدولة الإسلامية، ولها أهمية أيضاً في فهم الأحداث التي جنت بعدها.

ونصوص هذه «الصيغة» متفقة مع القرآن الكريم في مبادئها العامة، من ناحية توحيد صفوف المسلمين وجعلهم أمة واحدة لها كيانها بين الأمم، ومن ناحية التعاطف والتضامن بينهم، ومن ناحية المحافظة على رابطة الولاء المترتبة عليها، ومن ناحية رعاية حقوق القرابة والصحبة والجوار، ومن ناحية تحديد المسؤولية الشخصية، والبعد عن حزازات الجاهلية وعصبيتها، ومساواة الجميع أمام القانون، ورد أي أمر من الأمور إلى الدولة لتتصرف فيه، وتعاون الرعايا مع الدولة في المحافظة على

النظام واقرار السلام، والضرب بشدة على يد كل من تسول له نفسه تعريض أمن الدولة وسلامتها للخطر.

وقد نصت « الصحيفة » على الأسس التي تنظم الحياة العامة في الدولة الإسلامية، ويثبّن من هذه « الصحيفة » إلى أي حد تغيرت الأحوال والأوضاع القديمة التي كانت سائدة قبل ظهور الاسلام.

وأوضحت « الصحيفة » التخطيط الشامل للأمر، وأخذ نظام الأمة الإسلامية يكتمل، وكان المؤمنون وعلى رأسهم رسول الله عليه الصلاة والسلام هم الروح التي تحيا بها الأمة الإسلامية، وعصرها الذي به تنهض وتصدر منه الحركة، وكلما كانت الدعوة الإسلامية تنتشر كانت الأمة الإسلامية أخذت في طريق القوة والتماشك.

الدفاع عن الدولة :

وكانت المهمة السياسية للرسول الكريم بعد هذا الدفاع عن حدود الدولة وحمايتها وضمان الأمن لها، ولم تتجاوز تصرفاته ﷺ هذا الغرض مدة العهد النبوي.

والطريقة التي سارت على أساسها كل تصرفاته السياسية هي أن « المدينة » ومن تحالف معها دولة واحدة لاصلة لها بما سواها الا بالشرط التي وضعها عليه الصلاة والسلام، فليست « المدينة » متصلة بما عداها الا عن طريق الاسلام، وعن طريق الانضمام اليها والتبعية لها.

ولتقوية جبهة « المدينة » اعتبر المهاجر اليها مستحقا لرعاية الدولة الجديدة، فعلى من يعتنق الاسلام ويرغب أن يكون مواطنا في الدولة أن يهاجر إلى « المدينة »، وكما حرص عليه الصلاة والسلام على إيجاد أداة للحكم في « المدينة » وتنظيم أمورها الداخلية حرص على ضم القبائل والريف حول « المدينة » اليها عن طريق السرايا، وعقد الأحلاف مع القبائل النازلة فيما حولها.

والسرايا التي خرجت في السنتين

الأولى والثانية بعد الهجرة كانت عبارة عن توريات مسلحة، مهمتها المحافظة على الحدود، وأحيانا الاشتباك مع العدو ثم الانسحاب سريعا، وكان عدد هذه السرايا

ثمانى سرايا، وكان تهديد « قريش » هو المهمة الرئيسية لهذه السرايا، فلم يحدث بينها وبين قوافل « قريش » التجارية أي اشتباك أو أي استيلاء على شيء، الا ما كان من السرية الاستكشافية التي بعثها رسول الله ﷺ إلى « بطن نخلة » بين « مكة » و « المدينة ».

ولم تكن هذه السرية من القوة بحيث تستطيع الاشتباك في حرب أو مضادة قافلة، ولكن أفرادها قد تصرفوا على مسئوليتهم، واستولوا على قافلة صغيرة من قوافل « قريش » وقتلوا أحد رجالها وأسروا اثنين، وقد أنب الرسول صلوات الله وسلامه عليه رجال هذه السرية على هذا التصرف.

من هذا نستطيع أن نقول : أن الرسول الكريم ﷺ لم يقم بخطط هجومية مطلقا، حتى في المعارك الكبرى التي نشبت بين المسلمين وبين « قريش »، فموقعة « بدر » وقعت داخل نطاق حدود « المدينة »، وبعد أن تحدث « قريش » الرسول الكريم وسيرت قوافلها التجارية عبر أراضي « المدينة »، مستهينة بحق الدولة الإسلامية في السيادة على أراضيها فأبو سفيان عندما سار بقافلته في منطقة المدينة كان متحديا للدولة، وهذا هو ما أدّى إلى خروج الرسول عليه الصلاة والسلام إلى تلك القافلة ليصادرها أو يحاربها.

وغزوة « أحد » وقعت قرب « المدينة » مباشرة، وعلى مسافة ميلين منها، وكانت « قريش » هي التي أشعلت ناراها لتثار لقتلى « بدر ».

وكان خروج الرسول ﷺ في السنة الرابعة من الهجرة إلى « بدر » لأنه تواعد مع « قريش » بالحرب عندها يوم « أحد »، ولكنه لم يجد أحدا، وهو حين سار إلى « بدر » لم يتعدّ حدود الدولة الإقليمية ولم يتجاوزها.

وعندما حلّ العام الخامس الذي حدثت فيه غزوة « الخندق »، كان الرسول عليه الصلاة والسلام مقيما في « المدينة » وأعدّاه هم الذين هاجموا، وتحذوه مستهينين بحقه في السيادة، ولم يقف منهم موقفا هجوميا، بل أراد أن يظهر ميله إلى السلم وأن يظهر

بطريق ملموس أنه لا يميل إلى الحرب، فاتخذ لذلك أسلوبا جديدا ليس للعرب عهد به من قبل، وهو حفر خندق حول « المدينة ».

وظهرت نواياه السلمية في صلح « الحديبية » في العام السادس من الهجرة، مع أن عددا كبيرا من الصحابة قد اعترض على ذلك، ولكن الرسول الكريم نظر إلى هذا الصلح نظرة دقيقة واعتبره فتحا وكسبا عظيما للمسلمين، فقد تمكن بطريقة علمية من تغليب مبدأ الاسلام على مبدأ الجاهلية، ففى تغليب مبدأ السلم محافظة على سلامة قوى العرب، قوى مكة « وقوى » المدينة على السواء، وذلك ليستعدّ لتحقيق أهدافه من جمع صفوف العرب كلهم تحت راية واحدة، وهذه الوحدة تستدعى قوة مادية وأخرى معنوية، وهما تتمثلان في الرجال وفي الخبرة وفي التجربة، وفي تغليب مبدأ السلم ضمانا لصلبة العقيدة في الانتشار، وعدم وقوف العقبات المادية أو النفسية في طريقها وعرقلة سيرها وانتشارها.

وقد حرص صلوات الله وسلامه عليه عند فتح « مكة » أن يتحاشى الاضطدام بأهلها، وقد آتم المولى تبارك وتعالى على يديه هذا الفتح العظيم في السنة الثامنة من الهجرة دون حدوث اشتباك يذكر.

والرسول ﷺ لم يلجأ إلى حرب « ثقيف » و « هوازن » يوم حنين إلا لأن هذه القبائل تحذته وتقدمت لحربه، ورفضت الدخول فيما دخل المكيون وكانوا من قبل يسيرون حيث يسير أهل « مكة » وكذلك محاربتهم للقبائل العربية، فانها قد تجمعت واستعنت لقتاله وأيضا فهو لم يهاجم اليهود الا لخياناتهم وتجميع الجموع لحرب « المدينة ». وهكذا نرى الرسول ﷺ طوال هذه السنين التي عاشها لم يتجاوز الهدف الذي رسمه، وهو الدفاع عن الدولة، وضمان الأمن والاستقرار لها، فلم يفرض الدين بالحرب أو بالاكراه، ومع ذلك حرص على الجهاد ونزلت آيات كثيرة من القرآن الكريم تحت على الجهاد وترفع من شأن المجاهدين، ولم يكن المقصود من الجهاد سوى الدفاع عن الدولة، واتاحة الفرصة للمبادئ أن تسير

[البقية ص ١٧٨]

مسئولية

المسلمين

كانت بعثة رسول الله صلوات الله عليه وسلامه بعثا لحضارة كبرى انسانية ، وبداية لظهور دولة قوية تتمسك بهدى القرآن ، وتاتمر بما امر به الرحمن ، وكانت تغيير المجتمع انحرفت اخلاقيات ، وانحط لعادات سيئة قد كانت مستقرة ، وصدق قول الله تعالى :
قل هو للذين امنوا هدى وشفاء .. وقوله : ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا .. ويقول صلوات الله عليه وسلامه : ان الله يرفع بهذا الكتاب قوما ويضع به آخرين .

الاساذ محمد النظامي

ويتمسك بالاخلاقيات ويتعاون في السراء والضراء وصدق قول الله :
وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها .. ويقول سبحانه : والذين امنوا اشد حبا لله .. وقوله :
« أولئك هم المؤمنون حقا » وقوله عز من قائل : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » .
ويقول رسول الله ﷺ : « اصحابي كالنجوم الزهر بايهم اقتنيتم اهتديتم » . ويقول ما امن بي من بات شبعان وجاره الى جانبه طوا (اى جامع) وهو يعلم .
من لم يكن بالنبي والصحب قوته فهو الذي يقتفى لاشك شيطاننا وذلك سيدنا عمر نجده في عام المجاعة لانه القنوة والمسئول الاول عن رعيته ياكل الزيت بالخبز الجاف حتى اسود جلده ، ويعالج الازمة بتطبيق مبدأ التعاون بين المسلمين فيقول :
لو لم اجد إلا ان اخل علي كل بيت عنته

لما أثقل عليهم ذلك .
يا من رأى عمرا تكسوه برتة
والزيت ادم له ، والكوخ ماواه
يهتز كسرى على كرسية فرعا
من باسه وملوك الروم تخشاه
وان كل من ينظر إلى مجتمعنا يشعر ان انحرافا غريبا طرا على تراثنا وسلوكنا بأيدي اعدائنا وكان لهذا الانحراف اثره في تعثرنا وتأخرنا فالحق انزل الله في ليلة القدر ، لانه كتاب نوح قدر ، انزل لامة لها قدر لو تمسكت به - ضمن الله له الخلود

فامنهم ، فاذا فرغنا فاجلسهم حيث شئت فانزل الله قوله تعالى :
« ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين - وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين ، وإذا جعأك الذين يؤمنون بآياتنا قل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلاح فانه غفور رحيم »
وكان هؤلاء المسلمون من العبيد من جانبهم لا يتقلون على رسول الله فيقول خباب بن الارت رضى الله عنه انه بعد نزول هذه كنا اذا بلغنا الساعة التي كان يقوم فيها عنا رسول الله استأنا من جانبنا حتى لا نخرجه .
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قنوة وقرآنا بمشي على الأرض يعلم القرآن ويفسر القرآن ، ويطبق ما جاء في القرآن ويامر اهله بما يامر به الآخرين ، فكان هناك تطابق بين القول والعمل . وترسم صحابته خطاه فصدقوا القول ، واخلصوا العمل لله فتغيروا وغيروا وتقهبوا في دين الله وفقهوا غيرهم وكانوا . ملائكة يمشون على الأرض ، يتمسكون بالمبادئ والقيم فخلقت خير امة اخرجت للناس يفتتح كل فرد فيها عمله باسم الله ، ويختتمه بالحمد لله ويتبع احسن ما انزل اليه من ربه ، ويؤدى العبادات

رسول الله صلوات الله عليه وسلامه بعث الى مجتمع طبقى الاغنياء فيه خلقوا للسيادة فهم لا يعملون . لان العمل لا يتفق مع الكرامة ، والفقراء عبيد يعملون وينتجون ويسخرون لصالح الاغنياء . فشرع مبدأ العمل ويطبق مبدأ المساواة ، وبين ان الناس انما يتفاضلون بالأعمال الصالحة ، والاخلاق الكريمة لا بالحلب أو النسب او المال قال تعالى :
« يا ايها الناس انا خلقناكم من نكري وانني وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .
وذلك رسول الله ﷺ يصعد المنبر في مرض موته ، ليعلم الامة معنى المساواة ، وكيف يطهر المرء نفسه من حقوق المظلومين . وكيف يتصرف القائد مع الرعية فيقول : ايها الناس من كنت جلست له ظهرا فهذا ظهري فليقتص منه
ومن كنت شئت له عرضا فهذا عرضي فليقتص منه ولا يخشى الشحنة فانها ليست من شأني » .
ولقد كان سادة العرب يتكبرون قبل الاسلام عن الجلوس مع العبيد ، فلما اسلم أمثال عمار بن ياسر وبلال ابن رباح وخباب بن الارت وصهيب وغيرهم جاء بعض السادة العرب ومنهم الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الغزاري وقالوا لرسول الله ﷺ وهو جالس مع العبيد الذين اسلموا : ان وفود سادة العرب تاتيكم فيستحيل ان يراهم العرب جلوسا مع هؤلاء العبيد .. فاذا جئناك

يقول عز من قائل :

« انا انزلناه في ليلة القدر » ويقول : انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ولما لم يستطع الاعداء تحريفه - كما حرفت الكتب السماوية السابقة - لجأوا الى التحريف عن طريق تفسيره فامتلات كتب التفسير بالخرافات والاسرائليات التي تبعد عن الدين وامتلات كتب الفقه بالافتراضات التي تبعد عن القبول والمعقول وامتلات كتب التوحيد بما لا يمت إلى التوحيد من جمل لفظي وافترض شكل - . ليس الأمر يتطلب من المختصين والمسؤولين عن جماعة المسلمين أن يعملوا على تنقية التراث مما علق به من ادراك ، وأن يأخذوا بيد المسلمين ليعودوا إلى كتاب الله وسنة رسول الله حتى يسعدوا كما سعد الاباء وحتى يسطروا امجادا كما سيطروا ، وحتى يحيوا مع مبادئ الله وصديق الاثر (اذا اردت ان تحدث ربك فاقرا القرآن) وصديق قول الله سبحانه وتعالى :

« ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون » .

وذلك امير المؤمنين هرون الرشيد قدم بيت الله ليحج فلقبه عبد الله بن عبد العزيز العمري حفيد امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز - قال له : يا امير المؤمنين كم من الناس ترى ؟ فيقول : ان عددهم لا يحصى الا الله . فيقول له : اعلم يا امير المؤمنين ان كل واحد من هؤلاء مسئول عن خاصة نفسه وانت وحدك مسئول عن الجميع فانظر كيف يكون الأمر .

والقرآن ضمن الله له الخلود ولما لم يستطع الاعداء تحريفه - لجأوا إلى تحريفنا وانحرفنا فكان هناك التشريع الوضعي ، واصبح الانسان يشرع لنفسه ، ويغير ويبدل حسب ميوله وأهوائه - وينادي بالحرية والحرية في الاسلام حرية تلتزم الحدود ، فهي لا تتحقق للفرد الا في حدود عدم احاقها الضرر بصاحبها ،

وعدم مصادمتها لحرية الغير او مخالفتها للقيم والمبادئ المتعارف عليها .

ومن هذا المنطلق حرم الاسلام الانتحار وحرم المسكرات وحرم أكل الميتة والدم ولحم الخنزير ومنع المرأة من التبرج صيانة لها من التبذل ومنع من الاثارة التي تؤدي إلى اوخس العواقب .

ولكن البعض ينادى بالحرية المطلقة في التفكير فيكتب بعضهم متهمًا - هل قطع يد السارق يقوم به الجزار أو الطبيب ؟ ويكتب بعضهم ان من ينادى بقطع يد السارق يريد ان ينتفع اصحاب محلات الاطراف الصناعية . .

ولكن البعض ينادى بالحرية المطلقة فهو يراقص الاجنبيات لان ذلك فن . وهو يفطر في رمضان لان الصيام يضعفه . وهو يعاقب الخمر لانه حر في تصرفاته فانتشرت الجرائم وانعدم الاستقرار . وصديق قول الله عز وجل :

« ارايت من اتخذ الهه هواه أفانت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم الا كالأنعام بل هم اضل سبيلا » .

ويقول سبحانه : وإذا قتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بئله قل ما يكون لي أن ابليه من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي ، .

وانه لمن نافلة القول ان نقول : ان العلم وحده لا يكفي لاسعاد الانسان ، وانه لا بد لاسعاد الفرد من علم ودين فالعلم بدون ايمان علم مدمر يقود الى الضلال ، والحياة بدون الدين تصبح جافة لاروحانية فيها ، والاسلام لا يريد قلوبا تذل وتخضع انما يريد قلوبا تتمسك بمبادئ الله وتخشع له والعلم في الاسلام من اعظم وسائل تقوى الله ومراقبته ، لان تقواه تؤدي الى مزيد من العلم ، ولأن تقواه تؤدي الى توجيه العلم إلى الخير - اما من يعلم بدون تقوى الله ومراقبته فانما هو ملقن معلومات لا تستقر في القلب ولا تعمق في النفس ولا تؤثر في التصرفات ولا تخلق المؤمن الصالح ، لأن المؤمن الصالح له نور الحياة

وصالح العمل فاشه سبحانه يقول في حديث قدي :

« من عمل بما علم علمه الله علم ما لم يعلم .. »

ويقول الامام الشافعي رضي الله عنه :

شكوت الى وكيع سوء حظي فارشدني الى ترك المعاصي

واخبرني بان العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصي

والقرآن ضمن الله له الخلود ، ولما لم يستطع الاعداء تحريفه لجأوا الى تحريف مناهج الدراسة ، فدرس الناشئون افتراضات وظنون نقلت من الشرق والغرب على انها حقائق ، افسدت العقول ، وخلقت ناشئين ليست لديهم عقيدة راسخة ، فهم يتبعون كل داع بدون تبصر ، وهم يجرون وراء كل ناعق بغير تدبر - والتبعة انما هي علينا نحن الذين نعامنا عما يدرس لهم ، وعما تحشى به امعتهم .

فنحن ندرس لهم ان الطبيعة تخلق كل شيء ، فالطبيعة تخلق النبات وتشكله ، والطبيعة تشكل الطيور والحيوانات والاسماك ، والطبيعة طورت التراب إلى قرد ثم إلى انسان ، وقد ببا قال الكفار :

« ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر » .

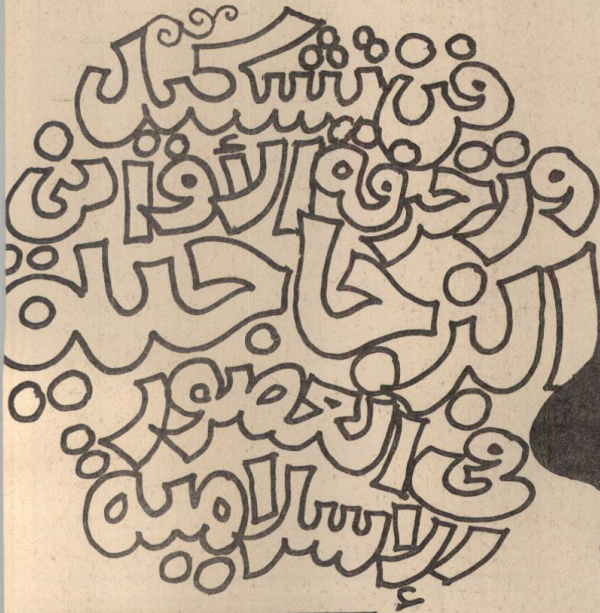
وهم يدرسون نظريات ان الكون خلق بالمصادفة ، وان المادة خلقت قبل الفكر وقبل العلم ، متجاهلين ان هذا النظام الدقيق في حركة الكون والافلاك لا يمكن ان يكون وليد المصادفة لأن القول بالمصادفة دعوة إلى الانحلال من القيم والمثل ما دام الانسان جاء بالمصادفة ، وينتهي بالمصادفة بدون تعب وبدون ثواب وبدون عقاب .. والله عز وجل يقول :

« ما اشبهتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا »

واي مصادفة في هذا الكون الدقيق البديع الصنع ، المحكم التيسير والتبدير . شمس تشرق في وقت معين ، وتغرب في وقت معين وترتفع عنا

[البقية ص ١٧٨]





الزخرفة الإسلامية

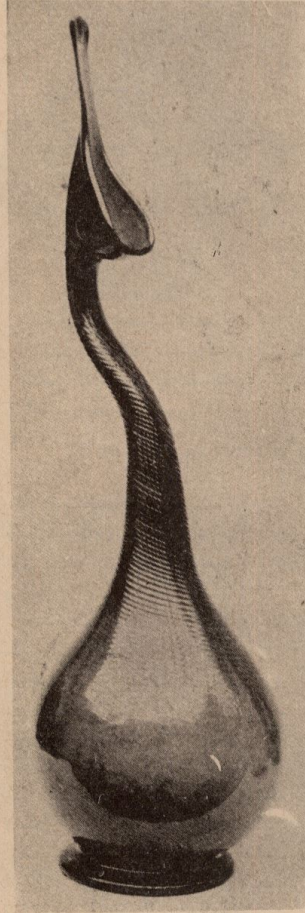
عرف الفن الإسلامي كفن تطبيقي يوفر سبل الحياة ويعمل على تيسيرها ، وذلك بتوفير كل ما يحتاج اليه الفرد من أدوات لازمة لمعيشته . ولم ينس في سبيل ذلك نزعة حب الجمال التي أودعها الله في خلقه ، فبجانب دقة الصناعة وجودة الخامات حاول الفنان الإسلامي ان يكسب انتاجه فنيا جماليه تريح النفس وتقر العين وتبعث على الرضا والارتياح .

ومن هذا المنطلق استطاع الفنان ان يبدع في شتى المجالات ويترك التحف والروائع النادرة التي تشهد بعظمة وروعة وقسرة الفنان الإسلامي الابداعية طوال العصور الإسلامية المختلفة ومن التحف الرائعة التي خلقها الفنان الإسلامي الاواني الزجاجية ذات الاشكال والنقوش البديعة .

وقد اثبت هذا الحفريات التي اجريت في تل العمارنة والمدائن والري في كل من مصر والعراق وإيران . وبعد دخول هذه الاقطار في الاسلام استمرت في اتباع التقاليد الصناعية التي كانت سائدة من قبل . وكانت معظم المنتجات خاصة بالاستعمال المنزلي كالاكواب والقوارير

لقد عرف المسلمون فن تشكيل وزخرفة الاواني الزجاجية منذ عصورهم الاولى . واشتهرت بعض الاقطار بهذا الفن وخاصة مصر والعراق وسوريا وإيران . ولم تكن هذه الاقطار حديثة العهد بهذا الفن . فقد عرفت كل منها فن تشكيل وزخرفة الاواني الزجاجية قبل دخول الاسلام

اناء من البللور مصر - القرن ١٠ - ١١



قنية من الزجاج



عسل النحل ، ثم تطورت هذه الزخارف
يتنوعت وشملت الزهور والحيوانات
ذات - الأحجام والنسب المتفاوتة .
وأخذ فن تشكيل وزخرفة الزجاج
يتطور من عصر لآخر وكان لبعض
العصور أثر واضح في هذا التطور .
ومن العصور التي وضعت علامة بارزة
في هذا الطريق العصور التالية :-
أولا : العصر الفاطمي (القرن ١٠ -
١٢) .

خطا فن التشكيل وزخرفة الاواني
الزجاجية خطوات واسعة في عصر
الفاطميين ، حيث أنشأت له مراكز
متعددة في القسطنطينية والفيوم
والاسكندرية وحلب ودمشق .
حملت مصر راية التقدم في هذا الفن
بفضل ابتكار أساليب زخرفية حديثة
وتقنيات أدائية مبتكرة تعتمد على
الخيوط البارزة أو المضغوطة
واستخدام الألوان ذات البريق المعدني
النحاسي والذهبي والفضي وكذلك اللون
الخالص في بعض الأحيان وكانت أكثر
الألوان استخداما الأحمر والأخضر
وأهم ما يميز أسلوب الزخرفة الذي
ساد في هذا العصر اعتماده على
موضوعات من البيئة والحياة . وأكثر
العناصر استخداما التفريعات النباتية
والأشكال الهندسية والكتابات
الكوفية .

كما شاع في الفترة من القرن العاشر
الى الثاني عشر استخدام أطراف
مختلفة من اللون الذهبي والنحاس .

والزهريات وأواني العطور بأحجام
وأشكال متنوعة . وذلك بتشكيل
الزجاج عن طريق نفخة في قالبين
الواحد بعد الآخر .

وكانت القوالب عبارة عن قطعتين
من الخشب أو الفخار أو المعين
وغيرت المنتجات بقيم جمالية عالية
هذا بالإضافة الى جودة خاماتها ودقة
صناعتها ، مما يدل على مهارة الفنان
الأدائية وقدرته الإبداعية .

وكانت هذه المنتجات تزخرف وفق
أساليب فنية أصيلة ومن الأساليب
الزخرفية التي عرفت في هذه الفترة
الأساليب الزخرفية الآتية :-

١ - أسلوب الزخرفة البارزة بالخيوط
الزجاجية ذات الأشكال المتعرجة
أو الأشربة المتسوجة أو الأقراص
أو النقط بلون الاناء أو باللون الأزرق
في معظم الأحيان .

وكانت هذه الخيوط الزجاجية
تسحب وهي ساخنة بألة تشبه
المشط ، فتتكون منها أشكال عديدة
مختلفة مثل أسنان المنشار وضلع
السمك وبنات السرخس وقد شاع هذا
الأسلوب في العصور الرومانية ، إلا أن
منتجات العصر الإسلامي تميزت عنها
بسمك الجدران واللون الأرجواني .

٢ - أسلوب الزخرفة القائم على
أشكال خلايا النحل والعناصر
الزخرفية الأخرى .

٣ - أسلوب الزخارف المختومة
ويتكون عادة من خامات مستديرة
تضم داخلها أقراصا صغيرة ورسوم
حيوانات أو كتابات كوفية .

وقام الفنانون بزخرفة المنتجات
إما باليد أو بواسطة عجلة خاصة
بذلك . وكانت الزخارف في بداية الأمر
تمتاز بالبساطة مثل عمل اشربة أفقية
أو خطوط متموجة .

وبدأت هذه الأساليب بعد ذلك في
التطور حيث أدخلت تفريعات العنب
والأشكال الهندسية الموزعة داخل
مساحات وشاعت هذه الطريقة في
مصر وسوريا . أما في إيران فقد
استخدمت العجلة في زخرفة المنتجات
وذلك بعمل أقراص بارزة وجامات
غائرة متجاورة على شكل أقراص

تميزت مشكاوات هذا العصر . بزجاجها الشفاف المائل للصفرة المزخرف بالمينا الحمراء والزرقة والبيضاء وزخارفها القائمة على الكتابات العربية ذات الحروف الكبيرة داخل مساحات معينة . مع تخصيص مساحة لرسم لركن السلطان تغطيه شبكة من الفروع النباتية الرقيقة فوق ارضية مذهب في بعض الأحيان . ويوجد في مسجد السلطان حسن مجموعة رائعة من هذه المشكاوات .

ولم يقتصر العصر المملوكي على إنتاج المشكاوات بل أتبع العديد من الأواني كالزهريات والصحون والأكواب المختلفة بأشكال واحجام متنوعة وقد سيطر على معظمها الأسلوب المملوكي الزخرفي الذي يعتمد على الكتابات العربية والزخارف النباتية المزهرة ذات الأسلوب الصيني والبعض الآخر كانت تغطي سطوحه تماما رسوم الأزهار .

وفي النصف الأخير من القرن الرابع عشر اتجه الفنانون الى الانتاج السريع وذلك باستخدام تقنيات غير دقيقة واتباع أساليب زخرفية ضعيفة مما أدى الى هبوط مستوى الانتاج واضمحلاله ، الأمر الذي يدعو الى إقامة مراكز لدراسة التراث الاسلامي وإحيائه بصورة متطورة تحمل طابع الشخصية المصرية الاسلامية المتطورة .

والقوام متفاوت في السمك . وتتكون المينا عادة من مسحوق الزجاج الذي يخلط ببعض الأكاسيد ثم يذاب المخلوط في مادة زيتية حتى يتحول الى سائل بواسطة التسخين الى درجة حرارة معينة ويصبح صالحا للرسم به .

وتكتسب المينا لونها المطلوب من نوع الأكسيد المستخدم فأكسيد النحاس يعطي اللون الأخضر ، وأكسيد الحديد يعطي اللون الأحمر ، وحمض الانتيمون يعطي اللون الأصفر ، وأكسيد القصدير يعطي اللون الأبيض المعتم أما اللون الأزرق الذي يشتهر به الفن الاسلامي فيمكن الحصول عليه من مسحوق اللازورد والزجاج الشفاف .

وتنوعت أساليب الزخرفة بالذهيب والمينا فكانت هناك زخارف مستمدة من رسوم الأشخاص والحيوان ، وأخرى من فروع النبات وأوراقه أو من الكتابات العربية . كما عملت زخارف على هيئة اشربة أفقية بها رسوم اشخاص ويفصل الشرائط عن بعضها البعض اشربة ضيقة وخصوط متجاورة .

وأهم ما يميز عصر المماليك ازدهار صناعة المشكاوات التي كانت تصنع بناء على طلب السلاطين وأفراد المماليك بهدف اقتنائها وبلغت أوج ازدهارها في عصر الناصر محمد وقد



مشكاة من الزجاج المموه بالمينا سوريا - عصر المماليك النصف الثاني من القرن ١٣ م

ثانيا : العصر الأيوبي والمملوكي (القرن ١٢ - ١٣٥٠) .

بلغ فن تشكيل وزخرفة الأواني الزجاجية أوج ازدهاره اعتبارا من القرن الثالث عشر حتى النصف الأول من القرن الرابع عشر .

واستمر أسلوب الزخرفة الذي كان سائدا من قبل ولكنه سار خطوات واسعة نحو التقدم والتطور على أيدي الزجاجين المصريين والسوريين . وفي القرن الثالث عشر أصبحت حلب مركزا لهذا الفن وذلك بانتاجها الهائل الذي كانت تقوم بتصديره الى مختلف الاقطار .

وقد تطور أسلوب الزخرفة بالذهيب والطلاء بالمينا تطورا عظيما وأصبح الأسلوب المميز لزخرفة الأواني الزجاجية في هذا العصر . وعملية التذهيب والطلاء بالمينا تمر بمراحل متعددة يمكن توضيحها على النحو التالي :-

- ١ - رسم الخطوط الخارجية للزخارف المذهبة على الأنية بواسطة الريشة وملء المساحات الكبيرة بالفرشاة .
- ٢ - حرق الأنية بعد ذلك في الفرن الخاص بذلك .
- ٣ - تصيد موضوع الرسم باللون الأحمر .
- ٤ - الطلاء بالمينا ذات الألوان المختلفة



كاس من الزجاج المموه بالمينا سوريا - القرن ١٣ م



القصة الإسلامية

رجل ومعارك

جعفر ابن أبي طالب



وقد نال الشهادة في هذه المعركة وقد رثاه الشعاع
حسان بن ثابت قائلًا :

وكنا نرى في جعفر من محمد
وثائداً وامراً حازماً حين يأمر
فما زال في الاسلام من آل هاشم
دعائم عز لا يزلنا ومفخر
انه البطل في حبه للمساكين ، في الحديث باسم ابناء
دينه ، في معارك الحرب والسلام انه ابن عم الرسول
صلوات الله عليه وسلم ، انه جعفر بن أبي طالب .

كان جعفر بن أبي طالب من أوائل المسلمين الذين
هاجروا من مكة الى الحبشة هاجر الى هناك ومعه زوجته
اسماء بنت عميس ، وعلى ارض الحبشة أنجب ابناءه
الثلاثة ، ثم عاد الى المدينة في اعقاب الانتصار على اليهود
في خيبر وفتحها .

كان عمرو بن العاص وعمر بن أبي ربيعة قد ذهبا الى
الحبشة ليحرضا النجاشي على المسلمين الذين فروا بدينهم
ليقيموا في حمى النجاشي . ومع النجاشي دارت هذه المعارك
الكلامية التي تكشف عن رباطة جأش جعفر بن أبي طالب
وقوة إيمانه وتعقله .

النجاشي : ليس في بلدي غلمانا سفهاء يا عمرو
أبن العاص ، انهم جماعة أنيتهموهم
واضطهنتهموهم فجاءوا يقيمون بيننا آمنين .

عمرو بن العاص : لا ايها الملك ، انهم سفهاء ، لقد
فارقوا دين آبائهم وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه
نحن ولا أنت ، وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم
من آبائهم واعمامهم وعشائرتهم ، لتردهم إليهم .
النجاشي : لأتبين أولا ما تقوله فيهم ، فاذا كانوا سفهاء
كما تقول ، فهم لك .

يرسل النجاشي في طلب جعفر بن أبي طالب ومن معه من
المسلمين فيحضرون ويدور الحوار التالي بين
النجاشي وجعفر في حضور عمرو بن العاص وصاحبه
وحاشية النجاشي :

النجاشي : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ، ولم
تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من الناس ،
ليتحدث احديكم .

جعفر بن أبي طالب : ساتحدث أنا ايها الملك
النجاشي : وما أنذا استمع اليك .

جعفر : ايها الملك ، كنا أهل جاهلية ، نعبد الأصنام
ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام
ونسئ الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف حتى
بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه ،
وأمانته وعفته ، فدعانا لتوحيد الله وإن لا نشارك

قال عنه أبو هريرة رضي الله عنه : كان خير الناس
للمساكين جعفر بن أبي طالب واطلق عليه النبي
صلوات الله عليه وصحابته : لقب (أبو المساكين) كان
المتحدث باسم المسلمين أثناء هجرتهم الى الحبشة ،
وكان خير المتحدثين باسمهم .

وكان أحد قادة غزوة مؤتة المعركة الوحيدة التي
يخرج بها وكانت بعد عودته من الحبشة في اعقاب فتح
المسلمين لخيبر .



بالأمس في أن يتركها ، فيرد عمرو قائلاً : ان المقيمين على
ارضك من سفهاء قومنا يقولون في عيسى قولا عظيما ، هنا
يكفر النجاشي ويأمر باحضار المسلمين .

النجاشي : يا بن ابي طالب ، ماذا تقولون في المسيح ؟
جعفر : نقول فيه ما جاء به نبينا ، وهو عبد الله
ورسوله ، وكلمته التي القاها إلى مريم العذراء
البتول .

النجاشي : ما عدا عيسى ما قلت قدر هذا العود (وإشار
بعود في يده) اذهبوا فانتم آمنون ، والله ما احب
ان لي جبلا من ذهب ، وانى اذيت رجلا منكم ربوا
إلى مبعوثي قريش هداياهم فلا حاجة لي بها .

عمرو : أيها الملك ؟

النجاشي : صه ما أخذ الله الرشوة مني ، حتى اخذها
منكم .

عندما عاد جعفر إلى المدينة مع بشائر فتح خيبر ، عبر
النبي صلوات الله عليه عن سروره بقوله : لا أدري بأيهما
اسر أفتح خيبر . أم بقدم جعفر .
ولقد حزن جعفر على ما فاتته من المعارك التي خاضها
النبي ولذلك ما أن جاءت غزوة مؤتة ، حتى استأذن جعفر
النبي صلوات الله عليه وسلم في أن يشترك فيها وأذن النبي
لجعفر ، وراح ابن عم الرسول إلى المعركة جندياً من

به شيئا ، ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام
وتصدر بعض الاصوات مهمة .

جعفر : وأمرنا بصلى الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة
الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم
والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، واكل
مال اليتيم وأمرنا بالصلاة والصيام ، فأمنا به
وصدقناه ، وحرمنا ما حرم علينا ، فتعدى علينا
قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ليربونا إلى
عبادة الأوثان ، فلما قهرونا وظلمونا ، وحالوا
بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على
من سواك ، ورجونا أن لا نظلم عندك .

النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله شيء

جعفر : نعم

النجاشي : اقرأه

جعفر : « وانكر في الكتاب مريم إذ انتبنت من أهلها مكانا
شرقيا ، فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا إليها
روحنا فتمثل لها بشرا سويا »

النجاشي : يبكي ويبكي معه البطارقة ثم يقول : إن هذا
والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة ،
انطلق يا عمرو ، انطلق يا بن ابي ربيعة ، فوالله
لا أسلمهم اليكما أبدا .

ولكن عمرو بن العاص ورفيقه لا يأسان من الإيقاع لدى
النجاشي بمن أسلم من قومهم فانهما يذهبان في اليوم التالي
إلى النجاشي الذي يدهش لتواجههما في بلده رغم أمره لهما

جنودها وفي نفس الوقت قائداً لها ، اذا ما أصابت الشهادة القائد زيد بن حارثة .

وينال الشهادة زيد بن حارثه ، ويتولى القيادة جعفر فيحمل الراية قبل أن تسقط على الأرض من يد الشهيد زيد بن حارثه ، ويتقدم ليقود المعركة بحماس المتشوقين إلى محاربة أعداء الله ، بحماس من لم يشارك في غزوة من قبل ، ويحيط الأعداء بالبطل ، والروم يتكاثرون من حوله فينزل من فوق جواده مضطرا وهو يكيل لهم الطعان ، ولكن ضربات الأعداء تتركز عليه فيضربون يمينه فيقطعونها فيتلقى الراية بشماله ويستمر في القتال ولكنهم يحيطون به فيسقط شهيدا ، ويأخذ الراية من يده عبد الله بن رواحه آخر القادة الثلاثة للمعركة والذين حددتهم النبي باسمائهم قبل الخروج للحرب .

بكى صلوات الله عليه عندما أنباه الوحي باستشهاد جعفر ، والجيش لا يزال على أرض المعركة ، وذهب إلى بيت ابن عمه يواسى ابنائه محتضنا لهم ومقبلا .

وعندما عاد النبي إلى أصحابه من بيت ابن عمه أخذ حسان بن ثابت يرثي الشهيد البطل جعفر بن أبي طالب قائلا :

حسان بن ثابت :

غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم
إلى الموت ميمون النقيبة أزهر
أعز كضوء البدر من آل هاشم
أبى إذا سيم الظلامة مجسر
فطاعن حتى مال غير موسى
لمعرك فيه القنا ينكر
فصار مع المستشهدين ثوابه
جنان وملطف الحدايق أخضر
وكنا نرى في جعفر من محمد
وقائدا وامرا حازما حين يامر
فما زال في الإسلام من آل هاشم
دعائم عز لايزلن ومفخر

« بقية مقال مسئولية المسلمين »

بمقدار معين منذ الخليفة لم تتخلف ولم تتغير . وأرض معلقة في الهواء ليس هناك ما يحملها وتور حول محورها بسرعة الف ميل في الساعة دون أن تسقط من الذي يمسكها ؟ وكواكب تسير في أفلاكها بنظام دقيق لم يحدث أن خرج كوكب وتخلف عن مداره ومساره فلكه لأنه لو خرج أو تخلف لاصطدم بكوكب آخر ولا اصطدم الآخر باخر ولحدث هلاك وفناء وتدمير وصلى قول الله عز وجل : « أن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده ؟ »

وقال عز من قائل :

« لا الشمس ينبغي لها أن تترك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في

فلك يسبحون » .
ان الدين نستور حياة ، وما احوجنا الى اعادة النظر في مناهج التربية حتى نخرج ناشئة على هدى وبصيرة ترتبط بالخالق وتهتدى بهدى رسول الله .
والحاجة قد أصبحت تتطلب الاسراع في هذا أكثر من أي وقت مضى نظرا لان المجتمع الانساني يتطور بسرعة مذهلة ، ومع التطور تظهر المفريات ونجد مشكلات وتفرض الحياة علينا واجبات ثقيلة ان لم نخطط لها تخطيطا سليما ، وان لم نحسن أبناءنا من المفريات والأوبئة ظلمنا أنفسنا ، وظلمنا ماضينا وتاريخنا وظلمنا الأجيال القادمة من بعنا - والمستقبل بمنتهى السرعة يصبح حاضرا والنظريات التي هي كخيوط العناكب تصبح واقعا وتتناقضها

الأجيال على انها حقائق . ومالم نكشف زيفها وننقي منها كتبنا وصلنا إلى مأساة ، واخذنا ندور في فراغ . ونحن أمة أسهمت وتسهم في بناء ركب الحضارة وخمل رسالة النور والخير فمن الواجب ان نعمل لتكون أفضل .
ما نحن ، وأفضل ما يمكن ان نكون - حتى يتصل حاضرا بماضينا ، وحتى ننطلق من حاضرا إلى مستقبل أفضل تعمق فيه القيم والمفاهيم ومراقبه الله .
ما احوجنا الى دراسة موضوعية ، وخطة متكاملة تعييننا الى مبادئ الحق ، حتى نسطر على صفحات التاريخ امجادا كما سطر الآباء .
وصلى قول الله سبحانه :
« ولو أن اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض »

« بقية مقال الاسلام والسلام »

حجة بحجة وبرهانا ببرهان ، دون وقوف القوى المسلحة في طريقها ، فتصيدها وتعرقل سيرها وتعوق تقدمها .

وبعد أن مكّن المسلمون لأنفسهم في « المدينة » أعلن الرسول ﷺ أنها أصبحت محرمة مثل مكة لا يصاد صيدها ، ولا يعضد شجرها ،

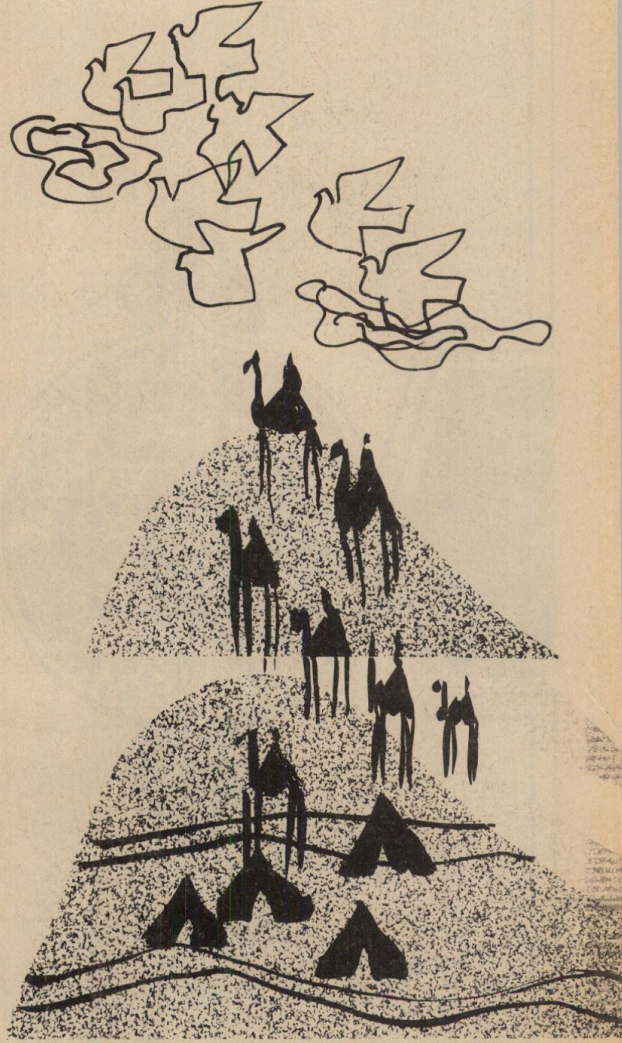
ولا تنتهك حرمتها ، وعاش المسلمون في ظل المدينة الفاضلة التي أسسها الرسول صلوات الله وسلامه عليه أمنين متحابين سالمين .



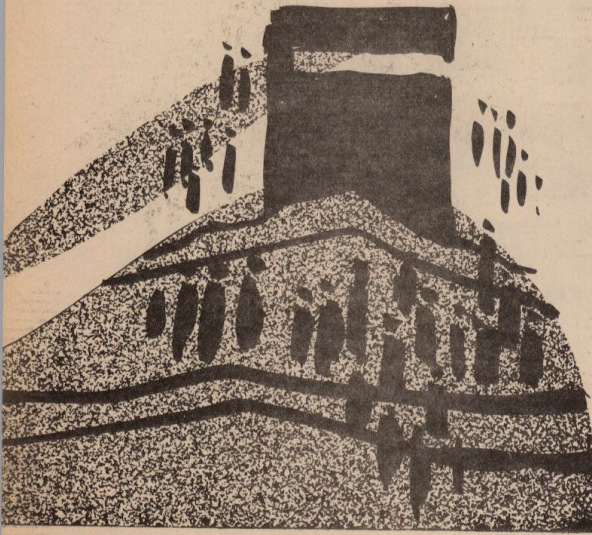
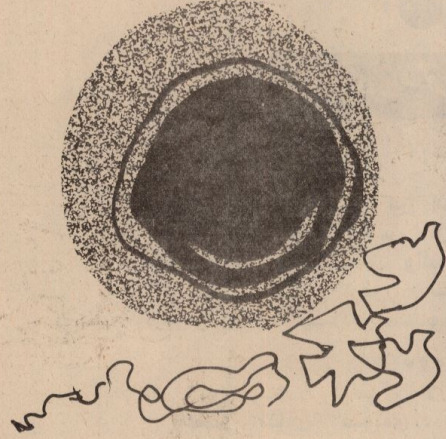
الحج

فضيلة الشيخ الصاوي شعلان

أشواق قلبي نحو مكة كلفت
بمعنى وشعري أنهراً وبحورا
يامسعداً برحاب مكة ركبته
الله جارك مؤنساً ومجيراً
ظل السلامة والكرامة وافراً
بإبر وبإكر حجك المبروراً
وموائد الغفران قد مست لمن
يرجو كريماً للذنوب غفوراً
ثق بالذي وسع الخلائق فضله
تجد العسير من الأمور يسيراً
أصبحت ضيف الله زائر بيته
أعظم وأنعم زائراً ومزوراً
هنتت بالبلد الأمين ميمماً
باب السلام وبيته المعموراً
هنتت بالمسعى الذي تلقى به
بين الأحبة سعيك المشكوراً
مست لك الفربوس روح نسيمها
وحبتك من زهر الخلود عبيراً
هي حلة الاحرام تلبسها غداً
يوم القيامة سننسا وحريراً
الله يفعل ما يشاء وقضله
الباقي، تعالى محسننا وقديراً
الله أكبر ما اطمأن الركب في
تلك الظلال عشية وبكورا
الله أكبر ما اهلوا بالحمى
وتبائلوا التهليل والتكبيراً
الله أكبر ما اطاقوا خشعاً
الله قلباً خالصاً وضميراً
وبحجر إسماعيل صلوا وارتقت
صلواتهم نوراً يصافح نوراً
الله أكبر حين حلوا زمزماً
وسنقوا شراب المؤمنين طهوراً
والعرف من عرفات يجمع شملهم
كالروض يجمع في رباه زهوراً
ومواكب الأملاك حول دعائهم
عرش السماء فريدت تكبيراً



شيرة



حتى أستحال نداؤهم من سحره
 نغما ليضطرب في الجنان الحورا
 ياطيب ما تلقى الأمانى في منى
 والعيد يقبل بالثواب بشيرا
 ورموا بها تلك الجمار كأنما
 رجموا اللعين قنابلا وسعيرا
 وتقدموا بالهدى حتى أطعموا
 بيد المبرة بائسا وفقيرا
 أضحوا جميعا في الأخوة لا ترى
 فيهم غنيا أو تحس فقيرا
 هذا هو التوحيد وحد بينهم
 فخلوا سواء خادما وأميرا
 بلد يغنى الطير فيه صادحا
 بالأمن مأنوس الربا موفورا
 وأقام فيه العش لما لم يجد
 روضا يصون من الشباك طورا
 بلد (إبراهيم) عز مقامه
 وأقام (إسماعيل) فيه قريرا
 بلد مشى (جبريل) في بطحائه
 يحلو النبي مبشرا ونذيرا
 جاء الأمين إلى الأمين معلما
 بالوحى يكشف كنزه المستورا
 أن مشى قدم النبي بارضاها
 يتلو الهدى وكتابه المسطورا
 حتى استحال التبر بعض ترابها
 وغدت حصاها لؤلؤا منثورا
 وتمنت الغيد الحسان جواهرها
 منها تزين قلائدا ونحورا
 وسل الأطباء الذين تمتعوا
 وتقلدوا منها الشفاء وفيرا
 ما أخطأوا صنع الدواء لو أنهم
 تخنوا الحصى من مكة اكسيرا
 لوزارها موسى لقدس أرضها
 وطننا وأصبح لا يريد الطورا
 الله أطلع دينه من أفقها
 لجميع أجيال الورى نستورا
 منه الهدى والنصر جل جلاله
 وكفى بربك هاديا ونصيرا

أجابه هو الإسلام

الشاعر عبد المنعم عبد الرحمن

صه.. لا تقل من أين أنت ولا تسأل عن بلتي
أنا من هنا.. من كل أرض تنتمي للكعبة
من مصر والسودان واليمن الشقيق وطيبة
من كل أرض أمنت بمحمد والقبلة
أنا من هنا.. مادام صوت الحق أعلى صيحة

أني اتجهت فأبني لا أشعرن بوحشة
مهما تنأى مولدى.. فأنا هنا في بلتي
في كل أرض موطني أهلى هناك ومصحبتى
في كل مصر يلتقى حبي وحب عشيرتى
مادام قصيدك مقصدي.. مادام سيرك وجهتى
مادام بينك يلتقى متعانقا.. بعقبتي
فأنا وأنت وهذه.. كل هنا من أسرة

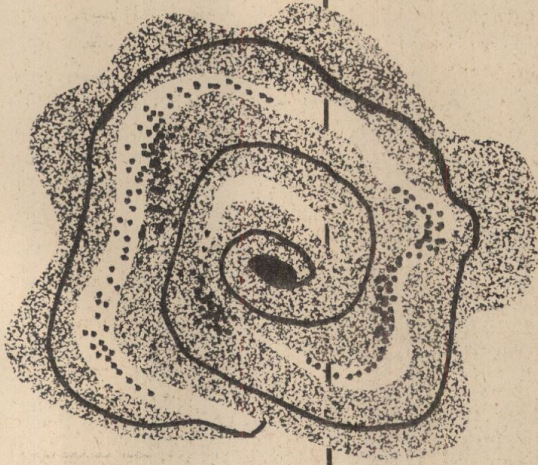
مادام في صوت المائن ما ينير بصيرتى
ما دام بين الحق يدعوني لكل فضيلة
ما تمت أرفع في الصلاة إلى المعالى جبهتى
ما تمت ألقى هاهنا بهدى الشريعة عزتى
أنا من هنا هيهات أشعر لحظة بالغربة

أعرفتنى ؟ وعرفت في أى النواحي بلتي؟
أترى علمت الآن من أى الأصول قبيلتى؟
فأنا ابن أكرم والد وأنا ابن أعرق أسرة
فأبى هو الإسلام والقيم الرفيعة عترتى



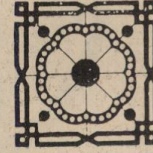
الطب الوقتاني

بين الهدى
النبوى
ونظريات الطب
الحديثة



قال رسول الله - ﷺ - في إحدى أحاديثه الشريفة : (قص
الظفر واحلق العانة وانتف الايط يوم الخميس واجعل الطيب
واللباس والغسل يوم الجمعة)
كما أن الفطرة خمس :

(الختان والاستحداد ونتف الابط وتقليم الأظافر وقص
الشارب) وقد أكدنا ولا نزال نؤكد أن ديننا الاسلامى الحنيف
لهو الدين المعجز وقد قمت بعون الله - سبحانه وتعالى -
بشرح فائدة قص الظفر بانتظام وغسل اليدين قبل الأكل وكيف
أن بهذين العملين البسيطين يستطيع أن يتجنب ويلا
الأمراض التي لا قبل له بها ومنها : الاصابة بديدان
الأكسبوس والهيميتوليبس نانا والدوسنتاريا الأميية
ومرض التيفود والباراتيفود والدسنتاريا الباسيلية والكوليرا
والتسمم الغذائى ومرض إلتهاب الكبد الوبائى المعدى ومرض
شلل الأطفال .



المكتبة ايتسام عبدالمعظم

ويأتى بنا الأمر إلى قوله عليه الصلاة والسلام : اخلق العانة وانتف الابط ففيه وقاية للإنسان من قمل العانة كما أن القمل واللباس بانتظام وقاية للجسم من قمل الشعر وقمل الجسم . وقد ذكرنا . يعون الله - سبحانه وتعالى . في المقال السابق الذى نشر فى مجلة (منبر الاسلام) الغراء فى العدد (١١) من ذى القعدة سنة ١٣٩٧ هجرية أن هناك ثلاثة أنواع من القمل . قمل الشعر وقمل الجسم وقمل العانة .

وقد تحدثنا عن قمل الشعر بالتفصيل وعن تاريخ حياته وكيف يقوم بنشر حمى التيفوس وحمى الرابعة أثناء الأوبئة وأنه يكثر حيث تفتقر النظافة كما تحدثنا أيضا عن قمل الجسم وذكرنا أن القمل بصفة عامة طفيلي يعيش على امتصاص دماء الإنسان مما يؤدى إلى الضعف التام وفقر الدم ويصيب الرأس والجسم بالحكة الجلدية والحساسية نتيجة لدغته . وأهم من هذا وتلك فإنه قد يقوم بنقل الأمراض الوبائية وغير الوبائية مثل :

١ - مرض (حمى التيفوس) الوبائى الذى تسببه (الريكتسيا بروفازاكي) فى دم وأنسجة المريض خلال فترة المرض وفى أثناء النقاهة وينتقل المرض بواسطة قمل الجسم أو قمل الشعر .

٢ - طريق العدوى : يمتص القمل أجسام (الريكتسيا) مع دم المصاب فتهاجم (الريكتسيا) خلايا أمعاء القمل وتتكاثر بداخل الخلايا ثم تنفجر فى النهاية فى اتجاه تجويف القناة الهضمية . وتخرج أجسام الريكتسيا مع براز القمل :

١ - يلوث براز القمل المصاب جروح أو خدوش الجلد .

٢ - يستنشق براز القمل مع التراب أو الهواء فيدخل عن طريق الغشاء المخاطى المبطن للأنف والبلعوم .

٣ - عن طريق الفم بواسطة تلوث الأيدي ببراز القمل وإدخالها مع الطعام .

٤ - بواسطة دك العين بواسطة الأصابع الملوثة ببراز القمل . هرس القملة المصابة عند الهرش وخروج (الريكتسيا) التى قد تدخل الجسم عن طريق الطرق السابق ذكرها .

- قد يحتوى الرزاز المتطاير من أنف أو فم المريض على (الريكتسيا) .

التوزيع الجغرافى :

ينتشر المرض فى كل أنحاء العالم ما عدا المناطق الاستوائية ويعتمد انتشار المرض على وجود القمل وهو كثير الشيوع فى أثناء الحروب وأثناء الشفاء ويحدث فى الجنسين بالتساوى .

التغيرات المرضية :

يتضاعف عدد (الريكتسيا) بالانقسام وبصفة خاصة فى خلايا الأوعية الدموية الصغيرة وهذا التضاعف يحدث انسدادا ميكانيكيا لتيار الدم ويحدث نزيفا صغيرا يكون على هيئة بقع صغيرة ويحدث هذا فى المخ والعضلات والقلب والجلد ويحدث ما يسمى بالعقد التيفوسية الصغيرة فيحدث تجمع للخلايا الأكولة والخلايا الدموية البيضاء ويحدث تسمم عام بالجسم ويحدث الطفح الجلدى وتضخم الطحال ويحدث النزيف فى خلايا المخ .

الصورة الكلينية : (الأعراض والملاحظات) :

يكون المرض فى العادة شديدا . مدة الحضانة : من سبعة أيام إلى ٢١ يوم (وهى المدة بين دخول الميكروب المرض وظهور الأعراض والملاحظات) ويحدث المرض مفاجيء مع حدوث رعشة وصداع والام شديدة بالجسم وترتفع الحرارة بسرعة وتصل درجة

ويأتى بنا الأمر إلى قوله عليه الصلاة والسلام : اخلق العانة وانتف الابط ففيه وقاية للإنسان من قمل العانة كما أن القمل واللباس بانتظام وقاية للجسم من قمل الشعر وقمل الجسم . وقد ذكرنا . يعون الله - سبحانه وتعالى . فى المقال السابق الذى نشر فى مجلة (منبر الاسلام) الغراء فى العدد (١١) من ذى القعدة سنة ١٣٩٧ هجرية أن هناك ثلاثة أنواع من القمل . قمل الشعر وقمل الجسم وقمل العانة .

وقد تحدثنا عن قمل الشعر بالتفصيل وعن تاريخ حياته وكيف يقوم بنشر حمى التيفوس وحمى الرابعة أثناء الأوبئة وأنه يكثر حيث تفتقر النظافة كما تحدثنا أيضا عن قمل الجسم وذكرنا أن القمل بصفة عامة طفيلي يعيش على امتصاص دماء الإنسان مما يؤدى إلى الضعف التام وفقر الدم ويصيب الرأس والجسم بالحكة الجلدية والحساسية نتيجة لدغته . وأهم من هذا وتلك فإنه قد يقوم بنقل الأمراض الوبائية وغير الوبائية مثل :

- مرض (حمى التيفوس) الوبائى الذى تسببه (الريكتسيا بروفازاكي)

- مرض (حمى الخناق) الذى تسببه (الريكتسيا كوينتانا) .

- مرض (الحمى الرابعة) الوبائية الذى تسببه السبيروكيت (البوريليا ريكرنتير) .

كما تحدثنا أيضا عن قمل العانة وأنه يعيش فى منطقة العانة والمنطقة التى حول الشرج كما قد يوجد أيضا تحت الإبط ، وفى شعر الذقن والشارب وفى شعر الصدر وفى رموش العينين وتعتبر منطقة العانة أكثر الأماكن إصابة . وينتقل من المصاب إلى السليم أثناء الالتقاء الجنىسى فى الإنسان أو عن طريق استعمال فوط الغير أو الأغشية وفى مقاعد دورات المياه . وقد توجد فى رموش الأطفال وذلك نتيجة لتساقط القمل من الإبط فى الأمهات المرضعات وتضع الأنثى بويضاتها التى تلتصق بالشعر ثم تفقس البويضات بعد أيام قليلة وتخرج اليرقة التى تنسلخ ثلاث مرات إلى أن تصل إلى طور البلوغ وقد وجد أن قمل العانة لا يقوم بنقل الأمراض ولكن بالتجربة قد يقوم بنقل التيفوس . ويظهر فى جلد العانة كبقع زرقاء وذلك نتيجة لافراز اللعاب كما أن لدغ الحشرة يؤدى إلى (الهرش) الذى يؤدى بدوره إلى حدوث خدوش بالجلد فيؤدى ذلك إلى العدوى الثانوية لجلد العانة وعندما توجد فى رموش العينين فإنها تؤدى إلى التهاب الجفون .

الاجراء الوقائية :

خلق العانة نتف الابط على الملابس . استعمال بودرة (ال د . د . ت .) يأتى بنا الأمر إلى التحدث عن الأمراض التى يقوم القمل بنقلها مثل :

أولا : مرض حمى التيفوس الوبائى :

وهو مرض يصيب الإنسان فقط وتسببه (الريكتسيا بروفازاكي) وهو ينتقل من إنسان إلى آخر بواسطة قمل الشعر وقمل الجسم .

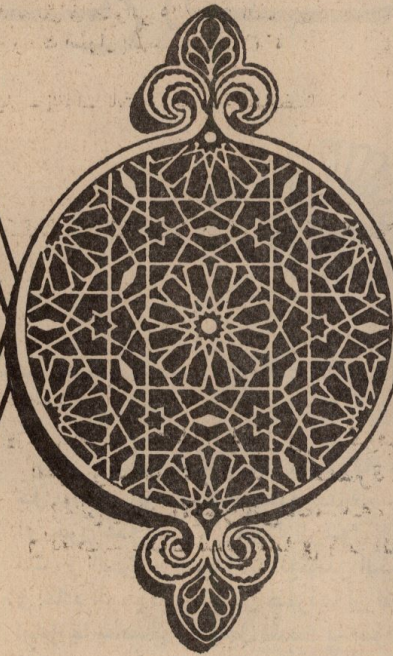
إلتهاب رئوي من الريكتسيا بسبب الوفاة .
المضاعفات :
 قد تحدث جلطة بأوردة الساقين .
 قد يحدث غرغرينة بأصابع القدمين .
 إلتهاب الغدة النكفانية المتقيح وقد تحدث قرح من
 الفراش .
 نسبة الوفيات : ١٠ - ٥٠ ٪ وتزيد نسبة الوفيات في كبار
 السن .
وأثناء الأوبئة
العلاج :
 وقائي : العمل على الحد من القمل بواسطة النظافة
 الشخصية وبواسطة الغسل واللباس بانتظام وقص الشعر
 بانتظام وتنظف الأبط وحلق العانة واستعمال بودرة (الد د .
 ت) .
 إعطاء الفاكسين الواقي للمخالطين للمرض .
العلاج :
 بواسطة عقار الكلورمفينكول .
 إعطاء المحاليل - والفيتامينات .
 والتمريض الجيد .
 النظافة قد تستمر إلى حوالي شهر .
 [للحديث بقية بإذن الله تعالى]

الحرارة إلى ٣٩,٥ مئوية . ٤٠° مئوية في حوالي ٢ - ٣
 أيام .
الأعراض المبكرة : يكون الوجه محمداً وتحققن العينين
 ويكون الفم جافاً ويتشقق اللسان وتصبح ملامحه غير
 معبرة ويشعر المريض بالدوخان ويحدث الهذيان ويكون
 هناك رائحة معينة لقمه .
 - يستمر الارتفاع في درجة الحرارة إلى حوالي ٧ أيام
 يكون المريض خلالها غير متيقظ .
 - يظهر الطفح بالجلد في رابع أو خامس يوم وتكون على
 هيئة بقع حمراء صغيرة ويظهر في الجسم على هيئة نقط
 وتبدأ في الاختفاء بعد عشرة أيام ثم تترك لونا بنيا يختفي
 أيضا بعد سبعة أيام . ولا يظهر الطفح في الوجه ولا في راحة
 اليدين أو أسفل القدم .
 - تبدأ الحرارة في الانخفاض بعد ١٠ - ١٢ يوما .
المشاهدات :
 النبض : يكون سريعا في الأول ثم يصبح بطيئا . وينخفض
 ضغط الدم .
 يحدث تضخم بالطحال في حوالي ٢٥ ٪ من الحالات
 ويحدث أمساك (أو يحدث اسهال) يحدث إلتهاب الكلى في
 الحالات الشديدة .
 عدم النوم والهذيان - إلتهاب بالشعب الهوائية . قد يحدث

كلمة :

■ لأن الناس جعلوا الدين وراء قلوبهم وعقولهم جميعاً ، انحسر
 النور والطهر عن أيامنا المعاصرة ..
 ولكي يعود الأمر إلى نصابه ، لابد وأن يستأنف العقل
 والقلب - معا - مسارهما في فلك الدين .
 الإمام مصطفى عبد الرازق
 شيخ الأزهر الأسبق

شخصيات إسلامية

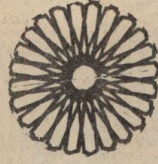


الحسن

ابن علي

رضي الله عنه

مع الشيخين



الأستاذ توفيق أبو عامر

ينظر الحسن عليه السلام عقب وفاة جده ﷺ الى الحزن البهيم الذي حل بأمه الرعوم فيتصدع قلبه ويثرف من الدموع ما ساعدته الجفون ،
أى حزن هذا الذي حل بابنة الرسول ﷺ وريحانته ، حتى ضربوا بها
المثل في الحزن وعدوها من البكائين الخمسة الذين مثلوا الحزن والأسى
في عالم الوجود ، وبلغ من حزنها أن أنس ابن مالك استأذن عليها
ليعزيها بمصابها الجليل فقدمت له سؤالاً مقروناً بالتفجع : كيف طابت
نفوسكم أن تحنوا التراب على رسول الله ﷺ وعانتها أمهات المؤمنين
مع بعض النسوة يسألنها عن حالها ويعزينها بمصابها فالتفتت لهن
بقلب مكلوم قائلة : (أجبنى كارهة لديناكن مسرورة بفراقكن ، ألقى الله
ورسوله بحسرات منكن ، فما حفظ لى الحق ، ولا رعيت منى الزمة ،
ولا قبلت الوصية ، ولا عرفت الحرمة) . وهكذا بقيت الزهراء بعد أبيها
ﷺ - وقد أضناها الحزن وهدها المصاب وذاب قلبها أسى جدد القوم
حقها وسلبهم تراثها .

وبقى الحسن عليه السلام معها في تلك الفترة مصدوع الجسم خائر القوى ، قد نبلت نضارة صباه ، لا يعرف في نهارة الايبات الأحزان ، حيث يمضى مع أمه ليساعدها ويخفف عنها اللوعة والحسرة ويستمر معها طيلة النهار ، فإذا أوشكت الشمس أن تغرب تقدمها مع أبيه وأخيه قافلين الى الدار فيجد الوحشة والغم قد خيما عليها . وفي اليوم الأخير من حياة الزهراء غسلت لولديهما وأمرتهما بالخروج الى زيارة قبر جدهما ، فخرجا عليهما السلام وهما يفكران في الأمر هل أنهكت العلة أمهما ؟ ولم يلبثا كثيرا في المسجد فرجعا قافلين الى الدار ، فلما وصلا اليها قال لاسماء - (أين أمنا ؟) فأجابتهما والارتباك والذهول باد عليهما وهى تذرف الدموع ! يا سيدي ان أمكما قد انتقلت الى حظيرة القدس فأخبرا أباكما بذلك فقد قلبهما بهذا النبأ المريع ورجعا الى المسجد فاستقبلهما الناس قائلين لهما : ما بيكما يا بني رسول الله لا أبكي الله لكما عينا ، لعلكما نظرتما الى موقف جدكما ﷺ فبكيتما شوقا اليه ، فأجابا : أو ليس قد ماتت أمنا فاطمة . وسلبا شعور الناس وتركا الألم والندم يحز قلوبهم لأنهم فقدوا بضعة نبيلهم واغز أبنائه وبناته عنده .

ثم يصغى الحسن الى مناجاة أبيه وهو يقول : « السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعة اللحاق بك ، قل يا رسول الله عن صفيته صبرى ، ورق عنها تجلدى ، الا ان لى في التماسى بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعز ، فلقد وسيتك في ملحودة قبرك ، وفاضت بين نحري وصدرى نفسك ، أنا لله وأنا اليه راجعون ، فلقد استرجعت الوديعه وأخذت الرهينة . أما حزنى فسرمد ، وأما ليلى فمسهد ، (الليل المسهد الذى ينقض بالسهر) الى أن يختار الله لى دارك التى أنت بها مقيم ، وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها فأحفها السؤال ، (الإحفاء بالسؤال الاستقصاء فيه) واستخبرها الحال ، هذا ولم يطل العهد ولم يخل منه الذكر ، والسلام عليكم سلام مودع لا قال ولا سئتم ، فان انصرف فلا عن مسألة ، وان أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين » .

- يسمع الحسن هذه المناجاة الحزينة من أبيه فتلم به آلام مبرحة ، ويحف به حزن مرهق ، فقد رأى أعز ما في الحياة عنده أمه الرعوم تحمل على الآلة الحديد فتوارى في الثرى في غلس الليل البهيم .

وفي هذا يقول الأستاذ الفاضل كامل سليمان : (فإذا نظرنا الى الحسن في الفترة نجده بعد أن فقد جده وأمه تبدو على حركاته الصنعة والكلفة ، إذ يحس وهو بين ظهرانى هذا المجتمع الجديد أنه في عالم غير العالم الذى ألفه فلا يجد نفسه في المحل الذى عرفه اليه جده فيتطلع الى أفق أبعد . . . يفكر كثيرا ويقدر كثيرا لأنه يرى أوضاعا متقلبة وحروبا دائمة ، وأعدادا وتجهيزا وأمة خاصمة مخصومة ، ويرى وسطا لا عهد له به فيه اجلاب ما تعود سماعه ، فيجمع احساساته المشتتة وتتحرك في نفسه يقظة تختلف عن

لا مبالاة الطفولة الهادئة ، ويبدأ بتفتيح عينيه مشرقا ومغربا شأن كل ناشئ تستتم مواهبه نموها ، فينفع للمشاهد وتطفح نفسه بالمؤثرات التى تفيض عنها الحقيقة ، ها انه ينظر فيكفهر الكون في وجهه وتكتنف وحشة بغضه وجو غير محبب . انه لا يرى جده الذى أفاض تامله على الدنيا - ثم لا يرى أمه التى كان يركن الى عطفها وائناسها ، واذ ذاك يتقلب بين قبر هذه في البقيع وجذذ ذاك في المسجد ليبيكى قليلا أو كثيرا وليسرى عن نفسه ويخفف من غلوائه .

فما حلت به أزمة من هذا النوع الا كان يقصد البقيع او المسجد وفي حسبانته أن شبحى محمد وفاطمة هما كل ما في الكون .

وقد بينت بالتفصيل في مقالات الامام على رضى الله عنه كيف أن الامام عليا كان يرشح نفسه للخلافة بعد رسول الله ﷺ ومما لا شك فيه أن ما استقر في نفس الامام على من الاستياء على اخذ حقه قد استقر في نفس الحسن عليه السلام ، فجعله يؤنب وينتقد من احتل مركز أبيه .

على أن الامام عليا لم يخبر وسعا في ابداء الراى كلما احتاج اليه الخليفة ، وإذا حلت مشكلة لا يتمكن من حلها رجعوا الى الامام على ليكشف لهم الستار عنها ، وكان يتولى اجوبة ذلك تارة بنفسه واخرى بسند الحل الى ولده الحسن ، فمن ذلك أن اعرابيا سال الخليفة ابا بكر فقال : انى أصبت بيض نعام فتشويته واكلته وأنا محرم فما يجب على ؟ فتحير الخليفة ولم ينطق جوابا ، وأحال الجواب الى عمر فتحير كما تحير صاحبه ، وأحال الجواب الى عبد الرحمن فعجز ايضا وفرغوا الى الامام ، فوجه اعرابى اليه السؤال السالف فالتفت اليه الامام على قائلا : سل اى الغلامين شئت وأشير الى الحسن والحسين فتوجه اعرابى الى الحسن فسأله عن مسأله فقال له :

الك ابل ؟

الاعرابى : نعم

فقال له الامام الحسن : فاعمد الى ما اكلت من البيض نوقا فاضريهن في الفحول فما ينتج منها أهده الى بيت الله العتيق الذى حججت اليه ، فالتفت اليه الامام على قائلا : (ان من النوق السلوب وما يزلق)

فأجابه الحسن : ان يكن من النوق السلوب وما يزلق فإن من البيض ما يمرق (مرقت البيضة اى فسدت) . واستحسن الامام على جواب وليده فالتفت الى حضار مجلسه مشيدا بمواهب ولده ومعربا عن غزارة علمه وفضله قائلا : « معاشر الناس ان الذى فهم هذا الغلام هو الذى فهمه سليمان بن داود » .

على أنه يمكن القول أن الخليفة الأول رضى الله عنه كان على يقين من فضل الحسن يعرف منزلته ويحب عليه ويقلد جده في الحنين اليه ، حتى أنه كان يخاطب الناس ويحضرهم على احترامه واحترام نويه ويقول : ايها الناس ارقبوا

محمدا في أهل بيته ، واحفظوا فيهم فلا تؤذوهم .

مكانة الإمام الحسن عند أمير المؤمنين عمر :

فرض أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للحسن والحسين عليهما السلام مثل فريضة أهل بدر وقدمهما على كثير من المهاجرين والأنصار تقديرا لهما ولقرايتهما من رسول الله ﷺ ولم يلحق معهما برجال بدر ممن لم يشهد الواقعة الاسلام الفارسي وأبا ذر .

وقال أمير المؤمنين عمر لقومه من بني عدى : (والله ما أكرنا الفضل في الدنيا الا بمحمد ، ولا نرجو ما نرجو من الآخرة وثوابها الا بمحمد ﷺ فهو شرفنا وقومه أشرف العرب ثم الأقرب فالأقرب)

وعندما كسا أمير المؤمنين أصحاب النبي ﷺ فلم يرتض في الكسوة ما يستصلحه لهما ، فبعث الى اليمن فأتى لهما بحلل فاخرة ثم ما اطمأن بآله ولا طابقت نفسه الا حين لبسا وخطرا امامه .

وكيف لا يمتلىء صدره غبطة ولا يتيه جذلا وهما ابنا رسول الله وهو يجلس للتوزيع بين قبره ومنبره في حين أن أبا حفص يعرف عنهما وعن سابقة الهاشميين ما لا يسع الجاهل أن يرده أو ينكره ، فلم تمر سائحة الا وصرح فيها بمعقده ، ولا سنحت فرصة الا وجهر فيها بما يكنه في نفسه نحوها : فانه عام الرفادة سنة سبع عشرة للهجرة عندما كثر الناس الاستسقاء وفشلوا قال لهم : لأستسقين غدا بمن يسقى الله به ، ولما أصبح غدا عند العباس وقال له : اخرج بنا حتى نستسقى بك ، فقال العباس يا عمر اقعد في بيتي ثم أرسل الى بني هاشم أن يتطهروا ويلبسوا من صالح ثيابهم - فأتوه - فأخرج طيبا فطيبهم ثم خرج العباس وعلى أمامه والحسن عن يمينه والحسين عن يساره وبني هاشم خلف ظهره ودعا العباس الله فسقى بهم ..

فان في اعتزاز عمر بهم وفي تسليمه بفضلهم انصاف واطمئنان وثقة غالية ، بل انه الحق يدعن اليه ابن الخطاب قانعا راضيا - وكان به ساعته قد عرف خطرتهم عند الله فمشى خلفهم موقنا لا يحتمل الفشل - امام معجزة استمرار الغيث لانه واثق كل الثقة بنجاح المعجزة ويساطع برهانهم وعظيم قدرهم .

وليس هذا آخر ما عنده من التلميح والتصريح ، فقد استأنن الحسن عليه مرة فلم يؤذن له ثم استأنن عبد الله ابنه فلم يؤذن له ، ومضى الحسن ومضى ابن عمر ..

ولكن شيئا داخل خاطر الحسن فاقتصد في الكلام لمورده ! واستدعا الخليفة فقال الحسن : لقد قلت يا أمير المؤمنين . ان لم يؤذن لعبد الله فلا يؤذن لي ... وانصبت لكلمة الفصل تنور على لسان أبي حفص الذي قال : أنت أحق بالآذن منه ! وهل أنبت الشعر في الرأس بعد الله الا أنتم ؟ .

لقد كان أمير المؤمنين يؤثر الحسن ويأنس بحديثه اذا حضر ، وكان يستطيع اخباره اذا فارقه أو جافاه ، لأن مرتبة أبي محمد في الأمة لم تعد خافية على أحد من سائر الناس فكيف بابن الخطاب الذي كان يقربه ويدينه ويختصه من دون ولده ؟

لقد قسم السهام يوما فأعطاه وأعطى أخاه كل واحد منهما عشرة آلاف وأعطي ولده عبد الله ألف درهم ، فحقوق عبد الله وعائده أياه قائلا : (قد علمت سبقي في الاسلام وهجرتي فكيف تفضل على هذين الغلامين) .

واعتقد انه اقنع أباه وجاء بحجة لا يحضها عدل أبيه وصلابته - بل لعله آمن بأنه قد استولى على مشاعره وحرك ناحية العاطفة والحساسية فيه ، ونسى بيان الأب الذي قال بغضب ! ! ويحك يا عبد الله ! اتنتي بجد مثل جدكما وأب مثل أبيكما وأم مثل أمهما ، وجدة مثل جدتهما وخال مثل خالهما وخالة مثل خالاتهما ، وعم مثل عمهما وعممة مثل عمتهما فجدكما رسول الله ﷺ وأبوهما علي ، وأمهما فاطمة وجدتهما خديجة وخالهما ابراهيم وخالاتهما زينب ورقية وأم كلثوم ، وعمهما جعفر بن أبي طالب وعمتهما أم هانئ بنت أبي طالب ، وقد نسبهما وانتسب فما سواي واحدا بواحد ، واقنع ولده ببساطة ومنطق سيال ، وعرفه بدينك الغلامين فطائبا عبد الله الهام ادعانا للحق واحتراما لمقالة الوالد ، وأصبح بعدما ويفضلها - يعترف بحقهما ويحب عتهما حتى اتهم بمغالاته في الهاشميين جميعا . وكيف لا يكون عبد الله كذلك وقد أعطاه أبوه الأمثال في كل قول قاله بعلى أو كل حكم حكمه على رأي على وكل مشورة استشار بها عليا ! !

ولأمير المؤمنين عنده في ايفار الحسن - لانه مضافا الى ما سمع يتطلع فيمن هم حوله فلا تقع عينه الا على من يقول : سمعت رسول الله - أو حديثي رسول الله - أو قال فلان قال رسول الله ، موصيا بالحسن واخيه ومعلنا تنصيبهما سيئين محاذين بالجلالة والاكرام ، وأمامين قاما بالأمر أو قعدا عنه .



أبو الفتح عثمان بن جني

الدكتور حامد محمد شعبان

لمحات من عصره :

لا بد أن نقدم نبذة عن العصر الذي عاش فيه خير العلماء في دراسة خصائص العربية بمنهج تربوي رائع ، ومستوى فكري بارع ، وأفضل باحث اجتهد في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، وأحسن من تناول التصريف وإحكامه بقدرة عالية ، ونسب جليل - وهو أبو الفتح عثمان ابن جني - الذي كان في المائة الرابعة وبين علمائها قمة شامخة . . . وقد عاش هذا العالم الكبير في عصر زاهر بالأحداث السياسية ولا يعيننا من تلك الأحداث إلا ما صنعه بنوبويه لأن أبا الفتح اتصل بهم ، وهم الذين كانوا أصحاب النفوذ الواسع ، والعناية الفياضة بالأدب واللغة ، وهؤلاء البويهيون صنعوا الشيء الكثير ، فانتزعوا الحكم ، وتقلدوا زمام الأمور ، وجعلوا الخلفاء عندهم

صنائع يعطونهم المرتبات كسائر الموظفين ، ويعزلونهم عندما لا يرغبون في وجودهم ، أو يسيئون معاملتهم ويظلمونهم متى أرادوا ، ولقد شهدا بن جني سيادة بني بويه ، ورأى ما فعلوه حيث كانوا يؤمنون بأن العباسيين مضادون ، سلبوا حق أهل البيت ، ثم شاهدتهم يمنحون عطاءهم الواسع لمن له وشائج صلة أكيدة بهم أو بغيرهم من المقربين إليهم . . وفي ظل أولئك المسيطرين كثرت المجاعات ، واختل الأمن ، وانتشر السطو ، وذاع المجون والخلاعة ، وظهرت خلافات على جانب كبير من الخطورة بين عناصر الأمة المختلفة من عرب وبيلم وأتراك ولكن الخلاف المذهبي هو الأخطر . . فالمذاهب الشائعة ، وهي السنة والمعتزلة والشيعة وغير ذلك انطلقت في نشاط بارز ، وكثرت المناظرات

والمحاورات ، وبدأت الخلافات متصلة الحلقات بين أصحاب هذه العقائد ، الأمر الذي تمخضت عنه موجات من الاضطهاد كانت تصيب هؤلاء تارة ، وأولئك تارة أخرى ، ووجد الناس نزاعا دائم الحدوث ، قوى الأثر ، بين هذه المذاهب ، وأبصروا ما جرى من جوع وحرق وقتل نتيجة للفتن ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، ذلك لأن القوميات التي أذابتها الفتوح تحركت ، ونشطت الشعوبية ، وقامت في هذا العصر بمجادلة نحاة العرب ، وهب المخلصون للعربية للدفاع عنها . . وهناك جانب هام ظهر في فترة نفوذ بني بويه ، وهو رعاية الدولة الشيعية للفلسفة ، واحتضان فلاسفة هذا العصر ، حتى أصبح للمسلمين فلسفة يسرت مواردها ، وتعددت كتبها ، واقتبس منها العلماء ، وأدركوا أنهم لا بد أن يندفعوا إلى معارفها ، ليشتروا في الحلقات التي يشرح فيها

العلماء مذاهبهم، وينقضون مذاهب خصوصهم، مما جعل الناحية العقلية تنمو نموا عظيما، ظهر أثره في الثقافة الخصبة المتنوعة، والدراسات الدقيقة العميقة كدراسات أبي الفتح عثمان بن جني... وتأثرت اللغة واللغويون بكل ما نكروناه، ووجد العصر طائفتين من اللغويين في القرن الرابع: طائفة المحافظين، وهي الفئة التي تحركت حركة قوية لتحمل الفصحى، وتنقي اللغة بكل ما استطاعت... وهذه الفئة لديها أسباب كثيرة دفعتها إلى ذلك، فاللحن فشا بصورة هزت كل من يحب لغة القرآن، نتيجة لكثرة الجوارى الأعجميات وغلبة الأتراك، ولم يترك اللحن مجالس العلماء ومناقشاتهم، ووقع الكثير منهم في تياره، ولذا رأينا كتبنا في الفصحى، ودراسات في التفرقة بين الصيغ وغيرها... واشترك أصحاب المعاجم في هذا المجال، وأدركوا الخطر الذي تتعرض له لغة القرآن، فاهتموا بالصحيح، ونقدوا الثروة اللغوية لخالصوها من الشوائب، وأثبت دورهم في صون اللغة أنه عمل جليل خدم العربية خدمة كبرى... وإلى جانب طائفة المحافظين نجد طائفة القياسيين غير المتشددين الذين يوسعون دائرة الاشتقاق، ويقبلون الكلمات الكثيرة، وحببتهم أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب... ومثل هذه الطائفة أبو علي الفارسي وتلميذه الذي نتحدث عنه ابن جني.

وهؤلاء القياسيون كشفوا في بحوثهم كثيرا من الدراسات الهامة، وأعطوا القرن الرابع نظرات عميقة في فقه اللغة، وأعلنوا أن ما عرف من الاضطراب لم يكن له تأثير ضار في الدرس أو البحث، وأن الحياة الفكرية اختلفت عن الحياة السياسية، فالأولى نصيبها القوة والنشاط، والثانية حظها الاضطراب والصراع، ولم ير القياسيون إلا رعاية بني بويه، تلك الرعاية التي كرمست الباحثين، وحتتهم على التصنيف، وولت الوزارة أشهر كتاب القرن الرابع، مثل أبي

الفضل ابن العميد وولده أبي الفتح، والصاحب بن عباد وغيرهم. وحظى ابن جني بمرتبة سامية، فقد كان متصلا بهم بأقوى الأسباب... مما يؤكد أن عصره جدير بما حصله من فضل، وخلق أن يدفع العلماء إلى الإبداع والغزارة...

نسبه ومولده ونشأته:

هو عثمان بن جني الأزدي بالولاء، كان أبوه جني روميا، وهو بكسر الجيم والنون مشددة وهو الأشهر، وقد تخفف معرب «كنى» باليونانية، وهناك صور أخرى في ضبط «جني»... والذي يهمنا أن معنى كنى في العربية فاضل، كريم، نبيل، جيد التفكير، عبقري، مخلص... أما أبوه فقد كان مملوكا روميا يونانيا لسليمان بن قهد بن أحمد الأزدي، قيل إنه وزير شرف الدولة قراوش، ملك العرب، وصاحب الموصل... ونذكر أنه من أعيان الموصل...

ولا يعرف من نسب ابن جني غير أبيه الذي يحيط به الغموض لأنه غير عربي، ولكنه كان يفخر بنسبته إلى العلم، فهو عنده نسبه الذي يرفعه ويعوّضه... ويذهب بنسبته أيضا إلى قياصرة الروم، لأنه رومي، وهم في نظره سادة نجب، لهم شأنهم في الحياة الدنيا، ولهم شرفهم بدعاء النبي لهم إلى الاسلام... وكنيته أبو الفتح، وهي الكنية التي جاءت في مؤلفاته، وبرزت في كتابه المحتسب، بصورة تدل على اتخاذها آية يصدر بها كلامه في الاحتجاج، ويبدأ بها درسه وبحثه.

وكان مولده بالموصل قبل الثلاثين والثلاثمائة - كما ذكر ابن خلكان وياقوت، وارتضاه من ترجم له في كتابه المبهج... وهناك آراء أخرى، بعضها يؤكد أنه ولد سنة ثلاثين وثلاثمائة بعد الهجرة، وبعضها يقرر أنه ولد في بدء العصر العباسي الثاني حين استولى بنوبويه سنة ٣٢٤ هـ على بغداد، وأزالوا سلطان الخلفاء العباسيين السياسي إزالة تامة، وبعض العلماء يذكر أنه ولد سنة ٥٣٠ هـ

ومن الآراء ما يقوله إنه ولد سنة ٣٠٢ هـ، ومنها ما يشير إلى أن ولادته سنة ٣٢٢ أو سنة ٣٢١ بناء على أنه توفي وهو في سن السبعين سنة ٣٩٢ هـ (انظر مقدمة الخصائص لابن جني). ويرى بعض الكاتبين عنه من علماء المشرقيات أن ولادته كانت سنة ٣٢٠ هـ - ويبدو أن أقرب الآراء إلى المستساغ وما توحى به قصة مسجد الموصل مع أستاذه أبي علي الفارسي سنة ٣٣٧ هـ هو الرأي الذي يقول إنه ولد سنة ٣٢٢ أو سنة ٣٢١ ويتلوه الرأي الذي يذكر أن ولادته سنة ٣٢٠ هـ فالرايان يعطيان سنا مناسباً لقول أستاذه أبي علي حين مرّ عليه ووجه متصدرا للتدريس في مسجد الموصل مقصرا في الإجابة عن مسألة قلب الواو الفا في نحو قال - وهو: «تزيبت وأنت حصرم». على الرغم من قول محقق كتاب الخصائص إنه من القليل أن يتعرض المرء للتدريس في السن المبكرة، ويؤازرنا في كون ابن جني من هذا القليل محقق كتاب المحتسب، فإنهم يشيرون إلى نبوغه، ويجيزون أن يكون الأمر كله، مجرد مسألة دارت بين أبي الفتح وبعض قرنائه، وأن أبا علي اختصه بالاعتراض، لأنه كان يبدو بينهم المقدم المرموق، وفهم الأمر بعد ذلك لسبب من الأسباب على أنه جلوس للتدريس (انظر مقدمة المحتسب) وأرى أن قراءته الأدب في صباه على أبي علي الفارسي كما ذكر ابن خلكان تؤيد الرأي الذي اعتقدنا أنه أقرب - إن لم تساند الآراء الأخرى...

أما نشأته بالموصل فتوحى بأن والده يؤثر البحث والدرس، ويحب أن يتعلق ابنه بفضل العلم، كما تشير إلى دليل إسلامه، فتريد ابن جني على المسجد، وإقباله على علوم اللغة وغيرها يزكي ذلك... والمعروف أن أمر التربية الإسلامية الخالصة يقضي بالاعتصام بالدين، والارتباط بالإيمان، وما يجلبه من خير التوجيه والإرشاد...

ولاريب أن نشأته بالموصل هيأت له الاستفادة من بهاء هذا البلد الجليل

دى الحسن، والمكارم، الطيب الهواء، الصحيح الماء، ودفعته إلى الانتفاع بتلك البيئة الصالحة التي امتازت بكثير المشايخ، واتساع الدراسة والاعتزاز بأن فيها من يعلو إسناده، ويسمو فقهه، والاشادة بما يتاح من خزائن الكتب، وحلقات الدرس، وضروب الثقافة الهامة... والقليل الذي نعرفه عن نشأته يظهر شغفه بوجوه النهضة الثقافية، ويسوق البرهان على حبه للتعليم والتدريس وحرصه على أن يكون متفوقاً على أقرانه ممتازاً في ألوان الدرس والسبق... وغرامه بالاشتغال بالتدريس ينشأ به اندفاعه وتصدره للقيام بوظيفته قبل الألوان، مما جعل استاذة أبا على يحكم عليه بما ذكرناه... ومن المؤكد أن صورة أساتذته، وما يخطون به لدى الناس من إجلال وإكبار - من الأشياء التي كان لها دور في الحفز إلى الطموح إلى التصدر، وحب هذه المهمة التي تحظى بالاحترام البالغ، والتقدير الكريم... وإن أول تصدرة تأويلاً آخر... وأريج نشأته بفوح بالولوع بالعلم والاستقامة والزهد في كل ما يلهو به الناس مما لا فائدة منه، أما الاتجاه الذي فاز بكثرة اهتمامه فهو درس النحو والتصريف، وأخذ عن أحمد بن محمد الموصلي الشافعي المعروف بالأخفش، ويبدو أنه سمع في صباه جماعة من المواصل غير هذا الأستاذ كما سمع من جماعة من البغداديين... وسبق أن أشرنا إلى أن ابن خلكان ذكر أنه قرأ الأدب في صباه على أبي على الفارسي ويذكر من ترجموا له أن أكبر الفضل إن لم يكن كله في توجيه ابن جنى إلى أدق الأسرار، وأحسن الدراسات يعود إلى أبي على... بل إن له الفضل

الأكبر في تكوينه هذا التكوين المنقطع النظير فقد رأى العالم الكبير الشاب الناشئ ابن جنى في مسجد الموصل، يدرس النحو، ويتكلم في مسألة الصرف قلب الواو ألفاً في نحو قال وقام، وناقشه فيها، فوجده مقصراً، فقال له: زببت وأنت حصرم، وانصرف، فآلهبت هذه الجملة قلب ابن جنى شوقاً إلى طلب العلم، ولم يكن يعرف السائل، ولما سأل عنه قيل له: إنه أبو على الفارسي، فطوى كتبه وأوراقه، وجذب في طلبه حتى أركبه ولازمه نحو أربعين سنة (انظر سر صناعة الأعراب ص ٣٢)...

والحق أنه لو لم يقابل ابن جنى شيخه الفارسي ما وصل إلى هذا المستوى الذي وصل إليه، فلا يمكن الاستهانة بفضل علم شيخه الغزير، وصورته القوية في التعليل والقياس، وتجليته كثيراً من الأسرار، ومهارته في الاحتجاج والأصول والفروع والتصريف وغير ذلك من جوانب الدرس والصحبة الطويلة بما فيها من رعاية ومشاركة في البحث والتحقيق، والنقاش، وإرشاد إلى الفقه الصحيح، والحكم السليم... لها تأثيرها الفعال في الخصائص الكثير الذي يدل على أنهما يخوضان معاً في المسائل، ويمنحه أستاذه حصيلة ما جمع من الدرس والخبرة، ولعل توافقهما توافقا تاماً في الأخلاق والآراء والعقيدة... والمذهب، واعتدادهما بأن يكون لكل منهما الحق في حرية الاختيار والترجيح والمخالفة والتوسع في القياس... قد عزز الصلة بينهما، وأوجد نسقا رائعا من الاحترام والحب، والثقة بينهما، وتعلق أبي الفتح بشيخه وثناؤه على أستاذه كثيراً في كتبه، واستفادته من

غناه ويسره ونكائه وفطنته - يعبر عن وشيجة الحب والاعتزاز المتبادل... يقول ابن جنى في الخصائص ج ١ ص ٢٧٦ وص ٢٧٧.

«ولله هو، وعليه رحمته، فما كان أقوى قياسه، وأشد بهذا العلم اللطيف الشريف أنسه، فكأنه إنما كان مخلوقاً له، وكيف كان لا يكون كذلك، وقد أقام على هذه الطريقة مع جلة أصحابها، وأعيان شيوخها سبعين سنة، زائحة عله، ساقطة عنه كلفه، وجعله همه وسدومه، لا يعتاقه عنه ولد، ولا يعارضه فيه متجر، ولا يسوم به مطلباً، ولا يخدم به رئيساً إلا بأخرة وقد حط من أثقاله، وألقى عصائر حاله...»

ونستطيع أن نقول إن فطنة ابن جنى واتساع أفقه هي التي جعلت بينه وبين أستاذه صلة قوية، يمتد منها الإعجاب، والزهو بالنهج في البحث والتحقيق... والدقة في الاستقصاء والاستنباط ساعدت أن تظل هذه التلمذة شامخة متينة تدعم منزلتهما، وتوحى بشيء من الخير...

إن الأستاذ والتلميذ كانا يضربان أروع أمثلة الاجتهاد ويحولان درس القياس إلى ما يضمن صيانة اللغة، وينأى عن التعصب الممقوت... وكانت كتب ابن جنى امتداداً لكتب أبي على، وأبو الفتح يحس ذلك فلا يفرق بين كتبه وكتب الشيخ فنراه يقول بعد أن أورد أبياتاً في الخصائص... وهذه الأبيات قد شرحها أبو على (رحمه الله) في البغداديات فلأوجه لاعادة ذلك هنا، فإذا أثرت معرفة ما فيها فالتمسه منها...

[وإلى لقاء آخر مع ابن جنى]



الشاذلي في مصر

يقول أبو الحسن يصف اقامته في مصر في خطاب بعثه إلى أحد أصدقائه في تونس :-

« الكتاب اليكم من الثغر يعني الاسكندرية » حرسه الله ونحن في سوايغ نعم الله نتقلب :

وهو بفضلله وجوده الينا يتحبب . قد القى علينا وعلى أحببنا كنفه .. وجعلنا عنده . فما الطفه : ندعوه فيليبنا وبالعطاء قبل السؤال ينادينا . فله الحمد كثيرا كما ينبغي لوجهه الكريم وجلاله العظيم : وأما الأهل والأولاد والأحباب ففي سوايغ نعم الله يتقلبون وباحسانه ظاهرا وباطنا مغمورون .

« نسأل الله المزيد العام لكم ولهم أجمعين وأن ينوب عنا في شكره إنه أكرم الأكرمين » .

الاستاذ عبد الوود محمد طه

الشاذلي الى مصر صار يدعو الخلق لله تعالى فتصاغر وخضع لدعوته أهل المشرق والمغرب قاطبة . وعند قدومه سبقه كتاب ابن البراء الى حاكم مصر يحذر منه قائلا .

« ان هذا القادم اليكم قد شوش علينا بلادنا وكذلك يفعل في بلادكم » .

وهنا ظهرت كرامة الشاذلي وولايته فعندما سمع حاكم مصر بهذا الخبر ضرب حصارا حول الاسكندرية على أن يؤتى بالشاذلي مقبوضا عليه بين يديه .

ولكن الشاذلي يدخل مصر من غير أن يشعر به أحد ومعه القبائل يتشفعون به عند السلطان .

فقال له : ما تقول ايها الشيخ ؟؟؟

قال : جئت لأشفع في القبائل !!!

فقال له السلطان : إشفع في نفسك ... !!!

هذا كتاب ابن البراء يصف حاله وأنت مطلوب القبض عليك ... !!!

فقال له الشاذلي :

« أنا وأنت في قبضة الله »

فحاول السلطان أن يتحرك فلم يستطع الحركة ... !!!

فأخذ الحاضرون يتشفعون الى الشيخ حتى رضى فلمسه بيده فتحرك السلطان !!!

هكذا يصف أبو الحسن حياة الرغد والاستقرار في مصر التي كان يعيشها لأن هذه المرحلة جاءت بعد مرحلة من المكابدة والثابرة وهي تمثل الحلقة الثالثة والأخيرة من حياته .

فالمرحلة الأولى : كانت بشاذله متنسكا متعبدا في خلواته فارا بنفسه يتأمل ويتعبد .

ثم كانت المرحلة الثانية : في تونس حيث عاش مع الناس فاكثوى بنارهم وعانى من شرهم فهي مجاهدة وإبتلاء حيث الخصوم الذين يحسدونه على كثير أتباعه وصديق من قال « كل ذي نعمة محسود » ، فاستعدى عليه أعداؤه السلطان وزينوا له أنه يهدد ملكه بالتفاف الناس حوله . أما الفترة التي يقضيها في مصر فهي فترة الاستقرار وبناء الرجال وهي فترة القطاية .

وكانى بسيدى ابن بشيش بنظر بظهر الغيب فهو يقول له أمرا :

« يا على ارتحل الى افريقيا وإسكن بها بلدا تسمى شاذلة فان الله تعالى يسميك الشاذلي ... !!! »

وبعد ذلك انتقل الى تونس ويؤتى عليك بها من قبل السلطنة وبعد ذلك تنتقل الى أرض المشرق بها ترث القطاية ... !!!

والمقصود هنا بأرض المشرق مصر فعلا قد ورث بها القطاية ترى صاحب كتاب المفاخر العلية يقول :- « لما قدم

صوفية

وفروسية

فأكرم وفادته ولبى له جميع رغباته .
بهر سيدى أبو الحسن الشاذلى أهل مصر بعلمه الغزير
وبما فتح الله عليه به من الفتح المبين . ولذا نرى شيخ
زمانه العز بن عبد السلام بعدما سمعه فى مجلسه يقول .
« انظروا هذا الكلام القريب العهد من الله ... ؟؟؟!! »
وقد أنبه به العلماء من معاصريه وهم من خيرة علماء
الزمان وأجلاته .
العز بن عبد السلام .. الشيخ تقى الدين بن دقيق
العيد .

الشيخ عبد العظيم المنرى ..
وابن الصلاح . وابن الحاجب وجمال الدين عصفور .
ومحبي الدين بن سراقه وياسين تلميذ بن العربى فهؤلاء
سادة عصرهم وعلماء وقتهم كل منهم له باع ومؤلفات
واراء وافكار لازالت تبهرنا الى اليوم ومع ذلك انبهروا
بأبى الحسن الشاذلى وقالوا : انظروا الى هذا الكلام
القريب العهد من الله .

ولقد كانت سبقتة البشرى قبل قدمه إلى مصر فقد رأى
الرسول ﷺ يقول له : « ارتحل الى البلاد المصرية تربى
فيها اربعين صيقا ذهب وقت المحن وجاء وقت المن .
وما اعظمها من منن فى مصر المحروسة .
وكأنى بأبى الحسن الشاذلى كان على موعد مع مصر
لينقذها من محنتها فقد حضر اليها وقد أراد العدو أن يدمى
قلبها وينقض عليها .
جاءت أوربا بخيلها وخيلاتها تريد ان تستولى على مصر
لأنها كانت العقبة الكئود التى وقفت أمام مطاعمهم فى
الشرق وكانت سيف الله المسلول فى وجوههم فى محاولتهم
اخضاع المشرق العربى لمطامعهم فهى قد صدق فيها قول
رسول الله ﷺ « سيفتح الله عليكم مصر فاتخذوا منها
جنذا كثيفا فهم فى رباط الى يوم القيامة » .

قد شغلته مصر وسيطرت على قلبه ولبه ندعه يقول :
« كنت فى المنصورة فى ليلة الثامن من ذى الحجة بت
مشغولا بأمر المسلمين فلما كان آخر الليل رأيت
فسطاطا واسع الارعاء فقلت لمن هذا الفسطاط ؟؟ فقيل
لى لرسول الله ﷺ !! ففرحت وبكيت بالهم والفرح فمد
رسول الله ﷺ الى يده وقال : لا تهتم كل هذا الهم من أجل
الثغر فحسبك الله ورسوله فقلت نصرنا ورب الكعبة .
ولكن هل كان الشاذلى يكتفى بالدعاء والحزن ؟؟ لا !!
إنه يعلم المسلمين الجهاد ويبث فيهم روح الكفاح حتى

انتصرت مصر فى معركة المنصورة المشهورة . فلما زالت
نصيحة أستاذة ابن بشيش ترن فى أذنه وهو يقول له عندما
أمره أن يعايش الناس ويسلك بهم طريق الخير .
ياعلى الله الله والناس الناس نزه لسانك عن ذكرهم
وقلبك من التمايل من قبلهم عليك بحفظ الجوارح وإداء
الفرائض وقد تمت ولاية الله عنك ولا تذكرهم إلا بواجب
حق الله عليك وقد تم ورعك وقل اللهم أرحنى من ذكرهم
ومن العوارض من قبلهم ونجنى من شرهم واغنى
بخيرك عن خيرهم وتولنى بالخصوصية من بينهم إنك
على كل شيء قدير » وكانما أجيب دعوته ولذا نرى أثر
هذا القطب فى مصر وكيف صنع من هؤلاء الرجال أبطالاً
خاض بهم معارك الحرب والنفس .
فالقنطرة سيرتها فى مصر فماذا علم أصحابه ؟؟
وبما ربه رجاله ؟؟ وبما صنع أبطاله ؟؟ وماذا بنى فى
قلوب أصحابه ؟؟

علمهم المحبة : وعلمهم أن المحبة آخذة من الله تعالى قلب
من أحب بما كشف له من نور جمال ذاته وقديس كمال
جلاله : وشراب المحبة مزج الاوصاف بالأوصاف والأخلاق
بالأخلاق والأنوار بالأنوار .
علمهم كذلك : أن الفرائض معلومة والمعاصى مشهورة
فكن للفرائض حافظا وللمعاصى رافضا واحفظ قلبك من
حب الدنيا وحب النساء وحب الجاه وإيثار الشهوات
واقنع من ذلك كله بما قسم الله لك إذا خرج لك مخرج
الرضا فكن لله شاكرا وإذا خرج لك مخرج السخط فكن عنه
صابرا .

علمهم كذلك : صدق الورع . وحسن النية . وإخلاص
العمل . ومحبة العلم .
علمهم التسامح حتى أن أبا الحسن لما إشتدت عليه المحنة
بوشاية ابن البراء عند السلطان والقاء القبض عليه أراد ان
يدعو على السلطان وهو ساجد فألقى فى روعه .

« أن الله لا يرضى أن تدعو بالجزع على مخلوق !!...
فنادى ربه فى سجوده : « يامن وسع كرسيه السموات
والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم » .

أسألك الايمان بحفظك إيمانا يسكن به قلبى من هم
الرزق وخوف الخلق !!... !

هكذا كان الامام القنطرة فاقته به محبوه .
علمهم : أنه يكره المرید المتعطل ولا يجب من اتباعه ان
يسألوا الناس وعلمهم الأخذ بالاسباب والسعى

للاكتساب فهو كان يزرع ويفرس ويمتلك المزارع
الواسعة ويديرها بالأساليب العلمية في عصره . علمهم
أن التصوف ليس فقرا ومسكنه . علمهم أن الغنى
الشاك من الفقير الصابر .
ولذلك كان يعلمهم أن يدعوا :

« اللهم وسع لى في رزقى من دنياى ولا تحجبني به عن
أخرى واجعل مقامى عندك بين يديك وناظرا منك إليك .
وعلمهم السعى في مصالح الناس .
وأن طلب العلم فريضة ويقول لهم :

« أرجع عن منازعة ربك تكن موحدًا واعمل بآركان
الشرع تكن سنبا واجمع بينهما تكن محققا » كان يعلمهم
ألا يدخل أحد الطريق حتى يتبحر في علوم الشريعة
وكان يقول : « لا كبيرة عندنا أكبر من اثنين . حب الدنيا
بالإثارة ومقام الجهل بالرضا » ويعلق الامام الأكبر
الدكتور عبد الحليم محمود على ذلك بقوله : لأن حب
الدنيا أساس كل خطيئة والمقام على الجهل أساس كل
معصية .

فهو كما وصفه معاصروه « ذو العلوم الجمّة » علم
أصحابه :

أن الزهد في القلوب وليس في المظاهر والنياب . دخل
عليه رجل وعليه ثياب من شعر : فقال له :

ما عبد الله بمثل هذا اللباس الذى عليك : ! فلباسى
يقول أنا غنى عنكم فلا تعطونى ولباسك يقول أنا فقير
اليكم فاعطونى ..

وعلمهم : إذا نكر العبد ربه فعليه أن يكون معه قلبه
فالمحروم من يدعو ربه وقلبه مشغول بغيره .

وعلمهم أن الدعاء المستجاب له خمسة شروط .
١ - الامتنال للأمر ٢ - الاجتناب للنهي ٣ - تطهير
السر ٤ - جمع الهمة . ٥ - الاضطرار .

وعلمهم أن من أحسن الحصون الاستغفار .
وأن خصلة واحدة تحبط الأعمال وهى « سخط العبد
على قضاء ربه » .
« وأوصاهم أن من أراد الاخلاص فعليه بـ « قل هو
الله أحد » .

ومن أراد الصدق فعليه بـ « إنا أنزلناه في ليلة
القدر » .

ومن أراد تيسير الرزق فعليه بـ « قل أعوذ برب
الفلق » ومن أراد السلامة فعليه بـ « قل أعوذ برب
الناس » .

وقد رتب لأحبابه أورادا وإنكارا منها « حزب الفتح »
« حزب البحر » وقد أوصى أحبابه به قال لهم علموه
لأولادكم لأن فيه اسم الله الأعظم . « حزب الايات » وحزب
البر أو الحزب الكبير » وغيره كثير .
وأجمل ما نختتم به مقالنا دعاءه :

« اللهم أنى أسألك بجاه محمد المصطفى ، وإبراهيم
الذى وفى ، وبحرمة كل رسول ونبي وصديق وولى
وشهيد وصالح وتقى ، وبحرمة عظيم الأسماء
وبالأسماء كلها أسألك اللهم أن تمحق هذا الخلق من
قلوبنا وأن تجعلهم في أسرارنا كالهباء في الهواء ،
وأسلك بنا سبيل أنبيائك وأصفياك ، واتقيائك في السر
والعلانية أنك على كل شيء قدير » .

« يا الله يا نور يا حقيق يا مبین ، افتح قلبى بنورك
وعلمنى من علمك واحفظنى بحفظك واسمعنى منك
وفهمنى عنك وبصرنى بك وسبب لى سببا من فضلك :
تغننى به من الفقر وتعزنى به من النذل وتصلح لى به
الدنيا والآخرة وتوصلنى به الى النظر الى وجهك في
جنة الفردوس أنك على كل شيء قدير يا نعم المولى
ويا نعم النصير » .

كلمة :

■ شتان ما بين عمليين :

عمل تذهب لذته وتبقى تبعته ..

وعمل تذهب مؤونته ويبقى أجره ..

أبو الشهداء / على بن أبى طالب

من علماء الحديث النبوي الشريف

الإمام الحافظ

أبو الفرج بن الجوزي

الدكتور محمد مبارك السيد

ومناقب الامام الشافعي رضى الله عنه ايضا مجلد . ومناقب جماعة في اجزاء . وموافق المرافق في مجلد . وأشياء كثيرة يطول شرحها كاختصاره فنون ابن عقيل في بضعة عشر مجلدا . وما علمت أحد من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل .

مات أبوه وله ثلاث سنين فربته عمته ، ولما ترعرع حملته عمته الى الحافظ بن ناصر ، فاعتنى به وأسمعه الكثير فحصل له من الحظوة في الوعظ ما لم يحصل لأحد قط ، وحضر مجالسه الملوك والوزراء بل وخلفاء من وراء السترة ويقال في بعض المجالس حضره مائة ألف فيما قيل .

والظاهر أنه كان يحضره نحو العشرة آلاف . مع أنه قال غير مرة : إن مجلسه قدر بمائة ألف . فلاريد ان كان هذا قد وقع فإن أكثرهم لا يسمعون مقالته .

قال سبطه الواعظ شمس الدين يوسف بن فرغلي : سمعت جدى يقول على المنبر . كتبت بإصبعي ألفي مجلد ، وتاب على يدي مائة ألف مسلم ، وأسلم على يدي عشرون ألفا . قال : وكان يختم القرآن في كل أسبوع ختمة . ولا يخرج من بيته إلا الى الجمعة ، أو الى المجلس . ثم سرد سبطه مصنفاة . فذكر منها .

درة الاكليل في التاريخ أربعة مجلدات . فضائل العرب مجلد . وشذور العقود مجلد . والأمثال مجلد . والمنفعة في المذاهب الأربعة مجلدان . والمختار من الأشعار عشرة مجلدات . والتبصرة في الوعظ ثلاثة مجلدات . ورؤوس القوارير مجلدان . الى أن قال ومجموع تصانيفه مائتان ونيف كتاب .

ومن بدائع كلامه : عقارب المنايا تلسع . وخدران جسم الأمل يمنع الإحساس . وماء الحياة في أناء العمر يرشح بالأنفاس .

وقال لولوى امر : انكر عند القسرة عدل الله فيك ، وعند العقوبة قدرة الله

والموضوعات في الأحاديث الموضوعية المكتوبة على النبي ﷺ مجلدان . والواهبات ثلاثة مجلدات . والضعفاء مجلد . وتلقيح فهم أهل الأثر مجلد . والمنتظم في التاريخ عشرة مجلدات . كبار . والمذهب في المذهب مجلد . والمدهش في المحاضرة مجلد . وصفوة الصفوة أربعة مجلدات . وأخبار الأخيار مجلد . وأخبار النساء مجلد . ومثير الفرام الساكن الى أشرف الأماكن مجلد . والمقعد المقيم مجلد . وزم الهوى مجلد . وتلبيس إبليس مجلد . وصبا نجد مجلد . والمزعج مجلد . والمطرب مجلد . والملهب مجلد . ومنتهى المشتى مجلد . وفنون الألباب مجلد . والظرفاء مجلد . وسلوة الاحزان مجلد . ومنهاج القاصدين مجلدان . والوفا بفضائل المصطفى ﷺ مجلدان . ومناقب أبى بكر الصديق رضى الله عنه مجلد . ومناقب عمر رضى الله عنه مجلد . ومناقب على كرم الله وجهه مجلد . ومناقب عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين مجلد . ومناقب سعيد بن المسيب مجلد . ومناقب الحسن بن على جزءان . ومناقب سفيان الثوري مجلد . ومناقب الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه مجلد . .

علامة زمانه عالم العراق وواعظ الأفاق جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن أبى الحسن على بن محمد المتصل نسبه بالقاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي الواعظ المفسر صاحب التصانيف السائرة في فنون العلم المختلفة .

عرف جده بالجوزي ، بجوزة كانت في داره بواسط ، لم يكن بواسط جوزة سواها .

ولد تقريبا سنة عشر وخمسمائة او قبلها ، واشتغل بالوعظ والحديث في سنة ست وعشرين وخمسمائة ، وكتب من الكتب مالا يوصف كثرة .

من تصانيفه :

كتاب المغنى في علوم القرآن وهو كبير جدا . وكتاب زاد المسير في تفسير القرآن أربعة مجلدات . وتذكرة الأريب في اللغة مجلد واحد . والوجوه والنظائر مجلد . وفنون الأفتان مجلد . وجامع المسانيد سبعة مجلدات . والحدائق مجلدان . ونقى النقل مجلد كبير . وعيون الحكايات مجلدان . والتحقيق في مسائل الخلاف مجلدان . ومشكل اصحاب أربعة مجلدات .

عليك . وياك ان تشفى غيظك بسقم
بينك .

وقال لصاحب له : انت في اوسع
العذر من التأخير عني بثقتي بك ،
وفي اضيقه من شوقي إليك .

وقال لرجل له : مانمت البارحة
من شوقي الى المجلس قال : لانك
تريد الفرجة ، وانما ينبغي الليلة
الاتنام .

وقام اليه رجل فقال ياسيدي :
تريد كلمة ننقلها عنك . ايما افضل :
ابو بكر او علي ؟ فقال له : اقعد ،
فقعده الرجل . ثم قام فاعاد مسأله
فاقعده ، ثم قام فقال اقعد فانت
افضل من كل رجل .

وساله آخر هذه المسألة وكان
للسبعة ظهور . فقال افضلهما من
كانت ابنته تحته . فالتقى هذا القول
في اوبية الاحتمال . ورضى الفريقان
بجوابه . وساله آخر : ايما افضل
اسبغ ام استغفر ؟ فقال : الثوب
الوسخ اسوج الى الغسيل من
البخور .

ونكر في حديث « اعمار أمتي ما بين
الستين الى السبعين » فقال : انما
طالت اعمار الأوائل لطول البادية .
فلما شارف الركب بلد الاقامة قيل :
حتوا المطى .

ومن كلامه : من قنع طاب عيشه ،
ومن طمع طال طيشه . وقال في وعظه
يا امير المؤمنين : ان تكلمت خفت

منك ، وان سكت خفت عليك ، فانا
اقدم خوفاً عليك على خوفاً منك ،
اقول : قول الناصح اتق الله خير من
قول القائل انتم اهل بيت مغفور
لكم .

وقال : يفتخر فرعون بملك مصر
بنهر ما أجراه . ما أجراه وهكذا .
واليه المنتهى في النثر والنظم والوعظي
وقد قرأ القرآن بواسط وهو ابن
ثمانين سنة بالقراءات العشر على ابن
الباقلائي .

قال الموثق : عبد اللطيف : كان ابن
الجوزي لطيف الصورة ، حلو
الشمائل ، رخم النغمة ، موزون
الحركات والنغمات ، لنيد المفاهمة ،
يحضر مجلسه مائة ألف أو يزيدون .
لا يضيع من زمانه شيئاً ، يكتب في
اليوم أربعة كرايس ، وله في كل علم
مشاركة ، ولكنه كان في التفسير من
الاعيان ، وفي الحديث من الحفاظ ، وفي
التاريخ من المتوسعين ، ولديه فقه
كاف .

واما السجع الوعظي فله فيه ملكة
قوية : وله في الطب كتاب اللقط
مجلدان . وكان يراعى حفظ صحته ،
وتلطيف مراجعه وما يفيد عقله قوة ،
وهذه حدة ، جل غذائه الفراريج
والمزاوير ، ويعتاض عن الفاكهة
بالاشربة والمعونات . ولباسه ، افضل
لباس الأبيض الناعم الطيب . وله ذهن
وقاد وجواب حاضر ومداعبات حلوة .
وكان كثير الخلط فيما يصنفه ، فانه

كان يفرغ من الكتاب ولا يراجعه ، فلقد
أخذ عليه وجود وهم كثير في تأليفه .
ينخل عليه ذلك من العجلة والتحويل
الى مصنف آخر . وجل علمه من كتب
صفح ما مارس فيها ارباب العلم
شيئاً كما ينبغي .

وكانت جنازته رحمه الله مشهودة .
شيعة الخلائق يوم الجمعة عشر شهر
رمضان الى مقبرة باب حرب ببغداد
سنة سبع وتسعين وخمسائة من
الهجرة وقد قارب التسعين من عمره
المبارك .

رضي الله عن ابن الجوزي بقدر
ما قدم للمسلمين من علوم نافعة وكتب
قيمة تعمر مكتبات العالم الاسلامي
يحتاج اليها العلماء والباحث في كل
زمان ومكان .

وهكذا عمل ابن الجوزي بما علم
فورثه الله علم مالم يعلم عملاً بقول
المصطفى ﷺ « من عمل بما علم ورثه
الله علم مالم يعلم » .

لقد كان ابن الجوزي من العلماء
المتقين . ولذلك علمه الله . قال تعالى :
واتقوا الله ويعلمكم الله ...

اللهم ارزقنا القدرة به وارزقنا العلم
والعمل وزينا بالتقوى وانفعنا بما
علمنا انك على كل شيء قدير وبالإجابة
جدير وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحابه وسلم . ورضى الله
عن العلماء العاملين ...



من جواهر
سلطان
الأولياء

سيرى ابراهيم الرسولى

الشيخ عزيز العليم المرسى

« حاربوا أعداء ربكم وأعداءكم ..
فقد انتهكوا حرمة دينكم .. »
« المرید .. يعمر الأرض بجسده ..
ويعمر بقلبه السماء »

ليس التصوف « هلوسة » كما يحاول تصويره دائما أعداء ربنا
وأعداء ديننا الحق المنزل هدى ورحمة للعالمين .
إنما التصوف هو العمل الأمين بالكتاب والسنة فيهما كل الشريعة ،
ومنهما يدخل المسلم العامل باب الحقيقة ، فيكون مؤمنا عاملا مجاهدا
بيده وقلبه ولسانه ، دائم الحضور مع ربه ، حتى ياتي به اليقين .
التصوف جهاد في السلم - وهو الجهاد الأكبر ضد النفس - وجهاد في
الحرب حتى النصر أو الشهادة ..
التصوف جهاد في السلم اتباعا لا ابتداعا .. ليس الايمان بالعزلة ولكنه
اخلاص بالعمل جهد الطاقة ، وفي ذلك يقول قطب الغوث الامام الشاذلي ..
من لم يحترف - أى يعمل - فليس منا .. وحدث ولا حرج عن امرىء
تعلق بالشريعة والحقيقة ، فجعل من مكوكه مسبحته كما يريد
ابو العباس المرسى . وعندما جاءه قاضي قضاة الاسكندرية احمد بن
عطاء الله السكندرى (تاج الدين) وأراد أن يستقيل من عمله ليتفرغ
لمصاحبة شيخه المرسى .. أبى العباس قال : عندنا نأخذ بالأسباب ..
الزم واعمل وستكون القاضى على الحالين .. فى الشريعة والحقيقة .
إتقان العمل ثمن لحب الله .. والعمل عند الصوفية الأصائل عبادة
كالجهاد فى سبيل الله ..
وفى موكب ذكرى سلطان الأولياء سيدى ابراهيم الدسوقي نلمس من
بعض حكمته ما يؤكد هذه الحقيقة :

من وحي النكري

سيدى إبراهيم الدسوقي ..

أجمع المؤرخون الثقة على أنه الولي الوحيد المصرى مولداً ، وإن كان قرشى الأصل حسيني النسب .. وأجمعوا على أنه ولد في ليلة الثلاثين من شعبان .. ثم اختلفوا على سنة الميلاد ، مع أن الأرجح أن تكون سنة ٦٥٣ هجرية ، فمن المقطوع به أنه انتقل في الثالثة والأربعين من عمره ، وكان ذلك في سنة ٦٩٦ هجرية ..

نسوق ذلك الآن ونحن نحتفل بنكري رحيل القطب الدسوقي الملقب بسلطان الأولياء ، ونقول إننا نحتفل بنكري مولده .. كما تعوينا أن نحتفل بنكري الأولياء .. لماذا ؟ .. لست أرى ؟ .. هذا سؤال عابر لا ينبغي أن يشغلنا عن حكم وتعاليم هذا القطب الرباني فيلسوف الاسلام عالم الحقيقة والشرعية .. هذا الذي عاصرت مدرسته القرن السابع الهجرى .. ذلك العصر الذى انتشر فيه الجهل ، وخرج كثير من الناس عن دينهم ، فسلط الله عليهم بنزويهم من لا يرحمهم ، سلط عليهم المغول والتتار .. وفي خضم هذه المحنة يرتفع صوت الدسوقي بقوله : « القلب في هذا الزمان متعب .. القلب في كل وقت يذوب .. أين الملجأ والمفر من أهل هذا الزمان .. زمان كثر فيه القيل والقال .. لكن الذى بلانا بأهله ، يبرنا ويعيننا بحوله وقوته .

ثم يضى أبو العنين - عين الشريعة وعين الحقيقة - الطريق أمام تلاميذه بمثل هذه التعاليم :

● حياة العبد لا تكون إلا بالعلم والعمل .

● إذا جمع الله العلم والعمل في رجل ، أفاد منه الناس .

● العلم أساس العمل .

● كلما أخلص العبد عمله ، كلما هطل المدد عليه .

● ازهدوا يا أولادى فيما فى أيدي الناس ، وكونوا عاقلين ، ولا تلتمسوا درهما من أحد .. فهذه هي طريقتى .

شيئاً بعد شيء ..

جاءه رجل يقول له : أريد أن أسلك طريق الحقيقة .. فأجابه الدسوقي بقوله الثابت :

« يا ولدى . الزم أولاً طريق نفسك على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ .. فإذا عملت بهما ، انقذ لك علم الحقائق والأسرار . فاسلك يا أخى كما قلت لك على التدرج شيئاً بعد شيء .. والله يحفظك إن صدقت » .

ومن هنا نعلم أن الطريقة البرهمية قائمة على الكتاب والسنة .. وهى طريقة قاسية صعبة .. فالعمل بالكتاب والسنة بصدق يحتاج إلى أولى العزم القادرين على غض البصر ، وتصفية القلب ، وطهارة الكف .. وهذى خصال صعبة المراس .. لكن نتائجها عند القطب الدسوقي هى : ارتفاع الحجاب ، وسماع الخطاب ، وقراءة الأمور في اللوح المحفوظ ، وإطلاع على أرقى المعانى ، وشرب في أرق الأواني ، حتى يفنى المرء في الذات .

● هذه هي طريقتنا : تحقيق وتصديق ، وجهد وعمل ، وتنزه وغض بصر ، ثم طهارة اليد والفرج واللسان .. فمن خالف شيئاً من ذلك رفضته الطريق طوعاً أو كرها .

● من لم يكن متشرباً متحققاً نظيفاً عفيفاً شريفاً ، فليس من أولادى ، ولو كان ابنى الذى من صلبى . وكل من لازم الشريعة والحقيقة والطريقة والديانة والصيانة والزهد والورع والتقوى ، فهو ولدى وإن كان في أقصى البلاد . وكان تدريب القطب الدسوقي لأولاده على التقوى عنيفاً ، ومع ذلك فقد كان إخلاصهم وسيلة توفيقهم في تطبيق تعاليم أبى العنين .. بالتدرج شيئاً بعد شيء .. ثم يقول الدسوقي في تعريفه بالتصوف الحق :

● لا يكون الفقير فقيراً ، حتى يكون حمالاً لكل أذى من جميع الخلائق .. فلا يؤذى من يؤذيه ، ولا يتحدث فيما لا يعنيه ، ولا يشمت بمصيبة أحد ، ولا يذكر أحداً بغيبة .. ورعا عن المحرمات ، موقوفاً عن الشبهات .. إذا بلى صبر .. وإذا قدر غفر .. دائماً يغض البصر .. طريقه الكظم والبذل والإيثار والعفو والصفح والصلح والاحتمال .. لكل من يتحدث فيه بما لا يرضيه .. يعمر الأرض بجسده .. ويعمر السماء بقلبه .

منهجه في إعداد الرجال ..

ثم يتحدث عن منهجه في التعريف بالله تعالى قائلا : **إنني أرى بعين الشريعة الحقيقة .. فإن الحقيقة أصل والشريعة فرع .. الشريعة هي ما ظهر من الشرع .. أما الحقيقة فهي ما خفى من الشرع .. وجميع المقامات متدرجة فيهما .. ولكل منهما أصل ..**

والكامل من جمع الحقيقة والشريعة .. أي جمع بين طهارة الظاهر وصفاء الباطن فيكون عمله مطابقا لسيرته .

ومن هنا اتفقت كلمة الصالحين الصادقين على أن الدسوقي في الصدارة بين القادة الصوفيين الذين أحسنوا بمنهجهم الإلهي تربية الرجال الجديرين بخلافة الله في الأرض .. وقال السيد محمد توفيق البكري : أخذ سيدي إبراهيم الدسوقي عن سيدي أبي الحسن الشاذلي ، وفي ذلك يقول الدسوقي : **كان لقائي السريع بالشاذلي يساوي ربع قرن من العلم .**

وكذلك أخذ عن فكر سيدي أحمد البدوي ، وعن طريقة سيدي أحمد البدوي .. وكان الدسوقي يعلم تلاميذه طريق الخير ويوجههم إلى الزهد والورع .. وترك الأكل الكثير وكثرة الذكر ، وترك الكبر ، وحفظ العهد والأمانة والأدب .. وطالما أوصاهم بصلاة الليل ، وقراءة القرآن ، وطلب العلم ، واتباع الكتاب والسنة ، وحضور القلب في الذكر والصلاة . وترك الكذب والغيبة والنميمة وقول الزور وشهادة الزور .

أنا هنا

يروى الشيخ جلال الكركي أن الدسوقي أرسل إلى السلطان الأشرف خليل بن قلاوون رسالة شديدة اللهجة يطلب إليه فيها أن يمنع ظلمه عن الناس فغضب السلطان من لهجة هذه الرسالة وبعث في طلب الشيخ الدسوقي ، فرفض الدسوقي السفر إلى لقاء الحاكم ، وقال للرسول اذهب وأبلغ سيدك أن الدسوقي يقول : أنا هنا .. ومن يريدني فعليه بالحضور .

وقد سافر السلطان الأشرف إلى دسوق واستقبله الدسوقي ورجاله استقبالا كريما ، وعرف الأشرف مدى صدق سلطان الأولياء وكراماته وقوة حجته .. فاعتذر إليه عن خطأ

الوقوع في مخالف الوشاية .. وهنا بشره القطب الدسوقي بالنصر على الصليبيين في عكا .. وقد تحقق ذلك النصر فعلا في عام ٦٩١ هـ .

وبعد سماع السلطان لهذه البشري ، عرض على الدسوقي أن يكلفه بخدمة ، فقال الدسوقي : لي أنا .. لست بحاجة إلى مخلوق .. ولكني أريدك أن توقف الجزيرة المواجهة لدسوق لهؤلاء الفقراء لكي يفلحوها ويعيشوا في غنى عن سؤال أحد .

وعلى الفور .. أصدر السلطان فرمانا ! وبدأت الرسائل بين السلطان الأشرف وبين القطب الدسوقي الذي اتخذ السلطان الأشرف مستشارا وكان السلطان يوقع رسائله إلى الدسوقي بهذه العبارة : **خادمكم المطيع الأشرف خليل بن قلاوون .**

شيخ الإسلام يدعو للجهاد

وكانت للدسوقي مع الظاهر بيبرس موافق لكنها لم تبدأ كما بدأت مع السلطان ابن قلاوون ، فقد عرف بيبرس مكانة الدسوقي قبل لقاءهما ، فلما التقيا في دسوق أيضا ، أصدر بيبرس قرارا بتعيين الدسوقي شيخا للإسلام . ويقال أن الدسوقي رفض المنصب ، ولكن مراجع أخرى أشارت إلى قبوله المنصب ولكنه رفض مرتبه ، وأوصى بتوزيع هذا المرتب على فقراء المسلمين .. وظل الدسوقي يشغل هذا المنصب حتى وفاة بيبرس .

وهنا يأتي سؤال من الشيخ الذي تعلم على يديه هذا القطب الكبير ؟ ..

إن سيدي إبراهيم الدسوقي قد أجاب على السؤال في كتابه « الجواهر » بقوله إن شيخه هو جده رسول الله ﷺ بنص ما كتبه بيده :

« **إن النبي ﷺ قد أخذ علي العهد وصار يكشف لي عن الأمور ، ويفتح لي أقفال الحجب** » ثم قال :

« **أخذت الطريقة عن رسول الله ﷺ وعهد البيعة عن القطب أبي الحسن الشاذلي** » .

ثم أُنشد :

شربت دنان الصرف في حضرة الرضا

وكان دليلى في الهدى سيد العرب

ولهذا وصفه سيدي عبد الوهاب الشعراني

بقوله :

« هو أحد من أظهره الله تعالى إلى هذا الوجود ،

[البقية ص ٢١٠]

الحُكْبَرَى

هو عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين العكبرى البغدادى الأزجى المقرئ الفقيه المفسر اللغوى النحوى الضرير : محب الدين أبو البقاء بن أبى عبد الله بن أبى البقاء .. كان على دين متين وخلق قويم وليس بعد هاتين الصفتين من مزيد للعالم يحته بينه على نشر العلم وتعليمه الناس فلا تمر عليه ساعة من ليل أو نهار دون اشتغال بتعليم .. ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسائة وقد أضر في صباه بالجربى وانتقل إلى جوار ربّه سبحانه وتعالى ليلة الأحد ثامن ربيع الآخر سنة ست عشرة وستمائة ببغداد ودفن بمقبرة الامام احمد بباب حرب وقد اشتهر بالعكبرى نسبة إلى بلده عكبرى وهى بليدة على دجلة فوق بغداد بعشرة فراسخ ..

ألماسة سهرام محمد الأعصر

قال عنه ابن خلكان في وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٨٦ « واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به واشتهر اسمه ... » وقال عنه الامام عبد الصمد بن أبى الجيش كان يفتى في تسعة علوم وكان واحد زمانه في النحو واللغة والحساب والفرائض والجبر والمقابلة والفقه وإعراب القرآن والقراءات الشاذة وله في كل هذه العلوم تصانيف كبار وصغار ومتوسطات ..

ومن أساتنته « تذكر تراجم أبى البقاء أنه تلقى العلم على يد عدد من العلماء (أبو الفرج بن الجوزى والقاضى أبى يعلى الصغير الحنبلى وأبو حكيم النهروانى وابن هبيرة والبطائنى وابن الخشاب .. ومن أشهر تلاميذه : الأندلسى وابن عدلان والناصر الحنبلى .

ومن مصنفاته : الإشارة في النحو - إعراب الحديث - إعراب القرآن - إعراب القراءات الشاذة إعراب لامية العرب - الاعراب من علل البناء والاعراب - تفسير القرآن - التلخيص في النحو - التلخيص في النحوى - التهذيب في

النحو - شرح أبيات كتاب سيبويه - شرح إصلاح المنطق لابن السكيت - شرح الفصيح لثعلب - شرح اللمع لابن جنى - شرح مقامات الحريري - متشابه القرآن - المسائل الخلافية في النحو - مقسمة في النحو - مقسمة في الحساب - الناهض في علم الفرائض ..

« إملأ ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن » [التبيان في إعراب القرآن] : هذا الكتاب من أهم الكتب التى ألفها أبو البقاء العكبرى ومصادر هذا الكتاب كثيرة متشعبة : صرح الرجل ببعضها وأغفل كثيراً منها إنها بصفة عامة : التراث الذى هضمه الرجل واستوعبه من كتب سابقيه وأولها سيبويه والأخفش والفراء والفارسي وابن جنى والزجاج والزمخشري والنحاس والكسائي والمبرد ويونس النحوى وثعلب وابن الاعرابي وأبو زيد وأبو عبيدة وهو حين يذكر هؤلاء : يتخذ منهم موقفاً محدداً أحياناً ويرتضى ما ذهبوا إليه وأحياناً يرفض وتارة يرجح رأى أحدهم على الآخر .

وهذا الكتاب مرجع هام للنحو القرأني اتخذ منه أبو البقاء ميداناً للدراسة النحوية في ظل القرآن الكريم وقراءاته بما يتفق مع ميوله ومنهجه النحوى طبق فيه أصوله وقواعده التى يرتضيها بطريقة محببة ميسرة يصل فيها من يريد الوقوف على إعراب آية من القرآن أو إعراب شيء منه إلى غايته ببسر لأنه أعرب القرآن كله آية آية بل كلمة كلمة مرتباً حسب ترتيبه في المصحف الشريف مبتدئاً بالاستعانة .

ثم فاتحة الكتاب ثم سورة البقرة وهكذا إلى أن يصل إلى نهاية سورة الناس .. وإليك نماذج من إعرابه يقول عند قوله تعالى « يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا » ٢٣/الحج أن لؤلؤا معطوف على أساور لا على ذهب لأن السوار لا يكون من لؤلؤ في العادة .

وقال عند قوله تعالى « واتقوا يوماً ... » ٤٨/البقرة إن يوماً مفعول به لأن الأمر بالتقوى لا يقع في يوم القيامة والتقدير : واتقوا عذاب يوم أونحو ذلك .

وقال العكبرى في قوله تعالى « الله أعلم حيث يجعل رسالته .. » ١٢٤/الأنعام - حيث هنا مفعول به والعمل محنوف والتقدير يعلم موضع رسالته وليس ظرفاً لأنه يصير التقدير يعلم في هذا المكان كذا وكذا وليس المعنى عليه .

ترك أبو البقاء أثراً واسع المدى في الخالفين وعكف العلماء في حياته ويعد موته على كتبه يدرسونها وقد تأثر به الامام أبى حيان في تفسيره للقرآن الكريم « البحر المحيط » وقلماً تمر آية من آيات الذكر الحكيم فيها مشكلة إعرابية أو خلاف نحوى نون أن يشير أبو حيان لرأى العكبرى فيها وكذا تأثر به العلامة برهان الدين أبو إسحاق السفاقي النحوى في كتابه « المجيد في إعراب القرآن الكريم » وتأثر أيضاً به السمين الحلبي وهو من الذين أكثروا النقل عن العكبرى [البقية ص ٢٠٦]



قراءات
جديدة

في كتب
قديمة

مبايعة علي بن أبي طالب لأبي بكر الصديق

الأستاذ
صبري أبوالمجد

حول موقف علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من مبايعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه يقول الامام الفقيه أبي مسلم بن قتيبة الدينوري في كتابه «الإمامة والسياسة» أن بني هاشم اجتمعت عند بيعة الانصار الى علي بن أبي طالب ومعهم الزبير بن العوام ، رضي الله عنه وكانت أمه صفية بنت عبد المطلب وانما كان يعد نفسه من بني هاشم وكان علي كرم الله وجهه يقول «ما زال الزبير منا حتى نشأ بنوه فصرفوه عنا ، واجتمعت بنو أمية الى عثمان واجتمعت بنو زهرة الى سعد وعبد الرحمن ابن عوف فكانوا في المسجد الشريف مجتمعين فلما اقبل عليهم ابو بكر وابو عبيدة وقد بايع الناس ابا بكر قال لهم عمر : مالي اراكم مجتمعين حلقا شتى قوموا فبايعوا ابا بكر فقد بايعته وبايعه الانصار . فقام عثمان ابن عفان ومن معه من بني أمية فبايعوه وقام سعد وعبد الرحمن ابن عوف ومن معهما من بني زهرة فبايعوا واماعلي والعباس ابن عبد المطلب ومن معهما من بني هاشم فانصرفوا الى رحالهم ومعهم الزبير بن العوام فذهب اليهم عمر في عصاية فيهم أسيد بن حضير وسلمة بن أشيم فقالوا : انطلقوا فبايعوا ابا بكر فابوا فخرج الزبير ابن العوام رضي الله عنه بالسيف فقال عمر رضي الله عنه : عليكم بالرجل فخنوه فوثب عليه سلمة ابن أشيم فاخذ السيف من يده فضرب به الجدار وانطلقوا به فبايع وذهب بنو هاشم ايضا فبايعوا ثم ان عليا كرم الله وجهه اتى به الى أبي بكر وهو يقول : انا عبد الله اخو رسول الله فقل له بايع ابا بكر فقال : انا احق بهذا الامر منكم لا انا يعلم وانتم أولى بالبيعة لي : اخذتم هذا الامر من الانصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي ﷺ وتأخذونه منا اهل البيت غصبا الستم زعمتم للانصار انكم أولى بهذا الامر منهم لما كان محمدا منكم

فاعطوكم المقادة وسلموا اليكم الامارة فإذا احتج عليكم بمثل ما احتججتم على الانصار نحن اولى برسول الله حيا وميتا فانصفونا ان كنتم تؤمنون والا فيؤوا بالظلم وانتم تعلمون .

فقال له عمر : انك لست متروكا حتى تباع فقال له على : احلب حلبا لك شطره وشده له اليوم يرده عليك غدا ثم قال : والله يا عمر لا اقبل قولك ولا ابايعه فقال له ابو بكر ان لم تباع فلا اكرهك فقال ابو عبيدة بن الجراح كرم الله وجهه : يا ابن عم : انك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالامور ولا ارى ابا بكر الا اقوى على هذا الامر منك واشد احتمالا واستطلاعا فسلم لابي بكر هذا الامر فأتك ان تعيش ويطل بك بقاء فأتك لهذا الامر خليف وحقيق في فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك فقال على كرم الله وجهه : الله ، الله يا معشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمد في العرب من داره وقعر بيته الى دوركم وقعر بيوتكم وتدفعون اهلك عن مقامه في الناس وحقه فوالله يا معشر المهاجرين لنحن احق الناس به لانا اهل البيت ونحن احق بهذا الامر منكم ماكان فينا القاريء لكتاب الله الفقيه في دين الله العالم بسنن رسول الله المتطلع لامر الرعية الدافع عنهم الامور السيئة القاسم بينهم بالسوية والله انه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزادوا من الحق بعدا وقال بشير بن سعد الانصاري : لو كان هذا الكلام سمعته الانصار منك يا على قبل بيعتها لابي بكر ما اختلفت عليك قال : وخرج على كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله ﷺ على دابة ليلاقي مجالس الانصار تسالهم النصرة فكانوا يقولون يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو أن زوجك وابن عمك سبق الينا قبل ابي بكر ما عدلنا به فيقول على كرم الله وجهه : افكنت ادع رسول الله ﷺ في بيته لم افنته واخرج انازع الناس سلطانه : فقالت فاطمة : ما صنع ابو الحسن

الا ما كان ينبغي له ولقد صنعوا به ما الله حسيبهم وطالبهم .

قال وان ابا بكر رضى الله عنه تفقد قوما تخلفوا عن بيعته عند على كرم الله وجهه فبعث اليهم عمر فجاء فناداهم في دار على فابوا ان يخرجوا فدعا بالحطب وقال : والذي نفس عمر بيده لتخرجن او لاحرقنها على من فيها فقبل له يا ابا حفص ان فيها فاطمة : فقال وان : فخرجوا فبايعوا الا عليا فانه زعم انه قال : حلفت الا اخرج والا اضع ثوبي على عاتقي حتى اجمع القرآن فووقت فاطمة رضى الله عنها على بابها فقالت : لا عهد لي بقوم حضروا اسوأ محضر منكم : تركتم رسول الله ﷺ جنازة بين ايدينا وقطعتم امركم بينكم لم تستامرونا ولم تربوا لنا حقا فاتى عمر ابا بكر فقال له : الا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة فقال ابو بكر لقتغد وهو مولى له اذهب فادع لي عليا فذهب الى على فقال له : ما حاجتك فقال يدعوك خليفة رسول الله فقال على : اسريع ما كذبتم على رسول الله فرجع فابلى الرسالة قال : فبكي ابو بكر طويلا فقال عمر : الثانية ان لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة فقال ابو بكر رضى الله عنه لقتغد عد اليه فقبل له امير المؤمنين (في متن هذه الرواية اضطرابات كثيرة منها هذا فلقد ثبت من غير وجه ان اول من لقب بامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه) يدعوك لتبايع فجاء قتغد فادى ما امر به فرفع على صوته : فقال سبحان الله : لقد ادعى ما ليس له فرجع قتغد فابلى الرسالة فبكي عمر طويلا ثم قام عمر فمشى معه جماعة حتى اتوا باب فاطمة فسدقوا الباب فلما سمعت اصواتهم نالت باعلى صوتها : يا ابيت يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن حنيفة فلما سمع القوم صوتها وبكاؤها انصرفوا باكين وكانت قلوبهم تتصدع واكبادهم تنفطر وبقى عمر ومعه قوم فاخرجوا عليا فمضوا به الى ابي بكر فقالوا له بايع فقال انا

ان لم افعل فمه ؟ قالوا اذا والله الذى لا اله الا هو نضرب عنقك قال اذا تقتلون عبد الله واخا رسوله قال عمر : أما عبد الله فنعم واما اخو رسوله فلا : وابو بكر ساكت لا يتكلم فقال له عمر : الا تأمر فيه بأمرك ؟ فقال : لا اكرهه على شيء ما كانت فاطمة الى جنبه فلحق على بقبر رسول الله ﷺ وهو يصيح ويبكي وينادي : يا ابن ام ان القوم استضعفوني وكانوا يقتلوننى فقال عمر لأبى بكر رضى الله عنهما : انطلق بنا الى فاطمة فانا قد اغضبناها فانطلقا جميعا فاستأنا عليا فاطمة فلم تأذن لهما فأتيا عليا فكلماه فادخلهما عليها فلما قعدا عندهما حولت وجهها الى الحائط فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام فتكلم ابو بكر فقال : يا حبيبة رسول الله ، والله ان قرابة رسول الله احب الى من قرابتي وانك لاحب الى من عائشة ابنتي ولوددت يوم مات ابوك انى مت ولا ابقى بعده : افترانى اعرفك واعرف فضلك وشرفك وامنعك حقك وميراثك من رسول الله الا انى سمعت اباك رسول الله ﷺ يقول : لا نورث ما تركنا فهو صبة فقالت : ارايتكما ان حديثكما عن رسول الله ﷺ حديثا تعرفانه وتفعلان به قال : نعم فقالت : نشئكما الله الم تسمعا رسول الله ﷺ يقول : رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي فمن احب فاطمة ابنتي فقد احبني ومن ارضى فاطمة فقد ارضاني ومن اسخط فاطمة اسخطني قال : نعم سمعناه من رسول الله ﷺ قالت : فانى اشهد الله وملائكته انكما اسخطتماني وما ارضيتماني ولئن لقيت النبی لاشكونكما اليه قال ابو بكر : انا عائد يا فاطمة : ثم انتحب ابو بكر ببكى حتى كانت نفسه ان تزهد وهى تقول : والله لا دعون الله عليك في كل صلاة اصلبها ثم خرج باكيا فاجتمع اليه الناس فقال لهم : يبيت كل رجل منكم معانقا حليلته مسرورا باهله وتركتمنى وما أنا فيه لا حاجة لى في

بيعتكم اقبلوني بيعتي قالوا يا خليفة رسول الله : ان هذا الامر لا يستقيم وانت اعلمنا بذلك انه ان كان لم يقم الله دين فقال : والله لولا ذلك وما أخافه من رخاوة هذه العروة مايت ليلة ولي في عنق مسلم بيعة بعد ما سمعت ورأيت من فاطمة قال فلم يبايع على كرم الله وجهه حتى ماتت فاطمة رضى الله عنها ولم تمكث بعد أبيها الا خمسا وسبعين ليلة قال فلما توفيت أرسل على ابى بكر ان اقبل إلينا فأقبل ابوبكر حتى دخل على علي وعنده بنوهاشم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اما بعد يا أبا بكر فانه لم يمنعنا ان نبايعك انكارا لفضيلتك ولا نفاسة عليك وكنا نرى ان لنا في هذا الامر حقا فاستبددت علينا ثم ذكر على قرابته من رسول الله ﷺ فلم يزل يذكر حتى بكى ابوبكر فقال ابوبكر رضى الله عنه لقرابة رسول الله أحب من قرابتي واني والله لا ادع امرا رأيت رسول الله يصنعه الا صنعت ان شاء الله تعالى فقال علي : موعذك غدا في المسجد الجامع للبيعة ان شاء الله ثم خرج فأتى المغيرة بن شعبه فقال : اتري يا أبا بكر ان تلقوا العباس فتجعلوا له في هذا الامر نصيبا يكون له ولعقبه وتكون لكما الحجة على علي وبني هاشم اذا كان العباس معكم قال فانطلق ابوبكر وعمر وابو عبيدة حتى دخلوا على

العباس رضى الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان الله تعالى بعث محمدا ﷺ نبيا وللمؤمنين وليا فمن الله تعالى بمقامه بين اظهرنا حتى اختار له الله ما عنده فخلى على الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم في مصالحتهم متفقين لا مختلفين فاختراروني عليهم واليا ولأمورهم راعيا وما أخاف بحمد الله وهنا ولا جيرة ولا جبا وما توفيقى الالباه العلى العظيم عليه توكلت واليه أنيب وما زال يبلغنى عن طاعن يطعن بخلاف ما اجتمعت عليه عامة المسلمين ويتخذونكم لحافا فاحذروا ان تكونوا جهد المنيع فاما دخلتم فيما دخل فيه العامة أو بفعتموهم عما مالوا اليه وقد جئناك ونحن نريد ان نجعل لك في هذا الامر نصيبا يكون لك ولعصبك من بعدك اذ كنت عم رسول الله وان كل الناس قد راوا مكانك ومكان اصحابك فعملوا الامر عنكم على رسلكم بنى عبد المطلب فإن رسول الله منا ومنكم ثم قال عمر : اى والله وأحرى إنا لم نأتكم حاجة منا اليكم ولكنا كرهنا ان يكون الطعن منكم فيما اجتمع عليه العامة فيتفاقم الخطب بكم وبهم فانظروا لأنفسكم ولعامتكم فتكلم العباس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان الله بعث محمدا كما زعمت نبيا وللمؤمنين

وليا فمن الله بمقامه بين اظهرنا حتى اختار له ما عنده فخلى على الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم مصيبين للحق لا مائلين عنه بزيغ الهوى فان كنت برسول الله طلبت فحقنا أخذت وان كنت بالمؤمنين طلبت فنحن منهم متقدمون فيهم وان كان هذا الامر فما يجب لك بالمؤمنين فما وجب اذ كنا كارهين فاما ما بذلت لنا فإن يكن حقا لك فلا حاجة لنا فيه وان يكن حقا للمؤمنين فليس لك ان تحكم عليهم وان كان حقنا لم نرض عنك فيه ببعض دون بعض واما قولك ان رسول الله منا ومنكم فانه كان من شجرة نحن أغصانها وانتم جيرانها « قال ثم خرج ابوبكر الى المسجد الشريف فأقبل على الناس فعذر على بمثل ما اعتذر عنده ثم قام على فعظم حق ابى بكر وذكر فضيلته وسابقته ثم مضى فبايعه فأقبل الناس على علي فقالوا أصبت يا أبا الحسن واحسنت قال فلها تمت البيعة لأبى بكر اقام ثلاثة ايام يقبل والناس ويستقبلهم يقول قد اقلنتكم في بيتي هل من كاره هل من مبغض فيقوم على في اول الناس فيقول والله لا نقبلك ولا نستقبلك ابدا قد قدمك رسول الله ﷺ لتوحيد ديننا من ذا الذى يؤخرك لتوجيه ديننا . » .
وللحديث بقيه

« بقية مقال العكبرى »

كما يتضح ذلك في كتابه « الدر المصون في علم الكتاب المكنون المشهور بإعراب القرآن للسمن الحلبى » .. وابن هشام صاحب (المغنى) الذى كان حريصا على ذكر آراء أبى البقاء

والذى وصف أبا البقاء بأنه إمام عظيم في النحو .. والسيوطى في كتاب (الهمع) والأشياء والنظائر) .. والشيوخ خالد الأزهرى صاحب (التصريح على التوضيح) ...

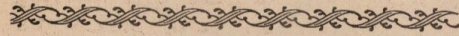
رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن لغة القرآن الكريم وعن العلم خير ما يجزى به عباده العلماء العاملين المخلصين .. أمين .

البرهان

مؤلفه

الكاشف عن
إعجاز القرآن

لابن الزملاكانى



بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد
وبعد: إن الذين يكتبون عن زوايا من إعجاز القرآن
يتعرضون تعرضاً عميقاً لتفسيره في كثير من آياته،
وهم في ذلك مفسرون من أعلى طبقات المفسرين.
ومن هؤلاء كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم
الزملاكانى المتوفى سنة ٦٥١ هجرية صاحب كتاب:
« البرهان، الكاشف عن إعجاز القرآن، الذى نشرته
مديرية الأوقاف بالعراق بتحقيق نفيس قامت به
الدكتورة خديجة الحديثي والدكتور احمد مطلوب.
والزملاكانى نسبة الى زملاكان بدمشق،
وقد درس حتى أصبح أماماً من أئمة اللغة والأدب
ووصل به امر الوظائف الى ان تولى القضاء، وهذا يدل
على انه مع ضربه يسهم نافذ في الادب فانه انغمس
ايضا في الفقه فكان له قدم فيه ..



وقد كتب عدة كتب منها :

١ - التبيان .

ولقد اهتم مؤلفنا بأعراب القرآن الكريم ، فكتب كتاب :
« المفيد في إعراب القرآن المجيد » .

على أن كتب صاحب البرهان تدل على أنه اهتم اهتماما كاملا بالسيرة النبوية الشريفة فألف فيها كتاب « الخصائص النبوية » .

ولقد اجتذبت الخصائص النبوية كثيرا من المؤلفين ، منهم الامام السيوطي الذي كتب كتابا ضخما في الخصائص ، وهو كتاب نفيس . . .

ويؤلف المؤلفون ايضا في الخصائص تحت عنوان « الشمائل » ، ومن أشهر الكتب في ذلك كتاب « الشمائل للترمذي » ، وعنه يقول صاحب شذرات الذهب :

ابن الزملكاني العلامة كمال الدين عبد الواحد بن خطيب زملكا أبو محمد عبد الكريم بن خلف الانصاري السماكي الشافعي صاحب علم المعاني والبيان ، كان قوى المشاركة في فنون العلم خيرا متميزا نكيا سويا ولي قضاء صرخد ، ودرس مدة ببعلبك ، وله نظم رائق ، وهو جد الكمال الزملكاني الشهير ، واسطة عقد البيت ، وتوفي عبد الواحد في المحرم بدمشق وكان له ولد يقال ابو الحسن علي ، امام جليل ، وافر الحرمة ، حسن الشكل ، درس بالأمينية وتوفي في ربيع الاول سنة تسعين وستمائة ، وقد نيف على الخمسين .

وفيه يقول صاحب طبقات الشافعية :

عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف : الشيخ كمال الدين ابو المكارم ، ابن خطيب زملكا قال ابو شامة : كان عالما خيرا متميزا في علوم عدة ، ولي القضاء بصرخد ، ودرس ببعلبك « قلت : وهو جد الشيخ كمال الدين محمد بن علي بن عبد الواحد الزملكاني ، وكانت له معرفة تامة بالمعاني والبيان ، وله فيها مصنف ، وله شعر حسن ، توفي في المحرم بدمشق سنة احدى وخمسين وستمائة . .

ومع كثرة خوضه في التفسير وفي الفقه ، ومع كونه كان قاضيا معروفا فان نزعة الادباء الى الشعر خصوصا من كانت عنده الهوية ، قد غلبت عليه ، فكان يقول شعرا جميلا ، بل كان يبدأ كعادة الشعراء قصائده بغزل في غاية العذوبة وكان يقول الشعر في المدح ، ومن قصيدة له في مدح الوزير ابي الحسن علي الأمين :

أسد فريسته اغافه مدلف
أخنى عليه الدهر في تجواله
جبل على الأبطال عند نزاههم
ياويح من يدعى ليوم نزاله
السعد في نظراته ، والموت في
سبطواته ، والفضل من أفعاله
عجا ابا الحسن الوزير غصنفر
والخائفون امانهم بظلاله
أبت المكارم أن تجود لدهرها
بمثاله ، ولغيره بخصاله
الصاحب النذب الجواد ومن له
شرف بمحدثه وحسن فَعَالِه

ومما نكره من أهم أرائه التي عرضها في البرهان ما يلي :

١ - اختار الرأي القائل بأن البسملة من الفاتحة ،
٢ - رد على ابي هلال العسكري في تعريف البلاغة وقال : ان الفصاحة من عوارض الالفاظ مع ملاءمة المعنى ، والبلاغة من عوارض المعاني وهو تكميل المعنى باللفظ الذي يفهمه من قولهم (بلغ كذا) اذا انتهى اليه ، فان اللفظ اذا كمل معناه أوصله الى القلب . . اوانه من (بلغ الشيء في نفسه) اذا انتهى نهايته ، وبلغ حده . .
٣ - ذهب الى أن ألم تر ؟ بمنزلة : « هل رأيت ؟ » ، وذكر الالة على ذلك .

٤ - انكر الترايب بين الالفاظ غير قديمة ، وأن من ادعى لها قدما فقد زال قدما وسيضع بنانه يوم القيامة ندما ، كيف والقديم واجب الوجود لذاته لا يقبل العدم ، ولا يوصف بحلول في صدور البشر ، ولا يلحن احده فيه لسان اوقلم ، ولا يضاف الى لغة عرب ولا عجم . .
والنموذج الذي نذكره مكون في الواقع من عدة نماذج ، فهو نص يتضمن عدة نصوص يتحدث فيه المؤلف من : « اسباب التقديم والتأخير في الايات القرآنية » ، يقول :
التقدم في اللسان تبع للتقدم في الجنان ، على ما سنبين ان الالفاظ تبع للمعاني والمعاني تتقدم باعتبارات خمسة :

الأول : تقدم العلة والسببية على المعلول والسبب ، كتقديم المضي على الضوء ، وليس تقدما بالزمان لان جرم الشمس بنفك عن الضوء ،
الثاني : التقدم بالذات كالواحد مع الاثنين ، وليس الواحد

من مكان بعيد على انه قد ورد عن ابن عباس (رضي الله عنهما) :

«وديت اني لو حججت راجلا ، فان الله قدم الرجال على الركبان في القرآن» . فجعله من باب التقديم بالفضيلة والشرف ، والمعنيان موجودان عند كثير من العلماء . وقوله تعالى : «هماء مشاء بنميم» من هذا القبيل ، فان الهماز هو العتاب وذلك لا يفتقر الى مشي بخلاف النميمة فانها نقل للحديث من مكان الى مكان عن شخص الى شخص . ومن التقديم بالشرف قوله عز وعلا :

فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين» فان الوجه اشرف بالنسبة الى اعضاء البدن ، واليدان اشرف باعتبار الاعمال ، واليدين سابق على عمله ، والرأس اشرف من الرجلين لاشتماله على القوى المفكرة والمخيلة والحافظة ، وذلك من عالم الغيب لا من عالم الشهادة . فلا جرم تأخر عن الوجه واليدين اذ قوامهما تظهر - في عالم المشاهدة - من الابصار والذوق والنطق .

ومن التقديم بالشرف قوله تعالى : «من النبيين والصديقين» .

ومنه تقديم السمع على البصر ، وسميع على بصير ، لان السمع يدرك اخبار الاوائل والاواخر واحكام الآخرة . وايضا يدرك ما غاب وحضر ، والبصر انما يتعلق بالحاضر فكان ادراك السمع اعم ، والاعم ابدا قبل الاخص بالترتبة . وقد جعل تقديم الجن على الانس من التقديم بالشرف لاشتمال الجن على الملائكة ، وقال سبحانه : «وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا» .

وقال الأعشى :
وسخر من جن الملائكة سبعة قياما لديه يعملون بلا أجر
ونحوه قوله تعالى : (لم يطمئئن انفس قبلهم ولا جان) . .
وقوله : (فيومئذ لا يسأل عن نفيه انفس ولا جان) . .
وقوله تعالى : (وانا ظننا ان لن نقول الانس والجن على الله كذبا) .
الجن في ذلك كله لا يتناول الملائكة لنزاهتهم عن العيوب ، ولا يتوهم عليهم الكذب وسائر الذنوب .

علة لوجود الاثنين بخلاف القسم الاول
الثالث : بالشرف كتقديم الانبياء صلى الله عليهم وسلم على الاتباع ، والعالم على الجاهل . .

الرابع : بالرتبة ، كتقديم الامام على المأموم ، والجنس الاعلى على ما تحته اذا جعل مبدأ . .

الخامس : بالزمان ، كالابعد من الآن مع الاقرب اليه ، ومنه تقدم الوالد على الولد ، فان الواجد وجد في زمان لم يكن فيه الولد موجودا . .

فما كان من المعاني مقدما على غيره باحد هذه الاعتبارات او بآكثرها كان في العبارة كذلك . .

ومن التقديم بالزمان : «وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم» .

ومنه : «وجعل الظلمات والنور»

فان الظلمة سابقة على النور في الاحساس ، وكذلك الظلمة المعنوية سابقة على النور المعنوي يؤيده قوله ﷺ :

«ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم صب عليهم من نوره ، فمن اصابه من ذلك النور اهدى ، ومن اخطاه ضل» .

ومنه قوله تعالى :

«والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة»

فانتقاء العلم ظلمة ، وهي متقدمة بالزمان على نور الابرار . .

وقوله تعالى : «في ظلمات ثلاث» اشارة الى ظلمة الرحم ، وظلمة البطن ، وظلمة المشيمة . .

وقيل : ظلمة الصلب والرحم والبطن . . فهذه ظلمات ثلاث محسة ، وفي الآية الاولى : ظلمات ثلاث معقولة :

فقد السمع والبصر والفهم . . . ومن التقديم بالذات قوله تعالى : «منى وثلاث ورباع» . .

ونحوه : «ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم» . .
الاية ، وكذلك مراتب العدد ، فكل مرتبة هي ابني من

الآخرة ، فهي متقدمة على ما فوقها .

ومن التقديم بالسببية «العزیز» على «الحكيم» ، لانه اذا عز حكم ، ومنه : «يحب التوابين ويحب المتطهرين» ، فان

التوبة سبب للطهارة . .
وكذلك : «كل» افاك ائيم ، فان الافك سبب للائم ، وكذلك

«معتد ائيم» ، ومن التقديم بالرتبة قوله تعالى : «ياتوك رجالا وعلى كل ضامر» فان الذين يأتون رجالا الغالب انهم يكونون من المكان القريب ، والاتيان على الضامر ان يكون

« بقية مقال من جواهر سلطان الأولياء سيدي إبراهيم الدسوقي »

متأسيا في ذلك برسول الله ﷺ وقبل ذلك وبعد ذلك
كان قائدا وطنيا مرموقا . . وكان لأتباعه دور
ملحوظ في قهر الصليبيين في عكا وفي المنصورة ،
ومن دعوته الى الجهاد وقوله المأثور :
يا ابنائي . . حاربوا . . اعداء ربكم واعداءكم . فقد
انتهكوا حرمت دينكم . . وعطلوا دور العلم واقتحموا
بماركم . . يا ابنائي كونوا اخوانا كونوا شجعانا . .
ولا تكونوا للاعداء اعداء . . إنهم إن يظهروا عليكم
يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ، ولن تغلحوا إذا أبدا . .

وأبرزه رحمة للخلق وأوقع له القبول التام عند
الخاص والعام ، وصرفه في العالم ومكنه من أحكام
الولاية ، وقلب له الاعيان ، وخرق له العادات ،
وانطقه بالمعنيات ، وأظهر على يديه العجائب . .
وهو في المهد يرضى الله عنه . .

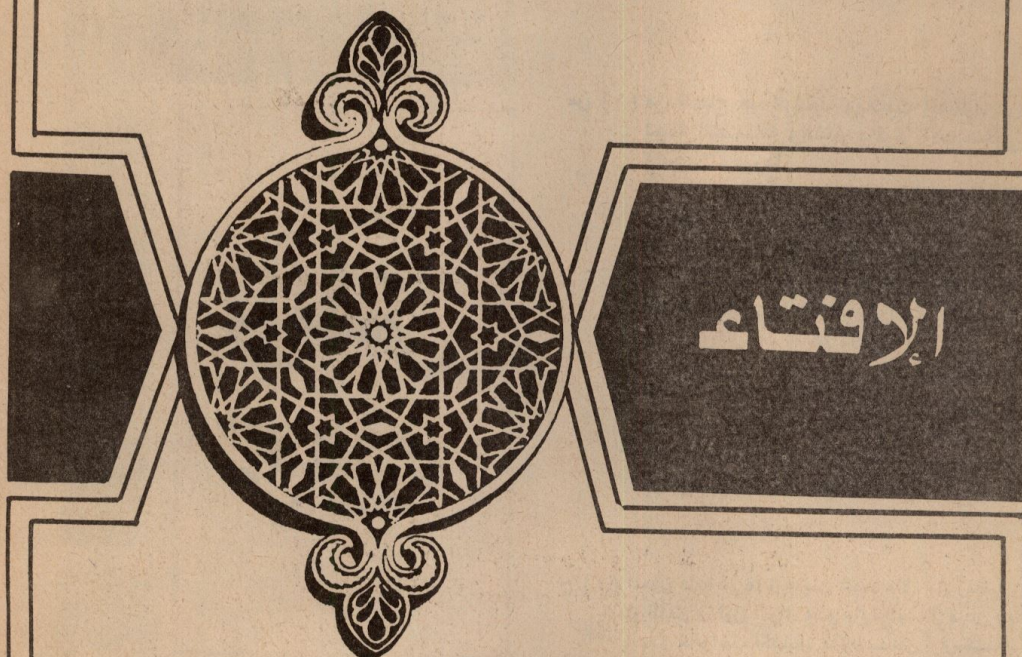
وعلى الجملة كان سيدي الدسوقي عمدة في
الشريعة والحقيقة . . يحث أتباعه على العمل
ويلفظهم إذا لجأوا إلى الكسل أو سؤال الناس

كلمة :

■ الدين فالمعرفة ثم القوة . . حقائق ثلاث ،
لا يستطيع إنسان تجرد منها أو تخلف عنها أن
يحمي نفسه من شرور العصر .

■ كن شريفاً أميناً . .
لا لأن الناس يستحقون الشرف والأمانة ، بل لأنك
أنت لا تستحق الضعة والخيانة !

عباس محمود العقاد



أنت تسأل

س (١) من الحاج عبد الرشيد أوباشيت المسئول عن
لجنة الثقافة والنشر بالمركز الاسلامي
رأنجون - بورما

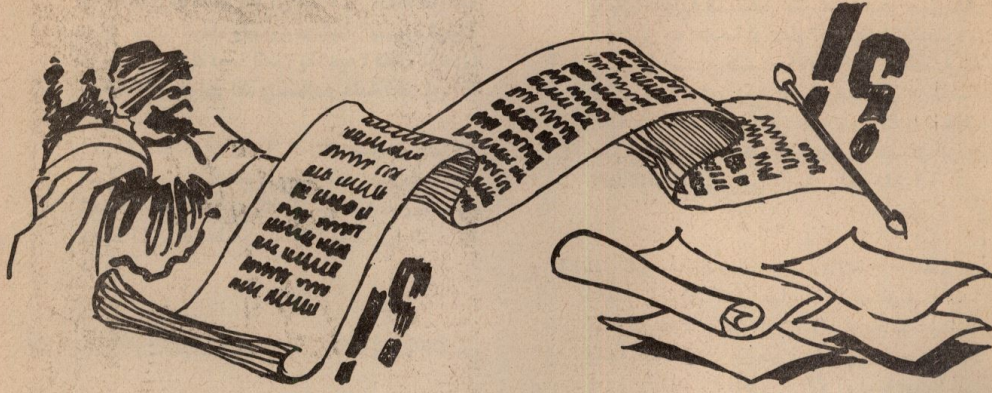
يسأل عن اثبات بدء الصيام في أول رمضان
واثبات بدء الفطر في أول شوال
وعن الرأي في القول بالأخذ بحساب منازل
القمر في اثبات بدء الصيام وبدء الفطر عملاً
بقوله ﷺ إذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه
فافطروا فإن غم عليكم فاقبروا له ،
وقد نقل عن ابن شريح أنه قال إن قوله عليه
الصلاة والسلام فأكملوا العدة ثلاثين هو
خطاب للعمامة حين الغيم وليس لهم برائة
بعلم المنازل إما من أوتوا هذا العلم فضايطهم
الرسول ﷺ بقوله : « فاقبروا له » ،

ج (١) المعول عليه شرعاً في اثبات الصيام في أول رمضان
أو الفطر في أول شوال هو رؤية الهلال فإن غم
الهلال فالواجب اكمال عدة شعبان أو رمضان
ثلاثين يوماً عملاً بحديث رسول الله ﷺ « صوموا
لرؤيته وافطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا عدة
شعبان ثلاثين يوماً » ،

أما رواية « فإن غم عليكم فاقبروا له » فإننا نأخذ
برأي جمهور العلماء « في أن المراد به « اقبروا
له » أي قَدِّروا له تمام العدد ثلاثين يوماً ، ويرجع
نلك الرواية الأخرى « فاقبروا له ثلاثين » ، وفي

والمفتي يجيب

فضيلة الإمام الأكبر
الدكتور عبد الحلیم محمود
شيخ الأزهر



على أن هذا القول قد يؤدي الى أن يكون الشهر تسعة وعشرين لعلماء الفلك وثلاثين للعامة الذين لا راية لهم بهذا العلم وهذا غير مقبول . ثم انه حتى على الراى الذى يقول بحسب المنازل اعتمادا على تفسير « اقدروا له » بهذا المعنى فان هذا التقدير لا يكون الا عند الغيم « فان غم عليكم » وهذا لا يكون الا بعد طلب الرؤية لقوله ﷺ صوموا لرؤيته الى أن قال فان غم عليكم ومن هنا يتبين خطأ الذين يعتمدون في اثبات بدء الصوم وبدء الافطار على حساب المنازل من أول العام لأن رؤية الهلال لن تكون الا في ليلة مولده - والله أعلم .



س ٢ : من المواطن مصطفى حمدي بلوكى الاسكندرية . هل يصح أن احج في عام واحد عن أبى وامى المتوفيين بتلبية عن أبى وتلبية عن امى في أداء المناسك .

وهل يصح أن احج عنهما مناصفة هذا العام مثلا وان كان في العمر بقية احج عنهما بعد ذلك مناصفة ايضا فيكون لكل منهما حجة كاملة ؟ . علما بأننى سبق ان حججت وعمرى الآن اربع وستون عاما واخشى ان حججت عن احدهما فقط هذا العام الا تسعفنى الحياة عن الحج الثانى فاكون قد ظلمت نفسى وظلمت الذى آخرته عن الاول ولم اتمكن من الحج عنه فما الراى ؟ .

رواية « فان غم عليكم فصوموا ثلاثين يوما » ورواية « فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » .

وهذه الروايات جمعها الامام مسلم في صحيحه في الجزء السابع وتناولها الامام النووي في شرحه لصحيح مسلم تحت باب « وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والفطر لرؤية الهلال وإنه اذا غم في أوله أو آخره أكملت عدة الشهر ثلاثين يوما » قال النووي وهو بصدد شرح هذه الروايات : « واختلف العلماء في معنى « واقدروا له » فقالت طائفة من العلماء معناه ضيقوا له وقدروه تحت السحاب ومن قال بهذا الامام أحمد بن حنبل وغيره ممن يجوز صوم ليلة الغيم من رمضان وقال ابن شريح وجماعة منهم مطرف بن عبد الله وابن قتبية وآخرون معناه قدروه بحسب المنازل .

وذهب مالك والشافعى وأبو حنيفة وجمهور السلف والخلف الى أن معناه قدروا له تمام العدد ثلاثين يوما .

واحتج الجمهور بالروايات المذكورة فأكملوا عدة ثلاثين وهو تفسير لرواية اقدروا له .

والقول بأن رواية « فأكملوا عدة » خطاب للعامة التى لا تحسن تقدير المنازل ورواية اقدروا له « خاصة بعلماء الفلك ومنازل القمر فهذا قول يترتب عليه أن يكون هناك تشريعان في موضوع واحد تشريع للخاصة وتشريع للعامة وهذا غير مقبول في عرف الشريعة الاسلامية فان أحكامها عامة وواحدة للجميع والشريعة في أحكامها تراعى عامة الناس وتطبق أحكامها على الجميع .

ج ٢ : الحج عن المتوفى أباً كان أو أما أو غيرهما جائز شرعاً لقول الرسول ﷺ لمن سأل عن الحج عن أبيه الذي أدرأه الوفاء ولم يؤد فريضة الحج « أرايت لو أن علي أبوك بينما أكنت تقضيه ؟ فقال الرجل : نعم فقال صلوات الله وسلامه عليه : فليدين الله أحق بالقضاء » .

وبمثل ذلك أجاب رسول الله ﷺ عمن سألته عن الحج عن أمها ونفيلك بأن الفرائض من العبادات تتداخل ، ولا تتجزأ ويمكنك أن تستعين بمن يتطوع بجعة أخرى لواحد من والديك تحقيقاً لرغبتك . والله الموفق .



س ٣ : من قطب على طالب بكفر الزيات .
ما حكم من أقسم على المصحف ثلاث مرات ولم ينفذ ما أقسم عليه وما هي كفارة ذلك القسم .
وإذا كانت الكفارة عن كل قسم هي صيام ثلاثة أيام فهل الصيام متواصل أم يمكن إياماً منفصلة

ج ٣ : حرمة كلام الله عز وجل من حرمة سبحانه وقديسيته فلا ينبغي أن يجعل المصحف عرضة للايمان كما لا يجوز أن يكون اسم الله تعالى أو كلامه عرضة لليمين كذلك ، ومن اضطر للحلف على كلام عن أمر سيفعله مستقبلاً أو لا يفعله فعليه أن يبر باليمين فإن حنث في يمينه فحكمه في الدنيا الزامه بكفارة اليمين ، وليس الكفارة عن اليمين صياماً بادية ذي بدء كما قد يفهم بعض الناس وكما هو مفهوم من السؤال إنما الكفارة عن الحنث في اليمين هي اطعام عشرة مساكين من أوسط ما يطعم أهله أو كسوتهم فإن لم يجد فعليه أن يصوم ثلاثة أيام قال تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما علقتم الإيمان فكفاراته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم .

أما التتابع في الصيام وعدمه فهو أمر مختلف فيه بين الفقهاء فمنهم من يقول بوجوب التتابع في صوم كفارة اليمين ، ومنهم من لا يوجب . والله أعلم .



س ٤ : من المواطن أحمد محمود زمزم مسجد الجندي :
بشلاً : يقهلية شخص كان عنده قصر من المال فاشترى به اطيناً أو عقاراً أو سيارات أجره - وحصل من هذه الاطيان أو العقارات أو السيارات على ربح صافي فأنقص عن نفقة أهله وسداد دينه ومضى عليه حول كامل فكيف يخرج زكاة ماله ؟ هل يخرجها عن صافي الربح فقط ؟ أم يضيف إلى الربح رأس المال ؟ .

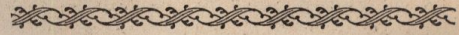
ج ٤ : إذا كان هذا الشخص يتجر بالاطيان والعقارات والسيارات أي أنه يبيعها ويشترى غيرها للبيع كذلك فربحه فيها عن طريق الاتجار بها بيعاً وشراء فإنها حينئذ تكون عروض تجارة وتأخذ حكم نكاة عروض التجارة فتكون الزكاة الواجبة فيها على الربح ورأس المال معاً فتحسب اثمانها ويضاف الربح على الثمن فتخرج الزكاة عن الكل إذا بلغ نصيباً فارغاً عن الدين وعن الحاجة الأصلية ومضى عليها حول فيخرج عنها ربع العشر كل عام متى توفرت هذه الشروط أما إذا كان لا يتجر فيها ولكن يستغلها فالعقارات يؤجرها وسيارات الأجرة يؤجرها للركوب ويربح من العقارات ما تغله من الأيجار ومن السيارات كذلك فالزكاة في صافي الربح فقط ولو زكاة على رأس المال .

والقدر الواجب هو ربع العشر كذلك متى بلغ نصيباً حال عليه الحول مستوفياً للشروط السابقة أما الاطيان فإن كان يزرعها بنفسه أو مشاركة بالزراعة فعليه زكاة الزرع الذي يخصه وهي عشر الخارج من الأرض إن كانت تروى بالراحة وبلا مؤونة ونصف العشر إذا كانت تروى بمؤونة أو بمجهود أما إن كان يؤجرها إيجاراً نقدياً فعليه زكاة المال الذي يأخذه إيجاراً إذا بلغ نصيباً فارغاً عن الدين وفي الحاجة الأصلية ومضى عليه الحول والقدر الواجب أخراجه عن الأيجار النقدي العشر كما سلفنا والله أعلم .



س ٥ : من الطالب عزت أحمد الأنصاري سوهاج - نزه البوصي توجد مصلى قديمة في القرية والقرية بها مساجد كبرى كثيرة وهذه المصلى صغيرة ومهملة ولا يصلى بها أكثر من عشرة أفراد وأراد أحد الأهالي تحويلها إلى مستشفى والقرية لا يوجد بها مستشفى فهل يجوز تحويلها إلى مستشفى أم لا ؟

ج ٥ : جمهور الفقهاء الحنفية والمالكية والشافعية لا يجيزون استبدال المسجد ولا بيع شيء منه .
وقال الحنابلة ان المسجد اذا تشعب جميعه ولم تمكن عمارته ولا عمارة بعضه الا ببيع بعضه بيع ذلك البعض وعمر به الباقي . وان لم يمكن الانتفاع بشيء منه بيع جميعه وكذلك يباع المسجد اذا انتقل اهله عنه وصار في موضع لا يصلح فيه أو ضاق بأهله ولم يمكن توسيعه في موضعه وقالوا أيضا ان المسجد يحول خوفا من اللصوص وإذا كان موضعه قذرا بحيث يصرف الناس عن الصلاة فيه . وقد جاء في رواية عبد الله عن أحمد النص على جواز بيع عرصته والله أعلم .

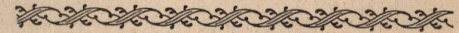


س ٦ : من المواطن العربي عمر الطاهر العلاني من مدينة القيروان توفي عن زوجة لم ينجب منها وأربعة أبناء ذكور وبنت وكان له بنتان توفيتا قبل وفاته ولأحدهما بنت واحدة وللأخرى ابن وبنتان - وأوصى بثلاث ماله لأجنبي عن الورثة مع العلم أن ورثة المتوفى لم يجيزوا الزائد عن الثلث .

والمطلوب معرفة نصيب كل بحكم الدين وحسب قانون الوصية الواجبة الصار سنة ١٩٤٦ .

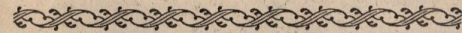
ج ٦ : في هذه المسألة وصيتان : ١ (وصية واجبة) . ٢ (وصية اختيارية) .

وتطبيقا للمادة ٧٨ من قانون الوصية رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦ تقسم الوصية الواجبة على غيرها فيقتصر نصيب البننتين المتوفيتين قبل وفاة والدهما كما لو كانتا موجودتين حين وفاة أبيهما فيؤخذ نصيب كل بنت من ثلث التركة الموصى به ويعطى لورثتها فالبنات التي لم تنجب الابنتا واحدة يعطى نصيبها لبننتها والبنات التي أنجبت ابنا وبنتين يعطى نصيبها لأولادها ويوزع بينهم توزيع الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين والباقي من ثلث التركة بعد نصيب الوصية الواجبة يعطى لأجنبي صاحب الوصية الاختيارية وما يبقى من التركة بعد استخراج ثلثها وتوزيعه على أصحاب الوصية الواجبة والوصية اختيارية وهو الثلثان يوزع على الورثة الشرعيين للزوجة الثمن فرضا والباقي لأولاد تعصيا للذكر ضعف الأنثى والله أعلم .



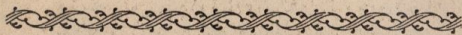
س ٧ : من محمد محمود من المراغة سوهاج .
توفي رجل وترك زوجة وأربعة أبناء وبنتا وكان له بنت توفيت قبل وفاته وترك ابنا ويطلب توزيع التركة على مستحقيها .

ج ٧ : يعطى ابن البنت المتوفاة مثل لنصيب أمه الذي كانت تستحقه لو أنها كانت حية عند وفاة والدها وصية واجبة تطبيقا لقانون الوصية رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦ والباقي بعد اخراج نصيب الوصية الواجبة يوزع على الورثة للزوجة الثمن فرضا والباقي للأبناء الأربعة والبنات تعصيا للذكر مثل حظ الأنثيين والله أعلم .



س ٨ : من محمد حسين نوح من البداري .
توفيت امرأة وترك زوجها وابنا واحدا وثلاث بنات وكان لها ولد توفي قبلها وترك بنتا :
ويطلب توزيع التركة على مستحقيها .

ج ٩ : اذا كان الأمر كما ورد في السؤال فإن بنت الأبن المتوفى قبل وفاة أمه تأخذ من تركة جدتها مثل نصيب أبيها لو كان حيا حين وفاة أمه وصية واجبة تطبيقا لقانون الوصية المذكور سالفا والباقي بعد اخراج الوصية الواجبة يوزع على الورثة للزوج الربع فرضا والباقي للابن والبنات الثلث تعصيا للذكر ضعف نصيب الأنثى . والله أعلم .



س ٩ : من السيد محمود محمد محمود عبيد أسيوط .
توفيت سيدة عن بنت واحدة وأولاد وبنات ابن توفي حال حياتها ويطلب توزيع التركة على الورثة .

ج ٩ : اذا كان الأمر كما ورد في السؤال ولم تترك المتوفاة سوى من ذكر فإن للبنت نصف التركة فرضا والباقي لأولاد وبنات الابن تعصيا للذكر ضعف نصيب الأنثى والله أعلم .
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

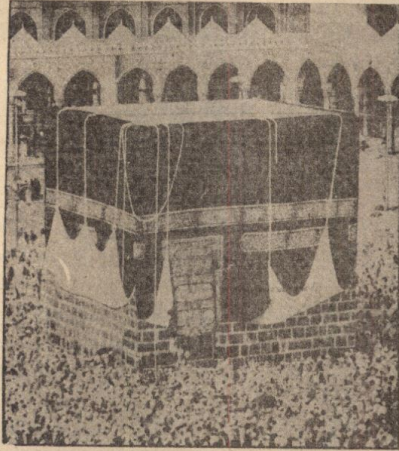




شركة صوت القاهرة للصوتيات والمرئيات
SONO CAIRO A. V.

اتحاد الإذاعة والتليفزيون شركة صوت القاهرة للصوتيات والمرئيات

يسرها أن تقدم : بمناسبة موسم الحج



● المصحف المجرد والمرتل
على أسطوانات
وشرائط كاسيت
للشيخ عبد الباقى عبد الصمد



● المصحف المجرد كاملاً
على أسطوانات ٣٣ لفة
للشيخ محمد خليل المصري
« شيخ القارئ المصرية »



● تسجيلات للشيخ
محمد محمود الطبراني



● تسجيلات بصوت
الشيخ محمد رفعت



مشارك الحج والعمرة والزياره
إعداد وتقديم: أحمد فراج



● تسجيلات للشيخ
محمود على البنا



أسطوانات وكاسيت



تكریم المرأة

فی فريضة الحج

كانت أمة منبوذة من البشر، مرضى عنها في الملة الأعلى، تلك هي هاجر أم إسماعيل عليه السلام، التي ربطت بصلات النسب والقرابة بين المصريين والعرب العدنانيين.

ذلك أنه عندما يئست سارة العبرانية من نعمة الانجاب، اتفقت مع زوجها على أن يتزوج من أمتها «هاجر» عسى أن يرزق منها بطفل يحمل اسمه، وتم هذا الزواج وأنجبت له بالفعل «إسماعيل»... ثم شاعت إرادة الله العلي القدير أن ترزق سارة العجوز بإسحاق. فجاء اعتراف إبراهيم بالشكر لله بقول الله سبحانه وتعالى على لسانه «الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحق إن ربي لسميع الدعاء».

الأستاذة سحر محمد الصلي

البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما، ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم»
والذي يتأمل ذلك التكريم يدرك أن الإسلام قد قرر للام عيدا تحتفل به سنويا في موعده الذي لا يتخلف من كل عام، حيث يسعى ملايين الحجاج بين الصفا والمروة مهرولين سبعة أشواط، إحياء لذكرى الأم التي سعت هناك تكريما لأموئتها.

ذلك هو عيد الأم بالمعنى الاسلامي: شعيرة دينية من شعائر الحج

وتلك هي هاجر أم إسماعيل جد العرب العدنانيين التي جعلت من المصريين أخوالا للعرب، وجعلت رابطة المصاهرات المصرية العربية والحياة الاجتماعية المشتركة تمتد بعد ذلك وإلى يومنا هذا فقد قال رسولنا صلوات الله وسلامه عليه «ستفتح عليكم من بعدى مصر، فاستوصوا بأهلها خيرا، فإن لكم فيها نسبا وصهرا، فاما النسب فإن هاجر زوجة إبراهيم كانت من مصر، ومن سلالتها الهاشميون في كل مكان والأمويون في دمشق والعباسيون في بغداد، واما الصهر فانه يتمثل في ماريه القبطية»

ولقد دفعت تلك الصلات والمصاهرات والمعاملات الإسلامية من العرب المسلمين للمصريين المسيحيين يومئذ، دفعتهم الى طلب مساعدة العرب لهم في إنهاء الاستعمار الروماني لمصر، حيث جاء العرب بقيادة عمرو بن العاص وساعدوا المصريين على طرد الرومان. ومن ثم تمسك المصريون ببقاء العرب، وبذلك اختلطت الدماء العربية بالدماء المصرية، بحيث يمكن أن يقال عن كل مصري أنه عربي وعن كل عربي إنه مصري.. فنعم أنت ونعم نكراك يا هاجر.

فقد وضعت هاجر وليدها في أقسى ظروف حرجة، عندما تركه أبوه وإياها، بواد غير ذي زرع عند أطلال البيت العتيق بمكة، وهي وقتئذ موحشة خلاء، ونفذ مالديها من زاد قليل وماء، فراحت الأم تهزول ساعية بين الصفا والمروة، شوطا بعد شوط، لعلها تلمح من بعيد أثرا لحياة في ذلك القفر الموحش. وأجهدتها السعي وأضناها القلق على وليدها، قبل أن ينبثق الماء من نبع زمزم، فيروى ظلما إبنها، ويبيت الحياة في الوادي القفر. وقد استجاب الله لدعاء إبراهيم عليه السلام «ربنا إني أسكنت من ذريتني بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروك».

وفي رعاية الأم هذه شب إسماعيل حتى اصطفاه الله لرسالته مع أبيه إبراهيم، فعهد إليهما أن يرفعا القواعد من البيت، ويطهرا للطائفين والعاكفين والركع السجود... بقوله تعالى «وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا، واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، وعهنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود» وكذلك قوله تعالى «وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا منا سكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم».

وتكريما لتلك الأم المنبوذة التي دخلت التاريخ الديني بما كابنت من هموم أمومتها، جعل الله مسعاها من أجل ولدها بين الصفا والمروة، شعيرة دينية من شعائر الحج، بقوله تعالى «إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج



حققت لنفسى وروحي راحة الزائر وهيام المشتاق الى الطواف والسعى والمناجاة بعرفة ، وهنا تنعم الروح بصفاء الحاج واشتياق المرتقب ليوم الاستجابة وهيام المتناع لزيارة الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه حيث الروح والريحان من نفحات عدنان يحيها الزائرون في الروضة الشريفة حياة يقينية يصعب معها الرحيل .. وتظل تحنو اليها القلوب والأفئدة مهما طال موعد اللقاء ..

ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً

●●● فالقلب الطاهر والاخلاص المتعاطف في الحركة والاداء والعطاء يرتقي بصاحبه الى درجة من الصفاء . يحج فيها القلب ويطوف مع الحجاج مناسكهم ..

واذا حج قلبه صلح فكره وحسن عمله .. « ومن أحسن قولاً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن »

وفقنا الله سبل هدايته ، ورزقنا نعمة التوبة والأتابة والوقاية ..

ونسأله جل علاه أن يكتب لنا حجة تنعم بها الروح ويمحي بها الذنب وينال بها الرضاء والمغفرة .. « انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً » .. صدق الله العظيم والى لقاء مع عامنا الهجري الجديد ان شاء الله .

●●● ما أعظم النعم الالهية التي تفيض على الروح الذاتية ، وما أقدم النفحات السماوية التي ينعم بها المولى على عباده الصالحين في شعائره العظيمة وأيامه المباركة . « ومن يعظم شعائره الله فإنها من تقوى القلوب » .. فما أحرانا وقد أنعم الله علينا بنعمه المتصلة ورحماته الغامرة أن نعي المعاني الجميلة ونسعى إلى الأهداف الأصلية التي بها شعائر الله

●●● فمناسك الحج كما أرادها الله في كتابه وطبقها الرسول صلوات الله وسلامه عليه في حياته ذات مظهر مرتبط بالجواهر في صدق ووضوح فهي رمزية معنية مبراة من الخيال ...

●●● فالاحرام رمز للتجرد من بهجة الحياة وزخرفها ، وتحقيق للمساواة الكاملة بين المسلمين على اختلاف مناصبهم وألوانهم وألسنتهم وتذكير بيوم البعث « وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى وان الى ربك المنتهى . وأنه هو أضحك وأبكى .. »

●●● فحرى بمن أحرم بدنه أن يحرم قلبه وفكره ، وأن يجردهما كلية من شوائب الحقد والكراهية وأن يغذى وجدانه بالحب والوفاء والإيثار .. وهنا تعن لى كلمة وهى : أننى وقد أحرم وجدانى وطاف القلب منى بمناسك الحج فقد

رسالة المغرب

بقلم الصديق الشملوى على ..

اننى من المعجبين بمجلتكم منبر الاسلام لانها نور وأى نور قبشرى لمن يقرأها ويعمل بما تحويه من العبرات والأحاديث النبوية وآيات بينات من الذكر الحكيم .. وكل هذا يرجع فضله الى الكتاب فى نشر دعوة الاسلام وهذا هو الجهاد وأى جهاد ولاسيما فى عصرنا وإننى أسأل الله تعالى أن يمد فى عمر العلماء والفقهاء العاملين فى هذه المجلة الغراء وصلى رسول الله ﷺ إذ يقول « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له ، أو علم ينتفع به » وإذا تمنعنا فى هذه المجلة وجدنا أنها تحمل كل هذه الأوصاف النبيلة من هذا الحديث الشريف .

وإننى فى النهاية اتقدم للسيد الفاضل المشرف على هذه المجلة بطلب اضافة صورة الكاتب لكل مقال ينشر لتكون ذكرى لكل قارئ ودمتم سيدي على خير فى نشر دعوة الحق ونور العقيدة الاسلامية فى أرجاء المعمورة . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والمجلة إذ تشكر الصديق من المغرب على ذلك تعدد يعرض طلبه على اللجان المختصة لبحثه وتسال الله التوفيق .

رسالة العراق

بقلم الصديق سعدون عثمان كوبرلى ..

أرجو أن يوفقكم الله البارى عز وجل وأن يلبسكم حل الصحة والعافية اننى أحد قراء مجلتكم الغالية منبر الاسلام ومنذ عدة سنوات اقبالها بفرح وسرور والتهم ما فيها التهاما ولا يمتنعى من تركها إلا نهايتها فأعبد الكرة مرة أخرى ولا تنتهى حلاوة كلماتها أبداً من ذهني ومن فكرى وقلبي .. ولكن منذ مدة لا أشاهدها فى وطننا العربى العراق .. ولست أدري .. ما هى الأسباب ؟ .. لماذا لم تصل المجلة الى العراق ؟ .. أرجو أن أكون أنا الذى لا أعرف متى تصل ولا أين أجدها .. أرجو تكرمكم بمحاولة توصيلها الى العراق وفقكم الله . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والمجلة وهى تقرأ رسالة الصديق من العراق تأسف لأنها تصل الى جميع أرجاء المعمورة لأنها دعوة الله ودعوة الله تنتشر فى كل مكان .. ابحت يا أخى فى العراق فستجدها .. وفقكم الله .

ومن رسالة بقلم الصديق

سمير عبد الفتاح أبو العلا - سرائى القبة القاهرة يقول يسرنى عظيم السرور وأنا اكتب إلى سيادتكم رسالتى هذه أن أقدم شكرى وأبتهل بدعواتى الى المولى عز وجل الذى من علينا بالاسلام ويسعدنى أن أرفع قلمى لأكتب لكم هذه الكلمات معبراً من خلالها عن اعجابى بما تتضمنه مجلتكم الغراء من معلومات دينية قيمة تهدينا الى الطريق المستقيم ولنؤمن إيماناً صادقاً ولنلتمس العلم والمعرفة لنسهم من أجل اعلاء كلمة الله وإننى لأشكركم جزيل الشكر

وأحمد الله أن وفقكم إلى إثراء المكتبة الاسلامية وأسأله أن يسدد على طريق الحق خطاكم إنه سميع الدعاء .

والمجلة تشكر الصديق على تقريظه وتعدده بالعمل المستمر على ارضاء أصدقائها فى سبيل نشر دعوة الحق والله الموفق ... وإلى الصديق محمد خليفة أحمد - قرية علوان أسيوط نقول :-

وصلت رسالتكم إلينا وكنا نود نشرها كاملة .. ونعنتز لكم عن ذلك .. ونشكركم على استمراركم فى مراسلتنا ونشير هنا الى بعض ماورد فى رسالتكم راجين التوفيق من الله .

أملين أن تصلنا رسالتكم مستمرة وهذه بعض محتويات رسالتكم :

« اشراقه العبد »

الناس تلبس فيه كل جنيد والكون ينشد اعذب التغريد قد جاءهم عيد السرور فربنوا الله اكبر كان خير نشيد الصفح فيه فلا خلاف بيننا وبه يجمع شمل كل بعيد هو يوم جائزة السماء وعيدنا فى الأرض حقا صار اجمل عيد يارب فاجعله بشاره نصرنا للمسلمين لارض كل شهيد يارب واحفظ أنورا وجنوده اصحاب نصر فى الحياة مجيد حتى نعيد الحق كل حقوقنا وكذا لتعلو رايه التوحيد

مجمع اللغة العربية

لجنة الأدب الدكتور محمد كامل حسين

مفكراً وأديبا

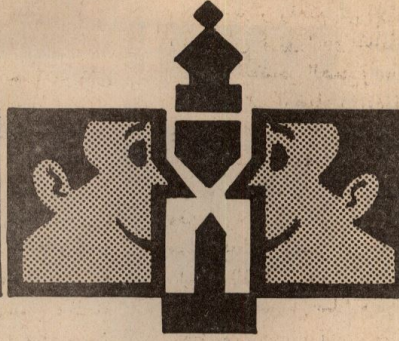
المسابقة الأدبية

(لعام ١٩٧٨/٧٧)

يعلن مجمع اللغة العربية عن مسابقة أدبية لعام ١٩٧٧ / ١٩٧٨ وموضوعها : الدكتور محمد كامل حسين (عضو مجمع اللغة العربية) « مفكراً وأديبا » . وذلك بالشروط الآتية :

- ١ - ألا يكون النص قد سبق تقديمه لأية جائزة أو درجة علمية .
- ٢ - اذا كان النص مطبوعاً يشترط الا يكون قد مضى على نشره أكثر من سنة فى ٣١ من مارس سنة ١٩٧٨ ، وهو آخر موعد لتقديم النصوص ويرسل المتسابق تعهداً بتحقيق هذين الشرطين .
- ٣ - المسابقة مفتوحة فى جميع البلدان العربية .
- ٤ - للمسابقة ثلاث جوائز
 - ١ - أولى وقبرها مئتان وخمسون جنيهاً مصرياً .
 - ب - وثانية وقبرها مائة وخمسون جنيهاً .
 - ج - وثالثة وقبرها مائة جنيهاً .
- ٥ - يرسل المتسابق أربع نسخ مكتوبة على الآلة الكاتبة باسم / الأستاذ الدكتور أمين مجمع اللغة العربية (٢٦ شارع الدكتور طه حسين) « مراد سابقاً » بالجيزة فى مظلوف مغلق مسجل عليه « المسابقة الأدبية » وآخر موعد لقبول النصوص ٣١ من مارس سنة ١٩٧٨ .
- ٦ - المسابقة مفتوحة لمن لم يسبق له الحصول على جوائز المجمع فى السنوات الماضية .
- ٧ - لصاحب النص الذى لم يفز أن يسترد نسختين مما قدمه .

التعارف



بريد

الاسم: أحمد على اسماعيل
الدلاش
البلد: ج. م. ع
السن: ٣٤ سنة
المهنة: باحث قانوني
الهواية: القراءة والاطلاع
العنوان: حلون الحمامات
اسكان صلاح
سالم ب ١١ مدخل
٢ شقة ٤



الاسم: صلاح مهدى محمد
البلد: ج. م. ع
السن: ٢٦ سنة
المهنة: طبيب
الهواية: المراسلة وكتابة
الشعر وتبادل
الصور والطوابع
العنوان: مديرية الشؤون
الاجتماعية
باسيوط



الاسم: مصطفى عبد المطلب
التهامى
البلد: ج. م. ع
السن: ٢٥ سنة
المهنة: مدرس
الهواية: كتابة الشعر
ومراسلة الشباب
الاسلامى
العنوان: شبراويش - مركز
اجا - نقيلية



الاسم: رضا محمد الغريب
البلد: ج. م. ع
السن: ١٧ سنة
المهنة: طالب ثانوى
الهواية: المراسلة وتبادل
الأفكار الدينية
والقراءة
العنوان: الكوم الطويل -
محافظة كفر
الشيخ



الاسم: سمير عبد الفتاح
أبو العلا
البلد: ج. م. ع
السن: ١٨ سنة
المهنة: طالب ثانوى
الهواية: القراءات الدينية
والمراسلة
العنوان: ٤ ش المغاوى
متفرع من طومانبى -
سراى القبة -
القاهرة



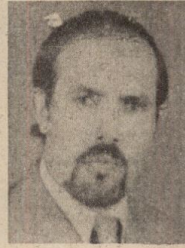
الاسم: خفاجى محمد
المعطوى
البلد: ج. م. ع
السن: ٢١ سنة
المهنة: قارى القرآن الكريم
الهواية: القراءات الدينية
والمجلات
الاسلامية
العنوان: قرية الكنايس -
كفر النوار -
بحيرة



الاسم: يوسف عبد الناصر
البلد: الجزائر
السن: ١٨ سنة
المهنة: طالب
الهواية: المراسلة وتبادل
الآراء
العنوان: عمارة رقم ٤ باب
رقم ٤ حي المصلى
المدية



الاسم: الشملاوى على
البلد: المغرب
السن: ٣٦ سنة
المهنة: جندي
الهواية: تبادل الصور
والرسم والأمثال
والحكم
العنوان: فوج ٢٨ للقوة
المسلحة الملكية
للمسات وجدة



الاسم: الحبيب الربودي
البلد: تونس
السن: ٢٠ سنة
المهنة: طالب
الهواية: المراسلة وتبادل
الصور
العنوان: نهج على باش
حمية دار شعبان
- نابيل



الاسم: لطفي الشلي
البلد: تونس
السن: ١٧ سنة
المهنة: طالب
الهواية: المراسلة وتبادل
الأفكار الإسلامية
العنوان: العطايا قرقنة
ولاية صفاقس



الاسم: خليل أبو عيسى
البلد: الأردن
السن: ٢٤ سنة
المهنة: طالب
الهواية: المراسلة والقراءات
الدينية والأدبية
والرحلات
العنوان: الأردن - عمان -
جبل الحسين -
ص. ب. ٨١٨٩



الاسم: سعديون عثمان
كوبرلي
البلد: العراق
السن: ١٨ سنة
المهنة: طالب
الهواية: تبادل المراسلات
والمعارف الدينية
العنوان: شارع الثورة مقابل
فندق الزهور -
كركوك



الاسم: رضا على حسن
البلد: البحرين
السن: ٢٢ سنة
المهنة: موظف
الهواية: قراءة الكتب الدينية
والمراسلة وتبادل
المناظر الطبيعية
العنوان: منطقة الخميس -
منزل رقم ٩/٣٦٩



الاسم: يوسف محمود احمد
الزرعوني
البلد: الامارات العربية
المتحدة
السن: ١٧ سنة
المهنة: طالب
الهواية: المراسلة والقراءات
الدينية
العنوان: العين ص. ب.
١٠٢٠ أبو ظبي



في هذا العدد

■ معالم الطريق

■ دراسات قرآنية

■ التشريع الإسلامي

■ الحج

٣	نص كلمة الرئيس المؤمن محمد أنور السادات
١٢	في احتفال يُأدى القضية ١٠ / ١٠ / ١٩٧٧
١٨	تفسير سورة آل عمران
٢٠	إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون
٢٥	خصائص لقصة القرآنية
٢٨	من أمثال القرآن الكريم
٣١	من أخلاق القرآن الكريم
٣٣	الإعداد والاستعداد
٣٥	جمع القرآن
٣٨	في عهد عثمان رضى الله عنه وسببه
٤٠	تأملات في البيان القرآني
٤٣	الصورة القرآنية
٤٦	من علوم القرآن المحكم والمتشابه
٥٠	قضايا فكرية في فهم العربية
٥٤	من دقائق القرآن
٥٨	التفكير في القرآن الكريم
٦٠	الفكر القرآني ودعوة ابن تيمية
٦٣	هداية سورة الحج
٦٥	إلى فوائد فريضة الحج
٦٧	وانظر إلى حمارك
٧٠	ولنجعلك آية للناس
٧١	صور من القرآن الكريم
٧٦	الاعجاز العلمي في القرآن [النجم]
٨٠	الحدود وحكمة تشريعها وأثر تطبيقها
٨٣	الزكاة فريضة وحق
٨٦	الوحدة دعوة الإسلام
٨٩	آيات الله تعالى في مخلوقاته
٩١	الله جل جلاله
٩٢	القضاء في الإسلام - مراتب الشهادة
٩٧	سعادة العالم كله
٩٩	في آية من القرآن الكريم
١٠٢	وأتوموا الحج والعمرة لله
١٠٤	الحج مناسك وأسرار
١٠٦	الحج تطهر وعبادة
١٠٨	يوم عرفه
١١٣	في مهبط الوحي
	وفود الرحمن
	بيت الله الحرام
	في ضوء القرآن والسنة
	يوم الحج الأكبر
	الحج في ضوء الوحي والتاريخ
	ربنا تقبل منا
	إنك أنت السميع العليم
	ليشهدوا منافع لهم
	الحج مؤتمر المسلمين العام
	أسرار الكعبة الشريفة
	فريضة الحج والدروس المستفادة

١١٥		مع الرسول ﷺ في خطبة الوداع		الاستاذ حسين أبو هاشم
١١٧		الاعباد وأثرها في حياة الأمم		الشيخ عبد الحميد بلع
١٢٠		يشرف على تحريره منصور الرقاعي عبيد / فؤاد هيبه / على عيسى		
١٢٠		حديث إلى الأئمة		
١٢٢		البيت الحرام		الشيخ اسماعيل صادق العنوي
١٢٥		واجب مفروض على علماء المسلمين		الاستاذ محمد فهمي عبد اللطيف
١٢٧		منهج الاسلام في تربية الشباب		
١٢٧		زيارة المصطفى ﷺ		الشيخ منصور الرقاعي عبيد
١٣١		الاسلام وقدرته على مواجهة التحديات		
١٣١		وحل مشاكل العالم		الشيخ حسنين عرابي عطوة
١٣٣		حول فداء اسماعيل عليه السلام		الشيخ عبد المؤمن حسن مجاهد
١٣٥		الدعوة الإسلامية والاعلام		
١٣٥		الاجتماع العربي قبل الاسلام		الاستاذ محمد كمال الدين
١٣٧		السبعة الذين يظلهم الله يظله		الشيخ حسن شبانه الديب
١٣٩		الحجر الاسود تاريخه ومنزلته		
١٣٩		ورد الشبهات عنه		الاستاذ على عيسى
١٤٤		الصوفية في إلهامهم دار السلام		الاستاذ حسن كامل المطاوي
١٥٠		لنا رسالة		الاستاذ عبد العظيم منصور
١٥٣		مجتمع العلم والإيمان		
١٥٦		ملتقى الأمة الواحدة		الشيخ مصطفى عبد الحليم الجندي
١٥٨		الاسلام والارادة الحضارية		الاستاذ محمد حسن عبد العزيز
١٦١		لا غالب إلا الله		الدكتور عبد الغني عيود
١٦٣		غمامة في سبيل الدعوة المحمدية		الاستاذ علي عبد الهادي
١٦٤		تكريات إسلامية وقنوات عسكرية		الاستاذ عبد المعطي اسماعيل عيادة
١٦٦		الاسلام والسلام		الاستاذ صلاح عزام
١٦٩		مسئولية المسلمين		الاستاذ محمد رجاء حنفي عبد المتجلى
١٧٢		فن تشكيل وزخرفة الاواني الزجاجية		الاستاذ محمد متولى النظامي
١٧٦		في العصور الاسلامية		
١٨٠		رجل ومعارك - جعفر بن ابي طالب		سعاد أحمد جمعه
١٨٢		إلى حج ميروور		الاستاذ محمد صالح
١٨٤		أبي هو الاسلام		الشيخ الصاوي شعلان
١٨٨		الطب الوقائي بين الهدى النبوي		الشاعر عبد المنعم عبد الله القن
١٩١		ونظريات الطب الحديثة		
١٩٤		الحسن بن علي رضي الله عنه		الدكتورة أبتسام عبد الحليم
١٩٧		مع الشيخين		
١٩٩		أبو الفتح عثمان بن جني		الاستاذ توفيق أبو علم
٢٠٢		الشاذلي في مصر - صوفية وفروسية		الدكتور حامد محمد شعبان
٢٠٤		من علماء الحديث النبوي الشريف		الاستاذ عبد الودود محمد طه
٢٠٧		الامام الحافظ أبو الفرج بن الجوزي		الدكتور محمد مبارك السيد
٢١٢		من جواهر سلطان الاولياء		
٢١٨		سیدی ابراهيم الدسوقي		الاستاذ عبد العليم المهدي
٢١٩		العكبري		الاستاذ سهام محمود العصر
٢٢١		مباينة علي بن ابي طالب		
٢٢٤		لأبي بكر الصديق		الاستاذ صبري أبو المجد
٢٢٦		البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن		الدكتور منيع عبد الحليم محمود
٢٢٧		انت تسال والمفتي يجيب		الدكتور عبد الحليم محمود
٢٢٨		تكریم المرأة في فريضة الحج		الاستاذة سهير محمد الحلبي
٢٢٩		مع القراء		إعداد فؤاد هيبه
٢٣١		بريد التعارف		

■ الدعوة والدعاة

■ التصوف ■ العلم والإيمان

■ الفن الإسلامي

■ القصة

■ الشعر

■ الطب والإسلام

■ شخصيات إسلامية

■ المكتبة الإسلامية

■ الافتاء

■ الأسرة المسلمة

شركة النصر الفطيم للتجارة ش.م.م

الصوت الواضح والنقى مطلوب
للمساجد وقاعات المحاضرات

وشركة ناشيونال اليابانية

يسرنا أن تقدم:

أحدث ما توصل

إليه العالم من

أجهزة الصوت



ميكروفون
توصيل 3 واط



WX-831S/R

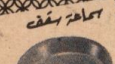


60W
WA-722
30W
WA-712

Wireless Receivers
can be mounted on a
standard 19" rack.



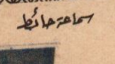
WX-240N



3W
WS-511



WX-410S/R



Grille Cloth
WS-507



WS-552A



WS-480



WS-105



WS-580

WS-105Z
(Volume Control provided)



WS-110

WS-702

WT-202A

WT-200A

WD-204C



٢٨ شارع طلعت حرب - القاهرة - تليفون: ٩١٢٠٦٣ / ٩١٢١٢٢
٥ شارع طلعت حرب - إدارة ناشيونال - تليفون: ٣٢٣٢٣
جاري افتتاح مركز الخدمة ٦ شارع الخطيب بالدقي - تليفون: ١٤١٥٥٢

الشَّرْقُ لِلتَّامِينَ

وظلة الأمان الدائمة لبراعم المستقبل
فحص مستقبلهم بأختيار أي نوع
من أنواع التامين المبكرة

- الشرق الجديدة
- المختلط مع الاشتراك في الأرباع
- المختلط على شخصين
- المهر والتأمين
- مختلط معاش
- الوالد والطفل
- الميسرة

سيد رضوان

شركة الشرق للتأمين
المركز الرئيسي :
١٥ شارع قصر النيل - القاهرة